جمهرة
وصايا العرب

وصايا صدر الإسلام
والدولة الأموية

دراسة وتحقيق
محمد رشيد الحريري

دار الفضائل
بيروت - لبنان

جمهرة

وصايا العرب

وصايا صدر الإسلام
والدولة الأموية

دراسة وتحقيق
محمد نايف الدليمي

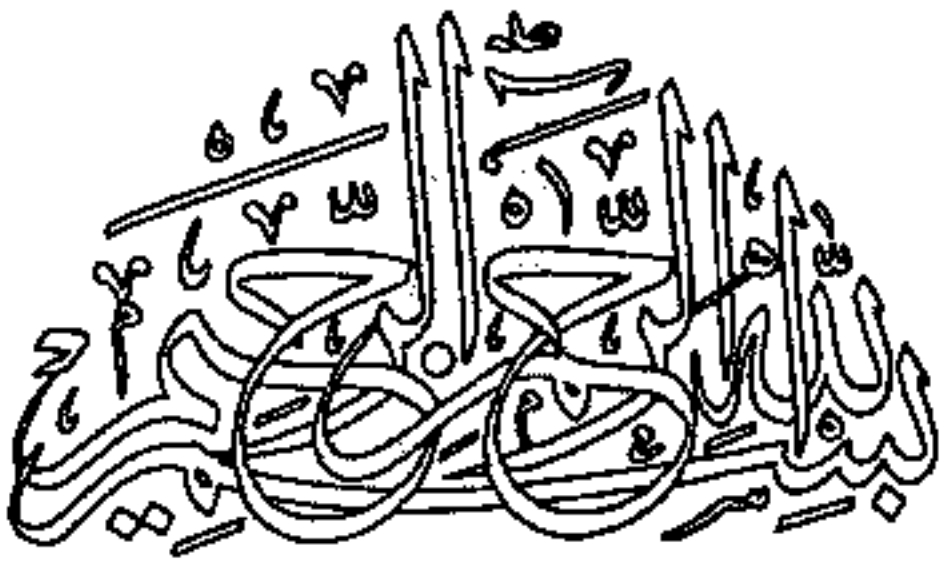
الجزء الثاني

منشورات دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ١١٣/٦٦٦٦ بيروت

جمهرة
وصايا العرب

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار النضال

الطبعة الاولى
1991م - 1411هـ





مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّه الذي اصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب جمهرة وصايا العرب، أضعه بين يدي القراء الكرام، وهو جزء اشتمل ما وقفت عليه من وصايا عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين، وعصر الدولة الأموية.

إنّ الناظر في هذا الجزء سيجد فروقاً كثيرة في وصاياه عنها في العصر الذي سبقه، وأنّ تطوراً كبيراً دخل على جملة الوصايا.

لقد اتخذت الوصايا في هذا العصر مساراً آخر غير الذي ألفناه سابقاً، ومنهجاً حددته طبيعة النظام الإسلامي الجديد، حين أدخلت عليه مجموعة من الخصائص الفنية الجديدة، وفقاً لما امتلكه الإنسان من خبرة ودراية ومعرفة؛ غيرت فيه مساره السابق، وأوقفته على نظام آخر نزل إلى جوهر النفس الإنسانية فاستبدل كثيراً من طباعها، وغيّر كثيراً من عاداتها، وأحلّ محلها طبائع وعادات جديدة تألفت الناس، ووضعتهم في مفهوم أمة ينتظمها قانون يُسَيِّر لها حياتها ويلغي عنها الفوارق في كل أصنافها. ويدفع بها إلى حياة حرّة كريمة. وعلى هذا المسلك المحمود سارت وصايا الموصين في هذا العصر.

وينبغي أن نلحظ فرقاً آخر طرأ على الوصية في عصر صدر الإسلام

والخلفاء الراشدين عنه في عصر الأمويين، حيث أن التوجه في وصايا الخلفاء الراشدين كان يرمي إلىٰ تعلق المخلوق بالخالق عزّ وجل، ويحث علىٰ اخلاص النيّة لله تعالىٰ، والابتعاد عن الدنيا، باعتبارها طريقاً يمر منه الإنسان إلىٰ حياة أزلية باقية، هي الحياة الآخرة.

أما عصر الدولة الأموية، فإنّ التوجه فيها كان إلىٰ الدنيا من حيث لا يلغي التوجه الديني، وأنه هدف إلىٰ الممازجة بين الحالتين، بحيث لم ينسَ نصيبه من الدنيا، إذا استثنينا من ذلك وصايا عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

ولذلك آثرت أن أضع ترتيبين لوصايا هذا الجزء.

الترتيب الأول زمني بدأته بمجموعة من وصايا رسول الله ﷺ، وأنهيته بآخر خليفة وقفت له على وصية من خلفاء الدولة الأموية، كي يقف الدارس علىٰ طبيعة تطور الوصايا عند الخلفاء، ولأنّ سِنيّ وفاتهم معروفة ومشهورة. والترتيب الثاني هجائي وضعت فيه وصايا الموصين من غير الخلفاء، وأسميته الوصايا العامة، ولم أستطع ترتيب وصاياهم زمنياً لافتقاد سني الوفاة أو اضطرابها عند بعضهم.

أما المنهج الذي سرت عليه في هذا الجزء فإنّه يتلخص بالآتي:

1 ـ وضعت تراجم لكافة الاعلام الذين وردت أسماؤهم في الوصايا، فضلاً عن تراجم الموصين.
2 ـ قمت بتخريج الأشعار التي وردت في ثنايا الوصايا، من التي وقفت علىٰ أصحابها، واكتفيت أحياناً بالإحالة على الديوان إذا كان مطبوعاً.
3 ـ وضعت بين هذين القوسين ﴿ ﴾ ما ورد من نصوص قرآنية كريمة.
4 ـ وضعت بين هذين القوسين الصغيرين « » ما ورد من أحاديث نبوية شريفة.
5 ـ وضعت رقماً خاصاً لكل وصية من الوصايا التي وردت في هذا الكتاب.

6 ـ ثبّتُ مهمشاً الوصايا التي وجدت فيها اختلافاً في الرواية يخلّ بالمعنى العام.

هذا هو عملي في هذا الجزء من أجزاء الوصايا، وهذا هو المنهج الذي رأيته مناسباً، وعسى أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه، وقد أحتسبت فيه أجري على الله الذي لا تضيع عنده الودائع، فقد دأبت على جمع هذه الوصايا بنيّة خالصة صادقة، أخذت من سني حياتي كثيراً، ومن صحتي بما تجشمت في إخراجه من جهد ومشقة في تقليب صفحات الكتب، وسهر طويل مضنٍ.

ومع هذا كله فإنني أقرّ إقراراً عاجزاً، أنني لم أوفق إلى جمع كل ما توفرت عليه المظان من وصايا هذين العصرين، لعلمي أنها كثيرة، وعسى أن أكون مخطئاً، ولكنني كما قلت في مقدمة الجزء الأول: بذلت جهداً غير آبهٍ بمشقة ولا كلال، وبدأت بداية ما على الأخوة الآخرين إلاّ أن يستكملوها. والله أسأل أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وينفعني به. وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمد نايف الدليمي
اختصاصي تربوي

الوصية في عصر صدر الاسلام

والدولة الاموية

تحدثت في مقدمة الجزء الأول من هذا السفر عن مفهوم الوصية، ودخلت في تفاصيل تعريفها ومدلولها، وأغراضها، وذكرت هناك أنّ الدين الإسلامي لم يأتِ على أنظمة وقوانين العصر الجاهلي فيجتثها من أصولها، ويضع محلّها قوانين وأنظمة جديدة، وإنما جاء على مجموعة كبيرة من المفاهيم الخاطئة التي كانت تتماشى مع صيغ وقوانين وأنظمة سليمة معافاة، آنظم على كثير منها العصر الإسلامي بعد أن أدخل عليها شيئاً من التعديل والتقويم، واجتَثَّ كل تعامل خاطئ، واستبدله بصيغ جديدة، تجعل الناس سواسية، لا فرق بين رفيع ووضيع، بعد أن أدخلهم في الوحدة الإسلامية المتكاملة الجوانب.

والوصية هي واحدة من مجموعة الأمور السليمة الصحيحة التي أقرّها الإسلام، بل أكّدها بكثير من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[1].

وقد تطور مفهوم الوصية في العصر الإسلامي تطوراً ملحوظاً، حيث أتّخذ اتجاهات وأبعاداً ومدلولات، لم نجد لها ما يشبهها في العصر الذي سبقه، فهي لم تقف عند المواريث وتقسيماتها، وما أقرّهُ الشّرع فيها، لمن تكون، وعلى من تجب، لأن هذه المسائل أصبحت من بديهيات النظم

(1) انظر الصفحات الأولى من مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب.

الإسلامية؛ التي عرفها المسلمون في عصرهم، وإنما أمتدت لتشمل مناحي الحياة المختلفة، بكل دقائقها وجزئياتها، وبكل ما تحمله من مسالك صعبة، وطرائق متشعبة وقاسية.

فلم يعد النظام القائم نظام قبيلة أو عشيرة، تضع لنفسها التشريعات والقوانين التي تراعي فيها مصلحة أفرادها حسب، وإنّما تجمعت كلّ القبائل والعشائر على نظام واحد بعد أن وحّدها الإسلام، وجعلها أمّة واحدة، واستبدل أنظمتها وقوانينها، بالقانون الإسلامي الجديد، الذي اعتبر الناس كلهم سواسية أمامه، لهم ما لأي فرد من أفراد هذه الأمة من الحقوق، وعليه ما عليهم سن الواجبات.

فرسول الله ﷺ هو الذي يشرّع للأمّة قوانينها وأنظمة حياتها المختلفة، بما يأتيه عن الله سبحانه وتعالى ﴿ما جاءَكُمْ عَنِ الرَّسولِ فخُذوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهوا﴾، حتى تكامل لها نظام حياتها بكل دقائقه وجزئياته وأبعاده ﴿اليومَ أكملتُ لَكُمْ دينَكُمْ، وأتممْتُ عليْكُمْ نِعمَتي، ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً﴾.

لقد ترك لنا رسول الله ﷺ دستوراً إسلامياً أزلياً خالداً، ونظاماً دقيقاً تامًّا متكاملاً، يتمثل في كتاب الله العزيز، والحديث النبويّ الشريف، ومن الحديث جمهرة من الوصايا العامة التي تتعلق بأمور الحياة، وتربطها بالحياة الآخرة، وهي وصايا طلبها منه بعض أصحابه في حياته، حيث أنه لم يوص بشيء حين انتقل إلى الرفيق الأعلى، وعلى الرغم من أنّ هذه الوصايا قد طلبها بعض الصحابة منه عليه الصلاة والسلام، إلا أنها لم تكن خاصة بهم، بقدر ما هي وصية لعموم البشر.

وتقف على رأس هذه الوصايا، وصية من الله سبحانه وتعالى إلى نبيّه الكريم، ليوصي بها أمّته، ويحضُّها على مكارِمِ الأخلاق، تتوزع على تسع محاور، لكل محور سِمَة خاصة به، وميزة تميزه عن الآخر فقال[2]:

---

(2) الوصية المرقمة/2.

«أوصاني ربّي بتسعٍ، وأنا أوصيكُمْ بها، أوصاني بالإخلاص في السِّرّ والعَلانيَة، والعَدْلِ في الرِّضا والغَضَبِ، والقَصْدِ في الغِنَىٰ والفَقْرِ، وأنْ أعْفُوَ عَمَّن ظَلَمَني، وأعطيَ مَنْ حَرَمَني، وأصِلَ مَنْ قَطَعَني، وأنْ يكونَ صَمْتِي فِكراً، ونُطقِي ذِكراً، ونَظَري عِبْراً».

إنّ هذه الوصية التي يتدافع فيها المعنىٰ الجزل، واللفظ السهل الميسور، والتركيبة الجملية المتراصة الأطراف، البعيدة عن التكلف والتعقيد والتزويق، جعلت منها وثيقة إسلامية، وتشريعاً عاماً يندرج تحته عامة الناس، باختلاف مشاربهم، عالمهم وجاهلهم، سيدهم ومسودهم، ولذلك وجدنا الرسول الكريم ﷺ، يختار من اللغة اللفظة السريعة إلىٰ الفهم، التي تصل إلىٰ ذهن المستمع دون بذل مشقة أو جهد.

وبهذه اللغة المبسطة السهلة، وردت وصيته عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل، فقد روىٰ معاذ رضي الله عنه أنه قال[3]:

أوصاني - يعني رسول الله ﷺ - أن أنْظُرَ إلىٰ مَنْ هُوَ دوني، ولا أنْظُرَ إلىٰ مَنْ هُوَ فَوقي، وأوصاني بحُبِّ المساكين، والدُّنُوّ منهُمْ، وأوصاني أنْ لا أسْأَلَ أحَداً شيئاً، وأوصاني أنْ أصِلَ رَحِمي وإنْ أدْبَرَتْ، وأوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإنْ كانَ مُرًّا، وأوصاني أنْ أقولَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله، وأوصاني أنْ لا أخافَ في الله لومةَ لائم».

فالصيغة التي يتعامل معها رسول الله ﷺ في نشدان اللفظ، تبتعد به عن النمط الصعب، فهو قد أوتي جوامع الكلم، وليس يصعب عليه أنْ يختارَ المفردة التي تأخذ من السامع موقعها، من قاموس اللغة العربية الثر، لأنّ كلما ينطق به قانون يسيِّر نظامَ الحياة لجملة البشر.

ومن هذا النمط وردت وصيته لرجل طلب منه الوصية فقال له[4]:

---

(3) الوصية المرقمة/4.

(4) الوصية المرقمة/6.

«وأكثِرِ ذِكرَ الموتِ يُسَلِّكَ عن الدُّنيا، وعليك بالشكر. فإنَّه يزيدُ في النِّعمةِ، وأكثِرِ الدُّعاء، فإنَّكَ لا تدري متَى يُستجابُ لَكَ، وإيّاكَ والبَغْيَ، فإنَّ الله قد قَضَىٰ أنَّه مَنْ بُغيَ عليهِ لَيَنْصُرَنَّه الله، وقال: ﴿يا أيُّها الناس إنَّما بَغْيُكُمْ علىٰ أنْفُسِكُمْ﴾، وإيّاكَ والمكْرَ، فإنَّ الله قد قَضَىٰ ألاّ يحيقَ المكرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ.

تكاد تكون خل وصايا رسول الله ﷺ التي وقفت عليها تنحو هذا المنحىٰ، وتسلك هذا السلوك، في لغتها، وتراكيب جملها، وكلامه كله فيها يتجه إلىٰ التذكير بالله عزّ وجل، وربط الإنسان بالله سبحانه وتعالىٰ ربطاً مباشراً ودون وساطة.

كما أنّ الحديث عن الجنة والنار، وشكر النعمة، والدعاء، وكثير من الألفاظ الإسلامية وردتنا مصطلحات جديدة، وقد كانت غائبة كمصطلح له مدلوله عن أذهان أولئك الناس في المجتمع الجاهلي، ولذلك نجدها تنبث في سور القرآن الكريم، وترد في الحديث النبوي الشريف ومنه الرصايا، التي تحثّ الناس علىٰ العمل من أجل الوصول إلىٰ جنة الله، والترغيب بها، وتحذر من العمل القبيح المشين السَّيِّء الذي تكون عقوبته النار في الدار الآخرة. يقول المصطفىٰ ﷺ في واحدة من وصاياه للناس[5]:

أوصِيكُمْ بثلاثٍ، وأنهاكُمْ عن ثلاثٍ، أوصيكُمْ بالشُّكرِ، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدنَّكُمْ﴾، وأوصيكُمْ بالدُّعاء فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿أدعوني أستَجِبْ لَكُمْ﴾.

وأنهاكُمْ عَنِ البَغْيِ، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إنَّما بغيكُمْ علىٰ أنْفُسِكُمْ﴾، وأنهاكُم عن المكرِ، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ولا يَحيقُ المكرُ

(5) الوصية المرقمة/7.

السَّيِّئُ إلاّ بأهله﴾، وأنهاكم عَنِ النَّكْثِ، فإنَّ الله جلَّ جلاله يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِه﴾.

إنَّ النمط العام الذي تتماشى معه وصايا رسول الله ﷺ، هو نمط مُتَطَوِّرٌ جدًّا، فقد تغيرت فيه موازين العصر الجاهلي وقيمه وقوانينه، الجيد منها والرديء، فأنصهرت كلها بمفاهيم إسلامية جديدة متنورة، فالمشرِّعُ الأوّل وهو رسول الله ﷺ، قد تحدث عن كُلِّ شيء، ولم يترك أيَّ شيء من السلوك البشري في اتجاهات الحياة المختلفة، إلاّ وأتى عليه، مُغَيِّراً، ومُقِرًّا، ومُشَجِّعاً، ومُبَدِّلاً، وقد نزل بذلك إلى نفوس الناس وطبائعهم وعاداتهم، فأخذها إلى اتجاه آخر، كله خير، وكله رحمة، وكله عطف، وكله توادّ ومؤازرة وتكاتف وتلاحم، حيث أن أساسَ التطور ينبني على تغيير نفوس الناس وطبائعهم وعاداتهم، وهذا ما فعله الرسول الكريم ﷺ حيث، يقول من وصية[6]:

«إئتَمِروا بالمعروفِ، وتناهَوا عَنِ المنكرِ، حتى إذا رأيتُم شُحًّا مُطاعاً، وهَوىً مُتَّبَعاً، وإعجابَ كُلِّ ذي رأيٍ برأيِه، ورأيتَ أمراً لا يَدانِ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، ودَعْ أمْرَ العَوامّ، فإنَّ مِن ورائِكُمْ أيّاماً، الصَّابرُ فيهِنَّ مثلُ القابض على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ كأجرِ خمسينَ رجُلاً يعملونَ مِثْلَ عَمَلِهِ.

وكثيرة هي وصايا رسول الله، ولا أحسبني اذهبُ بعيداً إذا قلتُ إنَّ كُلَّ ما تحدَّثَ به عليه الصلاة والسلام هو جملة وصايا لعموم البشر، وتندرج تحت هذا المصطلح، إذ لم يكن ليختَص بها أحداً من الناس بمفهوم التخصص، وإنما كانت تشريعاً متماسك العرى من جميع أقطاره، وهو بالتالي الدستور الخالد الذي ينبغي أن يسير على هديه كل البشر، فالذي أوصى به رجلاً من الصحابة، ينطبق على أيّ رجلٍ غيره.

---

(6) الوصية المرقمة/19.

وقد وقفت خلال بحثي عن وصايا رسول الله ﷺ على ثلاث وصايا طوال، تنظمُّ على جملة من الأحاديث النبوية الشريفة، التي توفرت عليها كتب الحديث والفقه والتفسير والسِّيَر، واحدة أوصى بها أنس بن مالك رضي الله عنه، تتحدث عن الوضوء والصلاة، وما ينبغي أن يقدمه الإنسان بين يدي الصَّلاة باعتبارها عمود الدين الإسلامي، وقد نزل النبي ﷺ فيها إلى جزئيات الأمور ودقائقها[7].

أمَّا الوصيّتان الأخريان، فهما من الوصايا الشاملة الجامعة لكل مناحي الحياة، الأولى أوصى بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والثانية أوصى بها أبا هريرة رضي الله عنه، فَلَمْ يدع في أية واحدة منهما جانباً من الجوانب التشريعية المهمة في الحياة إلاّ وحدَّث به موجزاً ومُفَصَّلاً، ولذلك أخذ الطول منهما مأخذه[8].

ولم تكن وصايا رسول الله ﷺ وحدها التي آختلفت وتطورت في صيغها ومضامينها وأغراضها عن وصايا العصر الجاهلي، فقد شمل ذلك وصايا الخلفاء الراشدين أيضاً ومن جاء بعدهم، إذ إنَّ جملة الوصايا التي وردتنا عنهم، كانت تنطبع بطابع الترغيب في الحياة الآخرة، والحثّ على العمل من أجلها، والترهيب من العمل الفاسد الذي لا يبتغى به وجه الله عزّ وجل ولا يرضى عنه.

كما أنَّ لغتها هي الأخرى جاءت سهلة ومبسطة، ولا تحتاج في الأغلب الأعَمّ إلى تفسير قاموسيّ، لوضوح معناها وسهولة فهمها، أمّا جملها، فقد اتخذت حالة بين الطول والقِصَر، وحادث عن الصيغة التي دَرَبَ عليها الموصون في العصر الجاهلي، لأنها تبتعد في كثير من الأحيان عن جريانها مجرى المثل، على ما ألفناه عند من سبقهم من الموصين، غير أنَّها لا تبتعد عن التركيبة الجملية المركزة المختارة ألفاظها، والمنتقاة تراكيبها آنتقاءً ممتازاً، ومحدّداً بهدف إسلاميّ عام.

---

(7) الوصية المرقمة/5.

(8) الوصيتان المرقمتان/21 و/22.

وتتعدد الأغراض التي وضعت من أجله الوصية في العصر الإسلامي، وتتوزع على جملة محاور، منها ما يقترب من وصايا الموصين في العصر الجاهلي، ومنها ما يبتعد عنه ليشكل صيغة جديدة وغرضاً آخر لم يكن موجوداً سابقاً، باعتبار أن مجموعة القبائل آنظمت على نظام واحد، وصارت أمة واحدة، بكلمة واحدة، وقانون جديد ينظم لها حياتها، ويهيئ لها سبل عيشها، ولذلك يمكنني أن أضع التقسيمات الآتية بين يدي هذه الدراسة.

1 ـ وصايا الخلفاء إلى من يلي الأمر بعدهم.
2 ـ وصايا الخلفاء إلى أمراء الجيوش (وصايا الحرب).
3 ـ وصايا الخلفاء إلى ولاة الأمصار.
4 ـ وصايا الآباء للأبناء.
5 ـ وصايا الآباء إلى معلمي ولدهم (الوصايا التربوية).
6 ـ وصايا عامة أخرى.

أولاً: وصايا الخلفاء إلى من يلي الأمرَ بعدهم

تسلَّم أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقاليد الأمور بعد وفاة رسول الله ﷺ، فسار على هديه، ونهج منهاجه، واختط سبيله، إذ لمّا يزل الدين الإسلامي في بواكيره. ولم يبتعد المسلمون عن المنبع الصافي الذي أوردهم إياه النبي الكريم ﷺ بعد أن حدّد لهم المعالم، وشرّع لهم الأنظمة والقوانين، ودخل إلى تفاصيل الأمور وجزئياتها، فلم تدع لأحد مَنْفذاً ينفذ منه إلى صيغة تأخذه بعيداً عن الطريق القويم. ولست هنا بصدد دراسة تفاصيل حياة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم، ولا بتفاصيل أعمالهم وسِيَرِهم، إذ إنَّ الدراسة محدَّدة بما تركوه لنا من وصايا متعددة الجوانب والأغراض.

تتخذ جملة الوصايا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه اتجاهين لا

تعدوهما إلىٰ ثالث، الاتجاه الأول هو وصاياه إلىٰ أمراء الجيوش، وقادة الفتح، وسأرجئ الحديث عنه إلىٰ القسم الخاص به، والاتجاه الثاني هو وصاياه للخليفة من بعده، وهو ما سأتحدث عنه في هذا القسم.

يكاد يأخذ التحذير والخوف من الله سبحانه وتعالىٰ شطراً كبيراً من وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخليفة من بعده، فهو يشدد كثيراً علىٰ هذه المسألة، ويعتبرها من مهمات الأمور وجسيماتها وأوّلها، وكأنّه هو المسؤول عن تصرّف الخليفة الذي يأتي بعده، ولذلك نجد في وصاياه شيئاً من الوجل والخوف، وكأنّ حملاً ثقيلاً أراد أن يضعه عنه ليريح نفسه، فقد وجد لزاماً عليه أن يختارَ الطريق السليم، ويحثه علىٰ الالتزام بـه، ففي وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول(9):

إنّ لله حَقًّا لا يقبَلُهُ في آلنّهارِ، وحَقًّا في النهار لا يقبلُه بِالليلِ، وإنّه لا يقبَلُ نافلة حتّىٰ تؤدّىٰ الفريضة.

أَلَمْ تَرَ يا عُمَرُ أنّما ثَقُلَتْ مَوازينُ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ يومَ القِيامة باتّباعِهِم الحقَّ وثِقَله عَلَيهِمْ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلاّ حَقٌّ أنْ يكونَ ثقيلاً. أَلَمْ تَرَ يا عُمَرُ أنّما خَفَّت موازينُ مَنْ خَفَّت موازينُه يومَ آلقيامة بـاتّباعِهِم الباطِلَ وخِفّتَه عَلَيْهِم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلاّ باطِلٌ أنْ يكونَ خفيفاً، ألم تَرَ يا عُمَر أنّما نَزَلَتْ آية الرَّخاءِ مَعَ آيةِ الشِّدَّةِ، وآيةُ الشِّدَّةِ مَعَ آيةِ الرَّخاءِ ليكونَ المؤمِنُ راغِباً راهِباً، لا يرغَبُ رَغْبَةً يتمنّىٰ فيها علىٰ الله ما ليس له، ولا يرهَبُ رهبةً يلقي فيها بيديهِ، أوَلَمْ تَرَ يا عُمَر أنّما ذَكَرَ الله أهْلَ النّارِ بأسوأ أعمالِهِمْ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتَ: إنّي لأرجو أنْ لا أكونَ منهم، وإنّه إنّما ذكر أهلَ الجَنّةِ بأحْسَنِ أعمالهم، لأنّه يُجاوِزُ لَهُمْ ما كانَ من سَيّءٍ،

(9) الوصية المرقمة/24.

فإذا ذَكرتُهُمْ قلت: أينَ عملي من أعمالهم؟! فإن حَفِظتَ وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أَحَبَّ إليكَ من حاضر الموتِ، ولستَ بمعجزه.

إنّ الأسلوب الذي استخدمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أسلوب الخطاب المباشر، غير المتكلف، والذي لا يذهب بعيداً عن الهدف المحدد الذي أراده الموصي للموصىٰ له، وهذا ما نلمحه أيضاً في وصاياه الأخرىٰ، أو لقادة الفتح وأمراء الجيوش. ففي وصيته الأخرىٰ لعمر رضي الله عنه نجده خائفاً وجلاً، خائفاً من أن يزيغ من بعده عن جادة الصواب فتزيغ معه الرعية، لأنه كما يقول: لا يعلم الغيب، فنراه يشدد علىٰ كسر شهوة النفس، وكبح جماحها، ووَجِلاً من أن يتمنىٰ أمرؤ من قريش لنفسه فيختلف المسلمون، ويحدث ما لا تحمد عقباه، خاصة وأنَّ خلاف السقيفة لما يزل في نفوس بعض الرهط من قريش، وأنَّ خَشْيَةَ الله سبحانه وتعالىٰ، والعمل بكتابه وسنة نبيّه ﷺ، هما الكفيلان بإزالة هذا الخلاف من نفوس هؤلاء الناس، إذ يقول له[15]:

يا عُمَر، صَحِبْتُ رسول الله ﷺ، فرأيتُ أثرته إيانا علىٰ أهلهِ، ووالله إنْ كُنّا لَنُرسِلُ إليهمْ من فَضْلَةِ ما يأتينا منه، وصَحِبْتني ورأيتني، فوالله ما نمتُ فحَلُمْتُ، ولا تَوَهَّمْتُ فَشُبِّهَ لي، وإني لَعَلىٰ بَصيرَةٍ من رأي.

يا عُمَر، إنَّ أوّلَ ما أُحَذِّرُكَ بهِ نَفْسَكَ، فإنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ شَهْوَةً، فإذا اجابتها إليها؛ دَعَتْها إلىٰ ما هُوَ أعْظَمُ منها، وأُحَذِّرُكَ هؤلاء الرَّهْط منَ المهاجرينَ، فإني قد رأيتُهُم طَمَحَتْ أبصارُهم، ونُفِخَتْ أجوافُهُمْ، وتَمَنّىٰ كُلُّ امرىءٍ مِنْهُم لِنَفسه، فاحمِلْهُم علىٰ الطَّريق الواضِح يكفوكَ أنفُسَهُم.

واعلَمْ أنَّهُمْ لَنْ يزالوا لكَ هايبينَ ما هِبْتَ الله عَزَّ وجَلَّ، فرِقينَ مِنْكَ ما فَرِقْتَ مِنْهُ، هذه وَصِيَّتي إياكَ، واقرأ عليك السلام.

---

(15) الوصية المرقمة/45.

إنَّ وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخليفة بعده، لم تكن لرأس قبيلة من قبائل العرب، وإنما هي وصيَّة لرأس أمة ناهضة ذات قانون محدد، ولذلك اعتمد الموصي لغة الصراحة الصريحة، التي لا يكتنفها الغموض، فضلاً عن أنه لم يقدم بين يدي وصيته ما يبعدها عن غرضها المحدد، ولذلك جاءت التركيبة الجملية فيها صادقة العاطفة والمشاعر التي يتخللها شيء من الشعور بثقل المسؤولية، حيث كان الخليفة فيها مخلص النيّة والتوجه، حين قدَّم تجربته جاهزة، ولم يدع الخليفة بعده في حالة من حالات القلق والاضطراب، كما أنه التفت إلى الناس أيضاً، وطلب منهم السمع والطاعة للذي يلي الأمر بعده، في آخر عهده بالدنيا إذ يقول[11]:

هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قحافة، في آخرِ عَهْدِهِ بالدُّنيا خارجاً منها، وعِنْدَ أوَّلَ عَهْدِه بالآخرةِ، حيث يؤمنُ آلكافِرُ، ويوقِنُ آلفاجرُ، ويُصَدِّقُ الشّاكُّ المكذِّبُ.

إنِّي آستَخْلَفْتُ عليكُمْ بَعْدي عُمَرَ بنَ آلخطابِ، فآسمعوا له وأطيعوا، فإني لمْ آلُ الله ورَسولَهُ ودينَهُ ونَفْسي وإياكُمْ خيراً، فإنْ عَدَلَ، فذلك ظَنّي به، وعِلمي فيه، وإنْ بَدَّلَ، فلِكُلِّ آمرىءٍ ما آكتَسَبَ، والخيرَ أرَدْتُ، ولا يعلَمُ آلغيبَ إلاّ الله، ﴿وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. والسلام عليكم ورحمة الله.

ويأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيتسنم أمر الأمة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فيتَّجه في وصاياه آتجاهاً آخر، للخليفة بعده، على الرغم من أنه لم يكن ليعرف من سيلي الأمر.

إنّ وصيّته لمن سيخلفه أخذت عدَّة محاور، وتفرعت إلى فروع عديدة، فكانت بحق وثيقة عمل، حدَّد فيها معالم الطريق، ورسم للخليفة من بعده الصورة المثلى لما يحيط به، وما يجب عليه القيامَ به.

(11) الوصية المرقمة/41.

لقد توجه الخليفة في بداية وصيته إلى آبنه عبدالله، لأنه كما قلت لم يكن ليعرف من سيخلفه من الستة الذين حدَّد لهم أن يختاروا الخليفة من بينهم، فقال له: أي بُنَيَّ، إذا قامَ الخليفة بعدي فأتهِ فقُلْ له: إنَّ عمر بن الخطاب يُقرِئك السلام ويقول لك.

تتوزع وصية عمر رضي الله عنه مجموعة محاور، اختص الأربعة الأولىٰ منها، بأن أوصىٰ الخليفة بالناس خيراً، بعد أن ذكَّره بتقوىٰ الله، وجعل الناس في وصيته أربعة أقسام، ولكل قسم منهم وصية خاصة به، المهاجرين والأنصار، وأهل الأمصار، وأهل البادية، وأهل الذِّمة. أما المهاجرون، فهم السابقون إلىٰ الإسلام فيجب أن يعرف الخليفة لهم حقَّهم، وأمّا الأنصار، فهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، فينبغي أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأهل الأمصار هم رِدءُ العدو، وجباة الأموال والفيء، فلا يجوز أن يكلفهم فوق طاقتهم، وأهل البادية هم أصل العرب ومادّة الإسلام، فوصاته بهم أن يأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فيردها علىٰ فقرائهم، فلا يحتاج أحد منهم إلىٰ المسألة التي هي شر الكسب. أما أهل الذمّة، فقد أوصىٰ الخليفة أن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم شرط أن يؤدّوا ما عليهم طوعاً، أو عن يدٍ وهم صاغرون. يقول[12]:

أوصيك بتقوىٰ الله لا شريكَ لهُ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أنْ تَعرفَ لَهُمْ سابِقَتَهُمْ، وأوصيكَ بالأنصارِ خيْراً، فاقْبَلْ من مُحْسِنِهِمْ، وتجاوز عنْ مُسيئهمْ.

وأوصيك بأهلِ الأمصارِ خَيْراً، فإنَّهُمْ ردءُ الْعَدُوّ، وجُباةُ الأموالِ والفيءِ، لا تَحْمِلْ فيئَهُمْ إلاّ عَن فَضْلٍ مِنْهُمْ.

وأوصيكَ بأهلِ البادِيَةِ خَيْراً، فإنَّهُمْ أصلُ العَرَبِ، ومادَّةُ الإسلامِ، أنْ تأخُذَ من حواشي أموالِ اغنيائهم فَتَرُدُّ علىٰ فُقرائهم.

(12) الوصية المرفمة/62.

واوصيك بأهلِ الذِّمّة خيراً، أنْ تُقاتِلَ من ورائِهِمْ، ولا تُكَلِّفَهُمْ فوقَ طاقَتهم، إذا أدّوا ما عليهم طوعاً، أو عَن يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ.

وبعد هذه المحاور الأربعة التي أوضحها، انحدر إلىٰ الصيغة العامة في تعامل الراعي مع الرعية، فبسط القول فيها، ونزل إلىٰ دقائقها وجزئياتها، إذ لم يفته شيء منها، مما يتوجب، علىٰ المسؤول أن يأخذها بعين الاعتبار، ويقف علىٰ رامس هذه الأمور تقوىٰ الله عزَّ وجلَّ، وشدَّة الخوفِ منه، فإنَّ إخلاصَ النيَّة لله تعالىٰ هي المخلص من جسيمات الأمور، وكفاية من شرّ الناس، ومن ثمَّ العدل في الرعيَّة، فليسَ من العدل أنْ يؤثَر أحداً من الخاصة علىٰ حساب الناس، وإلاّ فإنَّه سيتحمل أوزاراً ليس له من الله منجاةٌ منها، ولا مدفعاً عنها، وإثارة الحقّ، والعمل به، على قريب الناس وبعيدهم، وهي مسألة أكّدها الخليفة الموصي، وحذر منها، وفصَّلها، ولم يقف فيها عند حالة من حالات المحاباة، لأنَّ الهوىٰ إذا عابَ العدل، كان ذلك مدعاة لسخط الله علىٰ من جار وظلم، حتىٰ لو كان المظلوم ذِمّيًّا.

وقد تخلل شيء من العنف والقسوة وصية الخليفة، حيث وقف بها عند الحالة التي يزيغ فيها الخليفة بعده، فيميل إلىٰ هواه في إحداث أمرٍ، أو حكم لا يرضىٰ عنه الله سبحانه وتعالىٰ، فيحذره أن تزلّ به قدم، أو يشتط في مسألة تكون عاقبتها الضلالة والهلكة.

وأوصيكَ بتقوىٰ الله، وشدَّةِ ٱلحَذَرِ مِنْهُ، ومَخافَةِ مقته، أنْ يطّلعَ منك علىٰ ريبة، وأوصيكَ أنْ تخشى الله في الناسِ، وتخشىٰ الناسَ في الله، وأوصيكَ بٱلعدْلِ في الرَّعِيَّةِ، والتفرُّغِ لحوائجهم وثغورِهِمْ، ولا تؤثِرْ غَنِيَّهُمْ علىٰ فقيرِهِم، فإن ذلك ـ باذن الله ـ سلامةٌ لقلبك، وحَطٌّ لوزرِكَ، وخيرٌ في عاقِبَةِ أمرِكَ، حتىٰ تفضي من ذلك إلىٰ من يعرفُ سريرتك، ويحولُ بينَكَ وبينَ قلبك.

وآمُرك أن تشتد في أمرِ الله، وفي حُدوده، ومعاصيهِ على قريبِ الناسِ وبعيدهم، ثمّ لا تأخُذْكَ في أحَدٍ الرأفةُ، حتى تَنتهِكَ منه مثلما آنتَهَكَ من حُرْمَة الله، واجعلِ الناسَ سواءً عندك، لا تبالي على من وجب الحقُّ، ولا تأخُذْكَ في الله لومةُ لائمٍ.

وإياكَ والأَثَرَةَ وآلمحاباة، فيما ولاكَ الله مِمّا أفاءَ الله على المؤمنين فتجورُ وتظلِمَ، وتحرِمَ نفسكَ من ذلك ما قد وسَّعَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، وقَدْ اصبحتَ بمنزلة من منازلِ الدُّنيا والأخرة، وانتَ إلى الأخرة أقربُ، فانِ آقترفت لدنياكَ عدلاً وعِفَّةً عمّا بَسَط اللّهُ لَكَ، آقترفتَ به إيماناً ورِضواناً، وإنْ غلبك عليه الهوى، ومالت بك شهوة، آقترفْتَ به سخط الله ومعاصيه[13].

إنَّ اللغة التي تعامل فيها الخليفة عمر بن الخطاب في وصيته لا تختلف عن لغة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد توفر في الوصية صدق النية، والصراحة، والشعور العالي بالمسؤولية، والخوف الشديد من الله سبحانه وتعالى، والتحذير من الميل إلى هوى يبتعد بالخليفة عن جادة الحق والعدل، وربَّما كانت التركيبة الجملية عند عمر بن الخطاب، أشدّ قوّة، وأحكم سبكاً، واعمق أثراً، وأبعد غوراً، واكثر تفاعلاً مع النفس الإنسانية، فهي تشدّ القارئ إلى قراءتها دون ملل، رغم ما فيها من طول غير مخل.

وتأتي خاتمة الوصية، لتتدافع فيها مجموعة من النواهي التي يرى الخليفة الموصي أن يبتعد عنها الموصى له، لأنّ فيها زيغاً عن الحقّ وابتعاداً عنه، وبالتالي فإنّ الوثيقة التي أودعها لمن بعده، جعل الله سبحانه شاهداً عليها، وبذلك يكون عمر بن الخطاب قد أبرأ ذمّته، وأنزل عن

---

(13) انظر الوصية المرقمة/52 بتمامها إذ هي لم تثبت كاملة هنا.

كاهله حملاً ثقيلاً، حين قدّم تبصرة حكم، وطريقة رشيدة لضلاح النامُ يقول في خاتمة الوصية:

ثمَّ آركَبِ الحقَّ، وخُضْ إليهِ آلغَمَراتِ، وكن واعظاً لِنَفْسِكَ، وأنشدك اللّهَ لما تَرَحَّمْتَ على جماعة المسلمين، فأجلَلْتَ كبيرَهُمْ، ورَحِمْتَ صَغيرَهُمْ، ووقَّرْتَ عالِمَهُم، ولا تَضْرِبْهُمْ فَيَذُلُّوا، ولا تستأثِر عليهم بالفيء فَتُغْضِبَهُمْ، ولا تَحْرُمْهُمْ عطاياهُم عند مَحَلِّها فَتُفْقِرَهُمْ، ولا تجحَرْهُمْ في آلبُعوث فَتَقْطَعَ نَسْلَهُمْ، ولا تَجْعَلِ المالَ دولةً بين الأغنياءِ منهم، ولا تَغْلَقْ بابَك دونَهم فيأكُلَ قَوِيُّهُمْ ضعيفَهُمْ. هذه وصيَّتي إياكَ، وأُشْهِدُ الله عليك، واقرأ عليك السلام.

أمّا عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فإننا لم نجد له وصية في هذا الباب، ولم نعثر له على وصية في غيره، ومؤرخوه يقولون: إنه كان أقل بياناً وفصاحة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنه صعد المنبر ذات يوم فارتج عليه فقال: إنَّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمامٍ خطيب[14]. غير أننا لا نعدم له خطبة جيدة وردتنا عنه مما نحن ليس بصدده.

ويأتي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وتأتي معه جمهرة كبيرة من الوصايا، كلها تتحدث عن أمور عامة تختص بالإسلام والمسلمين، وتتوزع على مجالات متعددة، ومحاور مختلفة، فلم تدع مجالاً من مجالات الحياة إلا وتركت فيه بصمة من بصماته، أو أثارة من علمه الغزير.

إنَّ الأحداث الخطيرة التي واكبت فترة خلافته، وجعلت عقد الالفة بين المسلمين ينفرط، لم تدع له مجالاً يترك فيه وصية لمن سيلي الأمر بعده، حتى إن وصاياه لابنه الحسن على كثرتها، لم نجد فيها ما يشعر بأنَّ

---

(14) البيان والتبيين 1/345، وانظر خطبة له في تاريخ الطبري 3/305.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان يعلم أنّ الحسن رضي الله عنه سيخلفه.

وعلىٰ الرغم من ذلك فقد وجدنا له وصايا إلىٰ ولاته الذين وجههم إلىٰ الأمصار وبخاصة العهد الذي كتبه لمالك بن الحارث الأشتر النخعي حين وجهه إلىٰ مصر، وسنقف عنده قليلاً، باعتبار أن مالكاً هذا سيلي أمور الناس في مصر عوضاً عن الخليفة.

إنَّ لهذا العهد من الأهمية، ما ينبغي أن يكون دستوراً عاماً، فقد اتجه فيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى وجوه الحياة المتعددة، تشريعاً، وتنفيذاً، واقتصاداً، وحكماً عاماً وخاصاً، ولذلك وجدناه عهداً طويلاً جداً، حدد فيه صيغ التعامل مع الناس ومع الحياة، بأسلوب رصين بليغ، سهل المتناول، يقع من النفس موقع القبول، دون ملل رغم ما فيه من طول.

فاللغة التي تحدث بها، هي لغة الخطاب المباشر المركّز في بداياته بجمل قصيرة متينة السبك، تحكمها الفواصل بين الجمل، وأدوات العطف، لتربطها بالجملة التي قبلها، تحدث فيه عن إدامة الحياة بين الناس، بجباية الخراج، وجهاد العدو، واستصلاح الناس فيها، وعمارة البلاد، ثم ربط بين هذه المسائل وبين تقوىٰ الله عزّ وجلّ، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه، ومن ثم كَسْر شهوة النفس، وردعها عن هواها لأنّها أمّارة بالسوءِ.

وثمة مسألة مهمة نَهَد أمير المؤمنين رضي الله عنه إلىٰ تذكير مالك بن الأشتر بها، وهي أنَّ مصر بلد قديم، لم يختط في عصر الإسلام، وقد تعاقبت علىٰ حكمه دول وحكام، فمنهم من عدل، ومنهم من جار وبدّل، فهم ينتظرون من الإسلام نظاماً عدلاً، ومن الحاكم بسطه عليهم، فيحكم بكتاب الله وسنّة نبيه عليه الصلاة والسلام، ويؤدي لكل ذي حقٍّ حقه، ولذلك أخذ تفصيل هذه المسألة من العهد متّسعاً، ودخل فيها مجموعة من النواهي التي استخدمت لها (لا) الناهية.

والمسألة الثانية التي ينبغي أن يهتم لها الحاكم الوزراء والأعوان، الذين بهم يقوم أمر الإصلاح، وتسيير شؤون الرعية، فلا يجوز أن يكونوا من الذين يعينون الظالم على ظلمه، والآثم على إثمه، ولا يغضون أبصارهم عن خطأ امرئ لشرفه وموقعه، وإنما من الذين تتمثل فيهم المروءة، والمعرفة، والدراية، والحنكة، والصبر، والحلم، فهؤلاء أخفّ مؤونة، وأحسن معونة، وأصلح للوالي، وليس شيء أدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيته من إحسانٍ يقدمه إليهم، ومؤونة تخفف عنهم، وذلك لا يجري إلاّ بسُنّة صالحة، وهَدْيٍ حسن، وهو ما تجتمع عليه الأُمّة، وتصطلح عليه الرعية.

ثم يشرع الخليفة في هذا العهد بتقسيم الناس إلى طبقات، ولكلّ دور يؤديه في خدمة البلد، وهي طبقات متلازمة، تديم حركة الحياة بتعاونها مع بعضها، وأمير المؤمنين رضي الله عنه يقسمهم حسب أهميتهم، ومقدار عطائهم، فهم الجنود، وكتّاب الخاصة والعامة، فالقضاة العدل، فالعمال، فأهل الجزية والخراج، فالتجار، فأهل الصناعات، ثم ذوو الحاجة والمسكنة.

وتأتي تفاصيل كل شريحة من هذه الشرائح المقسمة، لتأخذ من العهد بقيته، تبصيراً للحاكم، وتعريفاً بأهمية ما يقدمه كل صنف من هذه الأصناف حسب أهميتها، وتقديمها حسب ما تقتضيه مصلحة البلاد العامة.

إنّ لهذا العهد من الأهمية البالغة، والصيغة العلمية والعملية ما ينبغي على كل مسؤول أن يطلع عليه آطلاعاً دقيقاً، فيأخذ منه ما يصلح للحياة المعاصرة، فإنّ فيه جماعَ أمور الدولة، وسياسة الرعية، وتدبير أمور الناس، بطريقة سليمة معافاة[15].

وبعد هذا يمكننا أن نجمل ما اشتملت عليه وصايا الخلفاء الراشدين لمن سيخلفهم بالنقاط الآتية:

---

(15) انظر الوصية المرقمة/87.

1 ـ تقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وشدّة الخوف منه، والعمل علىٰ طاعته، واجتناب معصيته.
2 ـ الحث علىٰ العمل بكتاب الله عزّ وجلّ، وسنة نبيه ﷺ.
3 ـ الابتعاد عن الهوىٰ الذي يؤدي إلىٰ الهلكة، وكسر شهوة النفس وزجرها عن المعاصي.
4 ـ التوجه الديني البحت، والابتعاد عن الدنيا، والتماس العمل من أجل الآخرة.
6 ـ بسط العدل، فيما ولاه الله من أمر الرعية، دون محاباة أحد مهما كانت منزلته.
7 ـ الترفق بالرعية، ومعرفة حقوقها وواجباتها، وإعطاء كل ذي حق حقه.
8 ـ اتخاذ النُّصحاء من الناس، وذوي المروءة، والمخلصين، أعواناً ووزراء يعينونه علىٰ تسيير أمور الناس بالعدل.

* * *

ويأتي العصر الأموي ليحمل لنا مجموعة من الوصايا التي اتخذت مساراً آخر يختلف كثيراً عن النهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

إنَّ الدولة العربية في العصر الأموي قامت علىٰ إثر أحداث معروفة، ولذلك جاءتنا وصايا بعض خلفائها تحمل أبعاداً دنيوية محضة، ويتجلّىٰ ذلك واضحاً في وصية الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد إذ يقول له[16]:

إنّي قد كَفَيْتُكَ آلجِلَّ والتِّرحالَ، ووطّأتُ لَكَ الأشياءَ، وذلّلتُ لك الأعزاء، وأخضعتُ لكَ أعناقَ آلعَرَبِ، وجَمَعْتُ لَكَ ما جَمَعَ واحدٌ.

إنَّ معاوية بن أبي سفيان كما وصفه مؤرخوه، كان واحداً من دهاة

(16) الوصية المرقمة/91.

العرب المتميزين، ومن الفُصَحاء الحكماء الوقورين فيهم، وأنَّ نظرته الثاقبة إلىٰ الأمور، وبعد نظره فيها، وخوفه علىٰ آبنه أن تصيبه مَعَرَّة لا يستطيع درءها عن نفسه، جعله في وصيته هذه يضع الناس في أقطارهم المختلفة علىٰ ثلاثة أصناف، أهل الحجاز، وأهل العراق، وأهل الشام، وهي أصناف متقاربة السكن، ولذلك نجده لا يهتم للبعيد كاهتمامه بساكني هذه المواطن. فأهل الحجاز أهله وأصله، إكرامهم واجب، والرفق بهم مكرمة. أما أهل العراق، فإنَّ في نفوسهم شيئاً من معاوية، بسبب الأحداث الكثيرة التي تفاقمت وانتهت بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين في عام الجماعة، ولذلك أصبحت مداراتهم ضرباً لازباً علىٰ معاوية بن أبي سفيان. وأنَّ وصيته يزيد بهم تنبع عن فكر ثاقب، وبصيرة نافذة، ورأي بعيد الأمد.

وليس علىٰ يزيد خوف من أهل الشام، فهم بطانته، ومناصروه، ومؤازروه، وقد تربّوا علىٰ طبائع وعاداتٍ، لا ينبغي علىٰ ابنه أن يتركهم يقيمون في غير بلادهم، فتتغير فيهم هذه الطبائع وهذه العادات.

ويذهب معاوية في نقده للأمور مذهباً آخر، لا يقف عند حدود طبائع عامة الناس في أقطارهم، وإنما يتجاوز ذلك إلى نقد بعض الشخصيات من رجالات عصره ممن يخشىٰ العنت منهم، ويخاف علىٰ ولده أن يصيبوه بأذىً، فقد آستشعر معاوية خطورة الموقف عند ثلاثة رجال من قريش، هم عبدالله بن عمر، والحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، ولذلك نراه يقف منهم موقف الناقد المتبصر، ويضع لهم صورة واضحة أمام آبنه، فهو يرىٰ عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه رجل دين، قد وقذه الورع، وأخذت منه التقوىٰ مأخذها، فليس علىٰ يزيد خوف منه، أما الحسين بن علي رضي الله عنه، فهو رجل وإن كان قد تألَّبَ علىٰ بني أميَّة، وانَّ بينه وبينهم شيئاً من الجفوة، فإنَّ له رَحِماً عظيماً، ولا بُدَّ أن يؤخذ هذا بنظر الاعتبار، فالعفو عنه عند المقدرة عليه مما أوصىٰ به معاوية ولده يزيد، أمّا عبدالله بن الزبير، فلمعاوية رأي آخر فيه، فقد وجده لا

يكفّ عن إثارة حدث أو فتنة أو شغب متى أمكنته الفرصة وَثَبَ، ولذلك أوصاه بقتله إنْ ظفر به. يقول:

وإنّي لَسْتُ أخافُ عَلَيْكَ من قريشٍ إلاّ الحسينَ بن عليّ، وعَبْدَالله بنَ عُمَر، وعَبْدَالله بنَ الزبير رضي الله عنهم.

فأمّا الحُسَيْن، فإنَّ لهُ رَحِماً عظيماً، فإنْ قَدِرْتَ عليهِ فاصفَحْ عنهُ، فإنّي لو أوتي بهِ عَفَوْتُ عنهُ، وأمّا ابنُ عمر، فيقيّده إيمانه، وأمّا ابن الزبير، فخَبٌّ ضَبٌّ، يجثم لكَ جثوم الأسد، ويروغُ روغانَ الثَّعْلَبِ، فإنْ أمكَنَتْهُ الفُرْصَة وَثَبَ، فإنْ فَعَلَ فَقَدِرتَ عليهِ أنْ تُقَطِّعَهُ إرْباً إرْباً، فافعل[17].

وتنقطع وصايا الخلفاء إلى أولياء العهد بعد معاوية بن أبي سفيان، حتى تصل إلى عبد الملك بن مروان، فنقف له على وصية إلى ابنه الوليد، ألمَحَ فيها إلى شيء من التعنيف والتقريع، والذي يبدو أن الظرف الذي أحاط بالوليد وهو يسمع وصية أبيه وهو على فراش الموت، جعله يسلك في حينه مسلك التعاطف والإشفاق والتأثر مما حدا بالأب أن يرفض من ولده هذه الحالة التي قد تنسيه ما سيقبل عليه من جسيمات أمور الخلافة، فراح الأب يؤنبه وينبهه إلى هذه المسألة، فعبد الملك بن مروان كما وصفه مؤرخوه، من أعاظم خلفاء بني أميّة ودهاتهم، وأنه كان فقيهاً واسع العلم متعبّداً، وأنه كان حازماً، ظهر للناس بمظهر القوّة، وكان جباراً على معانديه، ولذلك لم يدع للوليد منفذاً ينفذ منه إلى حالة يمكن أن يكون فيها شيء من الضعف والتراخي.

ولم تكن وصية عبد الملك بن مروان للوليد منفرداً، وإنما أوصاه بها على مرأى ومسمع من بنيه، وحضرها أيضاً عمر بن عبد العزيز، فقد قدم للوصية بمقدمة طلب فيها من بنيه كلهم تقوى الله، وعطف الكبير على الصغير، واحترام الصغير للكبير، والتوازر والتعاطف، ثمّ حذرهم الفرقة

(17) وثمة رواية أخرى لهذه الوصية انظرها تحت الرقم/92.

والاختلاف، وأوصاهم جميعاً بمسلمة بن عبد الملك، أخيهم، والحجاج بن يوسف الثقفي اللذين كان عليهما الاعتماد فترة حكمه، ثم التفت إلى الوليد فقال[18].

يا وليد، لا أعرِفَنَّكَ إذا وَضَعْتَني في حُفْرَتي تَمْسَحُ عَيْنَيْكَ، وتَعْصِرُهما فِعْلَ الأَمَةِ، ولكن إذا وَضَعْتَني في حُفْرَتي، فَشَمِّرْ وأتْزِرْ، وألبَسِ جِلْدَ النَّمِرْ، ثمَّ اصعَدِ المنبر، فادْعُ النَّاسَ إلى البيعة، فمن قال كذا، فَقُلْ كذا ـ وأومأ إليه ـ مَنْ قال لا فاقْتُلْهُ.

إنَّ اللغة التي تحدّث بها الموصي، تمتاز بالصراحة والمباشرة، والحرص على إدامة الحكم في بني مروان، ولذلك بدت لغة الوصية واضحة، ليس فيها ما يعقد لغتها ويُبْعدها عن الهدف المراد منها.

وفي وصية أخرى يوجز للوليد فيها القول بجملتين يحملان من بُعْدِ النظر ما يمكن أن تعطي صورة واضحة عن تعامل عبد الملك مع الرعية، وما يريد لولده أن يكون عليه بعده إذ يقول[19]:

يا بُنَيَّ، إعلم أنَّه ليس بينَ السُّلطانِ وبينَ انْ يَمْلِكَ الرَّعِيَّةَ، او تملِكُهُ الرَّعِيَّة، إلاَّ حَزْمٌ أو تَوانٍ.

أما عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإن وصاياه تعود بنا إلى عهد الخلفاء الراشدين، وقد عدّه بعض مؤرخيه الخليفة الراشد الخامس، حتى إنَّ إحدى وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزيت إليه، فهو رجل قد آثر نصيبه من الآخرة على حظّه من الدنيا، وترك متاعها وملذاتها، وآنصرف إلى الغاية القصوى التي آطمأنَّ إليها الناس في أيامه، وعاشوا في أمان ورخاء وعزّة وسعادة.

---

(18) الوصية المرقمة/99.
(19) الوصية المرقمة/101.

فقد سلك الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، سلوكاً آخر غير الذي سار عليه الخلفاء من بني أمية وبني مروان، فضلاً عن أنَّ له رأياً في بني مروان أثر عنه في إحدىٰ وصاياه، فلقد ورد في مقدمة وصيته ليزيد بن عبد الملك بن مروان ما نصه: لما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز قيل له: أكتب يا أمير المؤمنين إلىٰ يزيد بن عبد الملك، فأوصه بالأمر، فقال: وبما أوصيه؟ إني لأعلم أنّه من بني مروان.

إنَّ كلام عمر رضي الله عنه، يوحي بأنه لم يكن راضياً عن تصرف من سبقه من خلفاء بني مروان، ولذلك وردت وصيته ليزيد لا تتجاوز بضع جمل كلها تذكير بالله وباليوم الآخر، وحَثٌّ علىٰ العمل من اجلها قبل أن يفوته الدرك، فلا يستطيع لقضاء الله مَرَدًّا. يقول[20]:

إتَّقِ يا يزيدُ الصَّرْعَةَ علىٰ الغَفْلة، فلا تُقالُ العَثْرَة، ولا تقدرُ علىٰ الرجعة، وتتركُ ما تتركه لِمَنْ لا يحمَدكَ، وترجِعُ إلىٰ مَنْ لا يعذِرُكَ.

وبعد: فالدارس لهذا القسم من أقسام الوصايا يلاحظ فرقاً واضحاً وجلياً بين وصايا الخلفاء الراشدين، ووصايا خلفاء بني أمية، إذ إنَّ الطابع الذي يميز وصايا عصر صدر الإسلام ديني بحت، يقف من الدنيا موقف الرافض لها، باعتبارها فانية أولاً، ووسيلة عبور إلى دنيا أزلية باقية ثانياً. أما خلفاء بني أميَّة فإنَّ الطابع الذي يميز وصاياهم ينحاز إلىٰ الدنيا، فيأخذ منها قسطاً وافراً، لكنه لا يلغي عن نفسه الالتزام الديني، حين يحسّ الخليفة بدنو أجله، واقتراب حَيْنِه، وحضور ساعته، إذا استثنينا منهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

ثانياً: وصايا الخلفاء إلىٰ أمراء الجيوش (وصايا الحرب)

تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن وصايا الحرب في

---

(20) الوصية المرقمة/117.

العصر الجاهلي، وأوضحت فيه صيغة التعامل معها من خلال وصايا الموصين هناك.

وقد تطورت وصايا الحرب في العصر الإسلامي تطوراً كبيراً، وأصبح لها طابعها المميز، وسماتها الواضحة، كما أصبح لها نظامها الخاص بها، حيث صار للمجاهدين ديوان خاصّ تثبّت فيه أرزاقهم وعطاياهم، وما يحتاجون إليه، وقد سُمّي هذا الديوان بديوان الجند.

فالإسلام جاء ليغير في الإنسان طبائعه وعاداته، وتوازعه التي كان يسير وفقها قبله، وأنّ مفهوم صيغة الحرب التي كانت تقوم عليها سازعات القبائل في العصر الجاهلي، هي واحدة من الصيغ التي أتى الإسلام عليها فغيرها، فالمنازعات التي كانت قائمة بين القبائل، والتي اتخذت صيغة غزو، وأصبحت تشبه السنة المتبعة لديهم لمقاومة الحياة وقسوتها، جاء الدين الإسلامي فألغاها، وصهرها في قالب الألفة والمحبة والتوحّد، وجمع الكلمة، ونبذ الخلافات والخماشات التي كانت بين معظم القبائل، ثم استبدلها بقانون جديد، ووضعه تحت مصطلح (الجهاد) لإعلاء كلمة الله عزّ وجل، ونشر الدعوة الإسلامية في كافة أرجاء العالم، ثم أضاف إلى مصطلح الجهاد مصطلحاً آخر جديداً وضعه تحت كلمة (الشهادة)، وأبلغ المجاهد بأنه هو الفائز في الحالتين، إمّا أن يفوز بالنصر ويحرز الغنيمة، وإمّا أن يفوز بالشهادة والجنّة.

كما أنّه وضع مصطلحاً آخر يتماشى مع الجهاد وهو (الفتح)، فالدعوة إلى الإسلام ثم تكن لتنحصر بجزء من الأرض، ولا بالمكان التي انبعثت فيه الدعوة الإسلامية، وبشّر بها النبي الكريم ﷺ، وإنما هو دين للناس كافة، وفي أقطار الأرض عموماً. ﴿وما أرْسَلْناكَ إلا كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً﴾[21]، ولذلك عقدت الألوية بعد استتباب الدعوة، ووضع النبيّ ﷺ اللوائح والقوانين لهذا الفتح، وكان ﷺ يوصي عند عقد الألوية فيقول[22]:

(21) الآية/28 سورة سبأ.
(22) الوصية المرقمة/12.

أُغْزُوا بِسم الله، وفي سَبيل اللّهِ، تُقاتِلونَ مَنْ كَفَرَ باللّهِ، لا تَغُلّوا، ولا تَغْدُروا، ولا تُمَثّلوا، ولا تَقتلوا آمرأةً ولا وليداً.

وإذاً فإنَّ مفهوم الغـزو القبلي قد تغيـر، فلم يكن المقاتـل ليقاتِـلَ حَمِية، أو تعصُّباً لقبيلةٍ، ولكنه اتخذ مساراً آخر، وتحوّل إلىٰ صيغة جهادٍ في سبيـل الله واعـلاء كلمتـه، وقتـال من لم يـدخـل في دين الله من المشركين.

وقد وردت لفظة القتال بصيغة الأمر في كتاب الله العزيز ست عشرة مرة، وكلها تدهو إلىٰ قتال المشركين بالله أينما وُجدوا[23].

ولذلك نلمح أنّ صيغة وصيـة الحرب قـد تطورت كثيـراً، وصارت أبعادها تعطي مفاهيم أخرىٰ، تختلف كثيراً عن مدلولاتها في العصر الذي سبقه، والتي كانت وصية الحرب فيه مقننة ومحددة، وتأتي ضمن الوصايا العامة، إلاّ ما نَدَّ عن ذلك، وهو لا يتجاوز وصية واحدة أو وصيَّتين.

أمّا عصر صدر الإسلام والدولة الأموية فقد وردتنا عنهما جمهرة كبيرة من وصايا الحرب وكلها جاءت منفردة وخاصة به.

إنَّ أول وصية حرب وردتنا عن الخلفاء الراشدين هي وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، التي أوصىٰ بها أسامـة بن زيد حين سيَّره إلىٰ (أُبنَىٰ) من بلاد الشام، تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ[24] فقد ورد فيها[25]:

يا أيُّها الناسُ، قِفوا أوصيكم بِعَشْرٍ، فاحْفَظوا عَنّي، لا تخونوا، ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدُروا، ولا تُمَثّلوا، ولا تَقْتُلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا آمرأةً، ولا تَقْعِروا نَخْلاً، ولا تَحْرِقُوه، ولا تَقْطَعُوا شجَرَةً مُثْمِرةً، ولا تَذْبَحوا شاةً، ولا بَقَرَةً، ولا بعيراً إلاّ لمأكَلَةٍ.

---

(23) المعجم المفهرس/ق ت ل.

(24) كان رسول الله ﷺ، قد جهز جيش أسامة بن زيد وسيّره، ولما علم أسامة بموت رسول الله ﷺ، رجع إلىٰ المدينة. ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيَّره.

(25) الوصية المرقمة/25.

لقد شايع أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسول الله ﷺ في فاتحة وصيته، فأورد الصيغة الإسلامية الجديدة، التي انتهجها، ولم يحد عنها، فالخيانة، والغلول، والغدر، والتمثيل، وغير ذلك من الصيغ الجائرة، قد رفضها الإسلام كمبدأ عام، وصيغة تعامل في الحياة، كما أنّه حاسب عليها بشدّة، فلا بُدّ إذاً أن يوصي بالكفّ عنها في حالة الحرب. لذلك جاء مبدأ الحرب ثالث المبادئ في التعامل مع الكفار، فالمبدأ الأول هو الدعوة إلى الإسلام، فإنْ رُفِضَ، فدفع الجزية عن يد وهم صاغرونَ، وإلا فلا مناصَ عن هاتين الحالتين غير الحرب، وهذا هو النهج الذي سلكه كافة الخلفاء في الفتوح.

لم يكتفِ أبو بكر الصديق في وصيته أسامة بهذا القدر، بل شرع يعرفه بطرائق أهل الشام، والذي يبدو أن أبا بكر كان على معرفة جيدة بالشام وأهلها، وربما جاءت معرفته بهم لكثرة سفره إلى الشام واتّجاره مع أهلها، فقد جعل أهل الشام أصنافاً ثلاثة، ثمّ أعطى لأسامة صورة واضحة عن كل صنف، كي يكون على بينة من أمره. فقال:

وسَوْفَ تَمُرُّونَ بأقوامٍ قد فَرّغوا أَنْفُسَهُمْ في الصَّوامِع، فَدَعوهم وما فَرّغوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وسَوْفَ تَقْدِمونَ على قومٍ يأتونَكُمْ بآنيةٍ فيها ألوانُ الطَّعامِ، فإذا أكلتُم منه شيئاً بعد شيءٍ فاذكُرُوا آسمَ الله عليْها، وتَلقَوْنَ أقواماً قَدْ فَحَصوا أوساط رؤوسِهِمْ، وتَرَكُوا حَوْلَها مِثْلَ العَصائِبِ، فاخفِقوهُمْ بالسَّيْفِ خَفْقاً.

إنّ هذا القسم من الوصية، يؤكده خليفة المسلمين لقادته الذين وجههم إلى الشام، فقد أكده ليزيد بن أبي سفيان لمّا وجهه، وحكاه له بشيء من التفصيل أكثر، وبخاصة الجزء الأخير من الوصية، يقول ليزيد[26]:

---

(26) الوصية المرقمة/32.

وستَجدونَ آخرينَ قد فَحَصَ الشَّيطانُ عن أوساط رؤوسهِمْ، حتىٰ كأنَّ أوساطَ رؤوسِهِمْ أفاحيصَ القَطا، فاضربوا ما فَحَصُوا من رؤوسهِمْ بالسُّيوف، حتىٰ يُنيبُوا إلىٰ الإسلامِ، أو يُؤدّوا الجِزْيةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ.

ووصايا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقادة الجيوش كثيرة، وهي تستحق وقفةً ودراسة منفردة، فقد تختلف الصيغة عنده من وصيَّةٍ إلىٰ أخرىٰ، كما أنّه رضي الله عته قد باشر عمله بقتال أهل الردةِ، والفتوح، فأعطىٰ بذلك للخلفاء بعده متسعاً، وهَيّأ لهم الأسباب.

وقد تهيّأ له رضي الله عنه قادة عظام شجعان مخلصون وأذكياء، أمثال خالد بن الوليد، وأبي عبيدة عامر بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرجبيل بن حسنة، والمثنىٰ بن حارثة الشيباني، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، وقد تهيّأت لهم جميعاً أسباب النصر، فكانت وصاياه لكلِّ واحد منهم منبعثة عن رجل حازم حاذق خابر للأمور ومختبر لها وممارسها، وفوق كلّ ذلك كان يجعل إخلاص النيّة في القتال لله تعالىٰ، وذلك هو الهدف الأساسي من القتال والفتح.

باشر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعماله بمحاربة أهل الردّة، وكلّف لهذا الأمر خالد بن الوليد رضي الله عنه، فكان خالد أهلاً لما كُلّفَ به، بما عرف عته من حنكة وشجاعة وصبر وجَلَد، وقد أورد لنا النقلة وصيَّتينِ لأبي بكر الصديق، أوصىٰ بهما خالداً حين سيَّره إلىٰ اليمامة.

لقد أستشعر الخليفة خطورة الموقف وحساسيته ودقته، فجاءت وصيته الأولىٰ لخالد، وقد رسم له فيها الصورة واضحة، وحدد له فيها خطة الحرب، ونبّهه إلىٰ جملة أمور تنبيه رجل خبير قد أخذ الحيطة والحذر من كل شيء، فقال[27]:

يا خالدُ، عَلَيْكَ بِتَقْوىٰ اللّهِ، والرِّفْقِ بمَن مَعَكَ من رَعِيَّتِكَ، فإنَّ مَعَكَ

(27) الوصية المرفقة/26.

أصحابَ رسولِ اللّهِ، أَهْلِ السّابِقَةِ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ، فشاوِرْهُمْ فيما نَزَلَ بِكَ، ثمّ لا تُخالِفْهُمْ، وقَدِّمْ أمامَكَ الطّلائِعَ تَرْتَدْ إليْكَ المنازِلَ، وسِرْ في أصحابِكَ على تَعْبِيَةٍ جَيِّدَةٍ، فإذا لَقِيتَ أَسَداً وغَطَفانَ، فبَعْضُهُمْ لَكَ، وبَعْضُهُمْ عَلَيْكَ، وبَعْضُهُمْ لا عَلَيْكَ ولا لكَ، مُتَرَبِّصَ دائرَةَ السّوءِ، يَنْظُرُ لِمَنْ تكونُ الدائرةُ، فيميلُ مع مَن تكونُ الغَلَبَةُ، ولكنَّ الخوفَ عندي من أهْلِ اليمامَة، فاستعِنْ بالله على قِتالهم، فإنَّه بَلَغَني أنَّهُمْ رَجَعُوا بأسرِهِمْ، فإنْ كفاكَ الله الضاحِيَةَ، فامضِ إلى أهلِ اليمامة. سِر على بركة الله.

إنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان يدرك خطورة الموقف ودقته، وقد استشعر الخوف منه، ولذلك جعل وصيته تدور على جملة محاور، منها ما يتعلق بالمقاتلين الذين سيُرهم مع خالد واشفاقه عليهم، ومنها ما يتعلق بطبيعة الأرض ومسالكها، ومنها ما يتعلق بالقبائل التي سيمر بها الجيش في طريقه إلى اليمامة، والأهمّ من ذلك كله حالتان ينبغي على قائد الجيش أن ينتبه إليهما، وهما التّعبئة الجيدة للمقاتلينَ الذين معه، وارتياد المواضع الصالحة للنزول فيها، ليكون على بصيرة من أمر عدوّه حين يبعث من يتقصى له أخبارهم وأحوالهم.

أمّا الوصية الثانية من وصايا حرب الردّة، فإنّها أعمق غوراً، وأبعد اثراً، لأنّه يحدد له فيها طبيعة المسير والتعامل، وما يجب على القائد أن يكون عليه عند دخوله أرض العدو، فيقول[28]:

سِر على بَرَكَةِ اللّهِ، فإذا دَخَلْتَ أرْضَ العَدوِّ، فكُنْ بعيداً مِنَ الحَمْلَة، فإنّي لا آمَنُ عليك الجَوْلَةَ، واستظْهِرْ بالزّادِ، وسِر بالأدِلاّءِ، ولا تُقاتِل بمجروحٍ؛ فإنَّ بَعْضَهُ ليسَ منه، واحترِس منَ البيّاتِ، فإنَّ في العَرَبِ غِرّةً، وأقِلَّ مِنَ الكلامِ، فإنّما لكَ ما وُعِيَ عَنْكَ، واقبَلْ منَ النّاسِ

(28) الوصية المرقمة/27.

علانِيَتَهُمْ، وكِلْهُمْ إلى الله في سَرائِرِهم، واستَوْدِعُكَ اللّهَ الذي لا تضيعُ وَدائعُه.

فليس من المعقول أن يباشرَ القائد القتال بنفسه، لأنَّ ضياعَهُ مَهْلكةٌ لمن بعده وتشتيت للجيش الذي يقوده، ولذلك نجد خليفة المسلمين الأول يجعل هذه الفقرة أوَّلةً في وصيته، لما لها من أهمية بالغة في الحرب، وتأتي بالدرجة الثانية أرزاق المقاتلين، فإذا نفدت، فإنها ستحدث شيئاً من الاضطراب والخلل، ثمَّ الأدلاء، الذين يعرفون الطريق معرفة أهله به، مظنَّة أن يتجه الجيش وجهة غير التي خرج من أجلها، ثمَّ يأتي التحذير من الأمور التي قد تحدث وهو في غفلةٍ عنها، ولا بدَّ أن ينتبه إليها.

وبعد: فإنَّ وصايا الحربِ عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه تتَّخِذُ مسارين، الأول وصاياه في حرب الردّة، وقد بسطنا به القول، والثاني وصاياه لقادة فتح الشام.

فقد وقفت له على إحدى عشرة وصية حرب، اختص أبا عبيدة عامر بن الجراح بثلاث منها، ويزيد بن أبي سفيان باثنتين، وعمرو بن العاص بثلاث، وشرحبيل بن حسنة واحدة، وهاشم بن عتبة واحدة، وقيس بن مكشوح واحدة.

تكاد تكون وصايا أبي بكر لكل قائد من هؤلاء القادة، عدا قيس بن مكشوح ـ لأنه لم يكن قائداً ـ تختلف في صياغتها عن الآخر، إذ لكل رجل منهم منزلة أنزله إياها، فأبو عبيدة أحد السابقين إلى الإسلام المبشرين بالجنة، ولذلك نجد الخليفة يذكّره بهذه المنزلة العظيمة التي أنزله إياها رسول الله ﷺ، وسمّاه: أمين الأمة. يقول[29]:

يا أبا عُبَيْدَةَ، إعمَلْ صالحاً، وعِشْ مُجاهداً، وتَوَفَّ شَهيداً، يُعْطِكَ اللّهُ كتابَكَ بيمينِكَ، ولْتَقَرَّ عَيْنُكَ في دُنياكَ وآخِرَتِكَ، فوالله إني لأرجو أنْ

(29) الوصية المرقمة/29.

تكونَ مِنَ التَّوابينَ الأوّابينَ ٱلمُخَشَّعينَ الزاهدينَ في الدُّنيا، الرَّاغِبينَ في الآخِرةِ، إنَّ الله قد صَنَعَ بكَ خَيْراً، وساقَهُ إليكَ، إذ جَعَلَكَ تسيرُ في جَيشٍ مِنَ المسلمينَ إلىٰ عَدُوِّهِ مِنَ المشركينَ، فقاتِلْ مَنْ كَفَرَ باللّهِ وأشرَكَ بهِ، وعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

إننا لا نجد في وصايا أبي بكر رضي الله عنه لأبي عبيدة ما يذكره بخطة حرب عسكرية كالذي لمحناه في وصاياه لخالد ين الوليد السالفة الذكر، أو ما أوصىٰ به غيره من القادة علىٰ ما سنأتي عليه، ولعله لم يذهب إلىٰ ذلك لما عرف في أبي عبيدة من الحلم والأناة والدهاء والقوة والشّجاعة والصبر، وهو ما نلمحه في وصية الخليفة لقيس بن مكشوح حين أوصاه بأبي عبيدة لما وجهه معه إلى الشام، فقال له[30]:

إنّي بَعَثْتُكَ مَعَ أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظُلِمَ كَظَمَ، وإذا أُسيءَ إليهِ غَفَرَ، وإذا قُطِعَ وَصَلَ، رحيمٌ بالمؤمنينَ، شديدٌ علىٰ ٱلكافرينَ، فلا تَعْصِيَنَّ لَهُ أمراً، ولا تُخالِفَنَّ لهُ رأياً، فإنَّهُ لَنْ يأمُرَكَ إلاّ بخيرٍ.. الوصية.

أمّا وصاياه ليزيد ين أبي سفيان، فإنها تأخذ أتجاهاً آخر يختلف اختلافاً كبيراً عن وصاياه لأبي عبيدة، فمنزلة أبي عبيدة، غير منزلة يزيد بحكم السابقة إلىٰ الإسلام، فيزيد أسلم يوم فتح مكة، ورغم أنَّ كلا الرجلين كان شجاعاً بهمة، غير أنَّ صيغة التعامل مع كل واحد منهما قد أختَلفَتْ، فوصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان قد أخذتْ متسعاً من الطول، فجاءت وكأنّها دليل عمل قدّمه الخليفة لهذا القائد موضحاً له فيه كل شيء يمكن أن يواجهه، خاصة وأنّه قد أرسله ليقوم مقام خالد بن الوليد في قيادة الجيش، بخلاف وصاياه لأبي عبيدة التي جاءت قصيرة.

ورد في فاتحة الوصية تحذير ليزيد بن أبي سفيان، وتجربة له في

(30) الوصية المرقمة/31.

قيادة جيش فيه صحابة رسول الله ﷺ ، وينبغي عليه أن يُحسِنَ صُحْبَتهم، ويعرف لهم قدرهم، ويتّقي الله في نفسه وفيهم قال[31]:

إنّي قد ولّيتُكَ لأبلُوَكَ واجَرِّبُكَ، وأُخَرِّجُكَ، فإنْ أحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إلىٰ عَمَلِكَ وزِدْتُكَ، وإنْ أسأتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوىٰ الله، فإنّه يَرَىٰ من باطِنِكَ مثلَ الذي من ظاهِرِكَ، وأنَّ النّاسِ بالله اشَدُّهم تَوَلِّياً لَهُ، وأقربُ النّاسِ مِنَ اللّهِ أشدُّهم تَقَرُّباً إليهِ بِعَمَلِهِ، وقَدْ وَلّيْتُكَ عَمَلَ خالِد، فإيّاكَ وعُبَيَّةَ الجاهِلِيَّةِ، فإنَّ اللّهَ يُبْغِضُها ويُبْغِضُ اهلها.

إنّ أول ما يشرح به الخليفة من الوصية بعد المقدمة هو أمره بحسن الصحبة، والوعد بالخير، وإصلاح النفس. ومن ثمّ تأتي الصيغة الأخرىٰ، فقد يحدث قبل مباشرة الحرب أنْ تكون مفاوضة، فيجب علىٰ القائد الحيطة والحذر من المفاوضين، فلا يدعهم يعرفون شيئاً عن طبائع الناس، وأنْ يخرجوا من عسكره وقد عميت عليهم الأخبار كما دخلوا، فيقول:

وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ العَدُوِّ فأكرِمْهُمْ، وأقلِلْ لبثَهُمْ حتىٰ يَخْرُجوا من عَسكَرِكَ وهم جاهلونَ بـه، ولا تُرِينَّهُمْ فَيَروا خَلَلَكَ، ويعلموا عِلْمَكَ، وأنزِلْهُمْ في ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ، وآمنَعْ مَنْ قِبَلَكَ من محادَثَتِهِمْ، وكُنْ أنْتَ المُتَوَلّي لكلامِهِمْ، ولا تَجْعَلْ سِرَّكَ لعلانِيَتِكَ فَيُخْلَطَ أمْرُكَ.

ثم تأتي المشاورة لوضع خطة الحرب، وهنا يتحدّد صِدْقُ المسير والمستشير بإخلاص النيّة وصدق الحديث:

وإذا آستَشَرْتَ فآصدُقِ الحديثَ، تُصدَقِ المشورةَ، ولا تَحْزِنَّ عن المشيرِ خَبَرَكَ فتوتىٰ من قِبَلِ نَفْسِكَ.

كما ينبغي علىٰ قائد الجيش أن يعرف حال جنده، ويتفقدهم، وهذا

(31) الوصية المرقمة/33.

لا يتأتى له وهو في مقر قيادته، فقد لا يأتيه من أخبارهم إلاّ أقلها، وبذلك يضيع عليه ما يحوجهم من المسائل التي قد تقع منها الأذية، فعليه أن يباشر الأمور بنفسه، فيسمر معهم في الليل ولا يبتعد عنهم، كما أنَّ من الواجب عليه أن يكثر من المحارس، ويجعل النوبة مكثفة في العسكر، وأن يفجأهم بمروره عليهم، لعلَّ أحدهم يقصر عن أداء واجبه، ويغفل عن محرسه، فيحاسبه على تقصيره، ولكن من غير إفراط.

واسمُرْ بالليل في أصحابك، تأتِكَ الأخبارُ، وتنكشِفْ عِنْدَكَ الأستارُ، وأكثِر حَرَسَكَ، وبَدِّدْهُمْ في عَسْكَرِكَ، وأكثِرْ مُفاجأتَهُمْ في محارِسِكَ بغير عِلْمٍ منهم بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فأَحْسِنْ أَدَبَهُ، وعاقِبْهُ في غَيْرِ إفراط.

وهنا يفرِّق الخليفة بين نوبات الحراسة، فيجعل النوبة الأولى أطولَ من النوبة الأخيرة، لأنها قريبة من النهار، والناس لم يغلبهم النعاس بعد، إذ إنَّ تفريط القائد بالغفلة عن هذه المسائل، فلا يتهاونَنَّ في عقوبة من يستحقّ العقوبة، إذا ما تهاون، فضلاً عن جملة من الأمور التي تخص القائد وهو بين جنده.

وأعقِبْ بينَهُم بالليلِ، وآجعلِ النَّوبَةَ الأولى أطولَ من الأخيرَةِ، فإنَّها أيْسَرُهُما لِقُربِها منَ النَّهارِ، ولا تَخَفْ من عُقوبَةِ ٱلمُسْتَحِقِّ، ولا تَلِجَنَّ فيها، ولا تُسرِعْ إليها، ولا تَخْذُلْها مَدْفَعاً، ولا تَغْفَلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ، ولا تَجَسَّسْ عليهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، ولا تَكْشِفِ النَّاسَ عَنْ أَسْرارِهِمْ، وٱكْتَفِ بعلانيتِهِمْ.

كما أنه يجب أنْ يختار من الرجال، أكثرهم صدقاً، وأخلصهم نيَّةً، وأوفاهم، فإنهم قدوة الناس، فإذا حُمَّ اللِّقاء، فإنَّ أول ما يمتلكه القائد رباطة الجأش والثبت، وأن لا يجبن إذا ما رأى من عدوه ما لا يسرّه، فيثبط بذلك من عزيمة الجند، فيدفع النصر، ويقرب الهزيمة:

ولا تجالسِ المبْطلينَ، وجالِسْ أهْلَ الصِّدْقِ والوَفاءِ، وأصدُقِ اللقاءَ، ولا تَجْبَنْ فيجبَنَ الناسُ، واجْتَنِبِ الغُلولَ، فإنَّهُ يُقَرِّبُ الفَقْرَ، ويَدْفَعُ النصر. . . الوصية.

أمّا وصاياه لعمرو بن العاص، فإنها جاءت تحمل طابعاً آخر، هو التركيز على إخلاص النيّة، وإبداء المشورة للقائد العام الذي هو أبو عبيدة، فعمرو بن العاص كما هو معروف عنه صاحب خبرة وتجربة في الحروب، ولذلك أخذت وصايا الخليفة له مَسارين، الأول النصح للقائد العام، وللأمراء، وللناس، يقول[32]:

يا عَمْرو، إنَّكَ ذو رأيٍ وتجربة بالأمور، وتَبْصِرَةٍ بالحَرْبِ، وقَدْ خَرَجْتَ مَعَ أشرافِ قومِكَ، ورجالٍ من صُلَحاءِ المُسْلِمين، وأنْتَ قادِمٌ على إخوانِكَ، فلا تَأْلُهُمْ نصيحةً، ولا تَدَّخِرْ عَنْهُمْ صالِحَ مَشورةٍ، فَرُبَّ رأيٍ لَكَ محمودٍ في الحربِ، مبارَكٍ في عَواقِبِ الأمور.

أما المسار الثاني فهو التعامُلُ مع من تأمّر عليهم بالرفق بهم، إذ هم أقدم منه سابقة في الإسلام، وأثبت قدماً فيه، فيجب أن يتقيَ الله فيهم، وأن يكون عمله من أجل آخرة يصل إليها، لا من أجل دنيا يصيبُها، يقول[33]:

يا عَمْرو، إتَّقِ الله في سِرِّ أمرِكَ، وعلانِيَتِه، واسْتَحْيِهِ، فإنَّهُ يراكَ ويَرَىٰ عَمَلَكَ، وقَدْ رأيْتَ تقديمي إياكَ على مَنْ هُوَ أقدَمُ سابِقَةً مِنْكَ، ومَنْ كانَ أهمّ غَناءً عَنِ الإسلامِ وأهله مِنْكَ، فَكُنْ من عُمّالِ الآخِرَةِ، وارِدْ بما تَعْمَلُ وجْهَ اللّهِ، وكُنْ والداً لِمَنْ معك. . . الوصية.

وقد نجد في وصايا الحرب الأخرىٰ عند أبي بكر رضي الله عنه ذلك

(32) الوصية المرقمة/36.
(33) الوصية المرقمة/34.

التوجه الذي يتعامل فيه مع التركيبة الجملية المركزة، التي تنبعث عن رجل صادق العزيمة، ومخلص النيّة وآلقصد لله عزَّ وجل، ولذلك وجدنا في قادته ذات الإخلاص الذي أخلصه، وذات النيّة الصادقة، التي توجّهوا من أجْلها يبتغونَ فضلاً من الله ورِضواناً، ويجعلونَ ما قَدّموا حِسْبةً لله، ونِيّةً خالصةً، فتحقّقَ لهم ما أرادوا من أسباب النصر والظّفَر والغنيمة في كل حروبهم ووقائعهم.

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد وقفت له على سبع وصايا حرب، آختصَّ ثلاثاً منها بسَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وواحدة لأبي عبيد بن مسعود الثقفي، وواحدة لعتبة بن غزوان، وواحدة ليعلىٰ بن أمية، وواحدة عامة، يقول الرواة إنّه كان يوصي بها عند عقد الألوية.

إنَّ وصيَّته رضي الله عنه عند عقد الألوية، لا تحيد عن المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ، ولا عن منهج أبي بكر الصديق رضي الله عنه في هذا المجال شكلاً ومضموناً، وقد تزيد عليهما بشيء من التفصيل أكثر يقول[34]:

بسم اللّهِ، وباللّهِ، وعلىٰ عَوْنِ اللّهِ، أمضوا بتأييدِ اللّهِ، ﴿وما النَّصْرُ إلاّ من عِند اللّهِ﴾، ولزوم الحقّ والصَّبْر، فقاتِلوا في سبيلِ اللّهِ مَنْ كَفَرَ باللّهِ، ﴿ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللّهَ لا يُحِبّ المعتدينَ﴾، ولا تجبُنوا عِنْد اللّقاء، ولا تُمَثّلوا عِنْد القُدْرَةِ، ولا تُسرِفوا عِنْد الظُّهور، ولا تَقْتُلُوا هَرِماً، ولا آمرأةً، ولا وَليداً، وتَوَقّوا قَتْلَهُمْ إذا آلتقىٰ الزّحْفانِ، وعِنْد حُمّةِ النَّهَضاتِ، وفي شَنّ الغاواتِ.

لقد تسلّم أمير المؤمنين عمر مقاليد الأمور، وقد آستَتَبّ له كل شيء، فلم يكن في الجزيرة العربية أناس قد مردوا علىٰ الدين، فقد أنهىٰ أبو بكر

(34) الوصية المرقمة/46.

لصديق رضي الله عنه الأمر بقتال أهل الردّة وإعادتهم إلىٰ حضيرة الإسلام، ولم يبق له غير أن يجلي أهل نجران، وذلك أمر رسول الله ﷺ: «ألاّ يترك بجزيرة العرب دينان». وقد تمّ له ذلك بعد أن أعطاهم أرضاً غير أرضهم خارج جزيرة العرب[35].

إنَّ أهمَّ حدث وأخطره في خلافة عمر رضي الله عنه هو فتح بلاد فارس، والذي يبدو أنه كان علىٰ معرفة تامة ودراية بهذه الأرض، وطبيعة ناسها، فقد كانت شغله الشاغل، وقد أخذت حيّزاً كبيراً من تفكيره، حتىٰ إنّه قطع إحدىٰ خطبه مرة وهو علىٰ المنبر ونادىٰ بأعلىٰ صوته يا سارية الجَبَل الجبل، وذلك انَّ سارية بن زنيم الكناني كان قد سيّره الخليفة إلىٰ بلاد فارس، فأحسّ الخليفة وهو علىٰ المنبر أنّ سارية محاصرٌ وأنَّ منجاته بصعود الجبل، فناداه وهو علىٰ المنبر في المدينة، فانحاز سارية إلىٰ الجبل ونجا هو وأصحابه، وهو ما يسميه العلم الحديث بالإشراق والتجلّي.

تروي الأخبار أنّ أول جيش بعثه عمر رضي الله عنه لقتال الفرس كان بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي، فقد وردت وصيته له قصيرة ومركّزة، وذات بعد وهدف عميقين، فقد أوقف الخليفة أبا عبيد الثقفي علىٰ طبائع وعادات هؤلاء القوم، ووصفهم له وصف خبير عارف، كي يتّخذ القائد منهم موقفه، ويعلم من أمرهم ما لم يكن يعرفه، فيكون علىٰ بصيرةٍ من الأمر، فقال له[36]:

إنَّكَ تَقدِمُ علىٰ أرضِ المكرِ والخَديعَةِ، والخيانة والجبريَّةِ، تَقْدِمُ علىٰ قومٍ قد جرؤوا علىٰ الشَّرِّ فعَلِموهُ، وتناسَوا الخيرَ فجَهِلوهُ، فآنظر كيفَ تكونُ، وآخْزِنْ لِسانَكَ، ولا تُفْشِيَنَّ سِرَّكَ، فإنَّ صاحِبَ السِّرِّ ما ضَبَطَهُ مُتَحَصِّنٌ، لا يؤتىٰ منْ وَجْهٍ يكرَهُهُ، وإذا ضَيَّعَهُ كانَ بمضيَعَةٍ.

---

(35) الوصية المرقمة/48.
(36) الوصية المرقمة/47.

وتأتي وصيّتُهُ رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص جامعة مانعة شاملة، وتكاد تكون من أروع وصايا الحرب وأقواها وأهمّها، ولا أحْسَبُ أنني اذهبُ بعيداً إذا قُلْتُ إنّ هذه الوصية لا تختص بعصر محدد، لما تحمله من فكر وهدف، وبعد نظر، وبصيرة ثاقبة، وخطة حرب عسكرية، كما أنّها لم تختص بالقائد وتترك الجنود، فقد حدَّد فيها لكلٍّ عمَلَهُ وموقعه، ولذلك نجد عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجتزئ قسماً كبيراً سها، ويعتمده وصيّةً يوصي بها قائده حين بعثه لقتال أهل الحرب.

إن خليفة المسلمين كان يعرف معرفة متيقن قوة الفرس وعددهم وعدتهم، ولذلك بدأ وصيّته بوصف عام لما ينبغي أن يكون عليه القائد وجُنْدَهُ في مواجهة العدو، فاستخدام فعل الأمر في كلّ جزءٍ من أجزاء الوصية جاء بمثابة إلزام للقائد أن يتصرف بما يمليه عليه الموصي، وقد قدَّم له الصيغة المنطقية والمعقولة، وحدَّد له الهدف الذي من أجله سيقاتل.

لقد أوقف الخليفة تقوىٰ الله علىٰ رأس الأمر، وجعلها أفضل العدّة علىٰ العدو، وأقوىٰ المكيدة في الحرب. وأنّ معصية الجنود لله تعالىٰ، وكثرة ذنوبهم، أخوف عليه من العدو، وهو يقدم لهذه المسألة الأسباب، ويسهبُ في توضيحها وشرحها فيقول[37]:

إنّي آمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ من الأجنادِ بتقوىٰ الله علىٰ كلِّ حالٍ، فإنّ تقوىٰ الله أفْضَلُ العُدَّةِ علىٰ ٱلعَدُوّ، وأقوىٰ المكيدَةِ في ٱلحَرْبِ.

وآمُرُكَ ومَن مَعَكَ أنْ تكونوا أشَدَّ ٱحْتِراساً من المعاصي مِنْكُمْ من عَدُوِّكُمْ، فإنّ ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عَدُوِّهم، وإنّما يُنْصَرُ ٱلمسلمونَ بمَعْصِيةِ عَدُوِّهم لله، ولولا ذلكَ لمْ تَكُنْ لنا بِهِمْ قُوَّةٌ، لأنّ عَدَدَنا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ، ولا عُدَّتَنا كَعُدَّتِهم، فانِ ٱستَوَيْنا في ٱلمعصية، كانَ لَهُمُ ٱلفضلُ علَيْنا بالقُوَّةِ، وإلاّ نُنْصَرْ عليهِمْ بِفَضلِنا، لم نَغْلِبهُمْ بقُوَّتِنا.

(37) الوصية المرقمة/43.

إنَّ الخليفة خَشِيَ على المسلمين أن يصيبهم شيء من العرور، حين يروا كثرَتَهم كما حدث في حنين، وأنَّ إشفاقه عليهم وخوفه جعله يلحّ على هذه المسألة، ويبسط لهم فيها القول، ويأخذه بتفصيل أزيد، لأنَّ الوجه الذي سيتجهون إليه ليس هيِّناً، وينبغي أن يحسب له حسابه الدقيق على مَا سيأتي في الوصية.

وآعلموا أنَّ عليكم في مسيرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يعلمون ما تَفْعَلونَ، فآستَحْيوا مِنْهُمْ، ولا تَعمَلوا بِمَعاصي اللَّهِ وانتُم في سبيلِ الله، ولا تَقولوا إنَّ عَدُوَّنا شرٌّ مِنَّا فَلَنْ يُسَلَّطَ علينا وإنْ أساءا، فرُبَّ قَومٍ قَدْ سُلِّطَ عليهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كما سُلِّطَ على بني إسرائيل لمّا عَمِلوا بِمَساخِطِ الله كُفّارُ المجوسِ فجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعْداً مفعولا، وآسألوا اللَّهَ العَوْنَ على أنْفُسِكُمْ كما تسألونَه النَّصْرَ على عَدُوِّكم، أسألُ الله ذلك لنا ولكم.

بعد هذا الوصف العام الذي أطلقه الخليفة مباشراً، وبأسلوب مبسط أفهمه لعامة الناس من المقاتلين، يلتفت إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو القائد العام للجيش، فيخاطبه خطاباً مباشراً في وصية لها مساس مباشر بهذا المسير، وهي أيضاً من وصاياه لسعد حين وجهه إلى العراق، لا بأس أن نورد نصّها ثمّ نعود إلى ما نحن فيه يقول[38]:

يا سَعْدُ سَعْدَ بني وُهَيْب، لا يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللَّهِ أنْ قيلَ خالُ رسولِ الله ﷺ، وصاحِبُ رسولِ الله، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ لا يمحو السيِّءَ بالسيِّءِ، ولكنَّه يمحو السيِّءَ بالحَسَنِ، فإنَّ اللَّهَ ليسَ بينَه وبينَ أحَدٍ نَسَبٌ إلاّ طاعَتَه، فالناسُ شريفُهُمْ ووَضيعُهُمْ في ذاتِ الله سواءٌ، اللَّهُ ربّهُمْ، وهُمْ عِبادُهُ، يتفاضَلونَ بالعافيةِ، ويُدرِكونَ ما عِنْدَهُ بالطّاعَةِ، فآنظُرِ الأمرَ الذي رأيتَ النبيُّ

(38) الوصية المرقمة/44.

ﷺ منذ بُعِثَ إلىٰ أنْ فارَقَنا فالزَمْهُ، فإنّه الامرُ، هذه عِظَتي إياكَ، إنْ تَرَكْتَها ورَغِبْتَ عَنْها، حَبِطَ عَمَلُكَ، وكُنْتَ من الخاسرين.

إنّ المسؤولية التي سيتحملها سعد بن أبي وقاص في قيادة الجيش كبيرة وعظيمة، وليست هيّنةً، وإنّ أيَّ خطأ من القائد مهما كان، قد يؤدي بالجند إلىٰ الهلكة، ولذلك فإنّ راحةَ المقاتل، هي التي قدَّمها الخليفة علىٰ أية حالة من حالات القتال، لانّ في الراحة استجماعاً للقوّة، ومع الراحة يكون العطاء أكثر، خاصة وأنّ الشقّة التي سيتّجه إليها بعيدة.

وتَرَفَّق بالمُسْلِمينَ في مَسيرِهم، ولا تُجَشِّمْهُمْ مَسيراً يُتْعِبُهُمْ، ولا تُقَصِّرْ بهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ، حتّىٰ يَبْلُغوا عَدوَّهُمْ، والسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ، فإنَّهُمْ سائرونَ إلىٰ عَدُوٍّ مُقيمٍ حامي الأنْفُسِ والكراعِ.

وأقِمْ بمَنْ مَعكَ في كُلِّ جُمُعَةٍ يوماً ولَيْلَةً، حتىٰ تكونَ لَهُمْ راحةً يحبونَ فيها أنْفُسَهُمْ، ويُرَمّون أسلحَتَهم وامْتِعَتَهُمْ.

إنَّ فقرات الرصية، وما تحمله من أبعاد لا تحتاج إلىٰ توضيح وشرح، لأنَّ التعقيد اللفظي لم يأتِ علىٰ جملة منها، فالخليفة لم يستهدف من الوصية آستعراض كلام بألفاظ رنّانة مُبْهَمة، بقدر ما آتّخذ الأسلوب المبسط الهادف غايةً وهدفاً معاً، فبدت حديثاً آعتيادياً واضحاً مركّزاً، يفهمه أبسط الناس.

وإذا وَطِئْتَ أرْضَ العَدُوِّ، فأذِكِ العُيونَ بينَكَ وبينَهُمْ، ولا يَخْفَ عليْكَ أمرُهُمْ.

وهذا ما ينبغي أن يفعله أيُّ قائد من القادة حين ينزل أرضاً غريبة لا يعرف طبيعتها.

وليكُنْ عِنْدَكَ مِنَ آلعَرَبِ أو مِن أهْلِ الأرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إلىٰ نُصحِهِ

وصِدْقه، فإنَّ الكذوبَ لا يَنْفَعُكَ خَبَرُهُ، وإنْ صَدَقَكَ في بعضه، والغاشُّ عَيْنٌ عليك، وليس عيناً لَكَ.

ثمَّ تبدأ الخطة العسكرية عند الخليفة، بالإكثار من الرصدة والعيون والطلائع، وأنَّ هذه المجموعات لا ينبغي أن تسير في اتجاه واحد، وإنما الواجب أن تنبثّ في كل مكان، فتتقصّىٰ الأخبار وتتبّع الآثار، ويمكن أن نجمل خطة الحرب التي أرادها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالآتي:

1 ـ الابتعاد أثناء المسير عن قرىٰ أهل الصلح والذِّمّة، مظنة أن تبدر منهم خيانة، أو تواطؤ مع العدو، فيشغلهم عن الهدف الأساس.
2 ـ الاكثار من العيون والرصدة والطلائع، وبثهم في وجهات متعددة، فإن أحسّوا بدنو عدو شاغلوه حتىٰ يستجمع القائد عسكره وينفر إليهم.
3 ـ اختيار المستشارين من العرب أو غيرهم من الذين يطمئن القائد إلىٰ نصحهم وإخلاصهم وصدقهم، وممن لم يعرف عنهم الكذب والغش والخيانة، فيتفلت منهم إلى العدو أسرار الجيش.
4 ـ انتقاء ذوي البأس والنجدة والقوة للطلائع، وأن يختار لهم من الخيل السوابق، وذات النشاط والقوة.
5 ـ أن يختار للسرايا أمراء من أهل الجهاد والصبر، والبأس في القتال، وأن لا يميل القائد في اختيار الأمرين إلى هوى قرابة، أو صداقة أو محاباة.
6 ـ أن لا يبعث سرية من السرايا إلىٰ وجهة يخشىٰ فيها غلبة العدو عليها، أو ضياع، أو نكاية.
7 ـ استجماع القوة والتفكير المبرمج والاحتيال علىٰ العدو.
8 ـ عدم استعجال القتال، والتريث، والمشاغلة، حتىٰ يبصر نقطة ضعف العدوّ ومقاتله وطبيعة أرضه كلها، فيدخل عليه من نقطة ضعفه.
9 ـ اليقظة والحذر الشديدين من البيات، بالإكثار من العيون والحرس.

وليكن منك عند دُنُوِّكَ من أرض العَدُوِّ أنْ تُكْثِرَ الطَّلائِعَ، وتَبُثَّ

السَّرايا بينَكَ وبينَهُمْ، فتقطع السَّرايا أمدادَهُمْ ومرافِقَهُمْ، وتتبع الطلائِعُ عَوْراتِهِمْ.

وآنتَقِ للطَّلائعِ أهل الرأي والبأسِ مِن أصحابِكَ، وتخيّر لَهُمْ سوابِقَ آلخَيْلِ، فإنْ لَقُوا عَدُوًّا، كانَ أوّلَ ما تلقاهم القُوَّة من رأيِكَ، وآجعل أمرَ السَّرايا إلىٰ أهل الجهادِ والصَّبْرِ علىٰ الجلادِ، ولا تَخُصَّ بها أحَداً بهَوىً، فيضيعَ من رأيِكَ وأمرِكَ أكثرُ مما خابتَ به أهلَ خاصَّتِكَ.

ولا تَبْعَثَنَّ طليعةً ولا سَرِيَّةً في وَجْهٍ تتخوَّفُ عليها فيه غَلَبَةً او ضَيْعَةً، ونِكايَةً، فإذا عايَنْتَ آلعَدُوَّ، فآضمُمْ إلَيْكَ أقاصِيَكَ وطَلائِعَكَ وسَراياكَ، وآجْمَعْ إليكَ مكيدَتَكَ وقُوَّتَكَ، ثُمَّ لا تُعاجِلْهُمُ المناجَزَةَ ما لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتالٌ، حتّىٰ تُبصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ ومَقاتِلَهُ، وتَعْرِفَ الأرضَ كُلَّها كَمَعْرِفَةِ أهْلِها بها، فَتَصْنَعَ بِعَدُوِّكَ كَصُنْعِهِ بكَ، ثُمَّ أذْكِ احراسَكَ علىٰ عَسْكَرِكَ، وتَيَقَّظْ مِنَ البَياتِ جُهْدَكَ، ولا تُؤتىٰ بأسيرٍ ليْسَ لهُ عَقْدٌ إلاّ ضَرَبْتَ عُنُقَهُ، لِتُرْهِبَ بذلكَ عَدُوَّ اللّهِ وعَدُوِّكَ. واللّهُ وليُّ أمرِكَ ومَنْ مَعَكَ، وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ علىٰ عدوِّكُمْ، والله المستعانُ.

إنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله لم يجعل وصاياه تتجه آتجاهاً واحداً، رغم أنَّ تطلُّعه واحد، فقد وجدنا وصاياه تختلف باختلاف القائد الذي يسيِّره، واختلاف الأرض التي سيطأها، وإن كان العدوّ فيها واحداً، وكلها تؤكد على القائد بأنَّ المسؤولية التي حَمَّلَهُ إياها الخليفة يجب أن يحصنها بتقوىٰ الله، ولا تنازعه نفسه إلى كِبْرٍ يفسد عليه دينه وأصحابه، وبذلك تظلّ وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وثائق عمل يمكن أن يُستَفادَ منها في كل حين وأوان.

أمّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنَّ وصاياه

تحتلّ حيّزاً كبيراً من هذا السِّفْر، وهي ذات أغراض متعددة، واتجاهات مختلفة، يتدافع فيها اللفظ الحرل وتنساب فيها الحكمة انسياباً، وتكاد تستهدف الحياة بكل مناحيها، وتمسك بأسبابها من جميع أقطارها، فوصاياه رضي الله عنه، علم، وأدب، وحكمة، وبيان، وفصاحة، ومثل، والطابع الديني البحت، والتوجه إلىٰ الآخرة، ونبذ الدنيا، هو الذي يميزها. كما أنّ صيغة الوعظ والإرشاد هي التي تحكمها.

لم أقف له من وصايا الحرب إلا علىٰ ثلاث، واحدة اختصّ بها معقل بن قيس الرياحي حين وجهه إلىٰ الشام، وواحدة اختصّ بها من كان معه في حرب صفّين، وواحدة إلىٰ أحد الأمراء وقد سيّرَه لقتال العدو ـ كما يقول الرواة ـ وثمة وصية قصيرة جداً لا تعدو جملتين، أوصىٰ بها آبنه الحسن رضي الله عنه.

إنّ الأحداث الخطيرة التي واكبت خلافته رضي الله عنه جعلته يتخذ موقفاً، يحاول فيه رأب الصدع الذي وقع بين صفوف المسلمين، والذي أدىٰ إلىٰ آنقسام الناس له وعليه مما لم يرضه لنفسه، كما لم يرضه للناس، ولذلك نجده يوصي قادته بعدم مقاتلة الناس قبل دعائهم والاعذار إليهم، أو حتىٰ يبدأ الطرف الثاني القتال، فكان في هذا المجال بعيد النظر، حين رفض أن يخوض في دماء المسلمين.

تبدأ وصيته لمعقل بن قيس بوصف عام لطبيعة المسير، وتوفير الراحة التامة للمقاتل، وبذلك يشايع في هذا المبدأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في وصيته لسعد بن أبي وقاص وقد استخدم في وصيته لغة الأمر والمباشرة، واختار لها اللفظ السهل، بتركيبة جملية قصيرة ومركّزة، تتناول عدة محاور، يقف علىٰ رأسها تقوىٰ الله، ثم السير في الوقت الذي يكون الجو فيه معتدلاً، أول النهار، وآخره، ثمّ يوضح له خطة الحرب فيقول[39]:

---

(39) الوصية المرقمة/81.

إتَّقِ اللّهَ الذي لا بُدَّ لَكَ من لِقائِه، ولا منتهىٰ لكَ دونَهُ، ولا تُقاتِلَنَّ إلاّ مَنْ قاتلك، وسِرِ ٱلبَرْدَيْنِ وغُوِّرْ بالنّاسِ، ورَفِّه بالسَّيْرِ، ولا تَسِرْ أوّلَ الليلِ، فإنَّ اللّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدِّرْهُ مقاماً لا ظَعَناً، فارِحْ فيه بَدَنَكَ، ورَوِّحْ ظَهْرَكَ، فإذا وَقَفْتَ حينَ يَنبطِحُ السَّحَرُ، أو حينَ ينفَجِرُ الفَجْرُ، فسِرْ علىٰ بركةِ الله.

فإذا لقيتَ ٱلعَدُوَّ، فَقِفْ من أصحابِكَ وَسَطاً، ولا تَدْنُ مِنَ ٱلقَومِ دُنُوَّ مَنْ يُريدُ أنْ يُنْشِبَ ٱلحَرْبَ، ولا تَباعَدْ عَنْهُمْ تباعُدَ مَنْ يهابُ البأسَ حتىٰ يأتيكَ أمري، ولا يَحْمِلَنَّكُمْ شنآنُهُمْ علىٰ قِتالِهِمْ قبل دُعائِهِمْ والإعذارِ إليْهِمْ.

إنَّ الذي تنحاز به وصايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هي أنها ترتبط بحدث آخر غير الذي درج عليه سابقوه من الخلفاء الراشدين، الذين اتَّخذوا مِنَ ٱلفتح طريقاً ومنهجاً لنشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض، وأنَّ الخلاف بين صفوف المسلمين في فترة توليه الجلافة جعله يتجه إلىٰ محاولة جمع الكلمة ولم الصفوف ونبذ الخلافات الدائرة بين الناس بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولذلك نراه يؤكد لقادته علىٰ عدم مقاتلة الناس حتىٰ يبدأوهم، يقول لعسكره قبل لقاء صفين(٩٥).

لا تُقاتِلوهُمْ حتىٰ يبدأوكُمْ، فإنَّكُمْ بحَمدِ الله علىٰ حُجَّةٍ، وتَرْكُكُمْ إيّاهُمْ حتىٰ يبدأوكُمْ حُجَّةٌ اخرىٰ لكُمْ عليهم.

كما إنَّ براعة الإمام عليّ رضي الله عنه، ومعرفته بطرائق الحرب، وخططه، قد وضحه في وصيته لأحد أمرائه حين سيَّره لقتال العدو، فوضع له قبل مسيره خطتي المسير والقتال ما يدلل علىٰ أنه صاحب خبرة وتجربة

(٩٥) الوصية المرقمة/82.

ودراية، حين يضع الخيطة والحذر نصب عيني قائده ويعرفه المسالك التي يجب عليه أن يسلكها فيقول[41]:

فإذا نزلتم بعدوٍّ، أو نَزَل بكُم، فلْيَكُنْ معسكَرُكُمْ في قبيل الأشرافِ، أو سِفاحِ الجِبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكونَ لكم رِدْءٌ، ودونَكُمْ مَرَدًّا، ولتَكُنْ مقاتَلَتُكُمْ من وجهٍ واحدٍ أو اثنينِ، واجعلوا لكم رُقباء في صياصِي الجبالِ، ومناكِبِ الهضابِ، لئلاّ يأتيكُمُ العَدُوُّ من مَكانِ مَخافَةٍ أو أَمْنٍ.

واعلموا أنَّ مُقَدِّمَةَ القومِ عيونُهُم، وعيونُ المقدِّمَةِ طلائعُهُمْ، وإياكم والتفرُّقَ، فإذا نزلْتُمْ فانزِلوا جميعاً، وإذا ارتحلتُم فارتحِلوا جميعاً، وإذا غَشِيَكُمُ الليلُ، فاجعلوا الرماحَ كفَّةً، ولا تَذُوقوا النَّومَ إلاّ غِراراً أو مَضْمَضَةً.

أما وصيته لابنه الحسن رضي الله عنه، فإنّه يحذره فيها الغرور، والاعتداد بالنّفس، فمنَ الغرور أن تكون داعياً إلى المنازلة، فهو يعتبر هذه الدعوة من البغي، وأنَّ البغيَ مصروع حتماً، فيقول[42]:

لا تدعُوَنَّ أحداً إلى المبارَزَةِ، وإن دُعِيْتَ إليها فأجِب، فإنَّ الداعِيَ إليها باغٍ، والباغي مصروع.

أما في العصر الأموي، فإنَّ وصايا الحرب تنقطع فيه، رغم كثرة الفتوحات التي حدثت، وتوسع الرقعة الإسلامية في هذا العصر، وربّما كانت وصايا الحرب موجودة غير أنني لم أقف عليها، حتى يأتي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فقد وقفت له على وصية حرب إلى أحد قادته، تختلف شكلاً ومضموناً عن وصايا العصر الذي سبقه، فقد استخدم الخليفة الأموي صيغة أخرى، فجعل من القائد تاجر الله لعباده لأنه سيحرز الغنيمة بعد الظفر، فإنّ التاجر الذكي لا يتجر حتى يستشعر الربح ويضمنه،

---

(41) الوصية المرقمة/83.

(42) الوصية المرقمة/69.

وإلاّ فإنه ينبغي عليه أن يحتفظ براس المال، خير له من الخسارة، فرأس مال القائد في الحرب هم الجند، وهم له بمثابة رأس المال عند التاجر، فليس صحيحاً ان يذهب القائد بالجند إلىٰ مواطن الردىٰ من حيث لا يحقق نصراً، ولا يحرز غنيمة، لمَ إنّه ينبهه إلىٰ حالة أخرىٰ قد تكون أكثر خطورة من الأولىٰ، فعلىٰ القائد أن لا تأخذه نشوة الظفر فينشغل بالغنيمة التي قد تكون خدعة عدوّ، يأتيه من ورائها سوء منقلب وزهق أرواح، وإذاً فلا يحق له أن يغنم قبل أن يحوز السلامة، ولعلَّ عبد الملك بن مروان قد أخذ عبرة من غزوة أُحُد التي حدثت في أيام رسول الله ﷺ، حين نزل المسلمون من الجبل لحيازة الغنيمة، فباغتهم المشركون وقتلوا منهم من قتلوا، فكانت درساً تاريخياً وظفه عبد الملك بن مروان لنفسه، وذكّر به قائده إذ يقول[٩٥]:

أَنتَ تاجِرُ اللّهِ لِعِبادِهِ، فكُنْ كالمضارِبِ الكَيِّسِ الذي إنْ وَجَدَ رِبْحاً تَجَرَ، وإلاّ احتفظ برأسِ المالِ، ولا تَطْلُبِ الغَنيمَةَ حتىٰ تحوزَ السَّلامة، وكُنْ من احتِيالِكَ علىٰ عدوِّكَ أشَدَّ خَوْفاً من احتِيال عَدُوِّكَ عَلَيْكَ.

أمّا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإننا قد ألمحنا إلى وصية حرب له اجتزأها الرواة بنصّها من وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي أوصىٰ بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما وجهه إلىٰ العزاق، واحسب أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز قد وجد من أهمية هذه الوصية، وما فيها سن خطة حرب عسكرية دقيقة ما جعله يستفيد منها، ويوصي بها قائده منصور بن غالب، إلا إذا كان قد وقع خلط بين الرواة في نسبة الوصية إلىٰ أحد العمربن رضي الله عنهما، وهذا ما أستبعده وقد أرىٰ أنّ هذه الوصية ألصق بعمر بن الخطاب رضي الله عنه منها بعمر بن عبد العزيز رحمه الله، وذلك لأهمية الحدث والظرف الذي قيلت فيه، فضلاً عن أنها هناك أطول سن هذه... والله أعلم.

ثالثاً: وصايا الخلفاء إلى ولاة الأمصار

يحتلُّ هذا القسم من أقسام الوصايا حيزاً كبيراً من وصايا الخلفاء في عصري الخلفاء الراشدين والأمويين، وأنَّ أهميته لا تقلّ عن أهمية القسمين اللذين سبقاه، لأنّ الوالي بمنزلة الخليفة، والناطق باسمه، في هذا المِصر أو ذاكَ، وأنّه ينبغي أن يتصرف على وفق هذه المسؤولية الخطيرة التي يتحملها، ولذلك وردت وصايا الخلفاء إليهم تحمل كثيراً من التحذير والتشديد والوعد والوعيد، فضلاً عن بسط الأمور بشيء من التفصيل والدقة المتزايدة.

وقبل أن نتعرض لوصايا الخلفاء الراشدين فإننا نجد لرسول الله ﷺ وصية أوصى بها معاذ بن جبل، وقد بعثه قاضياً ومرشداً لأهل اليمن.

إنَّ الأسلوب الذي اختاره رسول الله ﷺ لهذه الوصية يرتبط ارتباطاً مباشراً بالمنهج الإسلامي الجديد، الذي أراد النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام أن ينتهجه معاذ بن جبل، فقد توفرت الوصية على مجموعة من المحاور، استخدمت فيها الجمل القصيرة المركزة البليغة المؤثرة، التي يفصل بين محاورها في بعض الأحيان ياء النداء. يقول[43]:

يا معاذ، أوصيكَ بتَقْوَىٰ اللَّهِ العَظيمِ، وصِدْقِ آلحَديثِ، وأداءِ الأمانةِ، وترك الخِيانَةِ، وَخَفْضِ آلجارِ، وخَفْظِ الجَناحِ، ولينِ آلكَلامِ، ورَحْمَةِ آليتيمِ، والتُّفَقُّهِ في آلقُرآنِ، وحُبِّ الآخرة.

فقد جمع رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل كثيراً من الصِّيغ التي درج الدين الإسلامي الحنيف عليها، بأسلوب بليغٍ موجز العبارة، واضح القصد، لا يحتاج سامعه إلى تفسير غامض، ولا توضيح معنىً من المعاني، لأنَّ الكلام الموجه، لا يختص بالموصىٰ له حسب، بقدر ما هو تشريع إسلاميّ يلزم كافة المسلمين.

---

(43) الوصية المرقمة/1.

يا مُعاذُ، لا تُفْسِدْ أرضاً، ولا تَنْتَمْ مُسْلِماً، ولا تُصَدِّقْ كـاذِباً، ولا تَعْصَ إماماً عادِلاً.

يا معاذُ، أوصيكَ بِذِكْرِ اللّهِ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وحَجَرٍ، وأنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرَّ بالسِّرِّ، والعلانِيَةَ بالعَلانِيَةِ.

يا مُعاذُ، إنّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسي، وأكرَهُ لكَ ما أكرَهُ لِنَفْسي، يا مُعاذُ، إنّي لو أعلَمُ أنّا لو نَلْتَقي لَقَصَّرْتُ لَكَ مِنَ الوَصِيَّةِ، ولكنني لا أرانا نلتقي إلىٰ يوم القِيامة، يا معاذُ، إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ، مَنْ لَقِيَني يوْمَ القِيامَةِ علىٰ مِثْلِ الحالةِ التي فارقني عليها.

أما عصر الخلفاء الراشـدين، فإنَّ مثـل هذه الـوصايـا نجدهـا عند خليفتين منهم همـا عمـر بن الخـطاب وعلي بن أبي طـالب، رضي الله عنهما، ولم أجد وصية لوالٍ عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وربّما أعزو ذلك إلىٰ أنّ الأمصارَ في فترة خلافته لمّا تُمصَّر رسول الله ﷺ إلىٰ بعض الأماكن، لم يبدّل الخليفة أحداً منهم، بل أقرَّهم علىٰ أعمالهم، إلاّ من عزل نفسه منهم، ولذلك وجدنا له رضي الله عنه مجموعة كبيرة من وصايا الحرب، كما أننا يجب أن لا نُغْفِل أنَّ بدايات الفتح الإسلامي كانت في زمن خلافته.

ويأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنجد عنده أكثر من وصية، غير أننا رأيناها يختص بمن ولي البصرة حسب.

إنَّ أول رجل اختط البصرة ووليها هو عتبة بن غزوان، سنة 14 هـ، وقد كانت قبل ذلك تسمىٰ (الأُبُلّة) أو (أرض الهند).

تتحدث الوصية في بداياتها عن الوضع الجغرافي العام لهذه المدينة، وما يحيط بها من أراض لما يزل العدوّ مقيماً فيها، ولذلك نجد الخليفة ينبه واليه إلىٰ ما يجب أن يلحظه هناك، فيقول له[٤٩]:

(٤٩) الوصية المرقمة/٤٩.

يا عُتْبَةُ، إنّي قد آسْتَعْمَلْتُكَ على أرضِ الهِندِ، وهي حَوْمَةٌ من حَوْمَةِ العَدُوّ، وأرجو أنْ يَكْفِيَكَ اللّهُ ما حَوْلَها، ويعينُك عليها، وقَدْ كتبتُ إلى العَلاء بن آلحَضْرَميّ أنْ يُمِدَّكَ بهرثمة بن عرفجة، وهو ذو مُجاهَدَةٍ ومكايَدَةٍ للعَدُوّ، فإذا قَدِمَ عليْكَ فآستَشِرْهُ، وادْعُ إلى اللّهِ، فمن أجابَكَ فاقْبَلْ منه، ومَنْ أبى فالجِزْيَةُ، وإلاّ فالسيف.

ثمّ يأتي التحذير ليمسك بأطراف الوصية كلها، ويقف على رأسه تقوى الله وشدّة الخوف منه فيما ولي الوالي من أمر الناس، وبعده يشرع بالخطاب المباشر الذي ينزع إلى شيء من القسوة المعهودة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إقامة العدل، واحقاق الحق، فالأسلوب الذي استخدمه في أول وصية لأول والٍ جاء مُتْفقاً وطبيعة ما يريد الخليفة أن يكون عليه عتبة بن غزوان الذي سيقوم مقامه في هذه الأرض. فيقول:

واتّقِ اللّهَ فيما وَليتَ، وإيّاكَ أنْ تُنازِعَكَ نَفْسُكَ إلى كِبْرٍ ممّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إخْوَتَكَ، وقَد صَحِبْتَ رسولَ اللّهِ ﷺ ، فَعُزِزْتَ بهِ بعد الذِّلّةِ، وقَوِيتَ به بَعْدَ الضَّعْفِ، حتى صِرْتَ أميراً مُسَلّطاً، ومَلِكاً مُطاعاً، تقولُ فَيُسْمَعُ مِنْكَ، وتأمُرُ فَيُطاعُ أمْرُكَ، فيا لَها نِعْمَةً إنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فوْقَ قَدْرِكَ، وتُبْطِرْكَ على مَنْ دونَكَ.

إنّ الهدف الأساس الذي رمى إليه الخليفة في وصيّته هذه، هو نزوله إلى نفسية الموصى له، خشية أن يصيبها كِبر أو آستعلاء على الناس، فتطمح إلى حالة تكون فيها معصية للخالق عزّ وجلّ، أراد الخليفة أن يُبرىء نفسه منها ويُحَمِّلُها واليه، بعد أن نبّهه إلى مساوئها ومخاطرها، واستعاذ منها. حيث قال:

وآحتَفِظْ مِنَ النِّعْمةِ آحْتِفاظَكَ مِنَ المَعْصِيَةِ، ولَهِيَ أخوَفُهما عِنْدي

عَلَيْكَ أنْ تَستدرِجَكَ وتَخْدَعَكَ، فَتَسْقُطَ سَقْطَةً تَصيرُ بها إلى جَهَنَّمَ، أعيذُكَ بالله ونَفْسي من ذلك.

إنَّ الناسَ أسرَعوا إلى اللَّهِ حتّى رُفِعَتْ لهُمُ الدُّنيا فارادُوها، فارِدِ اللّهَ، ولا تُرِدِ الدُّنيا، واتَّقِ مصارِعَ الظّالمينَ.

أمّا أبو موسى الأشعري، فإنَّ له عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من وصيَّة، وهي من الوصايا الموجُّهة على شكل رسالة، أولاها يَرتبط بحدث على ما يبدو فقد يكون الوالي سبباً من الأسباب التي دَعَتْ إلى حدوث شيء من الإضطراب عند أهل البصرة، ولذلك نجد التَّوجه إليه مباشراً من الخليفة، كما نلمح ذلك لي مقدمة الوصيَّة وفي نهايتها أيضاً إذ يقول[45]:

أمّا بَعْدُ، فإنَّ للناسِ نَفْرَةً عَنْ سُلطانِهِمْ، فأعـوذُ باللَّهِ أنْ تُـدرِكَني وإيّاكَ غُمَيّاءُ مَجْهولَةٌ، وضَغائِنُ مَحْمولةٌ، وأهواءُ متَّبعةٌ، ودُنيا مُؤْثِرَةٌ، فاقمِ الحدودَ ولو ساعةً من نهارٍ، وإذا عَرَضَ لكَ أمرانِ أحَدُهُما للَّهِ، والآخرُ للدُّنيا، فآثِرْ نصيبَكَ مِنَ الآخِرَةِ على نصيبِكَ منَ الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا تَنْفَدُ، والآخِرَةُ تبقى، وكُنْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ على وَجَلٍ، وأخِفِ الفُسّاقَ، وآجعَلْهُمْ يداً يداً، ورِجلاً رِجْلاً.

إنَّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، لم يلتفت إلى المنزلـة التي عليها أبو مرسى الأشعري، وهو واحد من صحابة رسول الله ﷺ، وكان قد استعمله على زبيد وعدن، بقدر ما التفت إلى كونه بشراً قد تأخذه عاطفةً، أو يزيغُ به هوىً يؤثر فيه نصيبُه من الدّنيا، على حظه من الآخرة، فمن الخطأ أن يغلق الوالي بابه دون الناس، فيضيع عليه من أمرهم ما يضيع، إذ إنَّ من واجبه أنْ يتقصّى أخبارهم، ويتعاطف معهم فيما يصيبُهم من حلو

(45) الوصية المرقمة/50.

الحياة ومُرّها، وأن لا يتفضّل عليهم بشيء لا يصلون إلى مثله، لأنّ ذلك مدعاة لجلب التهمة على نفسه، ولذلك نجد الخليفة يشدّد على هذه الناحية تشديداً فيه شيء من التحذير المشوب بالقسوة المتزايدة، يقول:

وعُدْ مَرْضى المسلمينَ، وآشهَدْ جنائِزَهُمْ، وآفتَحْ بابَكَ، وباشِرْ امرَهُمْ بنَفْسِكَ وأَنْتَ آمِرٌ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ اللّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلاً.

وقَدْ بَلَغَ أميرَ المؤمنينَ أنَّهُ فشا لَكَ ولأهلِ بَيْتِكَ هيئة في لباسِك ومَطْعَمِكَ ومَرْكَبِكَ، لَيْسَ للمُسلِمينَ مِثْلُها، فإياكَ يا عَبْدَالله أَنْ تكونَ بمَنْزِلَةِ البهيمة التي مَرَّت بوادٍ خَصيبٍ، فلَمْ يكُنْ لها هِمَّةٌ إلاّ السِّمَنُ، وإنّما حَتْفُها في السِّمَنِ.

أمّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد رأيت له وصيّتين في هذا الباب، الأولى أوصى بها مالك بن الحارث الأشتر، وهي عهد طويل جداً، وقف فيه الخليفة على دقائق الأمور التي الحاكم، ودخل فيه إلى الجزئيات، فلم يترك له شيئاً مما يمكن أن يمرّ به إلاّ وذكره له، وقد تحدثت عن هذا العهد في سياق حديثي عن وصايا.

والوصية الثانية وصية قصيرة أوصى بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قيس بن سعد حين ولاه مصر.

استخدم الخليفة الأسلوب الموجز المركّز في وصيته، فأوجز له عمله كله في ثلاث جمل قصار، بعد أن قدّم بين أيديهن بمقدمة عن طبيعة مسير الوالي، فالإحسانُ إلى المحسن والاشتداد على المريب، والرِّفق بالرعية هي جماع أمر الحاكم، وتندرج تحته كل الأمور التي قد تمرّ في طريقه. يقول[46]:

سِر إلى مصر، فقد وَلَّيْتُكَها، وآخرُجْ إلى رَحْلِكَ، وآجمَعْ إلَيْكَ ثِقاتِكَ

(46) الوصية المرقمة/88.

ومن أحْبَبْتَ أنْ يَصْحَبَكَ حتىٰ تأتِيَها ومَعَكَ جُنْدٌ، فإن ذلك أرْعَبُ لِعَدُوِّكَ، وأعَزُّ لِوَلِيِّكَ، فإذا أنْتَ قَدِمتَها إن شاءَ الله فأحسِنْ إلىٰ المُحْسِنِ، واشتَدَّ علىٰ المريبِ، وارفُقْ بالعامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ.

ويأتي عصر الدولة الأموية ليحمل لنا بعض وصايا الخلفاء إلى الولاة، وأول ما يطالعنا منها، وصية معاوية بن أبي سفيان إلىٰ عمرو بن العاص لمّا وجهه إلىٰ مصر.

فعلىٰ الرغم من قِصَر الوصية، وقِصَرِ تراكيبها الجملية أيضاً، فإنها حملت لنا وصية رجل داهية وخبير، فهو يريد من عمرو بن العاص أنْ يُغَلِّبَ العقل علىٰ العاطفة، وأن لا يتعجّلَ أمراً قبل التثبت منه، فيقول[٩٢]:

أوصيكَ يا عمرو بتقوىٰ الله، والرِّفْقِ، فإنَّهُ يُمْنٌ، وبالمَهَلِ والتُّؤَدَةِ، فإنَّ العَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطانِ، وبأنْ تَقْبَلَ مِمَّن أقْبَلَ، وأنْ تَعْفُوَ عَمَّن أدْبَرَ، فإنْ قَبِلَ فبها ونِعِمَتْ، وإنْ أبَىٰ، فإنَّ السَّطْوَةَ بَعْدَ المعذِرَةِ أبْلَغُ في الحُجَّةِ، وأحْسَنُ في العاقِبَةِ.

إنَّ رغبةَ الخليفة في جمع الكلمة، ولم الصفوف، تظهر واضحة في وصيته، كما أنَّ دفع العقوبة بإيجاد العذر مما أوصىٰ به، إلا إذا لم يَرْعَوِ المذنبُ، فعند ذلك ستكون العقوبة أبلغ في الحجة.

وادْعُ النَّاسَ إلىٰ الصُّلْحِ والجماعَةِ، فإذا أنْتَ ظَهَرْتَ، فلْيَكُنْ أنصارُكَ آثَرَ النَّاسِ عِنْدَكَ، وكُلُّ النَّاسِ فأوْلِ حَسَناً.

أمّا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فإنَّه يتَّجِهُ في وصيّته التي أوصىٰ بها سلم بن زياد حين ولاه خراسانَ اتجاهاً آخر، غلب عليه طابع التحذير المباشر الذي أشرَبَه شيئاً مِن القسوة.

---

(٩٢) الوصية المرقمة/٩٤.

بدأها بتذكير سلم بأبيه الذي كانَ عضواً مساعداً لمعاوية بن ابي سفيان، وهكذا اراد لسلم ان يكونَ له، كما انَّ اللهجة التي استخدمها في وصيته، اختلفت عن وصية أبيه لعمرو بن العاص، فلم يوصه بالناس، ولا بتعامله معهم، كما الفينا ذلك عند الموصين السابقين، ولكنه أوصاهُ بنفسه من حيث انَّ صلاحها صلاح الناس، كما انَّ التهديد قد أخذ شطراً كبيراً منها، حيث يقول[٩٥]:

إنَّ أباكَ كَفَى أخاهُ عَظيماً، وقَدِ آستَكفَيْتُكَ صغيراً، فلا تَتَكِلَنَّ على عُذْرٍ مِنِّي لك، فقَدِ آتَّكَلْتُ على كِفايةٍ مِنْكَ، وإيَّاكَ مِنِّي قَبْلَ أنْ أقولَ إيَّايَ مِنْكَ، فإنَّ الظنَّ إذا أخْلَفَ مِنِّي فيكَ، أخْلَفَ مِنْكَ فِيَّ، وأنتَ في أدنى حَظِّكَ، فآطلُبْ اقصاهُ، وقَدْ أتعَبَكَ أبوكَ، فلا تُريحَنَّ نَفْسَكَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ لكَ، وآذكُرْ في يومِكَ أحاديثَ غَدِكَ، تَسْعَدْ إن شاء الله.

وتأتي وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز بن مروان حين وجهه إلى مصر والياً عليها لتحمل لنا جملة من الأمور، يبدأها بعماله، أن لا يؤخر عنهم عطاءً يستحقون، كي تجب طاعتهم له، ويحذره الكذب على الوعية فلا يصدقونه بعدها، ثم مشاورة الجلساء عند اشتداد أمرٍ من الأمور، ولا يطلق حكماً وهو في سورة الغضب، وأن يتخذ أهل الحسبِ والمروءة والدين أصحاباً وجلساء، ويعرف لهم قدرهم ومنزلتهم فيقول[٩٦]:

أي بُنَي، أنظُرْ إلى عُمّالِكَ، فإنْ كانَ لَهُمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غُدْوَةً، فلا تُؤخِّرْهُ إلى عشيَّةٍ، وإن كانَ لَهُمْ عَشِيَّةً، فلا تُؤخِّرْهُ إلى غُدْوَةٍ، وأعْطِهِمْ حُقوقَهُمْ عند مَحَلِّها تَسْتَوْجِبْ بذلك الطاعةَ منهم.

وإياكَ أنْ يَظْهَرَ لرَعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذِبٌ، فإنَّهم إنْ ظَهَرَ لَهُمْ كَذِبٌ لَمْ يصدِّقوكَ في الحقِّ، وآستَشِرْ جُلَساءَكَ وأهْلَ العِلْمِ، فإنْ لَمْ يَستَبِنْ لَكَ فاكتُبْ إليَّ يأتِكَ رأيي فيه إنْ شاء الله تعالى.

(٩٥) الوصية المرقمة/٩٤.

وإنْ كانَ بكَ غَضَبٌ على أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ، فلا تؤاخِذْهُ فيه عند سَوْرَةِ الغَضَبِ، وآحبِسْ عنه عُقوبتَكَ حتىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ... الوصية.

أمّا عبد الملك بن مروان، فقد وردت وصيته أخاه عبد العزيز بن مروان لمّا ولاه مصر، فيها شيء من اختلاف الصيغة والتوجه، فَبَسْطُ الوجه، والتعامل باللين والرفق الذي شايع بهما بعض الخلفاء، زاد عليهما صيغة جديدة، هي وصاته أخاه بالحاجب، الذي يأذن علىٰ الخليفة، فقد نبهه إلىٰ أن يختاره من خيرة أهله، لأنه وجهه ولسانه، وأنَّ سيِّئَهُ سيعود علىٰ الوالي، وحسنه سَيُرَدّ عليه، كما يوصيه أن لا يُدْخل أَحَداً إلا بإذنه، وثمة جانب آخر ورد في وصيته، وافق به أباه فيه، فقد أكّد علىٰ المشاورة، كما أكّد له عدم معاقبة أحدٍ ساعة الغضب، لأنَّ في تأخيره دفع شبهة، وإثبات حقيقة يقول:

إبسط بِشْرَكَ، وألِنْ كَنَفَكَ، وآثِرِ الرِّفْقَ في الأُمورِ، فإنَّه أَبْلَغُ بكَ، وآنظُرْ حاجِبَكَ، فلْيَكُنْ من خَيْرِ أَهْلِكَ، فإنَّهُ وَجْهُكَ ولِسانُكَ، ولا يَقِفَنَّ أَحَدٌ ببابِكَ إلاّ اعْلَمَكَ وكأنَّهُ، لِتَكونَ أَنْتَ الذي تأذَنُ لهُ أو تَرُدُّهُ... الوصية.

وتأتي وصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض الأجناد لتختتم هذا القسم من أقسام الوصية، فإننا نجدها تنقطر حكمة، وتمتلئ تذكيراً بالله عزّ وجل، وتنبعث منها أثارة علم يريد الخليفة أن يوظفه عامله إلىٰ عمل يرضي به خالقه قبل الناس، فقد اتُّخِذَ الوعظ، والتذكير بالآخرة وترك الدنيا متّسعاً.

إنَّ مجموعة المحاور التي توفرت عليها هذه الوصية التي أخذ منها الطول مأخذه لا تختلف كثيراً عن الهدف الأساس الذي اختطه عمر بن عبد العزيز رحمه الله لنفسه وأراده لمن سيتحمل المسؤولية معه، فكل وصاياه تنهد إلىٰ تعلق المخلوق بالخالق سبحانه وتعالىٰ، وعلاقته به، بما يقدمه من عمل صالح يرفع درجته، ويوصله إلىٰ رضاه والابتعاد عنَ العمل السيِّء

الذي يؤدي إلى سخط الله عزّ وجلّ، وتظل الوصية تسير بهذا الاتجاه إلى نهايتها باختلاف الصيغة التركيبية للجملة، وتعدد المحاور فيها، يقول[51]:

أمّا بعد: فإنّي أُوصيكَ بتقوىٰ الله، ولزومِ طاعَتِه، والتَّمَسُّكِ بأمرِهِ، والمعاهَدَةِ علىٰ ما حَمَلَكَ اللّهُ عزّ وجَلّ من دينِهِ، واسْتَحْفَظَكَ من كتابِهِ، فإنّ بتَقْوىٰ اللّهِ عزّ وجَلّ نجاة أولياءِ اللّهِ عزّ وجلّ مِنْ سُخْطِهِ، وبها تَحُقُّ لَهُمْ ولايَتُهُ، وبها رافَقُوا أنبياءَهُ، وبها نَضُرَتْ وُجوهُهُمْ، ونَظَروا إلىٰ خالِقِهِمْ، وهي عِصْمَةٌ في الدُّنيا من الفِتَنِ، والمخرَجُ من كُرَبِ يومِ القِيامَةِ، ولَنْ يُقْبَلَ مِمَّنْ بَقِيَ إلا مِثْلَ ما رَضِيَ به عَمَّنْ مَضىٰ، ولِمَنْ بَقِيَ عِبْرَةٌ فيمَنْ مَضىٰ، وسُنَّةُ الله عَزَّ وجَلّ فيهم واحدة... الوصية.

وثمة وصايا أخرىٰ أوصىٰ بها الولاة عمالهم، حين وجهوهم إلىٰ الأمصار التي تقع ضمن ولايتهم، ويقف علىٰ رأسها وصية زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه) يقول عنها الرواة إن زياد كان يوصي بها من يولّيه عملاً، فإنّ زياداً لا يرضىٰ لعامله أن يكون اميناً ضعيفاً، ولا قوياً خائفاً، ولا ضعيفاً خائناً، لأن واحدة من هذه الخلال قد تجرّ إلى نقيصة، وتحدث خللاً واضطراباً، ربما ينسحب علىٰ الوالي، ولذلك نجده يشترط عليه القوة والأمانة، وبهما يرفع ذكره، ويكثر ماله، ويزاد في قدره، وتحسن سريرته وسيرته بين الناس يقول:

خُذْ عَهْدَكَ، وسِرْ إلىٰ عَمَلِكَ، واعْلَمْ أنّكَ مَصْروفٌ رأسَ سَنَتِكَ، وأنّكَ تصيرُ إلىٰ أرْبَعِ خِلالٍ، فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ.

إنّا إنْ وَجَدْناكَ اميناً ضعيفاً استَبْدَلْنا بِكَ لِضَعْفِكَ، وسَلَّمْتُكَ مِن مَعَرَّتِنا أمانَتَكَ، وإنْ وَجَدْناكَ قوِيّاً خائِناً استَهَنّا بِقُوَّتِكَ، واحْسَنّا علىٰ خِيانَتِكَ أدَبَكَ، وأوجَعْنا ظَهْرَكَ، وثَقَّلْنا غُرْمَكَ، وإنْ جَمَعْتَ عَلَيْنا الجُرْمَيْن، جَمَعْنا

(51) الوصية المرقمة/114.

عَلَيْكَ ٱلمضَرَّتينِ، وإنْ وَجَدْناكَ اميناً قوّياً زِدْنا في عَمَلِكَ، ورَفَعْنا ذِكْرَكَ، وكثّرنا مالَكَ، وأوطانا عَقِبَكَ.

وعمر بن هبيرة في وصاته مسلم بن سعيد لما وجهه إلى خراسان، نلمح صيغة أخرى غير التي ألفناها عند الخلفاء والولاة، فنراه يؤكد على اختيار ثلاثة رجال لمعاونته وأن يكون دقيقاً في اختيارهم، لأنّ بهم يسود الأمن ويطمئن الناس، الحاجب، وصاحب الشرطة، والرجل العالي الهمة والشرف، ثم يقدم لكل اختيار سببه فيقول[53]:

أوصيكَ بثلاثةٍ، خاجِبِكَ، فإنّه وَجْهُكَ ٱلذي به تلقىٰ النّاسَ، إن احْسَنَ فأنتَ المُحْسِنُ، وإنْ أساءَ فأنتَ المسيءُ. وصاحِبِ شُرْطَتِكَ، فإنّهُ سَوْطُكَ وسَيْفُكَ، حَيْثُ وَضَعْتَها فَقَدِّرْ ضِعَتَها، وعُمّالِ القَذْرِ، قال: وما عُمّال القَذْرِ؟ قال: أنْ تَخْتَارَ مِن كُلِّ كَورَةٍ رجالاً لِعَمَلِكَ، فإنْ اصابوا فَهُوَ الذي أرَدْتَ، وإنْ أخْطَأوا فهُمْ المُخْطِئون، وأنتَ المصيبُ.

ثم تاتي وصية يزيد بن المهلب، فتسلك طريقاً آخر غير الذي عهدناه عند زياد بن أبيه، وعمر بن هبيرة، إذ إن يزيد بن المهلب لم يبعث عاملاً إلى كورة من الكور فيوصيه، ولكنه استخلف ابنه مخلداً على جرجان ليكون وكيلاً عنه حين طلبه عمر بن عبد العزيز، ولذلك جاءت الوصية تحمل شيئاً من التفصيل المتزايد، فقد قدم بين يدي الوصية بمقدمة عرّف فيها ابنه بالقبائل الساكنة في جرجان، وطلب إليه أن يعرف لكلّ قدره ومنزلته.

إنّ ليزيد بن المهلب على ما يبدو صنائع كثيرة في هذا البلد، وقد خشي من ولده أن يضيعها، فطفق يحذره من سفك الدماء، وشتم الأعراض، وإيذاء الناس، وأن لا يغلب عليه هوًى في استعمال رجل، ولا

(53) الوصية المرقمة/183.

يعزل أحداً عن منصبه إلا عن عجز أو خيانة، ولا يمتنع عن اصطناع رجل لأنّ غيره قد سبقه إليه، إلى غير ذلك من الأمور التي يريد الوالد أن يتصرف الولد على وفقها، يقول في وصيته[54]:

يا بُنَيّ، إنّ لأبيكَ صنائعَ فلا تُفْسِدْها، فإنه كَفَى بالمرءِ نَقْصاً أن يهْدِمَ ما بنى أبوه.

وإياكَ والدِّماءَ، فإنّها لا بَقِيَّة مَعها، وإيّاكَ وشَتْمَ الأعراضِ، فإنّ الجُرَّ لا يُرضيهِ عَنْ عِرْضِهِ عِوَضٌ، وإيّاكَ وضَرْبَ الابشار[55] فإنّه عارٌ باقٍ، ووِتْرٌ مطلوبٌ.

واستعمل على النَّجْدَةِ دونَ الهوى، ولا تَعْزِلْ إلاّ عَنْ عَجْزٍ أو خِيانةٍ، ولا يَمْنَعَنَّكَ من اصطناعِ الرِّجالِ أنْ يكونَ غَيْرُكَ قد سَبَقَكَ إليهِ، فإنّكَ إنّما تصطنعُ الرِّجالَ لِفَضْلِها، ولْيَكُنْ صَنيعُكَ عِنْدَ مَنْ يُكافِئُكَ عنه العشائِر.. الوصية.

رابعاً: وصايا الآباء للأبناء

لم تكن وصايا العصر الإسلامي لتختلف اختلافاً كثيراً من حيث الإطار العام والهدف الذي وضع الموصي وصيته التي اختصّ بها أبناءه، عنه في العصر الذي سبقه، فقد أنشأ الآباء في كلا العصرين وصاياهم بأسلوب تربوي بحت، أرادوا به أن يصير الأبناء إلى صيغة تعامل تُشَدُّ به الأواصر، وترتبط به العُرى، مبتعدين بهم عن كلّ حالة صعبة من حالات حياتهم المعاشة.

غير أنّ شيئاً من التطور الملحوظ قد حصل على الوصية في العصر

(54) الوصية المرقمة/203.
(55) الأبشار: من البشر بفتحتين وهو الإنسان ذكراً او انثى واحداً او جمعاً.

الإسلامي، إذ آرتبطت بالصيغة الإسلامية الجديدة ارتباطاً وثيقاً، وحملت معها تعلق المخلوق بالخالق، وتمهيد الطريق أمام الإنسان كي يصل إلى الله عزَّ وجلّ.

ورغم أننا وجدنا عند بعض الموصين من رجالات العصر الجاهلي ما يذكر الأبناء وغيرهم بتقوى الله سبحانه وتعالى، وبعض إشارات التوحيد التي تخللت بعض وصاياهم، إلا أنها لم تكن ذات هدف محدد واضح، ومنهج تشريعي متكامل كالذي ورد في النظام الإسلامي الجديد، فقد آرتبط هذا القسم كغيره من أقسام الوصايا، بهذا النظام، ووضع الموصون وصاياهم على هدي هذا المنهج، وآختطوا لأبنائهم طريقاً يدفع بهم إلى تعامل أمثل، ارتضاه الآباء لأنفسهم، ورضوه لأبنائهم.

إنَّ أول وصية آب لبنيه وردت في هذا الجزء من أجزاء الكتاب لقيس بن عاصم المنقري، أحد أمراء العرب الموصوفين بالحلم والشجاعة، واحد الذين حرَّموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية، الذين تحدثت عنهم في الجزء الذي سبق هذا.

يكاد القارئ يشمُّ من بدايات الوصية ما ذهب إليه الموصون الجاهليون، من حيث الأسلوب، والمنهج، والتركيبة الجملية فتراه يحمل أبناءه على طاعة الأكبر منهم، ويقدم التبرير والحجة التي جعلته يذهب هذا المذهب، لم يأتي التحذير من معصية الله سبحانه وتعالى، وصلة الرحم، وطاعة الأمير، لينهي القسم الأول من أقسام الوصية فيقول:

يا بَنِيَّ، خذوا عَنِّي، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منِّي، إذا دَفَنْتُموني، فآنصَرِفوا إلى وحالِكُمْ، فسَوِّدوا أكبرَكُمْ، فإنَّ القَوْمَ إذا سَوَّدوا أكبرَهُمْ خَلَفُوا أباهُمْ، وإذا سَوَّدوا أصغَرَهُمْ آزدَرَى ذلك بهِمْ في أكفائِهِمْ، وإياكُمْ ومَعْصِيَةَ اللّهِ، وقَطيعَةَ الرَّحِمِ، وتَمَسَّكُوا بطاعَةِ أُمَرائِكُمْ، فإنَّهُمْ مَنْ رَفَعُوا آرتَفَعَ، ومَنْ وَضَعُوا آتَّضَعَ.

إنَّ قيس بن عاصم، وما مرَّ به من سابق تجربة، جملته يرتفع بأبنائه إلى مواطن الآباء والرفعة، ويريد لهم العزّة والشمم، وإنّ استصلاح المال عنده، من المسائل التي تدفع عنهم غوائل الأيام السّود، وتبتعد بهم عن مسألة الناس، لأنَّ المسألة من شرّ ما يتكسب به المرء، لما ينسحب معها من إراقة ماء الوجه، وما يرافقها من مَذلة، حتى وإن أعطي السائل.

وعَلَيْكُمْ بهذا المالِ فأصلِحوهُ، فإنَّهُ مَنْبَهَةٌ للْكَرِيمِ، وجُنَّةٌ لِعِرْضِ اللئيم، وإيّاكُمْ والمسألةَ، فإنَّها آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ، وأنَّ أحَداً لَمْ يسألْ إلاّ تَرَكَ الكسب.

وتدخل الصيغة الإسلامية لتربط قديم الوصية بجديدها، وتمسك بطَرَفيها، إذ إنّ الرجل قد اقترب أجله، وهو على فراش الموت، وإنّ النياحة على الميت من الصيغ التي نهى عنها الإسلام، فلا بُدَّ إذاً أنْ ينهى عنها، ويحذر منها:

وإيّاكُمْ والنِّياحَةَ، فإني سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ ينهى عَنْها، وادفنوني في ثيابي التي كُنْتُ أُصَلّي فيها واصوم.

إنَّ الدين الإسلامي لما يزل في بواكيره، وأنّ بعض العادات والتقاليد الموروثة لمّا تزل قائمة في نفوس الناس، التي أفرزتها المنازعات القديمة بين القبائل، وأفرزت معها خماشات وثارات ظلت قائمة حتى ورد النهي الشديد عنها، ووضعها الإسلام تحت قدمه، فقد كانت للموصي منازعات مع قبيلة بكر بن وائل، وما برحت تلاحقه وهو على فراش الموت، فما كان منه إلا أن يطلب إلى أبناته أن يخفوا قبره عنهم، كي لا يلحقه وبنيه شيء من العار إذا نبشوه:

ولا يَعْلَمْ بكرُ بنُ وائل بمَدْفَني، فقَدْ كانَتْ بَيْني وبينَهُمْ مشاحَناتٌ في الجاهلية والإسلام، وأخافُ أنْ يدخلوا عليكم بي عاراً.

لقد آتخذ قيس بن عاصم في نهاية وصيته من الحياة ثلاثة مواقف، فحَذّر من ملابسة العرق اللئيم، وحذّر من بني الأعداء، لأنهم على منهاج آبائهم، وطلب كظم الغيظ، ولكلٍّ قدم سبباً.

خُذُوا عنّي ثلاثَ خِصالٍ، إيّاكُم وكُلّ عِرْقٍ لئيمٍ أنْ تُلابِسوهُ، فإنّه إنْ يَسُرّكُمْ اليومَ، يَسُؤْكُمْ عداً، وآكظُموا الغَيْظَ وآحذَروا بَني أعْداءِ آبائِكُمْ، فإنّهُمْ على مِنْهاجِ آبائِكُمْ ثم أنشدَ:

أحْيا الضَّغائِنَ آباءٌ لَنا سَلَفُوا فَلَنْ تَبيدَ ولِلآباءِ أبناءُ

وثمة وصية أخرى، ذهب بها الموصي مذهباً بعيداً، وهدف من ورائها إلى المنزلة التي ينبغي أن يكون عليها المرء من حيث معرفته قدره، وهي وصية تندرج تحت آداب المجالسة، وبخاصة مجالسة السلطان، فهو يرى أن يتخذ المرء حالة وسطاً بين إكثار الزيارة والقطيعة، فإن مقامات الناس عند السلطان تتباين، ومنزلتهم تختلف، فإذا ما دعت الرجل حاجة إلى مجالسته، فليجعل بينه وبينه مجلس رجل أو رجلين، وقيس بن عاصم في هذه المسألة كان بعيد النظر، حين قدّم التبرير المنطقي المقنع والمعقول، الذي تكون فيه عزة نفس المرء. حيث يقول[57]:

لا تَغْشَ السُّلطانَ حتّى يَمَلُّكَ، ولا تَقْطَعْهُ حتى يَنْساكَ، ولا تَجْلِسْ لَهُ على فراشٍ، ولا وسادٍ، وآجعل بَيْنَكَ وبينَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ أو رَجُلَيْنِ، فإنَّهُ عَسى أنْ يأتيَ مَنْ هو أولى بذلك المجلسِ مِنْكَ؛ فتُقامُ لَهُ، فيكونُ قيامُكَ زيادَةً لَهُ، ونَقْصاً عليك.

والذي يبدو أنّ هذه المسألة، كانت من المسائل الشائعة، فقد حكاها كعب الأحبار في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكرها الأحنف بن قيس في مجلس معاوية بن أبي سفيان، رغم اختلاف التراكيب الجملية، واختلاف نسبة الوصية(*).

(*) أوردنا ما يشبهها في وصايا لقمان بالجزء الأول من هذا الكتاب. وانظر أيضاً الوصية المرقمة/190 وتخريجاتها في هذا الجزء.

وتأتي وصايا الآباء للأبناء تترى، ركلها تربط ما بينهما برباط وثيق، حدّدته المبادئ الإسلامية ﴿ووصّينا الإنسانَ بوالديه حُسناً﴾، إذ إنَّ الصلة الحميمة، والإشفاق، والحرص الشديد الذي ينشده الآباء لأبنائهم، جعلهم يخلصون النيّة، ويتّجهون إليهم بعصارة الفكر الإنساني الخلاق الذي أوردته هذه المبادئ السامية، من حيث لا يعدم وجود كثير منها عند الموصين السابقين على الدعوة الإسلامية.

إنَّ ارتباط المخلوق بالخالق، من الصيغ التي أكّدها الموصون في وصاياهم أبناءهم، لأنَّ انعدام الصلة بين المرء وبين الله عزَّ وجلّ يؤدي إلى ضياع، والذي جاء به محمد ﷺ من عند ربّه، هو الذي يرفع الخسيسة، ويتمّ النقيصة.

فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصاته ولده عبدالله، يجعل تقوى الله سبحانه وتعالى كفاية عن كلّ شيء، لأنّ فيها جلاء البصر، وعمادَ القلب والظهر، كما أن العمل بإخلاص النية، واحتساب الأجر على الله جلّ وعلا هو غِنى الحاضر، وذخر ما يستشرف من آخِرَة دائمة، فيقول[58]:

أمّا بعد: فإنّه مَنِ اتّقى اللّهَ وقاهُ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ شكر لَهُ زادَه، ومَنْ أقْرَضَهُ جَزاهُ، فاجعلِ التّقوى جِلاءَ بَصَرِكَ، وعِمادَ ظَهْرِكَ، فإنّه لا عَمَلَ لِمَنْ لا نِيَّةَ لَهُ، ولا أَجْرَ لِمَنْ لا حَسَنَةَ لَهُ، ولا جَديدَ لِمَنْ لا خَلَقَ له.

إنَّ خصال الإيمان التي حَدَّدها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولده عبدالله، وهو في آخر عهده بالدنيا، جاءت بمثابة تبليغ له، وتبرئة ذمة الموصي للموصى له، كما أنَّ خشية الأب على ابنه أن ينزلق في مَتاه الحياة المتشعب، جعله يحرص كُلَّ الحرص على تقديم أمثل الصيغ، وخصال الإيمان الست التي حددها له، هي التي ارتآها الوالد الحدب المشفق صيغاً مثلى، حيث يقول[59]:

عَلَيْكَ بِخِصالِ الإيمان، قال: وما هُنَّ يا أبه؟ قال:

الصَّوْمُ في شِدَّةِ أيامِ الصَّيْفِ، وقِتالُ الأعداءِ بالسَّيْفِ، والصبرُ على المصيبة، وإسباغُ الوُضوءِ في اليومِ الشاتي، وتَعجيلُ الصَّلاةِ في يومِ الغَيمِ، وتَرْكُ رَدْغَةِ الخَبالِ. قال: وما رَدْغَةُ الخَبالِ؟ قال: شرب الخمر.

والذي يبدو أن الولد قد التزم وصايا أبيه، وزاد عليها ما أشربه الإسلامُ وتعاليمه، حتى جعله يُفتي في الإسلام ستين سنة، ويقولون عنه: إنه رجل قد وَقَذَه الورع، وأنه ليس له نظير في زمانه.

أمّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنَّ وصاياه لأبنائه كثيرة، وبخاصة وصاياه إلى ولده الحسن، الذي هو أكبر ولده وأهمهم، فقد اختصَّهُ بثمان وصايا طويلة.

إنَّ طابع الوعظ المتزايد، والإرشاد، والتوجه الديني، هو الذي يُمَيِّز جملة الوصايا التي وردتنا عنه، كما أنَّ تجاربه في الحياة من خلال كثرة الأحداث التي عايشته جعلته يتخذ موقفاً يبتعد به عن الدنيا، وأنّه أراد لهذا الموقف أن ينسحب على بنيه جميعاً، يقول في إحدى وصاياه لابنه الحسن(60):

يا بُنَيَّ، ما شرٌّ بَعْدَهُ الجَنَّةُ بشَرٌّ، ولا خَيْرٌ بَعْدَهُ النارُ بِخَيْرٍ، وكُلُّ نَعيمٍ دونَ الجَنَّةِ مَحقورٌ، وكُلُّ بَلاءٍ دونَ النارِ عافيةٌ.

كما أنَّ التركيبة الجملية التي وردتنا في أغلب وصاياه، تنزع إلى الحكمة، وأنَّ الذي ألمحه في وصاياه رضي الله عنه، يجعلني أذهب إلى أنه أفاد كثيراً من مقولات وخطب ووصايا حكماء العرب في الجاهلية، وبخاصة أكثم بن صيفي، الذي وظَّف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعض أمثاله، لخدمة غرض من أغراض وصاياه بعد أن

(60) الوصية المرقمة/63.

أضاف إليها روحاً إسلامياً جديداً، وبعث فيها دفقاً لغوياً حيًّا مؤثراً، فضلاً عمّا نلمحه عنده من وصايا الموصين الآخرين غير أكثم، يقول من وصية لابنه الحسن[61]:

إعْلَمْ يا بُنَيَّ أنَّهُ مَنْ عَيَبَ نَفْسَهُ، شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِه، ومَنْ رَضِيَ بقَسْمِ اللّهِ لم يَحْزَنْ على ما فاتَهُ، ومَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ قُتِلَ به، ومَنْ حَفَرَ لأخيهِ بئراً وقَعَ فيها، ومَنْ هَتَكَ حِجابَ أخيهِ انكشَفَتْ عَوْراتُ بنيه، ومَنْ نَسِيَ خطيئَتَهُ استعظَمَ خطيئَةَ غَيْرِهِ، ومَنْ كابَدَ الأمورَ عُطِبَ، ومَنِ اقتَحَمَ البِئْرَ غَرِقَ، ومَنْ أعْجِبَ برأيهِ ضلَّ، ومَنِ استغنى بعَقْله زَلَّ، ومَنْ تكبَّرَ على الناسِ ذَلَّ، ومَن سفِهَ عليهم شُتِمَ، ومَنْ سَلَكَ مسالِكَ الشرِّ اتُّهِمَ، ومَنْ خالَطَ الأنذالَ حُقِرَ، ومَنْ جَالَسَ العُلماء وُقِرَ، ومَنْ مَزَحَ استُخِفَّ به، ومَنْ أكثر من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَياؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَياؤُهُ ماتَ قَلْبُهُ، ومَنْ ماتَ قَلْبُهُ دخل النارَ[62].

إنَّ اهتمامَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بابنه الحسن، يظهر واضحاً في إحدى وصاياه، وربَّما جاء اهتمامه به لما عرف عنه من عقل راجح، وبصيرة ثاقبة، وحلم، وأناة، وحبّ للآخرة، قد تزيد عمّا عند إخوته، وإن كانوا كلهم أتقياء ومحمودي السيرة والخلق، غير أنه كان أكبرهم سناً، وأفصحهم مقالاً، يقول من وصية له[63]:

ووَجَدْتُكَ بَعْضِي، بل وَجَدْتُكَ كُلِّي، حتى كأنَّ شيئاً لو أصابَكَ أصابني، وكأنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني، فعناني مِنْ أمرِكَ ما يعنيني من أمرِ نَفْسي.

---

(61) الوصية السابقة.

وتكاد وصاياه رضي الله عنه لابنه الحسن، وغيره من أبنائه، تتخذ ذات المنهج الذي حكيناه، وخلاصته الوعظ والإرشاد، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، وترك الدنيا الفانية باعتبارها طريقاً يوصل إلى الآخرة، فالتمسك بها ضلالة والابتعاد عنها عافية. وإنَّ تقوى الله سبحانه وتعالى هي خير زاد، وأفضل معاد.

ويأتي الحسن بن علي رضي الله عنه، فنجد عنده وصية إلى آبنه، أراد من خلالها أن يبرئ ذمة ولده مما يعلق بها من آثار الدنيا، فلا يريد أن يترك وراءه شيئاً من متاعها إرثاً إلى غيره، لأن الوارث في رأيه أحد رجلين، إما رجل ينفق ما ورث في معصية الله سبحانه وتعالى، فيكون الموروث عنه هو الذي شجَّعَهُ على المعصية، وإما رجل أنفق ما ورث في طاعة الله عزّ وجلَّ فيكون قد سعُدَ بما شقي به غيرهُ، حين سلك به هذا المسلك المحمود، حيث يقول(64):

يا بُنَيَّ، لا تُخَلِّفْ وراءَكَ شيئاً مِن الدُّنيا، فإنَّكَ تُخَلِّفُهُ على رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ عَمِلَ بطاعَةِ اللَّهِ تعالى، فسَعُدَ بما شقيتَ به، ورَجُلٍ عَمِلَ بمَعْصِيتِه، فكنتَ عَوْناً لَهُ على ذلك، وليس أَحَدٌ بحَقيقٍ أَنْ تؤثِرَه على نَفْسِكَ، أَغْبَنُ الغَبنِ كَذْلكَ فيما نَفْعُهُ لغَيْرِكَ.

أمّا عصر الدولة الأموية، فإنَّ سياقات الوصية فيه، جاءت ذات طابع مختلف بعض الشيء عن النهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فإنَّ التوجه إلى التوفيق بين معطيات الحياة الدنيا وطلب الآخرة يظهر بوضوح في وصاياهم، إذا استثنينا من ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

---

(64) الوصية المرقمة/141.

لم أقف على وصايا آباء إلى الأبناء عند الخلفاء الأمويين الأوائل، غير التي تحدثت عنها في وصايا الخلفاء إلى من يلي الأمر بعدهم، وقد تكون مثل هذه الوصايا موجودة، ولم أستطع العثور عليها، حتى نصل إلى عهد عبد الملك بن مروان، الذي ذكر له النقلة ثلاث وصايا قصار موجهة إلى أبنائه، حثّهم في الأولى على طلب الأدب، فإمّا أن يكون حرفة تكسبهم مالاً، وإلاّ فإنه زين لهم، وجمال في المجالس، ودفعهم في الثانية إلى بذل المعروف، وكفّ الأذى، والعفو عند المقدرة، وحذّرهم البخل، لأنَّ مَنْ ضَيَّق على الناس ضَيَّق الله عليه، ومن أعطى أخلف الله له، أما الثالثة، فإنَّ فيها تأكيداً على التمسك بالحسب، وأنّ الحفاظ عليه ببذل الأموال، وصيانته بالعطاء، وقد تخلل هذه الوصية استشهادان من الشعر، أحدهما بيت للأعشى، والآخر لزهير بن أبي سلمى، فيقول[65]:

يا بَني عَبْد المَلِك، أَحْسابَكُمْ أحسابَكُمْ، صونوها بِبَذْلِ أموالِكُمْ، فما يبالي رَجُلٌ مِنْكُمْ ما قِيل فيهِ مِنَ ٱلهَجوِ بعد قولِ الأعشى:

تَبيتونَ في المشتى مِلاءً بُطونُكُمْ وجاراتُكُمْ غَرثى يَبِتْنَ خَمائِصا

وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير:

على مُكثِريهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَريهِمُ وعِنْدَ ٱلمقلّينَ السَّماحَةُ وٱلبَذْلُ

وبعد: فإنَّ ما حواه هذا السفر من وصايا الآباء للأبناء ليس قليلاً، كما أنَّ الصيغ والتراكيب والأهداف تتباين عند منشئيها، وهي أيضاً تختلف من حيث طول الوصية وقصرها بين موصٍ وآخر، ولا يتسع مجال هذا القسم من أقسامها للوقوف عند كل واحد منهم، فهم جميعاً يشتركون في الهدف الأساس الذي اختطوه لأبنالهم، وأرادوه لهم سيرة عمل في الحياة، وخافوا عليهم أن ينجرفوا في تيار يجلب سبّة، ويقطع محمدة، ويلحق

(65) الوصية المرقمة/105.

بآبائهم أذًى، ولذلك سوف أقف على بعض الوصايا التي أرى أنها تستحق الوقوف عندها.

من بين هذه الوصايا وصية الاشعث بن قيس الكندي إلى بنيه، تكاد تعود بنا صياغة هذه الوصية، والتركيبة الجملية فيها، وهدف إنشائها إلى العصر الذي سبق الإسلام، فقد نراه فيها يركز على بعض المفاهيم التي توفّر عليها المجتمع الجاهلي، بعد أنْ وظّف مدلولاتها لخدمة الغرض الأساس الذي أنشأ الوصية من أجله، حيث أننا لم نجد في وصيته أبناءه ما يذكرهم الله سبحانه وتعالى، كما عهدناه عند غيره من الموصين، فقد ذهب مذهباً آخر أكّد فيه جملة المسائل التي وجدها ضرورة من ضرورات الحياة، وحالة من حالاتها المهمة التي رأى من الواجب عليه تذكير أبنائه بها، فقال(66):

يا بَنِيَّ، لا تَذِلّوا في أعراضِكُمْ، وآنخَدِعوا في أموالِكُمْ، ولْتَخِفّ بُطونُكُمْ من أموال الناسِ، وظُهورُكُمْ من دمائِهِمْ، فإنَّ لِكُلِّ امرىءٍ تَبِعَةً، وإياكُمْ وما يُعْتَذَرُ منه أو يُسْتَحْيَ، فإنَّما يُعْتَذَرُ من ذَنْبٍ، ويُسْتَحْيَ من عَيْبٍ، وأصلِحوا المالَ لِجَفْوَةِ السُّلطانِ، وتَغَيُّرِ الزمانِ، وكُفّوا عِنْدَ الحاجةِ عَنِ المسألةِ، فإنَّه كفىٰ بالردِّ مَنْعاً، وأجمِلوا في الطَلَبِ حتىٰ يوافِقَ الرِّزْقُ قَدَراً.

إنّ النهج الذي سلكه الأشعث في وصيته، يكاد لا يختلف عن وصايا من سبقه من الموصين الجاهليين، وقد يدفعني إلى أن أعزو ذلك إلى أحد أمرين، الأول أنّ الموصي أنشأ وصيته قبل الإسلام، حيث كان بعيداً عن موطن الدعوة الإسلامية، وهو في مساكنه في حضرموت، حتّى وقد مع قومه بعد ظهور الدعوة الإسلامية إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه. والثاني أنّ رواسب المجتمع الجاهلي لما تزل في نفسه، فقد ذكر مؤرخوه أنه امتنع وبعض بطون كندة عن تأدية الزكاة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله

(66) الوصية المرقمة/135.

عنه، وحاربه واليها، وأرسله موثوقاً إلى أبي بكر الصديق ليرى فيه رأيه، فأطلقه وزوّجه أخته أم فروة.

ويؤكد الأشعث لأبنائه مسألة اخرى، ويضع لها سببها، وهي منع النساء من غير الأكفاء، وهذه المسألة ليست جديدة، فقد وردت في كثير من وصايا الجاهليين بنفس التركيب واللفظ، كما أنه أوصى أن يلحقوا بعشائرهم إذا ما رأوا اضطراباً بين الناس فيقول:

وامنَعوا النِّساءَ من غَيْرِ الأكفاءِ، فإنَّكُمْ أهْلُ بَيْتٍ يَتَأسَّى بكُمُ الكريمُ، ويَتَشَرَّفُ بِكُمُ اللئيمُ، وكونوا في عَوَامِّ النّاسِ ما لَمْ يَضْطَرِبِ الحَبْلُ، فإذا اضطرَبَ الحَبْلُ، فألحَقوا بِعَشائِرِكُمْ.

والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في وصاته ولده عبدالله، يبتعد عن أية صيغة من صيغ التعامل مع الناس والحياة، حين رأى في ولده حالة أخرى، خشي عليه منها، فقد وجد العباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يدني ولده منه ويقربه إليه ويستشيره، ويختلي به، وهي حالة أشفق فيها الوالد على ولده أن يزل لسانه بكلمة يكون وراءها أذى، فطفق ينبهه، ووضع بين يديه أربع حالات امره أن يتمسك بهن، لأنّ في صحبة الخليفة من الدقة والتحفظ ما ليس في صحبة أحد من الناس حيث يقول[67]:

يا بُنَيَّ، إني أرى أميرَ المؤمنينَ يَسْتَخْليكَ، ويَسْتَشيرُكَ، ويُقَدِّمُكَ على الأكابِرِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وإنّي أوصيكَ بخلالٍ أرْبَعٍ، لا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، ولا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِباً، ولا تَغْتابَنَّ عِنْدَهُ أحَداً، ولا تَطوِ عنه نصيحةً.

ونجد في وصية عبدالله بن الحسن رضي الله عنه لابنه، عصارة فكر

(67) الوصية المرفقة/169.

جاءت متناغمة مع الهدف الأساس الذي أراده، فقد اعتبر الوصية حقًا من حقوق الله عليه، فلا بُدَّ أن يجهد نفسه في تأدية أفضل ما وجده في حياته، ليقدمه إلى ولده، فقد حمل له الصيغة الإسلامية الهادفة إلى السموّ والرفعة، والابتعاد عن خسيس الأمور، وساقها إليه بأسلوب متين السبك، قوي العبارة، بعيد الأثر، جزل اللفظ، يرقا إلى لغة البلاغة العالية إذ يقول(65):

يا بُنَيَّ، إني مؤدٍّ حَقَّ اللّهِ عليَّ في تأديبِكَ، فأدِّ إليَّ حَقَّهُ في حُسْنِ الإستِماعِ والقُبول.

يا بُنَيَّ، آكفُفِ الأذَىٰ، وافِضِ النَّدىٰ وآستَعِنْ على السَّلامَةِ بِطولِ الصَّمْتِ في المواطنِ التي تَدعوكَ نَفْسُكَ إلى الكلامِ فيها، فإنَّ للْقَوْلِ ساعاتٍ يَضُرُّ فيها خطؤهُ، ولا يَنْفَعُ صَوابُهُ.

يا بُنَيَّ، إحذَرْ مَشورَةَ الجاهلِ وإنْ كانَ ناصِحاً، كما تَحْذَرُ العاقِلَ إذا كانَ عَدُوًّا، فإنَّهُ يوشِكُ أنْ يُورِّطَكَ في بَعْضِ آغتِرارِهِ، فيَسْبِقُ إليكَ مَكْرُ العاقِلِ، وإياكَ ومُعاداةَ الرِّجالِ، فإنَّها لَنْ تَعْدِمَكَ مَكرَ حليمٍ، أو مُفاجأةَ جاهلٍ لئيمٍ.

وتأتي وصية عبدالله بن شداد إلى ابنه محمد، فتجمع لنا كل تجارب الموصي، فقد أخذ الطول من الوصية متّسعاً كبيراً جداً، ووضعها بين يدي ولده مجموعة من المحاور، بعد أن انتقى لولده من تجاربه أفضلها، وقد فَصَل بين محور وآخر بشاهد من شعر الشعراء، ليزيد الولد تذكيراً وتأثراً، وأتى فيها على كلّ شيء يمكن أن يواجه ولده في حياته، فراحَ الأب في وصيته محذراً، ومشجعاً، ومعاضداً، وموضحاً، ومانعاً، فيكون بذلك قد

---

(65) الوصية المرقمة/173.

قدّم دليل عمل له في الحياة، إنْ تَمَسَّكَ به فسيصل إلىٰ الغاية القصوىٰ التي أرادها الوالد الحدب الحاني الحريص، يقول له فيها[69]:

يا بُنَيَّ، قَدْ جَمَعْتُ لكَ مَصالِحَ نَفْسِكَ، فاسْتَفْتِحِ اللّهَ بمسامِعِ عَقْلِكَ، وتَفَهَّمْ ما وَصَفْتُ لَكَ بالتَّجارِبِ، تَحُز صلاح العَواقِبِ.

وقد يقع في بعض الأحيان اختبار الوالد ولده قبل الوصية، ليرىٰ مقدار خبرته في الحياة، ويقف منه علىٰ مواطن الخطأ والصواب، فقد ذكرت الأخبار أنَّ معاوية بن ابي سفيان أَسَرَّ إلىٰ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان حديثاً، فأراد الوليد أن يخبر أباه به، وهنا شعر الأب خطورة الموقف في إفشاء السرّ، فقال لولده[70]:

يا بُنَيَّ، إنَّهُ مَنْ كَتَم سِرَّهُ، كانَ الخِيارُ لَهُ، ومَنْ أَفْشاهُ، كانَ الخيارُ عليه، فلا تكونَنَّ مملوكاً، بعد أَنْ كُنْتَ مالكاً.

إنَّ هذا الكلام الذي ألقاه الوالد علىٰ مسامع ولده، جعله يندهش له، ويستغرب، لأنَّ خبرة الولد وتجاربه في الحياة محدودة، فنجده يسأل أباه سؤال مستفهم، وأنّ هذا ليجري بين الرَّجُل وأبيه؟، غير أنَّ الأب لم يترك ابنه في حيرة، فيقول له: لا، ولكني أكْرَهُ أَنْ تُذَلِّلَ لسانَكَ بأحاديثِ السِّرّ، فكان جواب الأب علىٰ سؤال ولده شافياً وكافياً ومعلّماً في نفس الوقت.

أما عثمان بن أبي العاص الثقفي، فإنّه ينهد في وصيته أبناءه إلى حالة مهمة من حالات التعامل مع الناس والحياة، ويؤكد علىٰ مسألة واحدة لا يعدوها إلى غيرها، وأحسبه آتخذ من حديث المصطفىٰ ﷺ «تخيَّروا النساء ـ أو تخيَّروا لنطفِكُمْ ـ فإنَّ العِرْقَ دَسَّامٌ» مادة لوصيَّته، وقد كان لبنيه قدوة، وأراد أن يتقصّوا أثره في الاختيار فيقول[71]:

---

(69) انظر الوصية المرقمة/174.
(70) الوصية المرقمة/179.
(71) الوصية المرقمة/180.

يا بنيّ، إنّي قد امجدتُكُمْ في أمْهالِكُمْ، وأحْسَنْتُ في بهْنَةِ أموالِكُمْ، وإنّي ما جَلَسْتُ في ظلّ رَجُلٍ من ثَقيفَ أشْتُمُ عِرْضَهُ، فَلْيَنْظُرْ آمرؤ مِنْكُمْ حَيْثُ يَضَعُ غَرْسَهُ، والعِرْقُ السُّوءُ قَلَّما يُنْجِبُ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ.

ويذهب عمر بن هبيرة في وصاته بعض بنيه مذهباً آخر، حذّره فيه جملة من الأمور، ربّما وجدها الوالد في ولده، فلم يرضها له، وأراد أن يستبدلها بصيغ أخرىٰ، فقد نجد في وصيته مجموعة من الأوامر والنواهي التي صاغها بتركيبة جملية قصيرة مركزة، فيها شيء من التأنيب، فيقول[72]:

لا تَكونَنَّ أوّلَ مُشيرٍ، وإياكَ والرأيَ الفَطيرَ، وتَجنُّبِ ارتجالَ الكَلامِ، ولا تُشِرْ علىٰ مُسْتَبِدٍّ، ولا عَلَىٰ وَغْدٍ، ولا علىٰ مُتَلَوِّنٍ، ولا علىٰ لَجوجٍ وخَفِ اللّهِ في مُوافَقَةِ هَوَى المُسْتَشيرِ، فإنَّ التماسَ موافَقَتِه لُؤمٌ، وسوءُ الإستِماعِ مِنْهُ خِيانةٌ.

والمهلب بن أبي صفرة، اتخذ في وصيّته بنيه جوانب متعددة من الحياة، وقدمها إليهم خاتمة مطاف أب ظَلّ ينازعُ الحياة فترة طويلة، ومرّت به تجاريب استصفىٰ منها ما ينفع أبناءه، ويديم لهم حياتهم، وهو رجل ذو بأس ونجدة وشجاعة ومروءة، وقد خشي علىٰ ولده أن يُلحِقوا به سُبّة، فقد جاءت وصيته طويلة ومركزة، وتحمل من الأبعاد ما يجعلنا نذهب إلى أنه كان أشدّ إشفاقاً وخشية أن يضيع ولده في تيار الحياة الجارف، وهو رجل مارس حروباً كثيرة، ولقي من أهوالها ما لقي، فقد شرع في توضيح الأمور بشيء من الدقة، والتفصيل أحياناً، بحيث لم يترك لأحدهم سبيلاً إلىٰ حالة أخرىٰ قد يصير إليها، كما أنّه قَسّم وصيته إلىٰ مجموعة محاور، في كل محور أخذ جانباً من جوانب الحياة، يقول في أحد هذه المحاور[73]:

---

(72) الوصية المرقمة/184.

(73) الوصية المرقمة/199.

يـا بَنيَّ، سوِّدوا أكـابِرَكُمْ، وآعـرِفوا فَضْـلَ ذَوِي أَسـنانِكُمْ، تَعْظُموا بذلك، وآرحموا صغيرَكُمْ، وقَرِّبوه، وألطِفوهُ، وآجبُروا يتيمَكُمْ، وعُودوا عليْهِ بِما قَدِرْتُمْ، ثُمَّ خُذوا على أيدي سُفهائِكُمْ، وتَعاهَدُوا فُقَراءكُمْ وجيرانَكُمْ بما قَدِرْتُمْ عليه، واصبِروا للحُقوق، ونَوائبِ الدُّهورِ، وآحذَروا عارَ غَدٍ.

وصفوة القول أن وصايا الآباء للأبناء لا تعدم في إنشائها تربية جيل مسلح بالإيمان، ومشرّب بحبِّ الخير، ومندفع إلى العطاء الذي لا يشوبه تكدير، ولا تذيبه مصلحة خاصة، وأنَّ الآباء كانوا حريصينَ كُلَّ الحرص أن يقدموا لأبنائهم أفضل ما عندهم بنيَّة صادقة، ومشاعِرَ حُنُوٍّ وعطف وإشفاق، فضلاً عن الخبرة والدراية، وكثرة التجارب التي واكبت الأب في حياته، فآستصفى منها أحسنها، ليقدمه إلى هذا الابن الذي لما يـزل في مقتبل عمره، في حياة مليئة بالأحداث والمخاطر، ومفعمة بطرائق الخير والشر، التي أراد الأب أن يوجه ولده إلى أفضلها.

خـامسـاً :

وصـايـا الآبـاء إلى مؤدبي ولـدهم (الـوصـايـا التربوية)

هذا قسم جديد من أقسام الوصايا، لم يكن موجوداً في العصر الذي سبق الإسلام، كما لم أجده في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وإنما أفرزه على ما يبدو نظام الحكم الجديد في عصر الـدولة الأمـوية، لحاجة الخلفاء الأمويين إلى تنشئةِ أبناتهم تنشئةً تربوية خاصة، بعد أن تغير نظام الحكم من شورى إلى وراثة، ممّا حدا بهم إلى أن يتخذوا لأبناتهم مؤدبين يقومون على تعليمهم وتأديبهم وتربيتهم تربية ترقا بهم إلى المستوى الذي يؤهلهم لإدارة دفة الحكم بعد آبائهم، وتبتعد بهم عن مشارب العامة من النـاس لاختلاف طبـائعهم وعاداتهم وتقـاليدهـم، فـوجدنـاهم يسلمون أبناءهم إلى مؤدبين، ويضعون بين أيديهم جملة أمور يهدفون إلى ترويتها أبناءهم.

إنَّ هذه الطبقة من المؤدبين قد ظهرت في العصر الأموي، بشكل واضح وملموس، وأحسب أن بدايات عصر التدوين هي التي أوجدتها، وأوجدت معها صيغة ثقافية هي الأخرىٰ كانت جديدة.

وقبل أن نتحدث عن وصايا الآباء إلىٰ المؤدبين، لا بد لنا أن نقف علىٰ بدايات الوصايا التربوية التي تتمثل بالحث علىٰ تعلم الأدب، والتي توجه بها الآباء إلىٰ أبنائهم مباشرة.

إنَّ أول ما يطالعنا منها في هذا السِّفر، وصية قصيرة أوصىٰ بها منذر بن الجارود ولده، حيث قال له[74]:

أَعْمِلِ النَّظَرَ في الأَدَبِ لَيْلاً، فإنَّ القَلْبَ بالنَّهارِ طائِرٌ، وهُوَ باللَّيلِ ساكِنٌ، فكلَّما أَوْعَيْتَ فيهِ شَيْئاً عَقَلَهُ.

إنَّ الأب في هذه الوصية الموجزة المركزة قد أصاب لبَّ الحقيقة، إذ إن انشغالَ القلب والفكر في النهار، بما يحتاجه المرء لتسيير أمور حياته، ومعاشه، تبعده كثيراً عن الالتفات إلىٰ حالة النظر في الأدب إذا لم يكن حرفة يمتهنها، وأن صفاء الذهن والقلب، وخلود الإنسان إلىٰ الراحة في الليل يساعد الإنسان علىٰ كثرة الحفظ واستيعاب المقروء، وقديماً قالوا[75]:

وليسَ العاقِل وإن كان تامًّا بمستَغْنٍ عن الأَدَبِ والعِلْمِ اللذينِ هما زينته وجَمالُهُ، فإنَّ اللَّهَ تعالىٰ جَعَلَ لِكَثيرٍ من خَلْقِهِ زينةً، فزينةُ السَّماءِ بكَواكبها، والأَرضِ بزَهرتها، والقَمَرِ بنورِهِ، والشَّمسِ بضيائها، والأَدَبُ للعُقولِ كالجِلاءِ للسُّيوفِ، فإنَّ السُّيوفُ إذا تُعوهِدَتْ بالصَّقْلِ عَمِلَتْ وَنَفَعَتْ، وإذا لَمْ تُجْلَ صَدِأت وبَطُلَت.

---

(74) الوصية المرقمة/198.

(75) لباب الآداب/232.

وليس ينبغي أن يتعلم الإنسان علماً للتباهي أو للتمادي، فإنَّ ذلك ممّا يُفْسِد عليه نفسه، ويخلط عليهِ أمْره، كما يجب أن لا يستحيي أحد من تعلمه، وتلك وصية زيد بن أسلم إلى بنيه إذ يقول[76]:

يا بَنيَّ، لا تَعَلَّموا العِلْمَ لاثنينِ، لا تَعَلَّموهُ للتمارِي، ولا للتباهي، ولا تَدَعُوهُ رَغْبَةً عَنْه، ولا آستِحياءً مِن تَعَلُّمِهِ...

إنَّ أحوج ما يحتاج إليه الإنسان في حياته التعلم، وهو يكسب صاحبه حالة من حالتي المال والجمال، أو كلاهما معاً، فضلاً عن أنه يرفع الوضيع، ويزيد من شرف الشريف، ولذلك نجد تأكيداً متزايداً عند كثير من الناس في الحضّ على تعلمه، يقول عبد الملك بن مروان لبنيه[77]:

عَلَيْكُم بِطَلَبِ الأَدَبِ، فإنَّكُمْ إن آحتَجْتُم إليه كانَ لَكُمْ مالاً، وإن آستَغْنَيْتُم عنه كانَ لكم جمالاً.

ويقول عروة بن الزبير لبنيه[78]:

تعَلَّموا آلعِلْمَ، فإنَّكم إنْ تكونوا صِغارَ قَوْمٍ، فَعَسى أنْ تَكونُوا كِبارَ قَومٍ آخَرينَ.

وقد روي عن عبد الملك بن مروان قوله[79]:

ما النَّاسُ إلى شيءٍ من الأدبِ أَحْوَجَ منهم إلى إقامَةِ أَلْسِنَتِهِمْ التي بها يتعاودونَ الكلامَ، ويتعاطونَ البَيانِ، ويَتهادونَ الحِكمةَ، ويَستَخرِجونَ غَوامِضَ العِلْمِ من مخائِبها، ويجمعون ما تَفَرَّقَ منها، فإنَّ الكلامَ قاضٍ

(76) الوصية المرقمة/158.
(77) الوصية المرقمة/103.
(78) الوصية المرقمة/181.
(79) لباب الآداب/228.

يحكُمُ بين الخُصومِ، وضِياءٌ يجلو الظُّلَمَ، وحاجَةُ النّاسِ إلى مَوادِّهِ، حاجَتَهُمْ إلى موادّ الأَغْذِيَةِ.

أمّا وصايا الآباء إلى مؤدبي ولدهم، فإنّ أقدم وصية وردت في هذا الكتاب وصية عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده.

قدم الموصي جملة من الأمور التربوية التي وجدها لازمة من لوازم المؤدب وأوقف على رأسها إصلاح النفس، فالمؤدب قدوة، وما يفعله ينعكس على طلبته، فينبغي ألاّ يحمل نفسه على خلة فاسدة يرونها فيه ويعملون مثلها، إذ إنّهم يتطلعون إليه على أنّه رأس الأمر الحسن، يقول عتبة(٥٥):

لِيَكُنْ أَوَّلُ ما تَبدأُ بِهِ من إصلاحِ بَنيَّ إصلاحُ نَفْسِكَ، فإنَّ أَعْيُنَهُمْ مَعقودَةٌ بِعَيْنَيْكَ، فالحَسَنُ عِنْدَهُمْ ما اسْتَحْسَنْتَ، والقَبيحُ عِنْدَهُمْ ما اسْتَقْبَحْتَ.

إنّ عقبة بن أبي سفيان قد أصاب الهدف إصابة دقيقة فيما ذهب إليه، وأعطى للمؤدب صيغة التعامل المثلى، وأوقفه على أمرٍ مُهمّ جداً، وهو أمرٌ لا يختص بعبد الصمد حسب، وإنما ينسحب على كل معلم في كلّ عصر وأوان، لأنّ إصلاح النفس وتنزيهها عما يشينها الأساس الذي يجب أن لا يحيد عنه المربي.

ثم ينتقل عتبةِ بعد هذه الفقرة إلى طرائق التعليم، فيضع للمؤدب المنهج التربوي الذي يريد أن يتربّى عليه أبناؤه:

وعَلِّمْهُمْ كِتابَ اللّهِ، ولا تُكْرِهْهُمْ عليْهِ فَيملّوهُ، ولا تَتْرُكْهُمْ مِنه فَيَهْجُروهُ، ثمّ رَوِّهِمْ مِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ، ومِنَ الحَديثِ أَشْرَفَهُ، ولا تُخْرِجْهُمْ

(٥٥) الوصية المرقمة/177.

مِنْ عِلْمٍ إلىٰ غَيْرِهِ حَتّىٰ يُحْكِموهُ، فإنَّ آزدِحامَ الكَلامِ في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ للفَهْمِ.

إنَّ الأسلوب الذي نَهد إليه عتبة في وصيته تربوي صرف، صاغه متين العبارة، متماسك الجوانب، ذا تركيبة جملية موجزة بليغة، يحس قارئها أنه أمام رجل خبير، يضع العلاج الناجع لمجمل العملية التربوية. كما أنّ جوهر العملية التربوية التي يجب أن يتنبه إليها كل معلم في عصرنا الراهن يتمثل في قول عتبة:

ولا تُخْرِجْهُمْ من عِلْمٍ إلىٰ غَيْرِه حتىٰ يُحكموه، فإنّ آزدِحامَ الكَلامِ في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ للفَهْمِ.

وقد يحصل أن يقع خلل من قبل متعلم أثناء الدرس تستوجب عقوبة، وهنا يرىٰ الموصي أن لا يتعجل المؤدب العقوبة قبل معرفة السبب، ويضع الحل المناسب، فيكون بذلك قد عالج مسألة تربوية، أقوّتها المعطيات التربوية والنفسية في المجتمع المعاصر:

وتَهَدَّدْهُمْ بي، وأدِّبْهُمْ دوني، وكُنْ لَهُمْ كالطَّبيبِ الذي لا يَعْجَلُ بالدَّواءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الداءِ، وإيّاكَ أنْ تَتَّكِلَ على عُذْرٍ مِنّي لَكَ، فَقَدِ آتَّكَلْتُ على كِفايةٍ مِنْكَ، وزِدْ في تأديبِهِمْ أزِدْكَ في بِرّي.

وتأتي وصية عبد الملك بن مروان إلى مؤدب بنيه، لتحمل لنا أبعاداً أخرىٰ غير التي ألفناها عند عتبة بن أبي سفيان، فقد هدف إلىٰ حالة ربما تفرد بها عن غيره من الموصين، إذ وضع لمؤدب بنيه منهجاً يكاد يكون خاصاً، حين أراد لبنيه تربية خاصة، تعدّهم لتولي المسؤولية بعده، فقد تولّىٰ الخلافة أربعة من أبنائه بعده، الوليد وسليمان ويزيد وهشام، فلا بدّ أن يرعىٰ مؤدب ولده هذه المسألة التي ألمح إليها عبد الملك في نهاية وصيته. حيث يقول[81]:

(81) الوصية المرقمة/106.

عَلِّمْهُمُ الصِّدْقَ كما تُعلِّمُهم القُرآنَ، وآحْمِلْهُمْ على الأخلاقِ الجميلةِ، وروِّهِمُ الشِّعْرَ يَشْجَعُوا ويَنْجُدُوا، وجالِسْ بهِمْ أشرافَ النَّاسِ، وأَهْلَ العِلْمِ مِنْهُمْ، فإنَّهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ رِعَةً[82]، وأَحْسَنُهُمْ أدباً، وجَنِّبْهُمُ السِّفِلَةَ والخَدَمَ، فإنَّهُمْ أسوأُ النَّاسِ رِعَةً، وأسوؤُهُمْ أدباً، ومُرْهُمْ فَلْيَستاكُوا عَرْضاً ولْيَمْصُوا الماءَ مَصًّا، ولا يَعُبُّوهُ عَبًّا، ووَقِّرْهُمْ في العَلانِيَةِ، وذَلِّلْهُمْ في السِّرِّ، وآضرِبْهُمْ على الكَذِبِ، إنَّ الكَذِبَ يَدْعُو إلى الفُجورِ، والفُجورُ يدعو إلى النَّارِ، وجَنِّبْهُمْ نَتْنَ أعراضِ الرِّجالِ، فإنَّ الحُرَّ لا يَجِدُ من عِوَضه عِوَضاً، وإذا وَلُوا أمْراً، فامْنَعْهُمْ من ضَرْبِ الأبشارِ[83]، فإنَّه عارٌ باقٍ، ووِتْرٌ مَطلوبٌ، وآحْمِلْهُمْ على صِلَةِ الأرْحامِ، واعْلَمْ أنَّ الأدَبَ أولى بالغلامِ منَ النسب.

إنَّ لفظة الأدب التي استخدمها الموصي في وصيته، أراد بها الجانب الخلقي الذي يسمو بالإنسان إلى الرفعة والشرف، ولم يرد منها تعلم الشعر والنثر، لأنه استخدم لهذه المسألة لفظة وروّهم. وقد استخدمها أيضاً في وصية أخرى لمؤدب ولده حين طلب إليه أن يروّهم مثل شعر العجير السلولي الذي يحضّ على مكارم الأخلاق والشهامة[84]:

يبيتُ الجارُ حينَ يبيتُ عَنِّي ولَمْ تأنَسْ إليَّ كلابُ جَاري

أمّا الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنّه يرى أنّ تعلم الفروسية، ومنها السباحة أهم من تعلم القراءة والكتابة، لأنَّ المرء إذا احتاج إلى الكتابة سيجد من يكتب له، ولكنه إذا احتاج السباحة لأمرٍ ما فإنه لا يجد من يسبح له، وذلك ما أوجزه إلى معلم ولده حيث يقول[84]:

---

(82) الرعة: بكسر الراء، الورع.
(83) الابشار: الناس.
(84) الوصية المرقمة/84.

علّم وُلدِي السّباحَةَ قَبْلَ الكِتابَةِ، فإنَّهُمْ يُصيبونَ مَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ، ولا يُصيبونَ مَنْ يَسْبَحُ عَنْهُمْ.

ونجد عند شريح بن هاني القاضي وصية إلىٰ معلم ولده، بعد أن رأىٰ حالة من حالات الخلل في التعليم عند ولده، فسحبها علىٰ معلم ولده، الذي لم يقم بتأدية واجبه بالصيغة المرضية، فقد رأىٰ الأب آبنه يلعب بالكلاب، فأزعجته هذه المسألة ووضع اللوم فيها علىٰ المؤدب الذي لم ينتبه إليها، فكتب إليه يقول[85]:

تَـرَكَ الـصَّـلاةَ لاكلْبٍ يَسْعَىٰ بهـا ... طَلَبَ الهِـراشَ مَعَ آلغُـواةِ الرُّجُسِ
فَلَيَـأْتِيَنَّـكَ غُـدْوَةً بِصَـحيـفَـةٍ ... كُتِبَتْ لَـهُ كَصَحيفَـةِ المُتَلَمِّسِ
فـإذَا خَـلَوْتَ فَعَـضَّـهُ بِمَـلامَـةٍ ... وعِـظْنَـهُ وعْـظَكَ لـلأَريبِ الكَيِّسِ
وإذا هَـمَمْـتَ بِضَـرْبِـهِ فَـبِـدِرَّةٍ ... وإذا بَـلَغْتَ بِهـا ثَـلاثـاً فـاحْبِسِ
واعـلَمْ بـأَنَّـكَ مـا فَعَـلْتَ فَنَفْسُـهُ ... مَـعَ مـا يُجَـرِّعُنـي أعـزّ الأَنْفُسِ

أمّا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإنه يقدم لنا منهجاً آخر غير الذي عهدناه عند غيره من الموصين، إذ إن العملية التربوية عنده تقوم علىٰ ثلاث مسائل: الجفوة، وترك الصحبة، وقلة الضحك، وهو بذلك يريد لمؤدب ولده أن يكون حازماً وجاداً، ولا يدع لطلبته منفذاً ينفذون منه إلىٰ خالة تقعدهم عن التعلم والتحصيل. يقول لسهل بن صدقة مؤدب ولده[86]:

أمّا بعد، فإني أخترتُكَ علىٰ عِلْمٍ مِنّي بِكَ لتأديبِ وُلدي، فَصَرَفْتُهُمْ إليكَ عَنْ غَيْرِكَ من مَوَاليّ، وذَوي الخاصّةِ بي، فحَدِّثْهُمْ بالجَفاءِ، فَهُوَ أَمْعَنُ لأقدامِهِمْ، وتَرْكِ الصُّحْبَةِ، فإنَّ عادَتَها تُكْسِبُ الغَفْلَةَ، وقِلّةِ الضَّحِكِ فإنَّ كثرَتَهُ تُميتُ القَلْبَ.

---

(85) الوصية المرقمة/167.
(86) الوصية المرقمة/116.

إنَّ الأسلوبَ الذي استخدمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله في وصيته، تركّز في ثلاث معطيات تربوية بعد المقدمة، فصّل المسألة الأولى، ووضح أبعادها وما تجره على المتعلم من ضرر يلحقه في حياته، وأوجز في المسألتين الأخريَيْن باعتبارهما من مسلمات التعليم، فيكون بذلك قد حالف أغلب الموصين، ورسم منهجاً جديداً يتطابق وما عرف عنه من تقوى وورع فيقول:

ولْيَكُنْ اوّلُ ما يَعْتَقِدونَ من أدَبِكَ بُغْضُ الملاهي التي بِدؤها مِنَ الشَّيْطانِ، وعاقِبَتُها سُخْطُ الرحْمنِ، فإنَّهُ بَلَغَني عَنِ الثِّقاتِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ أنَّ حُضورَ المعازِفِ وآستِماعَ الأغاني، واللَّهَجَ بِها يُنْبِتُ النِّفاقَ في القَلْبِ كما يُنْبِتُ العُشْبَ الماءُ، ولَعَمْري لَتوقّي ذلك بتَرْكِ حُضورِ تِلْكَ المواطنِ أيْسَرُ على الذِّهْنِ منَ الثُّبوتِ على النِّفاقِ في قَلْبِهِ، وهُوَ حينَ يُفارِقُها لا يَعْتَقِدُ مما سَمِعَتْ أُذُناهُ على شيءٍ مِمّا يَنْتَفِعُ به.

ولْيَفْتَتِحْ كُلُّ غُلامٍ مِنْهُمْ بجُزءٍ مِنَ القُرآن ويَتَثَبَّتُ في قراءَتِه، فإذا فَرَغَ تناوَلَ قَوْسَهُ ونَبْلَهُ، وخَرَجَ إلى الغَرَضِ[87] حافِياً، فَرَمى سَبْعَةَ أرشاقٍ لمْ آنصَرَفَ إلى القائِلَةِ[88]، فإنَّ آبنَ مسعودٍ رضي الله عنه كان يقول: قِيلوا فإنَّ الشَّياطين لا تقيلُ.

وتأتي وصيّة هشام بن عبد الملك إلى سليمان الكلبي مؤدب ولده، لتحمل لنا من المنهج التربوي أكثره، كما أنَّ المزيّة التي تميزها عن غيرها من الوصايا أنّها وردت بتفصيل متزايد، ووقفت على جمهرة كبيرة من المسائل التربوية التي أرادها الموصي، لجاءت الوصية قوية العبارة، متينة السبك، بعيدة الأثر، متماسكة الأطراف، فضلاً عن أنها أمسكت بأطراف العملية التربوية.

(87) الغرض: المرضع الذي يوجه الرامي إليه سهامه، ويسمى الدريئة أيضاً.
(88) القائلة: النوم بعد صلاة الظهر.

إنّ الخصيصة الفنية التي تميز هذه الوصية تأتي في تقسيماتها المنهجية، ومجموع محاورها يشكل دليل عمل تربوي لمن سيتولى تربية أبنائه.

والذي يبدو أنّ سليمان الكلبي هذا كان طالب الصيت، بحيث بلغ أمره إلى الخليفة، فاختاره مؤدباً لولده، رغم وجود كثير من المؤدبين غيره، إلاّ أنّ الخليفة لم يسلم ولده إليه دون أن يحدد له الصيغة المرادة من التعليم، فنراه يقدم بين يدي الوصية بمقدمة يتوجّه بها إلى المؤدب، يوضح له فيها المنزلة التي أنزله إياها، فضلاً عن المنزلة التي يتبوّؤها ابن الخليفة فيقول[89]:

يا سليمان، قد بَلَغَني عَنْكَ ما أُحِبُّ، وإذا بَلَغَني عَن أَحَدٍ من رَعِيَّتي مِثْلُ الذي بَلَغَني عنْكَ، أَسْرَعْتُ إليه بما يُحِبُّ، وٱستَعَنْتُ بهِ على مُهِمِّ أمري، وإنّ محمد ابن أمير المؤمنين بالمكان الذي بلَغَكَ، وهُوَ جِلْدَةُ ما بَيْنَ عَيْني، وإني أرجو أن يَبْلُغَ اللّهُ به أَفْضَلَ ما بَلَغَ بأَحَدٍ من أَهْلِ بَيْتِهِ، وقَدْ ولاّكَ أميرُ المؤمنينَ تأديبَهُ وتعليمَهُ ومَآلَهُ، والنّظَرَ فيما يُصلِحُ الله بهِ أمرَهُ، فعليك بتقوىٰ الله، وأداءِ الأمانةِ فيه، فإنّكَ تَقْصُدُ فيهِ بخِصالٍ لَو لَمْ تكن إلاّ واحدةً، كُنْتَ قَمِناً ألاّ تضيّعَها، فكيفَ إذا ٱجتَمَعَتْ؟

لمّ يشرع هشام بن عبد الملك بتوضيح هذه الخصال، ومنها أنّ المربي مؤتَمَنٌ، فلا ينبغي على المؤتَمَنِ أنْ يكونَ خائناً، لأنّ أداءَ الأمانة حَقٌّ من حقوق الله على البشر، ولا بُدَّ أن يؤدي المربي هذه الأمانة بنيّةٍ خالصَةٍ، وضميرٍ صادقٍ، كما أنّ عليه أنْ يأخُذَ بيَدِ المتعلّم إلى مواطنِ الرِّفعة والسؤدَدِ، فيجالِسَ أهل القرآنِ وذوي الأسنانِ من الناس، وأصحاب الخلق النبيل، ويبتعد به عن العبّاثين، ورجالات السوءِ، وأهل الفساد، إذ

(89) الوصية المرقمة/121.

إنّ لكل واحد من هؤلاء خصالاً ينبغي أن يتقرب إلى أحسنها، ويتباعد عن أسوئها، فيقول:

أمّا الأولى، فإنّك مؤتَمَنٌ عَلَيْهِ، وحُقَّ لَكَ أداءُ الأمانةِ فيه، وأمّا الثانية، فأنا إمامٌ تَرْجُوني وتخافُني، وأمّا الثالِثَةُ، فكُلّما ارتَقَى الغُلامُ في الأمورِ دَرَجَةً ارتفعتَ مَعَه، ففي هذا ما يُرَغِّبُكَ فيما أوصيكَ به.

فادخُلْ عَلَيْهِ في خاصّةِ أهْلِ القُرآنِ، وذوي الأسنانِ، فإنّك مِنْهُمْ بين خَصْلَتينِ، إمّا أنْ يَسمَع مِنْهُمْ كلاماً فَيَعِيهِ ويَحْفَظُه، فيكونُ لَكَ صَوْنُه وذِكْرُهُ، وإمّا أنْ يراهُمْ الناسُ يَخْرُجونَ من عندِهِ، فيَرَوْنَ أنّكُمْ على مِثْلِ ما هُمْ عليه.

ولا تُدخِلْ عليْهِ الفُسّاقَ، ولا شَرَبَةَ الخَمْرِ، فإنَّكَ مِنْهُمْ بينَ خَصلَتينِ، إمّا أنْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ كلاماً قبيحاً فيعيه ويَحْفَظُهُ، ويأخُذُ به، فتريدُ تحويله عن ذلك فلا تَقْدِرُ عليهِ، وإمّا أن يراهُمُ النّاسُ يخرُجُونَ من عِنْدِكُمْ فيرونَ أنكم على مثل ما هم عليه.

كما أنّ صيغة التعليم لا تأتي عن طريق التقريع والتأنيب والافشال، بقدر ما تأتي بحسن إنصاتِ المؤدبِ إلى جواب المتعلم، فإن أخطأ أرشده إلى الصواب دون أن يفسد عليه ما يريد أن يتعلمه، وإن أصابَ شجّعَهُ واستحسن إصابته.

والذي يبدو أن المؤدب في تلك الحقبة من الزمن كان لا يمتلك صيغة التخصص بمادة معينة، بقدر ما يمتلك الخبرة التربوية بكافة اتجاهاتها، لأنّ التعليم لم يكن ليقتصر على تعلّم القراءة والكتابة ورواية الشعر وحفظ الأدب حسب، وإنما يحتاج إلى مواد تكميلية أخرى هي من صلب التعليم، كالفروسية، والرياضة بأنواعها مثلاً، وما يحتاج إليه من متطلبات الحياة الأخرى، وكل ذلك مما يجب أن يمتلك المؤدب خبرته،

وهو أيضاً ما أوضحه الخليفة للمؤدب، كي يتخرج ولده وقد أخذ من الحياة جميعَ أقطارها.

وصفوة القول أن مجموع الوصايا التربوية التي توفر عليها هذا الكتاب بمختلف اتجاهاتها وطرائقها يمكن أن تشكل منهجاً تربوياً ممتازاً، يصلح في أغلبه لتوجيه الطلبة في حياتنا المعاصرة.

سادساً: وصايا عامَّة أخرىٰ

لقد حمل لنا هذا الكتاب مجموعة من الوصايا العامة، التي تناولت بعض المواضيع الاجتماعية والصحية، وما يتعلق بحياة الناس العامة وتعاملهم، وما ينبغي أن يكون عليه الموصىٰ له، ومن ثَمَّ فإنها تحمل في ثناياها صِيَغاً تربوية متعددة الجوانب والأهداف، والتي يمكن أن نحصر أهمها في وصايا الهداء (الزواج)، ووصايا الكُتَّاب، ووصايا الأطباء، ووصايا الوعاظ والزهاد.

أما وصايا الهداء، فقد تحدثت عنها بشيء من التفصيل في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب، ولا نكاد نقف علىٰ شيء جديد ومتطور في وصايا الزواج، يختلف عما درج عليهِ الموصون في العصر الجاهلي، فقد اتخذت الوصايا في العصر الإسلامي ذات المسار التقليدي، وذات الأسلوب، والتركيب الجملي في كثير من الأحيان، ولم تحد عنه إلىٰ حالة متجددة يمكن أن نقف عندها، وهي في كلا العصرين تذهب إلىٰ تذكير الزوجة بإدامة العشرة الزوجية، وربطها بأواصر الإلفة والمحبة التي يستديم معها الوفاق بين الطرفين.

وربَّما كانت وصية الزواج في العصر الذي سبق الإسلام، قد أوردت بعض الصيغ التي اعتبرت بمثابة نظام سار علىٰ وفقه الناس في ذلك المجتمع كنظام (الخلع) مثلاً الذي ورد ضمن وصية عامر بن الطرب العدواني، وتحدثت عنه في موضعه، وأنّ شيئاً من التفصيل المتزايد قد جاء

في وصايا الموصين كوصية أمامة بنت الحارث، مما لم نجد ما يشبهه في وصايا العصر الإسلامي، إلا أنّ التطابق في الهدف قد ورد في كلا العصرين. فأبو الأسود الدؤلي يتفق مع عامر بن الطرب العدواني، وأمامة بنت الحارث في وصيته. وكذلك أغلب الموصين الإسلاميين، فهو يؤكد على استخدام الماء والكحل، وصيغة التعامل مع الزوج، غير أنه يزيد على وصيته أبياتاً من الشعر توثيقاً لما ذهب إليه، فيقول[90]:

يا بُنَيّة، إنّ أَطْيَبَ الطِّيبِ الماءُ، وأَحْسَنَ الحُسْنِ الدُّهْنُ، وأَحْلَى الحَلاَوةِ الكُحْلُ، يا بُنَيّة، لا تُكْثِري مُباشَرَةَ زَوْجِكِ فَيَمَلَّكِ، ولا تُباعِدِي عَنْه فَيَجْفُوكِ ويَعْتَلّ عَلَيْكِ، وكوني كما قُلْتُ لأُمِّكِ:

خُذي العَفْوَ مِنّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي ... ولا تَنْطِقِي في سَوْرَتي حينَ أَغْضَبُ
فإني رأيتُ الحُبَّ في الصدرِ والأذى ... إذا اجْتَمَعا لَمْ يَلْبَثِ الحبّ يَذْهَبُ
ولا تَنْثُري نَثْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تَدْرينَ كَيْفَ المُغَيَّبُ
ولا تُكْثِري الشَّكْوَى فَتَذْهَبَ بالهوى ... ويأباكِ قَلبي والقُلوبُ تُقَلَّبُ

وهذه الوصية يتفق معه فيها أيضاً أسماء بن خارجة القراري في وصيته ابنته، مما حمل الأمر يشتبه على النقلة فينسبونها لكلا الرَّجلَين.

وتأتي وصية عبدالله بن جعفر لتضيف إلى هذه المسائل صيغتين أخريين، ذهب فيهما الموصي مذهباً بعيداً، ونزل فيهما إلى نفسية المرأة، فقد وجد أنّ حالتين إذا اجتمعتا في المرأة، فإنهما ستؤديان إلى فساد العشرة، وتقربان الطلاق، فحذّر منهما ابنته حين قال لها[91]:

يا بُنَيّة، إياكِ والغَيرَةَ، فإنّها مِفْتاحُ الطَّلاقِ، وإياكِ والمعاتَبَةَ، فإنّها تُورِثُ البُغْضَةَ، وعَلَيْكِ بالزينةِ والطِّيبِ، واعلمي أنّ أَزْيَنَ الزِّينةِ الكُحْلُ، وأَطْيَبَ الطِّيبِ الماءُ.

(90) الوصية المرقمة/122 وانظر أيضاً وصية اسماء بن خارجة المرقمة/134.
(91) الوصية المرقمة/172.

أمّا الزبرقان بن بدر، فإنّه كانَ إذا زوّجَ ابنة له؛ دنا من خِدْرها وأوصاها بجملة واحدة فقط لا يعدوها إلىٰ غيرها، وربّما وجد فيها جماعَ أمر الزوجين، وهي جملة وردت عند الموصين في العصر الجاهلي. يقول الزبرقان[92]:

أتَسْمَعينَ؟ لا أعَرِّفَنَّ ما طَلَبْتِ، كُوني لَهُ أمَةً يَكُنْ لَكِ عَبْداً.

وكذلك هي مجمل الوصايا التي وردت عند الموصين في العصر الإسلامي.

أمّا الكتّاب، فإننا نقف علىٰ وصية لعبد الحميد الكاتب أوصاهم بها، وهي نوع جديد من أنواع الوصايا التي ظهرت في العصر الأموي.

والذي يبدو أنّ صنعة الكتابة كان لها نظامها وأسسها ومقوماتها، وأنّ الكتاب يشكلون طبقة خاصة من طبقات المجتمع قبل العصر الأموي، فقد ورد ذكر هذه الطبقة في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر حين وجهه إلىٰ مصر، وقسّم له الناس إلىٰ طبقات حيث قال له[93]:

واعلَمْ أنَّ النّاسَ طبقاتٌ، لا يصْلُحُ بَعْضُها إلاّ بِبَعْضٍ، ولا غِنَىٰ ببَعْضِها عَنْ بَعْضٍ، فمِنْها جُنودُ اللّهِ، ومِنْها كُتّابُ العامّةِ والخاصّةِ، ومنها قُضاةُ العدل... الوصية.

كما أنَّ المنزلة التي يتبوّؤها الكتّابُ كانت منزلة مرموقة ومحترمة، وأنّ لهذه الطبقة دورها الخطير الذي تقوم عليه بعض أعمال الدولة، ولذلك نجد عبد الحميد في وصيته هذه يحدد الأبعاد والاتجاهات والصيغ التي ينبغي أن يكون عليها الكاتب فيقول في فقرة من وصيته الطويلة[94]:

---

(92) الوصية المرقمة/150.
(93) الوصية المرقمة/87.
(94) الوصية المرقمة/170.

فإنّ الكاتِبَ يحتاجُ من نَفْسه، ويحتاجُ منه صاحِبُه الذي يَثِقُ به مُهمّاتِ امورِهِ، انْ يكونَ حَليماً في مَوْضِعِ الحِلْمِ، فَهيماً في مَوْضِعِ الحُكْمِ، مِقداماً في مَوْضِعِ الإقدامِ، محجاماً في مَوْضِعِ الإحجامِ، مؤثِراً للعَفافِ والعَدْلِ والإنصاف، كَتوماً للأسرارِ، وَفِيّاً عِنْدَ الشَّدائِد، عالِماً بِما يأتي مِنَ النَّوازِل، يضَعُ الأمورَ مواضِعَها، والطَّوارِقَ أماكِنَها، قد نَظَر في كُلِّ فَنٍّ من فُنون العِلْمِ فاحكَمَهُ، فإنْ لَمْ يَحكمْه أخذ منه بمقدارٍ يكتفي به، يعرف بغزيرة عَقْلِه، وحُسْنِ أدبِهِ، وفَضْلِ تَجْرِبتِهِ ما يَرِدُ عَلَيْهِ قبلَ وُرودِه، وعاقِبةُ ما يصدرُ عنه قبل صُدورِهِ، فيُعِدُّ لِكُلِّ امرٍ عُدَّتَهُ وعَتادَهُ، ويُهَيِّءُ لِكُلِّ وَجهٍ هَيْئَتَهُ وعادَتَهُ.

إنَّ هذا الوصف المتمام لما يجب أن يكون عليه الكاتب، لم يأتِ من رجل اعتيادي، ولم يصدر عن رجل لا يُعْتَد برأيه، فعبد الحميد أحد جهابذة الكتاب وأعلامهم ومشاهيرهم، ومن ذوي الأقلام المتميزة جدًّا في العصر الأموي وما بعده، وأسلوبه في الكتابة مشهور معروف، حتى لقد قيل: بدأت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، ولذلك يمكن أن يكون راسَ الكتاب وشيخهم، ووصيته هذه تنبع عن خبرة ودراية وتجربة طويلة، فضلاً عن أنه في وصيته هذه يضع المنهج التام الذي يريد أن يكون عليه أبناء طبقته، فلا يحيد أحد منهم عن سَنَنِه، فتضيع معه هيبة الكاتب التي وقرت في نفوس الناس، فيقول:

وارغَبُوا بأنفُسِكُمْ عَنِ المطامِعِ، سَنِيِّها ودَنِيِّها، وسَفْسافِ الأمور ومَحاقِرِها، فإنَّها مَذَلَّةٌ للرِّقابِ، مَفْسَدَةٌ للكُتَّابِ، ونَزِّهوا صِناعَتَكُمْ عن الدَّناءاتِ، وارباوا بأنفُسِكُمْ عَنِ السِّعايةِ والنَّميمة، وما فيهِ أهْلُ الجَهالاتِ، وإياكُمْ والكِبْرَ والصَّلَفَ والعَظَمةَ، فإنَّها عداوةٌ مُجْتَلَبَةٌ من غير إحنَةٍ، وتحابّوا في اللّهِ عَزَّ وجلَّ في صناعَتِكُمْ، وتواصَوا عليها بالذي هو أليَقُ بأهلِ الفَضْلِ والعَدْلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكُمْ.

لم يترك الموصي مسألة من المسائل التي قد تعترض طريق الكاتب إلاّ ذكرها له مفصّلاً وموضحاً ومبيناً، فيكون بذلك قد قدّم الوثيقة العملية الهادفة الصادقة التي يجب على أيّ كاتب أن يقف عندها وقوف متأمل متفحص، وأن يلتزم ما يجد فيها من مصلحة نفسه، فلا يأخذه كِبْرٌ فيما أنعم الله عليه من جودة قلم، ولا تذهب نفسه إلى هوًى يفسد عليه قلمه، فيسقطه من أعين الناس، وهي نصيحة قدّمها عبد الحميد للكاتب، وجعلها خاتِمة لوصيته، بعد أن فصّل له الكلام عن كل شيء، يقول:

وأنا أقولُ في كتابي هذا ما سَبَقَ به المثل، مَنْ يَلْزَمِ النّصيحةَ يَلْزَمْهُ العَمَلُ وهو جوهر هذا الكتاب، وغُرَّةُ كلامِهِ، بعد الذي فيه من ذكر اللّهِ عزَّ وجَلَّ، ولذلك جعلتُه آخِرَهُ، وتمّمته بهِ. تَولاّنا اللّهُ وإياكُمْ يا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وآلكُتّبَةِ بما يتولّى به مَن سبق علمه بإسعادِه وإرشادِه، فإنّ ذلك إليه وبيدِهِ. والسلام عليكم.

والنّوع الآخر الجديد من أنواع الوصايا التي توفرنا عليها، وصية تياذوق المتطبب التي أوصى بها الحجاج بن يوسف الثقفي وقد طلبها منه، وهذا النوع من الوصايا جاء نتيجة للتطور الذي طرأ على المجتمع في عصر الدولة الأموية، وأعني به الثقافي والصحي، وقد وردت هذه الوصية بروايات مختلفة، وكلها تهدف إلى صيغة صحية، توفر للناس الراحة، وتبتعد بهم عن الحالات التي تؤدي إلى المرض. وإن كانت هذه الوصية موجهة إلى الحجاج الثقفي، فإنها لا تختص به حسب، وإنما تهم الناس جميعاً. حيث يقول[95]:

لا تزوّج منَ النّساءِ إلاّ شابّة، ولا تأكُلْ مِنَ اللّحمِ إلاّ فَتِيّاً، ولا تأكُلْهُ حتى يَنْعُمَ طَبخُهُ، ولا تَشْرَبَنَّ دَواءً إلاّ من عِلّةٍ، ولا تأكُلْ مِنَ الفاكِهةِ إلاّ نَضيجَها، ولا تأكُلْ طعاماً إلاّ أجَدْتَ مَضْغَهُ، وكُلْ ما أحْبَبْتَ منَ الطعامِ

(95) الوصية المرقمة/137.

واشرب عليه، وإذا شَرِبْتَ فلا تأكُلْ عَلَيْهِ شيئاً، ولا تَحْبِسِ الغائِطَ والبَوْلَ، وإذا أكَلْتَ بالنَّهارِ فنَمْ، وإذا أكَلْتَ باللَّيلِ فَتَمَشَّ ولَو مئة خُطوةٍ.

أما الوعاظ والزهاد، فإنهم يشكلون شريحة كبيرة من شرائح المجتمع، وقد ظهرت بشكل ملحوظ في عصر الدولة الأموية واتسع نطاقها في الدولة العباسية، من حيث لا نعدم وجودهم في عصر صدر الإسلام، وأنّ وصاياهم بشكل حالة جديدة متطورة، ومواعظهم أكثر من أن تحصىٰ، وقد أخذنا من مواعظهم ما ورد في صيغة وصية توجّهوا بها إلىٰ المسؤولين في الدولة بطلب منهم، وبخاصة الحسن بن أبي الحسن البصري ووصيته لعمر بن عبد العزيز رحمه الله.

لقد تحدث الموصي في هذه الوصية عن صفة الإمام العادل الذي يخشىٰ الله في الناس، ولا يخشىٰ الناس في الله، وقدم وصيته إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بطلب منه.

استخدم الحسن البصري في وصيته أسلوب الخطاب المباشر المركز الذي هدف من ورائه إلىٰ تذكير الموصىٰ له بما ينبغي عليه أن يفعله في حياته، فيوصله إلىٰ مرضاة الله عزَّ وجلّ، وقد قسّم وصيته إلىٰ مجموعة من المحاور وقدّم لكل محور بياء النداء، فالإمام العادل قوام كلّ مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ومنصف كل مظلوم، ومَفْزَعُ كلّ ملهوف، وهو بمثابة الراعي الذي يرتاد لنعمه أطيب المراعي، وهو كالأب الحاني علىٰ ولده، يكسب لهم في حياته، ويدّخر لهم بعد وفاته، وهو كالأم الشفيقة البَرَّةِ التي تسهر علىٰ ولدها وتغذوه، وتفرح بعافيته، وهو بمثابة القلب من الجوارح تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل مؤتمن الله علىٰ عباده، فلا بدّ أن يؤدي الأمانة بحقِّها، وإلا فهو بمنزلة العبد الذي أئتمنه سيد علىٰ ماله وعياله، فبدَّد المالَ، وشرَّد العيالَ، فأفقر أهْلَهُ، وأهلك ماله.

إنَّ الذي هدف إليه الحسن البصري من وصيته الترهيب من مغبة أمر

قد يصير إليه الخليفة، فيهلك ويهلك معه الناس، كما أنه أراد أن يزيد إلىٰ ورع الخليفة ورعاً جديداً، وإلىٰ تقواه زيادة في التقوىٰ، وهو يضمن وصيته كثيراً من آي الذكر الحكيم التي توافق مقام المحور، إذ أنّ الاشفاق علىٰ الخليفة يظهر واضحاً وجلياً في الوصية.

كما أنه لم يأبه للأسلوب المتشدد الذي استخدمه في وصيته، وقد عرفه، فقدم له تبريراً مقنعاً، ولم يهتم لسطوة الخليفة إذا غضب، وهذا الأسلوب المتشدد لم يتفرد به الحسن البصري وحده، فقد وجدناه عند كثير من الوعاظ فيما استقرأنا مِن كلامهم ووعظهم، ولم ينزعج منه الخلفاء لأنهم كانوا يحملونه علىٰ المحمل الصادق والنية الحسنة، يقول الحسن[96]:

فالآن يا أميرَ المؤمنينَ، وأنتَ في مَهَلٍ قَبْلَ حلول الأَجَلِ، وآنقطاعِ الأَمَلِ، لا تحكُمْ يا أمير المؤمنين في عبادِ اللّهِ بحكم الجاهلين، ولا تَسْلُكْ بهم سبيلَ الظالمين، ولا تُسَلِّطْ المستكبرينَ علىٰ المستضعفينَ، فإنّهم لا يرقُبونَ في مؤمنٍ إلاً ولا ذِمّةً، فتبوءَ بأوزارِكَ، وأوزارٍ مِنْ أوزارِكَ، وتَحْمِلُ أثقالَكَ، وأثقالاً مع أثقالِكَ، ولا يَغُرَّنَّكَ الذينَ ينعُمونَ بما فيه بؤسُك، ويأكُلونَ الطيّباتِ من دُنياهم باذهابِ طيِّباتِكَ في آخِرَتِكَ، ولا تنظُرَنَّ إلىٰ قُدْرَتِكَ اليومَ، ولكن انظُرْ إلىٰ قُدْرَتِكَ غداً، وأنتَ مأسورٌ في حَبائِلِ الموتِ، وموقوف بين يدي اللّهِ تعالىٰ في مجمع الملائكة والمرسلين، وقد عَنَتِ الوجوهُ للحيِّ القيّوم.

لقد أحسَّ الحسن البصري، أنه بالغ في وصيته وأبلغ فيها وتشدّد، والذي يبدو أنه انتبه إلىٰ هذه المسألة فجعل نفسه خاتمة وصيته بمنزلة مداوي حبيبه الذي يسقيه مُرَّ الدواءِ لما يرجو له من العافية إذ يقول:

---

(96) الوصية المرقمة/143.

إني يا أمير المؤمنين، إنْ لَمْ أبلُغْ في عِظَتي ما بلَغَهُ أولو النهى قبلي، فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونُصحاً، فأُنزِلُ كتابي هذا إليكَ كمداوي حَبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له بذلك من الغافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

الخصائص الفنية للوصايا

إنّ الدارس لمجمل الوصايا التي توفر عليها هذا الجزء، يمكن أن يلحظ شيئاً من التطور الذي طرأ عليها، كما أنه يلحظ شيئاً من الاهتمام المتزايد بالموصىٰ له، حين أراد الموصي أن يبرئ ذمته من مغبة أمرٍ قد يصير إليه الموصىٰ له، عند تحمله لأعباء مسؤولية من المسؤوليات مما لم نجده عند الموصين الجاهليين، وقد لاحظنا هذا التطور من خلال دراستنا لأنواع الوصايا، وأوضحنا شيئاً من أسبابه ودوافعه التي أملت علىٰ الموصي أن يضع وصيته علىٰ هذه الصيغة أو تلك.

أما الخصائص الفنية التي ميزت وصايا هذا العصر عن الذي سبقه، فإننا سنجملها بالنقاط الآتية:

1 ـ التوجّه الديني البحت وإخلاص النية والعمل علىٰ طاعة الله، والتقرب إليه سبحانه وتعالىٰ، والابتعاد عن الدنيا في وصايا الخلفاء الراشدين، والتوفيق بين حالتي الدنيا والآخرة في وصايا الدولة الأموية.

2 ـ تباين التركيبة الجملية من حيث الطول والقصر بحسب ما يقتضيه المقام، فقد تقصر الجملة حتىٰ تصل إلى كلمتين، وتطول حتىٰ تزيد علىٰ العشر.

3 ـ لم تعن بالتزويق اللفظي، ولا بآختيار اللفظة الغامضة التي تحتاج إلىٰ تفسير قاموسي.

4 ـ ابتعادها عن الأخيلة وخلوها من التورية والمحسنات البديعية التي قد تخل بالهدف الأساس.

5 ـ اعتماد الخطاب المباشر والمرجه دون التقديم له بمقدمة تبعده عن الغرض.

6 ـ خلوها من السجع والازدواج الذي قد يكون متكلّفاً، وإنما جاء الكلام فيها عفوياً، وبانسيابية متناغمة مع الهدف.

7 ـ كثرة الاقتباس من الأيات القرآنية الكريمة، والحديث النبوي الشريف.

8 ـ تضمينها لجمهرة غير قليلة من أشعار الشعراء العرب.

9 ـ ابتعادها عن الجريان مجرى المثل في الأغلب الأعم.

10 ـ نزوعها إلى الحكمة التي تهدف إلى التأثير في المرصى له، وتحثه على العمل الصادق.

11 ـ التحذير الشديد من العمل الذي يلقي بصاحبه إلى النار، والترغيب في العمل الصالح المؤدي إلى الجنة.

12 ـ نزوعها إلى شيء من التشديد والقسوة على الموصى له، يدافع الإخلاص في تأدية الأمانة.

13 ـ الحث على الجهاد في سبيل الله، باعتباره باباً من أبواب الجنة، وأساساً في نشر الدعوة الإسلامية.

14 ـ استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الأغلب، ليكون العبد راغباً فيما يذهب إليه، وراهباً من مغبة الوقوع في الخطأ.

15 ـ اعتماد مبدأ التشاور في مهم الأمور وجسيمها، واستجماع الآراء عند الإقدام على عمل فيه مصلحة عامة.

هذه هي أهم الخصائص الفنية التي توفرت عليها جملة الوصايا التي

ثبتت في هذا الجزء، مما استطعت أن أفرزه منها. وعسى أن أكون قد وفقت في تقديم أفضل ما استطعت، محتسباً فيه الأجر على الله سبحانه وتعالى. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

وصايا الخلفاء

1

محمّد بن عبدالله ﷺ[1] يوصي معاذ بن جَبَلْ[2] لما بَعَثَهُ إلى اليمن، وقد مشى معه أكثر من ميل[3]:

(1) محمد ﷺ بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، من عدنان، من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل، النبي العربي، مؤسس الجامعة الإسلامية، وواضع بناء حضارتها، جامع شمل العرب، ومجدد حياتهم السياسية والتشريعية، أبو القاسم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولد بمكة، ونشأ يتيماً، ربّته امه آمنة بنت وهب، وماتت وعمره ست سنين، فكفله جده عبد المطلب، ومات جده بعد سنتين، فأوصى به إلى أبي طالب وهو عمه فكفله، ونشأ شجاعاً عالي الهمة، صادقاً، فاضل الأخلاق، كامل العقل، لقبه قومه بالأمين، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره زوجه عمّه بخديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، وهي أكبر منه بنحو خمس عشرة سنة، أرسلته قبل الزواج إلى الشام بتجارة إذ كانت موسرة غنية، فأفلح وربح. ولما بلغ الأربعين من عمره سنة 13 قبل الهجرة 610 ميلادية، أوحي إليه في غار حراء بمكة، وكان يحب الخلوة فيه للعبادة والتفكر في آيات الله في خلقه، والتوجه إليه، فدعا من حوله سرًّا مدة ثلاث سنين بعد أن ابتعثه الله سبحانه وتعالى، فآمنت به زوجه خديجة ووازرته وناصرته وثبّته، وابن عمه علي بن أبي طالب، وصديقه أبو بكر في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبعد أن أسلم عمه الحمزة وعمر بن الخطاب وجماعة من المسلمين أعلن الدعوة بأمر من الله تعالى إلى الإسلام ونبذ الأوثان وخرافاتها وهزأت به قريش وآذته وآذت بعض من آمن معه ممن لم يكن لهم عضد ولا شوكة فصبر وصبروا معه، وحماه عمه أبو طالب حتى مات. وبعد موت أبي طالب اشتد أذى المشركين لأصحابه، فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً عدا النساء والأولاد.

ثم أسلم بمكة ستة من قبيلتي الأوس والخزرج من أهل المدينة التي كانت تسمى يثرب، وعادوا إليها، فلم يلبث أن جاءه منها اثنا عشر رجلاً فآمنوا به، فبعث معهم مصعب بن عمير أجد أصحابه ليعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن الكريم، فلم يمض غير قليل حتى انتشر الإسلام في المدينة، ووفد عليه جمع من أهلها فدعوه وأصحابه إلى الهجرة إليهم، وعاهدوه على الدفاع عنه، فأجاب دعوتهم، وأمر أصحابه بالخروج من مكة، ثم لحق بهم، وبلغ قريشاً خبر هجرته، فتبعوه ليقتلوه فنجا.

= ثم دخل المدينة، وابتنى بها مسجده، وجهر بنشر الدعوة، وكانت قريش تحول بينه وبين ذلك في مكة بالقوة، وبسنة دخوله المدينة يبتدئ التاريخ الهجري وكان سنة 622 م.
ولم يدعه مشركو قريش آمناً في دار هجرته، بل كانوا يقصدونه لقتاله فيها، فنزلت آيات الاذن بقتال المشركين، مبينة سببه ووجه الحاجة إليه، وأولها: ﴿أُذِنَ للذينَ يُقاتَلونَ بأنهم ظُلِموا وإنّ اللّهَ على نَصْرِهم لَقَديرٌ﴾ الآية/39 سورة الحج وما بعدها، وكانت المعركة الأولى بينه وبين المشركين من قومه من قريش في بدر بجوار المدينة وهي المعركة التي غيرت مجرى الحياة العربية بانتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة المشركة، وفي شأنها نزلت آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ولقد نَصَركم اللّهُ بِبَدْرٍ وأنتم أذلّة﴾ الآية/123 سورة آل عمران، وفيها أيضاً نزل قوله تعالى: ﴿وأعِدّوا لهم ما استَطَعتُم من قُوّةٍ ومن رِباط الخَيْل تُرهِبون به عَدُوّ الله وعدوّكم﴾ الآية/60 سورة الأنفال. وقد حدثت هذه المعركة في رمضان من السنة الثانية للهجرة، ثم تلتها غزوة قينقاع، وهم قبيلة من اليهود نكثوا عهدهم مع النبي ﷺ بعد أن عاهدهم وأمنهم على أنفسهم واموالهم وحرية دينهم. ثم تتابعت غزواته ﷺ، فكانت أحُد، والخندق، وخيبر، ومؤتة، وحنين، وتبوك، وذلك لنشر الدعوة الإسلامية، وكانت الانتصارات فيها دائماً للمسلمين، وفتحت مكة قبل معركة حنين، وكانت معقل المشركين، وبعدها بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.
وفي السنة العاشرة أقبلت وفود العرب قاطبة على النبي ﷺ وهو بالمدينة تعلن اسلامها، وكان ﷺ قد بعث في السنة السادسة رسله إلى الملوك يدعوهم وقومهم إلى الإسلام، فبعث إلى كسرى وقيصر والنجاشي، والمقوقس والحارث الغساني في مختلف الأقطار.
ثم حج حجته الأخيرة حجة الوداع سنة 10هـ وكانت خطبته فيها بمثابة دستور للأمة، لأنها كانت من أطول خطبه وأكثرها استيعاباً لأمور الدين والدنيا. ثم وافاه، الأجل في أواخر صَفَر سنة 11هـ ودفن بالمدينة في 12 ربيع الأول في مرقده الشريف. أما صفاته ﷺ، فانه كما تروي الأخبار كان إذا خطب في نهي أو زجر احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كانه منذر جيش، واذا خطب في حرب اعتمد على قوس، وفي السلم على عصا، وكان طويل الصمت، قليل الضحك، اذا ضحك وضع يده على فيه، واذا تكلم تبسّم، يجلس ويأكل على الأرض، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير، وكان إذا مشى لم يلتفت، واذا التفت التفت جميعا، يتكفّأ في مشيه كأنما ينحط من صَبَب، واذا اهتم لأمر أكثر من مسّ لحيته، واذا أراد غزوة ورّى بغيرها، فيه دعابة قليلة، واذا مزح غضّ بصره، في كلامه ترتيل وترسيل، شديد الحياء، ضخم الرأس واليدين والقدمين، ليس بالطويل ولا القصير، سبط الشعر، لونه أسمر، وخلقته تامّة، وعيناه سوداوان، وفي خدّيه حمرة، متواضع في غير مذلة، عمره سنة 13 قبل الهجرة 610 ميلادية، أوحي إليه في غار حراء بمكة، وكان يحب الخلوة فيه للعبادة والتفكير في آيات الله في خلقه، والتوجه إليه، فدعا من حوله سرّاً مدة ثلاث سنين بعد أن ابتعثه الله سبحانه وتعالى، فآمنت به زوجته خديجة ووازرته وناصرته وثبّته، وابن عمه علي بن أبي طالب، وصديقه ابو بكر الصديق، ومولاه زيد ابن حارثة، وجماعة من قومه، وراحوا يجتمعون سرّاً في دار الأرقم بن أبي الأرقم، =

- وبعد أن أسلم عمه الحمزة وعمر بن الخطاب وجماعة من المسلمين أعلن الدعوة بأمرٍ من الله تعالى إلى الإسلام ونبذ الأوثان وخرافاتها وهزأت به قريش وآذته وآذت بعض من آمن معه ممن لم يكن لهم عضد ولا شوكة فصبر وصبروا معه، وحماه عمه ابو طالب حتى مات. وبعد موت أبي طالب اشتد اذى المشركين لاصحابه، فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً عدا النساء والأولاد.

ثم أسلم بمكة ستة من قبيلتي الأوس والخزرج من أهل المدينة التي كانت تسمى يثرب، وعادوا إليها، فلم يلبث أن جاء منها اثنا عشر رجلاً فآمنوا به، فبعث معهم مصعب بن عمير احد اصحابه ليعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن الكريم، فلم يمض غير قليل حتى انتشر الإسلام في المدينة، ووفد عليه جمع من أهلها فدعوه وأصحابه إلى الهجرة إليهم، وعاهدوه على الدفاع عنه، فاجاب دعوتهم، وأمر اصحابه بالخروج من مكة، ثم لحق بهم، وبلغ قريشاً خبر هجرته، فتبعوه ليقتلوه، فنجا.

ثم دخل المدينة، وابتنى بها مسجده، وجهر بنشر الدعوة، وكانت قريش تحول بينه وبين ذلك في مكة بالقوة، وبسنة دخوله المدينة يبتدئ التاريخ الهجري وكان سنة 622م.

ولم يدعه مشركو قريش آمناً في دار هجرته، بل كانوا يقصدونه لقتاله فيها، فنزلت آيات الاذن بقتال المشركين، مبينة سببه ووجه الحاجة إليه، واولها: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الآية /39 سورة الحج وما بعدها، وكانت المعركة التي غيرت مجرى الحياة العربية بانتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة المشركة، وفي شأنها نزلت آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ولقد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وانتم أذلّة﴾ الآية /123 سورة آل عمران، وفيها ايضاً نزل قوله تعالى: ﴿وأعِدّوا لهم ما استطعتُم من قُوّةٍ ومن رِباطِ الخَيْلِ تُرهِبونَ به عَدُوَّ اللهِ وعدوَّكم﴾ الآية /60 سورة الأنفال. وقد حدثت هذه المعركة في رمضان يمسح رأسه ولحيته بالمسك، ويرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، ويلبس قلنسوة بيضاء، وما صافحه أحد فترك يده حتى يكون ذلك هو الذي يترك يده، وكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله بيده، ويجالس المساكين، خطيباً أوتي جوامع الكلم، شجاعاً بطلاً، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كنّا إذا اشتدّ البأس اتقينا برسول الله، فكان أقربنا إلى العدوّ، ولكنه لم يقتل بيده إلاّ رجلاً واحداً حاول قتله ﷺ فسبقه بطعنة في لبته.

أمّا أسرته ﷺ، فإنّ زوجته الأولى خديجة بنت خويلد، استمرت معه، ولم يتزوج غيرها إلى أن توفيت قبل هجرته بثلاث سنوات، وقد ولدت له: القاسم وعبدالله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، مات القاسم وعبدالله صغيرين فلم يبق له ولد ذكر، وتزوج بعد خديجة عدة نساء، اختلف في عددهن، وتوفي عن تسع منهن، ولم يولد له منهن، وتسرّى ﷺ بجارية، فولدت له إبراهيم، ومات إبراهيم طفلاً لم يبلغ ستين، وتوفي جميع أولاده في حياته إلاّ ابنته فاطمة، وكانت زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له الحسن والحسين، فانحصرت فيهما نسبة كل منتسب إلى رسول الله ﷺ، وولدت ولداً ثالثاً سماه النبي ﷺ محسناً مات صغيراً. -

يـا معاذُ، اوصِيـكَ بتَقوىٰ اللّهِ آلعَـظيمِ، وصِـدْقِ الحَـديثِ، وأداءِ الأمانةِ، وتَرْكِ آلخِيانَةِ، وحِفْظِ الجارِ، وخَفْضِ الجَنـاحِ، ولينِ آلكَلامِ، ورَحْمَةِ آليَتيمِ، والتَّفَقُّهِ في آلقُرآنِ، وحُبِّ الآخرةِ.

يا مُعاذُ، لا تُفْسِدْ أرْضاً، ولا تَشْتُمْ مُسْلِماً، ولا تُصَدِّقْ كـاذِباً، ولا تَعْصَ إماماً عادِلاً.

يا مُعاذُ، اوصِيكَ بذِكْرِ اللّهِ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وحَجَرٍ، وأنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرُّ بالسِّرِّ، وآلعَلانِيَةَ بالعَلانِيَةِ.

يا مُعاذُ، إنّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لنَفْسي، وأكرَهُ لَكَ ما أكرَهُ لنَفْسي.

يا مُعاذُ، إنّي لَو أعْلَمُ أنّا لو نَلْتَقي لقَصَّرْتُ لَكَ مِنَ الوَصِيَّةِ، ولكنّي لا أرانا نلتقي إلىٰ يومِ آلقِيامَةِ.

يا مُعاذُ، إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ؛ مَنْ لَقِيَني يومَ القِيامَةِ علىٰ مِثْلِ آلحالةِ التي فارَقَني عليها.

= وكان للنبي ﷺ كُتّاب يملي عليهم، لأنه لم يتعلم الكتابة، وحراس اتخذهم، حتىٰ أوحي إليه: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فتركهم، ومؤذنون، وسـافرون، ورسـل، وشعراء، وخطباء، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقِسيّ ورماح وغيرها، وكان عدد صحابته يوم توفي (124,000).
ومعجزاته ﷺ أكثر من أن تعد وتحصىٰ، ومعجزته الخالدة إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها هو القرآن الكريم، الذي أنزل إليه من ربّه، وهو نبراس الهدىٰ، الذي ينير الطريق لهذا العالم كله إذا اقتدىٰ به.
هذه الترجمة أخذتها عن كتاب الاعلام، وتصرفت فيها بزيادة ونقصان، ولا أريد أن أثبت مصدراً محدداً لترجمته، فالذي كتب عنه كثير جداً، وكتب السـيرة والتاريخ كثيرة جداً، ولا يكاد كتاب إسلامي يخلو من ذكره عليه الصلاة والسـلام سواءً أكان الكتاب قديماً أم جديثاً. فقد كتبت عنه المجلدات الكثيرة في العربية وغيرهـا. ولا سـبيل لحصـرها، إذ أكثرها معروف.

(2) معاذ بن جبل: ستمر ترجمته على هامش الوصية المرقمة/
(3) لباب الأداب/10 ـ 11.

2

رسول الله ﷺ يوصي أمّته ويحُضُّها على مكارم الأخلاق[1]:

أوصاني رَبّي بِتِسْعٍ، وأنا أوصِيكُمْ بها: أوصاني بالإخلاصِ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، والعَدْلِ في الرِّضا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدِ في الغِنى وَالفَقْرِ، وأنْ أعْفُوَ عَمَّن ظَلَمَني، وأعطي مَنْ حَرَمَني، وأصِلَ مَنْ قَطَعَني، وأنْ يكونَ صَمْتي فِكراً، ونُطْقي ذِكْراً، ونَظَري عبراً[2].

(1) عيون الأخبار 362/2، كامل المبرد 122/1، لباب الآداب/5 العقد الفريد 417/2. وقد اختلفت وجوه رواية الحديث بشيء من تغيير الألفاظ طفيف.

(2) رواية لباب الآداب للحديث:
أوصاني ربي جل وعزّ بتسع، وأنا أوصيكم بهنّ:
أوصاني بالإخلاص بالسرّ والعلانية، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطيَ مَنْ حَرَمني، وأصِلَ من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذِكراً، ونظري عبراً.

3

رسول الله ﷺ يوصي حَرْمَلَةَ بن عبدالله العَنْبري[1] وقد طلب منه ذلك[2]:

يا حَرْمَلَةُ، إيتِ ٱلمَعْروفَ، وٱجْتَنِبِ المُنْكَرَ، وٱنظُرْ إلىٰ الذي تُحِبُّ أنْ يَقولَهُ القَوْمُ مِنَ الخَيْرِ إذا قُمْتَ مِن عِندِهِمْ فأتِهِ، وٱنْظُرْ إلىٰ ٱلذي، تَكْرَهُ أنْ يقولَهُ ٱلقَوْمُ مِنَ الشَّرِّ إذا قُمْتَ من عِندِهِمْ فٱجْتَنِبْهُ[3].

---

(1) حرملة بن عبدالله العنبري، من أصحاب رسول الله ﷺ، رحل إليه وحدث عنه بهذا الحديث، وقد رواه عنه البخاري في الأدب المفرد/45، وفي الرواية بعض اختلاف، ورواه أبو داؤد والطيالسي في مسنده مختصراً تحت الرقم/1207، وقال ابن حجر في الإصابة: إنَّ إسناده في الطيالسي والبخاري إسناد حسن.

(2) لباب الآداب/5 ـ 6.

(3) ورد في مقدمة الوصية: قال حرملة: ٱرتحلت إلى رسول الله ﷺ لأزداد من العلم، فجئت حتىٰ قمت بين يديه، فقلت: يا رسول الله، ما تأمرني أن أعمل به؟ فقال... الحديث. وقال حرملة: فلما قمت من عند رسول الله نظرت، فإذا هما أمران لم يتركا شيئاً من إتيان المعروف، واجتناب المنكر.

4

رسولُ الله ﷺ يوصي معاذ بن جبل، قال معاذ[1]:

أوصاني أنْ أنْظرَ إلىٰ مَنْ هُوَ دُوني، ولا أنْظرَ إلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقي، وأوصاني بحُبِّ المساكينِ، والدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وأوصاني أنْ لا أسْألَ أحَداً شيْئاً[2]، وأوصاني أنْ أصِلَ رَحِمي، وإن أدْبَرَتْ، وأوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإن كانَ مُرّاً، وأوصاني أنْ أقولَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللّهِ، وأوصاني أنْ لا أخافَ في اللّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ.

---

(1) لباب الآداب/306، ومسند الإمام أحمد 159/5، ونقله المنذري 7/2، ونسبه للطبراني.

(2) ورد بعد كلمة شيئاً: فكان يقع منه السوط فينزل فيأخذه، وأحسبه يريد معاذ بن جبل رضي الله عنه.

5

رسول الله ﷺ يوصي أَنَسَ بن مالك[1] رضي الله عنه فقال[2]:

يا بُنَيَّ، عَلَيْكَ باسْباغِ الوُضوءِ، يُزَدْ في عُمُرِكَ، ويحبُّكَ حافِظاكَ، يا بُنَيَّ، بالِغْ في غُسْلِكَ مِنَ الجَنابةِ، فإنَّكَ تَخْرُجُ من مُغْتَسَلِكَ ولَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ ولا خَطِيئَةٌ[3].

يا بُنَيَّ، كنْ إنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تكونَ على وُضوءٍ فافعَلْ، فإنَّهُ مَنْ أتاهُ مَلَكُ الموتِ وَهُو على وُضوءٍ أعطِيَ الشَّهادَةَ.

يا بُنَيَّ، إنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لا تزالَ تُصَلي[4] فإنَّ الملائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْكَ ما دُمْتَ تُصَلِّي.

---

(1) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، وأبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة، وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة، روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً. انظر عنه: طبقات ابن سعد 10/7، تهذيب ابن عساكر 139/3، الجمع بين رجال الصحيحين/35، صفة الصفوة 298/1، الاعلام 366/1.

(2) لباب الآداب/7.

(3) قال أنس: قلت: يا رسول الله: وما المبالغة في الغسل؟ قال: أن تَبُلَّ أصولَ الشعر، وتنقي البشر.

(4) هكذا ورد النص في لباب الآداب، واحسب أن لفظة (فأفعل) بعد كلمة تصلي قد سقطت منه.

يا بُنَيَّ، إياكَ والإلتِفاتَ في الصَّلاةِ، فإنَّهُ هَلَكَةٌ، يا بُنَيَّ، إذا رَكَعْتَ فآرفَعْ يَدَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وضَعْ كَفَّيكَ على رُكْبَتَيْكَ.

يا بُنَيَّ، إذا رفَعْتَ راسكَ مِنَ السُّجودِ فاسكِنْ كُلَّ عُضْوٍ مَوْضِعَهُ، فإنَّ اللّهَ عزَّ وجَلَّ لا يَنْظُرُ يَوْمَ القِيامَةِ إلى مَنْ لا يُقيمُ صُلْبَهُ في رُكوعِهِ.

يـا بُنَيَّ، إذا قَعَدْتَ بَيْنَ السَّجْـدَتينِ، فآبْسُطْ ظَهْرَيْ قَدَمَيْـكَ على الأَرْضِ، وضَعْ أَلْيَتَيْكَ على عَقِبَيْكَ، فإنَّ ذَلِكَ مِن سُنَّتي، ومَنْ أَحْيا سُنَّتي فَقَدْ أَحبَّني، ومَنْ أَحَبَّني كانَ مَعي في الجَنَّةِ، لا تُقْعِ كما يُقعي الكَلْبُ، ولا تَنْقُرْ كما يَنْقُرُ الدِّيكُ.

يا بُنَيَّ، إذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ، فلا يَقَعَنَّ بَصَرُكَ على أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ إلاّ سلَّمْتَ عَلَيْهِ، فإنَّكَ تَرْجِعُ وَقَدْ زِيدَ في حَسَناتِكَ.

يا بُنَيَّ، إنِ آستَطَعْتَ أَنْ تُمسيَ وتُصْبحَ ولَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فآفعَلْ، فإنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ في الحِسابِ.

يـا بُنَيَّ، إنْ حَفِـظْتَ وَصِيَّتي، فـلا يكـونَنَّ شيءٌ أَحَبَّ إليـكَ مِنَ الموتِ.

6

رسول الله ﷺ يوصي رَجُلاً وقَدْ طَلَبَ مِنْه ذلك[1]:

قالَ وَجَلٌ: يا رسولَ اللّهِ اوصِني بشيءٍ ينْفَعني اللّهُ به، قال: اكْثِرْ ذِكرَ آلمَوتِ يُسَلِّكَ عَنِ الدُّنيا، وعَلَيْكَ بالشُّكرِ، فإنَّهُ يزيدُ في النِّعمةِ، وأكثِرِ الدُّعاءَ فإنَّكَ لا تَدري مَتى يُسْتَجابُ لَكَ، وإياكَ وآلبَغْيَ فإنَّ اللّهَ قَدْ قَضى أنَّهُ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّهُ، وقال: ﴿يا أيُّها النّاسُ إنَّما بَغْيُكُمْ على أنْفُسِكُمْ﴾[2]، وإياكَ وآلمكرَ فإنَّ اللّهَ قَدْ قضى ألاّ يَحيقَ المكرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ.

---

(1) البيان والتبين 2/21.
(2) الآية/23 سورة يونس.

7

رسولُ الله ﷺ يوصي النّاسَ[1]:

أوصيكُمْ بثلاثٍ، وانهاكُمْ عَنْ ثلاثٍ. أوصيكُمْ بالذِّكْرِ، فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يقول: ﴿فاذكُرُوني أذكُرْكُمْ﴾[2]، واوصيكُمْ بالشُّكرِ، فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُمْ﴾[3]، واوصيكُمْ بالدُّعاءِ، فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿أدعوني أستَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

وأنهاكُمْ عَنِ البَغْيِ، فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿إنّما بَغْيُكُمْ علىٰ أنفُسِكُمْ﴾[5]، وأنهاكُمْ عَنِ المكرِ، فإنَّ اللّهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿ولا يَحيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ﴾[6]، وأنهاكُمْ عَنِ النُّكثِ، فإنَّ اللّهَ جَلَّ جَلالُهُ يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فإنّما يَنكُثُ علىٰ نَفْسِه﴾[7].

---

(1) لباب الآداب/6.
(2) الآية/152 سورة البقرة.
(3) الآية/7 سورة إبراهيم.
(4) الآية/60 سورة غافر.
(5) الآية/23 سورة يونس.
(6) الآية/43 سورة فاطر.
(7) الآية/10 سورة الفتح.

8

رسول الله ﷺ يوصي رجلاً[1]، وقد طلب منه ذلك[2]:

عَلَيْكَ باليأسِ مما في أيدي النَّاسِ، فإنَّهُ الغِنَى، وإياكَ والطَّمَعَ، فإنَّهُ الفقرُ الحاضِرُ، وصَلِّ صَلاتَكَ وأنْتَ مُوَدِّعٌ، وإياكَ وما يُعْتَذَرُ مِنْه[3].

---

(1) لباب الآداب/305، وصفحة/5 منه برواية أخرى. والفاضل/16.

(2) روي الحديث في لباب الآداب عن إسماعيل الأنصاري، واحسب أن صاحب اللباب وهم في جعل إسماعيل أنصارياً، إذ هو إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، فهو قرشي من بني زهرة.
والحديث رواه الحاكم في المستدرك 326/4، وصححه هو والذهبي، وراويه عن إسماعيل هو محمد بن أبي حميد الأنصاري، وفيه ضعف، ونسبه المنذري 12/2 للبيهقي في الزهد، ونقل نحوه مختصراً من حديث جابر، ونسبه للطبراني في الأوسط، وفي المستدرك والترغيب: (عليك بالاياس) بدل عليك باليأس.

(3) وفي كتاب الفاضل ورد النص هكذا:
عليك بتقوى الله، واليأس عمّا في أيديهم، وإياك والطُمع، فإنّه الفقر الحاضِرُ وإذا صلّيتَ فَصَلِّ صلاة مودِّع، وإياك وما يعتذرُ منه.

9

رسول الله ﷺ يوصي رَجُلاً[1]:

أَقْلِلْ مِنَ الدَّيْنِ تَعِشْ حُرًّا، وأقلِلْ مِنَ الذُّنوبِ يَهُنْ عَلَيْكَ الموتُ، وانظُرْ في أيِّ نِصابٍ تَضُمُّ ولَدَكَ، فإنَّ العِرقَ دَسّاسٌ.

(1) لباب الآداب/5.

10

رسول اللّهِ ﷺ يوصي المهاجرينَ بالأنصارِ خيراً[1]:

يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ، اسْتَوصُوا بالأنْصارِ خَيْراً، فإنَّ النَّاسَ يَزيدونَ، وانَّ الأنْصارَ على هَيْئَتِها لا تَزيدُ، وانَّهُمْ كانُوا عَيْبَتيَ[2] التي أوَيْتُ إليها، فأحسِنوا إلىٰ مُحْسِنِهِمْ، وتَجاوَزوا عَنْ مُسيئِهِمْ.

---

(1) سيرة النبي 4/1064.

(2) أي كانوا موضع سرّي.

11

رسول الله ﷺ يوصي أبا ذَرّ[1]:

أوصيكَ بِتَقوىٰ اللّهِ في سِرِّ امرِكَ وعلانيَتِهِ، وإذا اسأتَ فاحسِنْ، ولا تَسْأَلْ أحَداً شيئاً وإنْ سَقَط سَوْطُكَ، ولا تُؤْمَنْ امانَةً، ولا تَوَلَّيَنَّ يتامىٰ، ولا تَقْضِيَنَّ بينَ اثْنينِ.

(1) نهاية الأرب 6/264، وهو في مسند أحمد 5/181، ورواية آخر الحديث تختلف عن هنا بشيء من التغيير والأسقاط.

12

رسول الله ﷺ يوصي عند عَقْد الألوية[1]:

أغزُوا بسمِ اللَّهِ، وفي سَبيلِ اللَّهِ، تُقاتِلونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لا تَغُلّوا، ولا تَغْدُروا، ولا تُمَثّلوا، ولا تَقْتُلوا آمرأةً، ولا وَليداً[2].

(1) عيون الأخبار 1/107، العقد الفريد 1/128، نهاية الأرب 6/168.

(2) ورد في مقدمة الوصية أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أوصى الجراح الحكمي فقال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً أو سرية قال: أغزوا بسم الله.. الحديث.

13

رسول الله ﷺ يوصي[1]:

مَنْ كانَ يؤمِنُ باللّهِ والَيومِ الآخرِ فلْيُكْرِمْ جارَهُ. قالوا: يا رسول اللّهِ، ما حَقُّ الجارِ علىٰ الجارِ؟ قالَ:

إنْ سألَكَ فأعْطِهِ، وإنِ آستعانَكَ فأَعِنْهُ، وإنِ آستَقْرَضَكَ فاقرِضْهُ، وإنْ دعاكَ فأجِبْهُ، وإنْ مَرِضَ فَعُدْهُ، وإنْ ماتَ فشَيِّعْهُ، وإنْ أصابَتْهُ مُصيبَةٌ فَعَزِّهِ، ولا تُؤذِهِ بِقُتارِ[2] قِدْرِكَ إلاّ أنْ تَغْرِفَ لَهُ منها، ولا تَرْفَعْ عَلَيْهِ البِناءَ لِتَسُدَّ عَلَيْهِ الرِّيحَ إلاّ بإذنِهِ.

---

(1) لباب الآداب/9 وهو مروي فيه عن أبي هريرة.
(2) القتار: ريح القدر والشواء والعظم المحرق.

14

رسول الله ﷺ يوصي رَجُلاً وقد سألَهُ ذلك[1]:

عَلَيْكَ بتَقوىٰ اللَّهِ، فإنَّهُ جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ، وعَلَيْكَ بالجِهادِ، فإنَّهُ رُهْبانِيَّةُ الإسلامِ، وعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وتلاوَةِ القُرآنِ، فإنَّهُ نُورٌ في الأَرْضِ، وذِكرٌ لَكَ في السَّماءِ، واخزُنْ لِسانَكَ إلا من خَيْرٍ، فإنَّهُ بذاكَ تَغْلِبُ الشَّيْطانَ.

(1) لباب الآداب/9، وهو في مسند أحمد تحت الرقم/11797، عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً جاءه فقال: أوصني، فقال: سألتَ عمّا سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قبلك.. ثم أورد الحديث، وإسناده ضعيف.

15

رسول الله ﷺ يوصي عُقْبَة بن عامِر[1] وَقد سأله ذلك[2]:

أوصيكَ بتَقْوىٰ اللّهِ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وآملُكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ، وآبكِ علىٰ خطيئَتِكَ.

---

(1) عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، أمير، من الصحابة، كان رديف رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمر ابن العاص، وولي مصر سنة 44 هـ، وعزل عنها سنة 47 هـ، وولي غزو البحر، ومات بمصر، كان شجاعاً شاعراً فارئاً فقيهاً، من الرماة، وهو أحد من جمع القرآن، قال ابن يونس: ومصحفه إلى الآن بمصر، أي إلى عصر ابن يونس، بخطه على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره، كتبه عقبة بن عامر بيده، له 55 حديثاً، وفي القاهرة مسجد عقبة بن عامر بجوار قبره. انظر في ترجمته: دول الإسلام للذهبي 1/29، الاصابة ترجمة/5603، حلية الأولياء 2/8، جمهرة أنساب العرب/416، الاعلام 5/37.

(2) هو في البيان والتبيين 2/314 لبعض العلماء يوصي ابنه، وفي لباب الآداب/272 أنه حديث للمصطفىٰ ﷺ، وقد نقل الحديث المنذري 3/4، ونسبه لأبي داود والترمذي وغيرهما. ونصه في لباب الآداب: عن عقبة ابن عامر رحمه الله قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: إملكْ عليك لسانك، ولْيَسَعْكَ بيتُك، وأبكِ علىٰ خطيئَتِكَ.

16

رسول الله ﷺ يوصي[1]:

أوصي مَنْ آمَنَ باللّهِ وصَدَّقَني بولايةِ علي بن أبي طالب، مَنْ تَوَلاهُ فَقَدْ تَوَلاّني، ومَنْ تَوَلاّني فَقَدْ تَوَلّى اللّه، ومَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّني، ومَنْ أَحَبَّني فقد أَحَبَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ.

---

(1) الأخبار الموفقيات/312، ذخائر العقبى/95، وهو فيه عن عمّار ابن ياسر كما في الأخبار الموفقيات.
وهو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، وكان رسول الله ﷺ يلقبه «الطيب المطيّب»، وفي الحديث: «ما خُيِّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما»، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، بناه في المدينة وسماه قُباء، وولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً، وعزله عنها، وشهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه، قتل في صفين سنة 37 هـ، وعمره ثلاث وتسعون سنة. له 62 حديثاً. الاستيعاب 2/469 على هامش الاصابة، الاصابة ترجمة/5706، المحبر/289 و296، حلية الأولياء 1/139، صفة الصفوة 1/175، الاعلام 5/192.

17

رسول الله ﷺ يوصي بعض أهله[1]:

أَنفِقْ على أهلكَ من طَولِكَ، ولا تَرْفَعْ عَصاكَ عَنْهُم، وأَخِفْهُمْ في اللّهِ.

(1) ورد قبل هذه الوصية في شرح مقامات الحريري 4/323، ما نصّه:
ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «علّقوا السّوط حيث يراه أهل البيت».
ثم جاء بعده مباشرة: ووصّى بعض أهله فقال: انفق على أهلك..
فحملت الضمير في لفظة أهله، على أنه يعود على رسول الله ﷺ وليس على ابن عباس.

18

رسول الله ﷺ يوصي رجُلاً وقد طلبَ منه ذلك[1]:

اسْتَحْيِيْ مِنَ اللّهِ؛ كما تَسْتَحْيي رَجُلاً صالِحاً من قَوْمِك[2].

---

(1) لباب الآداب/282، وقد رواه عن سعيد بن زيد.

(2) رواه الخرائطي/50، ونقل السيوطي ما يشبهه تحت رقم/971 من حديث أبي أمامة، ونسبه لابن عدي.

19

رسول الله ﷺ يوصي[1] فقال[2]:

إئتَمِروا بالمعروفِ، وتَناهَوا عَنِ ٱلمُنْكَرِ، حتىٰ إذا رأيتُم شُحّاً مُطاعاً وهَوىً مُتّبعاً، وإعجابَ كُلِّ ذي رأيٍ برأيهِ، ورأيتَ أمراً لا يَدانِ لك به، فعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، ودَعْ أَمْرَ ٱلعَوامّ، فإنَّ من ورائِكُمْ اياماً، الصّابِرُ فيهِنَّ مِثْلُ القابِضِ علىٰ الجَمْرِ، للعامِلِ فيهِنَّ كأجرِ خَمسين رجلاً يعملون مِثْلَ عمله.

---

(1) ورد في مقدمة الوصية ما نصُّه: عن أبي أُمَيَّة قال: سألنا ابا ثعلبة الخُشَنِي رحمه الله فقلنا: كيف نصنع بهذه الآية؟ قال: أيَّة آية؟ قلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسَكُمْ لا يضرُّكم مَن ضلَّ إذا ٱهتَدَيْتُم﴾ الآية/105 سورة المائدة. فقال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: نعم ائتمروا.. الحديث.

(2) لباب الآداب/9 ـ 10، تفسير الطبري 7/63، تفسير الطبري 7/63، تفسير ابن كثير 3/258، وقد نسبه ابن كثير لأبي داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب صحيح.

20

رسول الله ﷺ يوصي أبا هُريرة[1] قال[2]:

يا أبا هُرَيْرَةَ، إتَّقِ المحارمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وآرْضَ بما قَسَمَ اللّهُ لكَ تَكُنْ أغنىٰ النَّاسِ، وأَحْسِنْ إلىٰ جارِكَ تَكُنْ مُؤمِناً، وحِبَّ للنَّاس ما تُحِبُّ لنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وإياكَ وكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ.

---

(1) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث وروايته له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة 7 هـ، ولزم صحبة النبي ﷺ، فروىٰ عنه 5374 حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من 800 رجل بين صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدّة، ولما صارت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أستعمله علىٰ البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولاً بالعبادة فعزله، وأراده بعد زمن علىٰ العمل فابىٰ، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها، وكان يفتىٰ، وقد جمع الشيخ تقي الدين السبكي جزءاً سمّي فتاوىٰ أبي هريرة، ولعبد الحسين شرف الدين كتاب في سيرته، أبو هريرة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات 270/2، الاصابة كتىٰ ترجمة/1179، الجواهر المضيّة 418/2، صفة الصفوة 285/1، حلية الأولياء 376/1، الاعلام 80/4 ـ 81.

(2) لباب الآداب/28، وهو في شعب الإيمان في الجامع الصغير، ومسند أحمد، والترمذي، والبيهقي.

21

رسول الله ﷺ يوصي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1]:

يا عليّ، أوصيكَ بوَصِيَّةٍ فاحْفَظْها، فإنَّكَ لا تزالُ بِخَيْرٍ ما حَفِظْتَ وصِيَّتي[2].

يا عليّ، إنَّ للمؤمنِ ثلاث عَلاماتٍ، الصَّلاةُ، والصِّيامُ، والزَّكاةُ، وللمُتَكَلِّفِ ثَلاثُ علاماتٍ، يَتَمَلَّقُ إذا شَهِدَ، ويَغْتابُ إذا غابَ، ويَشْمَتُ بالمُصيبةِ، وللظّالِمِ ثلاثُ عَلاماتٍ: يَقْهَرُ مَنْ دونه بالغَلَبةِ، ومَنْ فَوْقَه بالمَعْصِيَةِ، ويُظاهِرُ الظَّلَمَةَ، وللمُرائي ثلاثُ علاماتٍ: يَنْشَطُ إذا كان عِنْدَ النّاسِ، ويَفْتُرُ إذا كانَ وَحدَهُ، ويُحِبُّ أنْ يُحْمَدَ في جَميعِ الأمورِ، وللمُنافِقِ ثَلاثُ عَلاماتٍ: إنْ حَدَّثَ كَذَبَ، وإنْ وَعَدَ أخْلَفَ، وإنِ اؤْتُمِنَ خانَ.

يا عليُّ، وللكَسْلانِ ثَلاثُ علاماتٍ: يَتَوانى حَتّى يُفَرِّطَ، ويُفَرِّطُ حتى يُضَيِّعَ، ويضيّع حتى يأثَمَ، ولَيْسَ ينبغي للعاقل أنْ يكونَ شاخِصاً إلاّ في ثلاث: مُرِمَّةٍ[3] لمعاشٍ، أو لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ، أو خُطْوَةٍ لمعادٍ.

---

(1) وصايا ابن عربي/171 ـ 181.

(2) إنّ كثيراً من أجزاء هذه الوصية، وردت أحاديث منفردة بأسانيد مختلفة عن رسول الله ﷺ

(3) المرمة: كل ما يرم الإنسان ويكفيه مؤونة السؤال.

يا عَلِيُّ، إنَّ مِنَ اليقينِ أنْ لا تُرضي أحَداً بِسُخْطِ اللَّهِ، ولا تَحمَدَنَّ أحَداً على ما آتاكَ اللَّهُ، ولا تَذُمَّنَّ أحَداً على ما لَمْ يُؤتِكَهُ اللَّهُ، فإنَّ الرِّزْقَ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَريصٍ، ولا يَصْرِفُهُ كَراهِيَةُ كارِهٍ، وإنَّ الله سُبحانَهُ وتعالى جَعَلَ الرَّوحَ والفَرَجَ في اليَقينِ والرِّضا بِقَسْمِ الله، وجَعَلَ الهَمَّ والحُزْنَ في السُّخْطِ بِقَسْمِ اللَّهِ.

يا عَلِيّ، لا فَقْرَ أشَدُّ منَ الجَهْلِ، ولا مالَ أعْوَزُ مِنَ العَقْلِ، ولا وَحْدَةَ أوحشُ مِنَ العُجْبِ، ولا مُظاهَرَةَ أوثَقُ منَ المشاوَرَةِ، ولا إيمانَ كاليَقينِ، ولا وَرَعَ كالكَفِّ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ، ولا عِبادَةَ كالتَّفَكُّرِ.

يا عَلِيُّ، إنَّ لِكُلِّ شيءٍ آفَةً، وآفَةُ الحَديثِ الكَذِبُ، وآفَةُ العِلْمِ النِّسيانُ، وآفَةُ العِبادَةِ الرِّياءُ، وآفَةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وآفَةُ الشَّجاعَةِ البَغْيُ، وآفَةُ السَّماحَةِ المَنُّ، وآفَةُ الجمالِ الخُيَلاءُ، وآفَةُ الحَسَبِ الفَخْرُ، وآفَةُ الحَياءِ الضَّعْفُ، وآفَةُ الكَرَمِ الفَخْرُ، وآفَةُ الفَضْلِ البُخْلُ، وآفَةُ الجُودِ السَّرَفُ، وآفَةُ العِبادَةِ الكِبْرُ، وآفَةُ الدِّينِ الهَوَى.

يا عليُّ، إذا أثنَيَ عَلَيْكَ في وَجْهِكَ فَقُلْ: اللهمَّ اجعَلْني خَيْراً مما يقولونَ، واغفِرْ لي ما لا يَعْلَمونَ، ولا تُؤاخِذْني فيما يقولونَ، تَسْلَمْ مِمّا يَقولونَ.

يا عليّ، إذا أمْسَيْتَ صائِماً فَقُلْ عِنْدَ إفطارِكَ: اللهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وعَلى رِزْقِكَ أفْطَرْتُ، يُكْتَبْ لَكَ أجْرُ مَنْ صامَ ذلك اليومَ من غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِن أجورِهِمْ شيءٌ، واعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ صائمٍ دَعْوَةً مُستَجابَةً، فإنْ كان عِنْدَ أوّلِ لُقْمَةٍ يقول: بسمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم، يا واسِعَ المَغْفِرَةِ اغفِرْ لي، فإنَّه مَن قالَها عِنْد فِطرِهِ غُفِرَ له واعْلَمْ أنَّ الصَّوْمَ جُنَّةٌ مِنَ النّارِ.

يا عليُّ، لا تَستَقبِلِ الشَّمْسَ والقَمَرَ وآستَدبِرْهُما، فإنَّ آستِقبالَهُما داءٌ واستِدبارَهُما دواءٌ، يا عَليُّ، آستَكثِرْ مِن قراءةِ يَس، فإنَّ في قِراءَةِ يَس عَشْرَ بَرَكاتٍ، ما قَرَأها قَطُّ جائعٌ إلاّ شَبِعَ، ولا قرأها ظَمآن إلاّ رُوِيَ، ولا عارٍ إلاّ آكتَسِيَ، ولا مَريضٌ إلاّ بَرِيءَ، ولا خائِفٌ إلاّ أمِنَ، ولا مَسْجونٌ إلاّ آنفَرَجَ، ولا أعزَبٌ إلاّ تَزَوَّجَ، ولا مسافِرٌ إلاّ أُعِينَ على سَفَرِهِ، ولا قرأها أحَدٌ ضَلَّتْ له ضالَّةٌ إلاّ وَجدها، ولا قرأها على رأس مَيِّت خضر أجلُهُ إلاّ خُفِّفَ عليْهِ، ومَنْ قرأها صباحاً كانَ في أمانٍ إلى أنْ يُمْسِيَ، ومَنْ قرأها مساءً كانَ في أمانٍ حتى يُصبِحَ.

يا عَليُّ، إقرأ (حَم الدخان) في ليلةِ الجُمعة تُصبحُ مَغفوراً لكَ، يا عليُّ، إقرأ آيةَ الكُرسي دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ تُعْطَ قُلوبَ الشّاكِرينَ، وثَوابَ الأنبياءِ، وأعمالَ الأبرار، يا عليُّ، إقرأ سورَةَ الحَشْرِ تُحْشَرْ يومَ القِيامَة آمناً من كُلِّ شرٍّ، يا عَليُّ، اقرأ (تَبارَكَ والسَّجْدَة) يُنْجِيانِكَ من أهوالِ يومِ القِيامَةِ، يا عَليُّ، اقرأ (تبارك) عِنْدَ النوم تَدْفَعْ عَنْكَ عَذابَ القَبْرِ ومَسْأَلَةَ مُنْكَرٍ ونكيرٍ، يا عليُّ، إقرأ (قُلْ هو اللّهُ أحد) على وُضوءٍ تُنادَ يومَ القِيامَةِ: يا مادِحَ اللّهِ قُمْ فآدْخُلِ الجَنَّةَ، يا عليُّ، اقرأ سورة (البقرة) فإنَّ قِراءَتها بَرَكَةٌ، وتَركها حَسْرَةٌ، وهي لا تطيقُها البَطَلَة[4].

يا عليُّ، لا تُطلِ القُعودَ في الشَّمسِ، فإنَّها تُبيرُ الدّاءَ الدَّفينَ، وتُبلي الثِّيابَ، وتُغَيِّرُ اللونَ، يا عَليُّ، أمانٌ لَكَ مِنَ الخَوْفِ أن تقول: «سُبْحانَكَ ربِّي لا إلهَ إلاّ أنْتَ، عليك توكَّلْتُ وأنتَ ربُّ العَرْشِ العظيمِ»، يا عليُّ، أمانٌ لكَ مِنَ الوَسْواسِ أنْ تَقْرَأ: ﴿وإذا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلنا بَيْنَكَ وبَيْنَ

(4) البطلة: السحرة.

الذينَ لا يُؤمِنونَ بالآخِرَةِ حِجاباً مَستوراً﴾[5] إلى قوله: ولّوا على أدبارِهِمْ نُفوراً، يا عليّ، أمانٌ لَكَ من شرِّ كُلِّ عائِنٍ[6] أنْ تقول: «ما شاءَ اللّهُ كانَ، وما لَمْ يشأ لَمْ يَكُنْ، أشْهَدُ أنَّ اللّهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللّهَ قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلماً، وأحصى كُلَّ شيءٍ عَدَداً، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ».

يا عليُّ، كُلِ الزَّيْتَ وادَّهِنْ بالزَّيْتِ، فإنَّهُ مَنْ أكَلَ الزَّيْتَ، وادَّهَنَ بالزَّيْتِ لَمْ يَقْرَبْهُ الشَّيطانُ أربعينَ صباحاً، يا عليُّ، إبدأ بالمِلْحِ، واختُمْ بالمِلْحِ، فإنَّ المِلْح شِفاءٌ من سَبْعين داءً، منها الجنونُ، والجذامُ، والبَرَصُ، ووَجَعُ الحَلْقِ، ووَجَعُ الأضراسِ، ووَجَعُ البَطْنِ، يا عليّ، إذا أكَلْتَ فَقُلْ: بسم الله، وإذا فَرَغْتَ فَقُلْ: الحمدُ لله. فإنَّ حافِظَيْكَ لا يَسْتَريحانِ يَكْتُبانِ لَكَ الحَسَناتِ حتى تَنبِذَهُ عَنْكَ.

يا عليُّ، إذا رأيْتَ الهِلالَ في أوّلِ الشَّهْرِ فَقُلْ: «الله أكبر ثلاثاً، والحمدُ لله الذي خَلَقَني وخَلَقَكَ وقدَّرَكَ منازِلَ وَجَعَلَكَ آيةً للعالمينَ» يُباهي اللّهُ بكَ الملائِكَةَ يقولُ: ﴿يا مَلائِكَتي أشهَدوا أني قد أعْتَقْتُ هذا العَبْدَ مِنَ النارِ﴾، يا عليُّ، إذا نَظَرْتَ في المرآةِ فَقُلْ: «اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي فَحَسِّنْ خُلُقي ورَزُقْني»، يا عليُّ، وإذا رأيتَ أسَداً واشتدَّ بكَ الأمْرُ فَكَبِّرْ ثلاثاً وقُلْ: «اللّهُ أكبر وأجَلّ وأعَزُّ مِمّا أخافُ وأحذرُ، اللهُمَّ إني أدْرَأُ بكَ في نَحْرِهِ، وأعوذُ بكَ من شَرِّهِ» فإنَّكَ تُكفى بإذنِ اللّهِ، وإذا رأيتَ كلباً يهِرُّ فَقُلْ: ﴿يا معشَرَ الجِنِّ والإنسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذوا مِنْ أقطارِ السَّماواتِ والأرضِ فانْفُذوا لا تَنْفُذونَ إلاّ بِسُلطانٍ﴾[7].

---

(5) الآية/45 سورة الاسراء.

(6) العائن: الذي يصيب الناس بعينه فتؤذيهم إصابته، من حسد وغير ذلك.

(7) الآية/33 سورة الرحمن.

يا عَليُّ، إذا خَرَجْتَ من مَنْزِلِك تريدُ حاجَةً فاقرأ آيةَ الكُرسي، فإنَّ حاجَتَكَ تُقضَى إنْ شاءَ اللّهُ تعالى، يا عليُّ، إذا توضأتَ فَقُلْ: «بسمِ الله والصّلاةُ على رسولِ الله»، يا عليّ صَلِّ مِنَ اللّيلِ ولَوْ قَدْرَ حَلْبِ شاةٍ، وادْعُ اللّهَ سُبْحانَهُ بالأسْحارِ، لا تُرَدُّ دَعْوَتُكَ، فإنَّ اللّهَ سبحانَهُ يقول: ﴿والمُسْتَغْفِرينَ بالاسحار﴾(8).

يا عليُّ، غَسِّلِ الموتى، فإنَّهُ مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً غُفِرَ لَهُ سَبْعونَ مَغْفِرةً، لو قُسِّمَتْ مَغْفِرةٌ مِنْها على جميع الخَلْقِ لَوَسِعَتْهُمْ(8).

يا عليُّ، لا تخرُجْ في سَفَرٍ وحْدَكَ، فإنَّ الشَّيْطانَ مَعَ الواحدِ، وهُوَ مِنَ الاثنين أبعَدُ، يا عَليُّ، إنَّ الرَّجُلَ إذا سافَرَ وَحْدَهُ غَاوٍ، والإثنانِ غاويانِ، والثَّلاثةُ نَفَرٌ، يا عليُّ، إذا سافَرْتَ فلا تنزِلِ الأوْدِيةَ، فإنَّها مأوى السِّباعِ والحَيّاتِ، يا عليّ، لا تَرْدِفَنَّ ثلاثةٌ على دابَّةٍ، فإنَّ أحدَهُمْ مَلْعونٌ، وهُوَ المقدَّمُ.

يا عَليُّ، إذا وُلِدَ لَكَ مولودٌ، غلام أو جارية، فأذّن في أُذُنه اليمنى وأقم(9) في أُذُنِه اليُسرى، فإنَّه لا يَضُرُّه الشَّيطان أبداً، يا عليُّ، لا تأتِ أهلك ليلةَ الهِلالِ، ولا ليلة النِّصفِ، فإنَّه يتخوف على ولدك الخَبَلُ(10).

يا عليُّ، وإذا نَزَلَتْ بك شدَّةٌ فَقُلْ: «اللهم إني أسألك بحَقِّ مُحمّد وآل محمد عليك أن تُنَجّيني»، وإذا أردتَ الدخولَ إلى مدينة أو قريةٍ فَقُلْ

---

(8) الآية/17 سورة آل عمران.

(8) قال عليّ رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله: ما يقول من غسل ميتاً؟ فقال رسول الله ﷺ : يقول: غفرانك يا رحمن حتى يفرغ من الغسل.

(9) يعني: أقم الصلاة.

(10) قال علي رضي الله عنه: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنَّ الجن يكثرون غشيان نسائهم ليلة النصف وليلة الهلال، أما رأيت المجنون يصرع ليلة النصف وليلة الهلال؟

حينَ تُعايِنُها: «اللهم إني أسألكَ خَيْرَ هذه المدينة وخيـر ما كَتَبْتَ فيهـا، وأعوذُ بك من شَرِّها ومن شَرِّ ما كتبت فيها، اللهُمَّ آرزقني خَيْرها، وأعِذني من شرِّها، وحَبِّبنا إلى اهلها، وحَبِّبْ صالحي امْلِها إلينـا»، يا عليُّ، إذا نَزَلْتَ مَنْزِلاً فَقُلْ: «اللهُمَّ أنزِلنـا مَنْزِلاً مُبـارَكاً وانت خيرُ آلمُنْزِلينَ» تُـرزَقْ خَيْرَهُ، ويُدْفَعْ عنك شَرُّه.

يا عليُّ، وإياكَ وآلمِراءَ، فإنَّه لا تُعْقَلُ حِكْمَتُهُ، ولا تُؤمَنُ فِتنَتُهُ. يا عليُّ، وإياكَ والدُّخولَ إلى الحَمام بلا مِئزرٍ، فإنَّه مَلعونٌ الناظِرِ وآلمنظورُ إليه، يا عليُّ، لا تَتَخَتَّم بالسَّبابة وآلوسطى، فإنَّه من فعلِ قومِ لوط، يا عليُّ، لا تَلْبَسِ آلمُعَصْفَر، ولا تَبِتْ في مَلْحَفَةٍ حَمـراءَ، فإنهـا مُحْتَضَرَةُ الشَّيطانِ، يا عليُّ، لا تقرأ وأنْتَ راكِعٌ ولا ساجِدٌ.

يا عَليُّ، إياكَ والمجاذلَةَ، فإنَّها تُحْبِطُ الأعمـالَ، يا عليّ، لا تَنْهَـرِ السائِلَ ولو جاءَكَ على فَرَسٍ، وأعطِهِ، فإنَّ الصَّدَقَةَ تقع بيَدِ اللَّهِ قَبْلَ أن تقع بيد السائل، يا عليُّ، باكِر بالصَّدَقَةِ فإنَّ البلاءَ لا يَتَخَطَّى الصَّدَقَة.

يا عليُّ، عليكَ بحُسْنِ الخُلُقِ، فـإنَّكَ تُـدْرِكُ بذلـك دَرَجَة الصـائم القائم، يا عليُّ، إياكَ والغَضَبَ، فإنَّ الشيطان أقدَرُ ما يكون على آبن آدمَ إذا غَضِبَ، يا عليّ، إياكَ وآلمراحَ، فإنَّه يُذهِبُ بهاءَ آبنِ آدَمَ ونَشاطَه، يا عليّ، عليك بقِراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإنَّها مَنهاةٌ للفَقْرِ، وإيَّاكَ والرِّبا، فإنَّ فيه ستَّ خِصالٍ، ثلاثةٌ منها في الدُّنيا، وثلاثةٌ في الآخِرَةِ، فأمّا التي في الدنيا، فتُعَجِّلُ آلفَناءَ، وتُذْهِبُ الغِنى، وتَمْحَقُ الرِّزْقَ، وأمّا التي في الآخِرَةِ، فسوءُ الحسـاب، وسُخْطُ ربِّ الأرْبابِ عَـزَّ وجَـلّ، والخلودُ في النارِ[11].

(11) وفي رواية: الخلوة في النار.

يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ على أَهْلِ بيتك يكثُرْ خيرُ بَيْتِكَ، يا عليُّ، أحبَّ الفُقراء والمساكين يحبُّك الله، يا عليُّ، لا تَنْهَرِ المساكين والفقراءَ فتنهركَ الملائكةُ يومَ القِيامَة، يا عليُّ، عَلَيكَ بالصَّدقَةِ فإنَّها تَدْفَعُ عَنْكَ السُّوءَ، يا عَلِيُّ، أَنْفِقْ واوسِعْ على عيالِكَ، ولا تَخْشَ من ذي العَرْشِ إقلالاً.

يا عليُّ، إذا رَكِبْتَ دابَّةً فَقُلْ: الحمدُ لله الذي كَرَّمنا وهدانا للإسلام ومَنَّ علَيْنا بمُحَمَّد عليه الصلاةُ والسلام، ﴿الحمدُ لله الذي سخَّر لنا هذا وما كُنَّا لهُ مُقرِنينَ، وإنا إلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبونَ﴾[12].

يا عليُّ، لا تَغْضَبَنَّ إذا قيلَ لك: اتَّقِ اللَّهَ، فيسوءك ذلك يوم القيامة.

يا عليُّ، إنَّ اللَّهَ يَعْجَبُ من عَبْدِهِ إذا قال: اللهُمَّ اغْفِرْ لي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلا أنْتَ يقول: ﴿يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفِرُ الذُّنوبَ غيري، أشهدوا أني قد غَفَرْتُ له﴾.

يا عليّ، إذا لَبِسْتَ ثَوْباً جديداً فَقُلْ: بسم اللَّهِ والحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عَوْرَتي، وأستَغْني به عن الناسِ، لم يَبْلُغِ الثَّوبُ ركبتَيْكَ حتى يُغْفَرَ لك. يا عليّ، مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جديداً فكسا فقيراً او يتيماً أو عُرياناً أو مِسكيناً، كان في جِوار اللَّهِ وأمنِهِ وحِفْظِهِ ما دامَ عليه سِلْكٌ.

يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ السُّوقَ فَقُلْ حين تَدْخُلُ: «بسم الله، وباللَّهِ، أَشْهَدُ ان لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ»، يقول الله تعالى: ﴿عبدي ذَكرني والناسُ غافِلونَ، أشهَدوا أني قد غَفَرْتُ له﴾، يا عليُّ، إنَّ الله يَعْجَبُ مِمَّن يذكرُهُ في الأسواقِ، يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ المسجد

(12) الآية/13 سورة الزخرف.

فَقُل «بسم الله والسلامُ على رسول الله، اللهم آفتَحْ لي أبوابَ رحْمَتِكَ» وإذا خرجت فقُلْ: «بسم الله والصَّلاة على رسول الله، اللهم آفتح في أبوابَ فَضْلِكَ»، يا عليُّ، إذا سَمِعْتَ المؤذِّنَ قُل مِثل مَقالتِهِ، يكتَبْ لَكَ مِثلُ أجرِهِ، يا عليّ، وإذا فَرَغْتَ من وُضوئِكَ فَقُلْ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله، وأشهدُ انَّ محمّداً رسولُ الله، اللهم آجعَلْني منَ التّوابينَ، وآجعَلني منَ المتطهّرين»، تَخْرج من ذنوبكَ كيومِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وتُفْتَحُ لكَ ثمانيةُ أبوابِ آلجَنَّة، يقالُ: أُدْخلْ من أيِّها شئتَ.

يا عليُّ، إذا فَرَغْتَ من طعامِكَ فَقُلْ: «الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسقانا وجَعلنا مُسْلِمينَ، يا عليُّ، إذا شَرِبتَ ماءً فَقُلْ: «الحمد لله الذي سقانا ماءً جَعَله عَذْباً مُزاتاً برَحْمَتِه، ولَمْ يَجْعَلْهُ مِلحاً أُجاجاً بذُنوبِنا» تُكتَبْ شاكراً.

يا عليُّ، إياكَ والكذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يُسَوِّدُ آلوَجْهَ، ولا يزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حتَّى يُسمّى عند الله كاذباً، ويَصْدُقُ حتى يُسمّى عند الله صادقاً، إنَّ الكَذِبَ يُجانِبُ الايمانَ، يا عليُّ، لا تَغْتابَنَّ أَحَداً، فإنَّ الغِيبةَ تُفْطِرُ الصّائِمَ والذي يَغْتابُ النّامَ يأكُلُ لَحْمَهُ يومَ القِيامة، يا عليُّ، إياكَ وآلنَّميمةَ، فلا يَدخُلُ الجنَّةَ قَتّات[13]، يا عليُّ، لا تَحلِفْ بالله كاذباً ولا صادِقاً، يا عليّ، لا تجعلوا اللّهَ عُرْضةً لأيمانِكُمْ، فإنَّ اللّهَ لا برحَمُ ولا يُزَكّي من يحلِفُ بالله كاذباً.

يا عليُّ، أَمْلِكْ عَلَيْكَ لسانَكَ، وعَوِّدْهُ آلخَيْرَ، فإنَّ العَبْدَ يوم القيامة ليس عليه شيءٌ أشدَّ خِيفَةً من لسانه، يا عليُّ، إياكَ واللجاجَةَ، فإنَّها ندامة، يا عليُّ، إياكَ والحِرْصَ، فإنَّ الحِرْصَ أَخْرَجَ اباكَ من آلجَنَّةِ، يا

(13) القتّات: هو النمّام.

عليّ، إياكَ وآلحَسَدَ، فإنَّ آلحَسَدَ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النارُ آلحَطَبَ، يا عليُّ، وَيْلٌ لِمَن يَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الناسَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ له.

يا عليُّ، عَلَيْكَ بالسِّواكِ فإنَّه مَطْهَرَةٌ للفَمِ، ومَرْضاةٌ للربِّ تعالىٰ، ومجلاةٌ للأسنانِ، يا عَليُّ، عَلَيْكَ بالتَّخَلُّلِ، فإنَّه ليس شيءٌ أبغضَ إلىٰ الملائكةِ أنْ ترىٰ في أسنانِ آلعَبْدِ طعاماً[14].

يا عليُّ، وإنهاك من حيَّاتِ آلبُيوتِ إلاّ الأفطَسَ والأبْتَرَ فإنَّهما شيطانان، يا عليُّ، وإذا رأيتَ حَيَّةً في رَحْلِكَ فلا تَقْتُلْها حتىٰ تُخَرِّجَ[15] عليها ثلاثاً، فإن عادتْ الرابعة فآقْتُلْها، يا عليُّ، وإذا رأيتَ حيَّةً في الطريق

---

(14) فقال علي رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿فتلقّىٰ آدمُ من ربّه كلماتٍ فتاب عليه﴾ الآية/37 سورة البقرة. ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبي ﷺ: إنّ الله تعالىٰ أهبط آدم عليه السلام بأرض الهند، وحواء بجدّة، والحية بأصفهان، وإبليس ببيسان، ولم يكن في الجنة أحسن من الحيّة والطاووس، وكان للحية قوائم كقوائم البعير، فلما دخل إبليس ـ لعنه الله ـ جوفها أغوىٰ آدم عليه الصلاة والسلام وخدعه، فغضب الله تعالى على الحية، فألقىٰ عنها قوائمها، وقال: جعلت رزقك من التراب، وجعلتك تمشين على بطنك، لا رحم الله من رحمك، وغضب الله تعالىٰ على الطاووس، فمسخ رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة، فمكث آدم عليه الصلاة والسلام بأرض الهند مئة سنة، لا يرفع رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته، وقد جلس جلسه الحزين، فبعث الله تعالىٰ إليه جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم، الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك: ألم أخلقك بيدي، وأنفخ فيك من روحي، ألم أسجد إليك ملائكتي، ألم أزوجك حواء أمَتي؟ ما هذا البكاء؟ قال: يا جبريل، وما يمنعني من البكاء وقد أُخرجتُ من جوار ربّي! قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا آدم، تكلم بهؤلاء الكلمات فإنّ الله تعالىٰ غافرٌ ذَنْبَكَ وقابل توبتك. قال: فما هي؟ قال: قل: اللهمّ إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد، سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي وأنت خير الغافرين. فهؤلاء الكلمات.

(15) قوله حتىٰ تُخَرِّجَ عليها ثلاثاً: من قولك: حرَّج عليه إذا ضيّق. وفي الحديث، فليحرج عليها هو أن يقول لها: أنت في حرج ـ أي في ضيق ـ إن عدت إلينا، فلا تلومنا أن نضيّق عليك بالتتبع والطرد والقتل.

فاقتُلها، فإني قدِ آشترطتُ على آلجِنّ أن لا يظهروا في صورة الحيّات في الطريق، فمن فَعَلَ خَلّى بِنَفْسه للقَتْلِ.

يا عليُّ، أربَعُ خِصالٍ من الشقاءِ، جمودُ آلعَيْنِ، وقَساوَةُ القَلْبِ، وبُعْدُ الأَمَلِ، وحُبُّ الدُّنيا، يا عليُّ، أنهاكَ عن أربَعِ خِصالٍ عِظامٍ، آلحَسدِ، وآلحرصِ، وآلغَضَبِ، وآلكَذِبِ.

يا عليُّ، ألا أُنبِئُكَ بِشَرِّ الناسِ؟ قال: قلتُ: بلى يا رسول الله، قالَ: مَنْ أكَلَ وحدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ، ألا أُنبِئُكَ بشَرٍّ من هؤلاء جميعاً؟ قال: قُلْتُ: بلى يا رسولَ اللّهِ، قال: مَن لا يرجى خَيْرُهُ، ولا يُؤمَنُ شرُّهُ.

يا عليُّ، إذا صلّيتَ على جَنازةٍ فَقُلْ: «اللهُمَّ هذا عَبْدُكَ، وآبنُ عَبْدِكَ، وآبنُ أَمَتِكَ، ماضٍ فيه حُكْمُكَ، خَلَقْتَهُ، ولم يَكُنْ شيئاً مذكوراً، نَزَلَ بِكَ وأنتَ خَيْرُ منزولٍ به، اللهمَّ لَقِّنْهُ حُجَّتَهُ، وألحِقْه بنبيّه ﷺ، وثَبِّتْهُ بآلقولِ الثّابتِ، فإنّه آفتقَر إليكَ وآستَغْنَيْتَ عَنْه، كانَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ أنْتَ، فآغْفِرْ لَهُ وآرحَمْهُ، ولا تَحرِمْنا أجرَهُ، ولا تَفْتِنّا بعْدَهُ، اللهُمَّ إنْ كانَ زاكياً فَزَكِّهِ، وإن كانَ خاطِئاً فآغفِرْ له، يا عليُّ، وإذا صلّيْتَ على جَنازَةِ آمرأةٍ فَقُلْ: اللهمَّ أنتَ خَلَقْتَها وأنتَ أحْيَيْتَها، وأنت أمَتُّها، تَعْلَمُ سرَّها، وعلانِيَتها، جئناكَ شُفَعاء لها، فآغفِرْ لها وآرحَمْها، ولا تَحرِمْنا أجرَها، ولا تَفْتِنّا بَعْدَها»، وإذا صَلّيْتَ على طِفْلٍ فَقُلْ: اللهُمَّ آجْعَلْهُ لِوالديه سَلفاً، وآجْعَلْهُ لَهُما ذَخْراً، وآجْعَلْهُ لهما رشداً، وآجعله لهما نوراً، وآجعله لهُما فَرَطاً[16]، وأعقِبْ والديه آلجَنّةَ، ولا تَحرِمْهُما أجرَهُ، ولا تُفْتِنْهُما بعده».

---

(6) الفرط: السابق في الأجر، والمتقدم.

يا عليُّ، إذا تَوَضأتَ فَقُلْ: «اللهمَّ إني أسألُكَ تمامَ الوُضوء، وتمامَ مَغْفِرَتِكَ ورِضوانِكَ.

يا عليّ، إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا أتى عليه أربعونَ سنةً، أمَّنَه اللّهُ من البلايا الثلاثة: الجنونِ، والجذامِ، والبَرَصِ، وإذا أتَتْ عَلَيْهِ ستّون سنة فهو في إقبال، وبَعْد السَّتّين في إدبارٍ، ورَزَقَه اللّهُ الإنابةَ فيما يُحِبُّ، وإذا أتَتْ عليه سبعونَ سنةً أحَبَّهُ أهلُ السَّماواتِ؛ وصالحوا أهلِ الأرضِ، وإذا أتَتْ عَلَيْهِ ثمانونَ سنة، كُتِبَتْ له حَسناتُه، ومُحِيَتْ عَنْهُ سيِّئاتُه، وإذا أتَتْ عليه تسعونَ سنةً، غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخّر، وإذا أتَتْ عَلَيْه مائة سنَةٍ كَتَبَ اللّهُ اسمه في السَّماء؛ أسيرُ اللّهِ في أرضه، وكان جَليسَ الله تعالى، يا عليُّ، إحفَظْ وصيَّتي، إنَّك على الحقِّ، والحقُّ معك.

22

رسول الله ﷺ يوصي أبا هريرة[1]:

يا أبا هريرة، إذا تَوَضَّأتَ فقُلْ: بسم الله والحمد لله، فإنَّ حَفَظَتَكَ لا تزال تكتُبُ لكَ حَتىٰ تَفْرَغ من ذلك الوضوء[2].

يا أبا هريرة، إذا أكَلْتَ طعاماً ذسْماً فقل: بسم الله والحمد لله، فإنَّ حَفَظَتَكَ لا تستريحُ تكتُبُ لَكَ حَسَناتٍ حتىٰ تَنْبُذَهُ عَنْكَ.

يا أبا هريرة، إذا غَشِيتَ أهلَكَ أو ما مَلَكَتْ يَمينُكَ فقُلْ: بسم الله والحمد لله، فإنَّ حَفَظَتَكَ تكتُبُ لكَ حَسناتٍ حتىٰ تَغْتَسِلَ من الجَنابة، فإذا اغْتَسَلْتَ من الجَنابة غُفِرَت لكَ ذنوبُكَ. يا أبا هريرة، فإن كانَ لَكَ وَلَدٌ من تِلك الوَقْعَةِ كُتِبَ لكَ حَسَناتٌ بِعَدَدِ نَسْلِ ذلك الولدِ وعَقِبِهِ حتىٰ لا يبقىٰ منه شيءٌ.

يا أيا هريرة، إذا رَكِبْتَ دابَّةً فَقُلْ: بسم الله والحمدُ لله، تكتَبْ من العابدينَ حتىٰ تَنْزِلَ عَنْ ظهرها، يا أبا هريرة، إذا رَكِبْتَ السَّفينَةَ فقُلْ: بسم الله والحمدُ لله، تُكْتَبْ من العابدينَ حتىٰ تَخْرُجَ منها.

---

(1) وصايا ابن عربي/191 وما بعدها.

(2) في هذه الوصية مجموعة من الأحاديث المفردة المبثوثة في كتب الصحاح، كما أنَّ بعضها ورد في وصيته ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

يا أبا هُرَيرة، إذا لبِسْتَ ثَوْباً جديداً فَقُلْ: بسم الله والحمدُ للّهِ، يكتُبْ لَكَ عَشْرُ حَسَناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ سِلْكٍ فيه.

يا أبا هريرة، لا يهابَنَّكَ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ، فإنك إنْ مِتَّ وأنْتَ كذلك كُنْتَ عند الله وَجيهاً، يا أبا هريرة، لا تَهْجُرِ امرأتَكَ إلاّ في بَيْتِها، ولا تَضْرِبْها، ولا تَشتُمها إلاّ في امرِ دينها، فإنَّك إنْ كُنْتَ كذلك مَشَيْتَ في طُرُقاتِ الدُّنيا وأنْتَ عتيقُ اللّهِ منَ النّارِ.

يا أبا هريرة، إحمل الأذى عَمَّن هُوَ أكبَرُ مِنْكَ، واصغَرْ مِنْكَ، وخيرٌ مِنْكَ، وشرٌّ مِنْكَ، فإنَّكَ إنْ كُنْتَ كذلك باهى الله بكَ الملائكةَ، ومَنْ باهى اللّهُ به الملائكةَ جاء يومَ القيامَةِ آمِناً من كُلِّ سوءٍ.

يا أبا هريرة، إنْ كُنْتَ اميراً، أو وزيرَ اميرٍ، أو داخِلاً على اميرٍ، أو مشاوِرَ اميرٍ، فلا تجاوِزَن سيرَتي وسُنَّتي، فإنَّه أيّما اميرٍ او وزيرِ اميرٍ او داخلٍ على اميرٍ، أو مُشاوِرِ اميرٍ خالَفَ سيرتي وسُنَّتي، جاء يومَ القيامَةِ تأخُذُهُ النارُ من كُلِّ مكانٍ.

يا أبا هريرة، عَدْلُ ساعَةٍ خَيْرٌ من عِبادَةِ ستّين سنةً، قيامُ لَيلِها وصيامُ نهارها، يا أبا هريرة، قل للمؤمنينَ الذين أصابوا الصغائِرَ والكبائِرَ لا يَمُت احدٌ منهم وهو مُصِرٌّ عليها، فإنّه من لقي ربَّه عَزَّ وجلَّ على ذلك وهو مُصِرٌّ عليها، فإنَّ عقوبتها[3] كعقوبة مَنْ لَقِيَ الله على كبيرةٍ وهُوَ مُصِرٌّ عليها.

يا أبا هريرة، لأنْ تَلْقى اللّهَ عزَّ وجلَّ على كبائِرَ قَدْ ثُبتَ منها، خَيرٌ لكَ من أن تَلقاهُ وَقَد تَعَلَّمْتَ آيةً من كِتاب اللّهِ عزَّ وجَلَّ؛ ثمَّ لا تنساها. يا أبا هريرة، لا تَلْعَنِ الوُلاةَ، فإنَّ اللّهَ أدْخَلَ أُمَّةً جَهَنَّمَ بِلَعْنِهِمْ ولاتَهُمْ، يا أبا

(3) يعني الصغيرة.

هريرة، لا تَسُبَّنَّ شيئاً إلاّ الشيطانَ، فإنَّكَ إنْ مُتَّ وأنتَ كذلك صافَحَتْكَ جميع رُسُلِ اللّهِ وأنبياء اللّهِ تعالىٰ والمؤمنونَ حتىٰ تَعْبُرَ إلىٰ الجنّةِ، يا أبا هريرة، لا تَسُبَّ مَنْ ظَلَمَكَ تُعْطَ مِنَ الأَجْرِ أضعافاً.

يا أبا هريرة، أشبعِ اليتيمَ والأَرْمَلَةَ، وكُنْ لليتيمِ كالأبِ الرَّحيم، وللأَرْمَلَةِ كالزَّوجِ العَطوفِ، تُعْطَ بكُلِّ نَفْسٍ تَنَفَّسَتْ في دارِ الدّنيا قَصْراً في الجَنّةِ، كُلُّ قَصْرٍ خَيْرٌ من الدُّنيا وما فيها.

يا أبا هريرة، إمشِ في ظُلَمِ الليلِ إلىٰ مساجدِ الله عزَّ وجَلَّ، تُعطَ حَسناتٍ بِوَزْنِ كُلِّ شيءٍ وَضَعْتَ عليهِ قَدَمَكَ مِمّا تُحبُّ وتَكرَهُ إلىٰ الأَرضِ السّابِعَةِ السُّفْلىٰ، يا أبا هريرة، لِيكُن مأواكَ المساجِدَ والحجَّ والعُمْرَةَ والجِهاد في سبيل الله، فإنَّكَ إنْ مُتَّ وأنتَ كذلك، كانَ اللّهُ مؤنِسَكَ في القبر، ويوم القِيامة، وعلىٰ الصِّراط، ويُكَلِّمُكَ في الجَنّةِ.

يا أبا هريرة، لا تَنْهَرِ الفقيرَ فتَنْهَرَكَ الملائكةُ يومَ القيامةِ، يا أبا هريرة، لا تَغْضَبْ إذا قيلَ لكَ اتَّقِ اللّهَ، وإن قد هَمَمْتَ بسيِّئةٍ أنْ تَعْمَلَها تَكُنْ خطيئَتُك عقوبَتُها النّارُ. يا أبا هريرة، مَن قيلَ له: اتَّقِ اللّهَ فَغَضِبَ، جيءَ به يومَ القيامة، فيوقفُ مَوْقفاً لا يبقىٰ مَلَكٌ إلاّ مرَّ به فقال له: أنتَ الذي قيل له: اتَّقِ اللّهَ فغَضِبَ؟ فيَسُوءُهُ ذلك، فاتَّقِ مَساوِئَ يومِ القيامَةِ[4].

يا أبا هريرَةَ، أَحْسِنْ إلىٰ ما خَوَّلَكَ اللّه، فإنَّهُ مَنْ أساءَ إلىٰ ما خَوَّلَهُ اللّهُ، فإنَّهُ يَرْصُدُهُ علىٰ الصِّراطِ فيتعلَّق به، فكَمْ من مُؤمنٍ يُرَدُّ من الصِّراط للقِصاص.

يا أبا هريرة، علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صلاةٌ في جَوْفِ الليلِ، ولو قَدْرُ حَلْبِ

(4) وفي رواية: أو مساءتي. وقال: الشك من الراوي.

شاةٍ، ومَنْ صلّى في جَوْفِ الليلِ، يريدُ أن يرضي ربَّهُ عَزَّ وجَلَّ، رضي الله عَنْهُ، وقضى له حاجَتَهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، فرَغِمَ أبو هريرة(5).

يـا أبا هُـرَيرةَ، إنِ آستَطَعْتَ أنْ تلقى اللّهَ خَفِيفَ الظَّهْـرِ من دماءِ المُسْلِمين وأموالِهِمْ وأعراضِهِمْ فافعَلْ تَكُنْ مِنَ المقرّبينَ، ولا تَتَّخِذَنَّ احداً من خَلْقِ اللّهِ غَرَضاً، فيجعَلَكَ اللّهُ غَرَضاً لِشَرَرِ جَهَنَّمَ يومَ القيامَة.

يا أبا هريرة، إذا ذَكَرْتَ جَهَنَّمَ، فآستَجِرْ باللّهِ منهـا، وَلْيَبْكِ قَلْبُـكَ مِنْها، ونَفْسُكَ، ويقشَعِرّ جِلْدُكَ منها، يُجِرْكَ اللّهُ منها، يا أبا هـريرة، إذا آشْتَقْتَ إلى الجنّةِ، فاسألِ اللّهَ أنْ يَجْعَلَ لك فيها نصيباً ومَقيلا، ولْيَجِنَّ قَلْبُكَ شَوْقاً إليها، وتَدْمَعْ عَيْناكَ وأنْتَ مؤمِنٌ بها، إذاً يعطيكها اللّهُ تعالى ولا يردُّك.

يا أبا هريرَةَ، إن شِئْتَ أن لا تُفارِقَني يومَ آلقيامة حتى تدخُلَ معي آلجَنَّةَ أحْبِبْني حُبًّا لا تَنْسـاني، وآعْلَمْ أنَّكَ إنْ أحْبَبْتَني لَمْ تَتْرُكْ ثلاثـةً، الاقتداء بهَدْيي، والشَّوْقَ إليّ، وكثرَةَ الصلاةِ عليّ(6)، وأرضَ بِقَسْمِ اللّهِ، فإنَّه مَنْ خَرَجَ منَ الدُّنيا وهو راضٍ بِقَسْمِ اللّهِ؛ خَرَجَ واللّهُ عَنْه راضٍ، ومَنْ رضي الله عَنْه فمصيرُهُ آلجَنَّةُ.

يـا أبا هُـرَيرَةَ، مُر بآلمعروفِ وآنْهَ عن المنكَـرِ وقـال: كيف آمرُ بالمعروفِ وأنهى عنِ المنكَرِ؟ قال: عَلِّمِ الناسَ الخيرَ ولقِّنْهُمْ إياهُ، وإذا رأيتَ مَن يعملُ بمَعاصي اللّهِ تعالى، لا تَخَفْ سَوْطَهُ وسيفَهُ، فلا يَحِلُّ لَكَ أنْ تُجاوِزَهُ حتى تقول له: اتَّقِ اللّهَ.

---

(5) قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله في أي الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل.
(6) قال أبو هريرة: قلت: فوصل إليّ منها سرور عظيم.

يا أبا هريرة، تعلَّمِ القُرآنَ وعَلِّمْه للناس حتى يجيئَكَ الموتُ وأنتَ كذلك. وإن كُنْتَ كذلك، جاءَتِ الملائِكةُ إلى قبرِكَ، وصَلُّوا عَلَيْكَ، واسْتَغْفَروا لَكَ إلى يومِ القيامَة، كما تحجُّ المؤمنونَ إلى بيتِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ.

يا أبا هريرة، إلقَ المُسلمينَ بطلاقةِ وَجْهِكَ، ومُصافَحَةِ أيديهم بالسلام إنِ استَطَعْتَ أنْ تكونَ كذلك حَيْثُ كُنْتَ، فإنَّ الملائكةَ مَعَكَ سوى حَفَظَتِكَ يَسْتَغْفِرونَ لَكَ، ويُصَلّونَ عَلَيْكَ، واعْلَمْ أنَّه مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنيا والملائكة يَسْتَغفرونَ له، غَفَرَ اللّهُ له.

يا أبا هُرَيرة، إنْ أحبَبْتَ ان يُفْشَى لَكَ الثَّناءُ الحَسَنُ في الدُّنيا والآخرةِ كُفَّ لسانَكَ عَنْ غِيبَةِ النَّاسِ، فإنَّه مَنْ لَمْ يَغْتَبِ النَّاسُ نَصَرَهُ اللّهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، امّا نُصْرَتُه في الدُّنيا، فإنَّه ليْسَ أحَدٌ يتناولُهُ إلاّ كانَتِ الملائكة تُكذِّبهم عنه، وامّا نُصْرَتُه في الآخرة، فعَفْوَ اللّهِ عَن قَبيحِ ما صنَعَ، ويُتَقَبَّلُ مِنه أحْسَنَ ما عَمِلَ.

يا أبا هُرَيرةَ، أغْدُ في سبيلِ اللّهِ، يَبْسُطِ اللّهُ لَكَ الرِّزْقَ، يا أبا هريرة، صِلْ رَحِمَكَ، يأتِكَ الرِّزْقُ من حَيْثُ لا تَحْتَسِبُ، وآحجُجِ البيتَ يَغْفِرِ اللّهُ لكَ ذُنوبَكَ التي واقَيْتَ بها آلبَلَدَ الحرام.

يا أبا هُريرة، اعتِقِ الرقابَ يَعْتُقِ اللّهُ بِكُلِّ عُضوٍ منه عُضواً مِنْكَ، وفيه أضعافُ ذلك من الدرجاتِ. يا أبا هريرة، أشبع آلجائعَ يكُنْ لك مِثْلُ اجرِ حَسناتِهِ وحَسَناتِ عَقِبِهِ، وليس عليك من سيِّآتهم شَيءٌ.

يا أبا هريرةَ، لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً تَعْمَلُهُ، ولَو أنْ تُفْرِغَ من

دَلْوِكَ في إناء ٱلمُسْتَقي، فإنَّهُ من خِصالِ البِرِّ، والبِرُّ كُلُّه عظيم، وصغيره ثوابُه الجَنَّةِ.

يا ابا هريرة، أأمر أَهْلَكَ بالصَّلاةِ، فإنَّ اللّهَ يأتيكَ بٱلرِّزْقِ من حَيْثُ لا تحتَسِبُ، ولا يكُنْ للشَّيْطانِ في بَيْتِكَ مَدْخَلٌ ولا مسلك.

يا ابا هُرَيْرَةَ، إذا عَطَسَ أخوكَ ٱلمسلِمُ فَشَمِّتْهُ، فإنَّه يُكْتَبُ لَكَ به عِشرونَ حَسَنَةً(7).

يا ايا هُريرة، كُنْ مُسْتَغفِراً للمُسلِمينَ وٱلمُسْلِماتِ، والمؤمنينَ والمؤمناتِ، يكونوا كُلُّهُمْ شُفَعاءَ لَكَ، ويَكُنْ لَكَ مِثلُ أجورِهِمْ من غَيْرِ أنْ ينقُصَ سن اجورهم شيء، يا ابا هريرة، إنْ كنتَ تريدُ أنْ تكونَ عند اللّهِ صَديقاً، فآمِن بجميعِ رُسُلِ اللّهِ، وانبياءِ اللّهِ وكتبِهِ.

يا ابا هريرة، إنْ كُنْتَ تريدُ أنْ تُحَرِّمَ على النارِ جَسَدَكَ فَقُل إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ: لا إلهَ إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، لا إلهَ إلاّ اللّهُ لهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، لا إلهَ إلاّ اللّهُ والله أكبر، لا إله إلاّ اللّهُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله.

يا ابا هريرة، لا يَحِلُّ لَكَ أنْ تَدْخُلَ على مَنْ هُوَ في سَكَرات ٱلموت ولو كانَ نَبيًّا حتى تُلَقِّنَهُ شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ اللّهُ. يا أبا هريرة، مَنْ لَقَّنَ مريضاً في سَكَراتِ الموتِ شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له فقالها، كان لهُ مِثْلُ جميعِ حسناتِه، فإنْ لمْ يَقُلْها فَلَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ بقوله لا إله

(7) قال ابو هريرة: فقلت: يا رسول الله، بأبي انت وامي كيف ذاك؟ قال: إنَّك حين تقول له: يرحمك الله، يكتب لك عشر حسنات، وحين يقول لك: يهديك الله، يكتب لك عشر حسنات.

إلاّ الله. يا أبا هريرة، لقِّنِ الموتىٰ شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ الله؛ رَبِّ اغْفِرْ لي، فإنّها تهدِمُ الذُّنوبَ هَدْماً(8).

يا أبا هريرة، إنِ اسْتَطَعْتَ أن لا تُمطِرُ السماءُ مَطَراً إلاّ صَلَّيْتَ عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ، فإنَّكَ تُعطىٰ حَسناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ قطرَةٍ نَزَلَتْ تلك الساعة، وعدد كُلِّ وَرَقَةٍ أَنْبَتَتْ من ذلك المطر، يا أبا هريرة، تَصَدَّق بالماء، فإنّه لا يتوضأ أحَدٌ إلاّ كان لكَ مِثلُ حَسناتِه من غير أنْ ينْقُصَ من حَسناته شيء، يا أبا هريرة، اما عَلِمْتَ أنَّ رَجُلاً غُفِرَ له احتَشَّ حَشيشاً، فجاءت بهيمةٌ فأكلَتْه.

يا أبا هريرة، قُل للناسِ حُسناً تُفلِحْ يومَ القِيامَة، يا أبا هريرة، عُدْ علىٰ المسكين كافراً كانَ او مُسْلِماً، فإنَّكَ إنْ عُدْتَ علىٰ المسكين الكافِر رَحِمَكَ اللّهُ، وأمّا ثوابُكَ إنْ عُدْتَ علىٰ المسكين المُسْلم، فلا أُحْسِن صفته.

يا أبا هريرة، إنْ كُنْتَ في مالِ أبيكَ او أُمِّكَ او وَلَدِكَ، فلا يَحِلُّ لَكَ أنْ تتصدّقَ مِنه إلاّ بإذنه. يا أبا هريرة، لا يحِلُّ لَكَ من مالِ امرأتِك شيءٌ إلا شيء تُعطيكَ من غَيْر أنْ تسألَها، وذلك هو قول الله تعالىٰ: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلوهُ هَنيئاً مَريئاً﴾(9)، يا أبا هريرة، قُل للنساء، لا يَحِلُّ لَهُنَّ أنْ يَتصدَّقْنَ من بُيوتِ ازواجِهِنَّ شَيْئاً إلاّ بِكُلِّ رَطْبٍ يَخَفْنَ فَساده إذا كان غائِباً. يا أبا هريرة، عَلِّمِ الناسَ سُنَّتي يكُنْ لَكَ النُّورُ السّاطِعُ يومَ القيامَةِ، يَغْبِطَكَ به الأوّلونَ والآخِرونَ.

---

(8) قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله هذا للموتى، فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم. قال: فعدّده رسول الله ﷺ عليّ أكثر من عشرين مرة، يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم.

(9) الآية/4 سورة النساء.

يا أبا هريرة، كُنْ مُؤَذِّناً وإماماً، فإنَّكَ إذا رَفَعْتَ صَوْتَكَ بالأذانِ يَرْفَعُ اللّهُ صَوْتَكَ حتىٰ يَبْلُغَ العَرْشَ، فلا يَمُرّ صَوْتُكَ علىٰ شيءٍ إلاّ كانَ لَكَ بِعَدَدِهِ عَشْرُ حَسَناتٍ، ولكَ إذا كُنْتَ إماماً بِعَدَدِ مَنْ صلّىٰ خَلْفَكَ، ولك مِثْلُ صلاتِهِمْ، لا يَنْقُصُ من صلاتِهِمْ شيءٌ، إلاّ ان تكونَ إماماً خائِناً(١٥).

يا أبا هريرةَ، لا تَضْرِبَنَّ في أدبٍ فَوْقَ ثلاثٍ، فإنَّك إنْ زِدْتَ فهي قصاصُ يومِ القيامَةِ، يا أبا هريرةَ، أَدِّبْ صِغارَ أهْلِ بيتِكَ بلسانِكَ علىٰ الصَّلاةِ والطُّهورِ، فإذا بَلَغُوا عَشْرَ سنين فاضرِبْ ولا تجاوزْ ثلاثاً.

يا أبا هريرة، عليك بابنِ السَّبيل فَقَدِّمْهُ إلىٰ اهلك، او إلىٰ أهلِهِ، تشيِّعُكَ الملائِكَةُ إلىٰ الصِّراط. يا أبا هرَيْرَةَ، جالِسِ الفُقَراءَ، فإنَّ رَحْمَةَ اللّهِ لا تبعُدُ عَنْهُمْ طَرْفَةَ عينٍ، يا أبا هريرة، لا تُؤذِ المُسْلمينَ في طَريقِهم، فإنَّه مَنْ آذىٰ المُسْلمينَ في طريقِهم ذمَّه المسلمون والملائكة جميعاً. يا أبا هريرة، إذا مَرَرْتَ علىٰ أذىً في الطَّريقِ فغَطِّهِ بالتُّرابِ، يَسْتُرِ اللّهُ عَلَيْكَ يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرةَ، إذا أرشَدْتَ أعمىٰ فَخُذْ يدَهُ اليسرىٰ بيدِكَ اليمنىٰ فإنَّها صَدَقَةٌ. يا أبا هريرة، من مَشىٰ معَ اعمىٰ مِيلاً يُسَدِّدُه، كانَ له بِكُلِّ ذِراعٍ مِنَ الميلِ عَشْرُ حَسَناتٍ. يا أبا هريرة، إسمعِ الأَصَمَّ الذي يسألكَ عَنْ خَيْرٍ، يُسْمِعْكَ اللّهُ ما يَسُرُّكَ يومَ القِيامَةِ. يا أبا هُريرةَ، أَرْشِدِ الضالَّ تُرْشِدْكَ الملائِكَةُ إلىٰ أَحْسَنِ المواقِف يومَ القيامَةِ، لا تُرشِدِ اليهوديَّ إلىٰ بيْعَتِهِ، ولا النّصرانيَّ إلىٰ كنيسته، ولا الصّابيءَ إلىٰ صَوْمَعَتِهِ، ولا المجوسيَّ إلىٰ بيتِ نارِهِ، ولا المُشْرِكَ إلىٰ بَيْتِ وَثَنِه، إذاً تُكتَبُ عَلَيْكَ مِثْلُ خَطاياه حتىٰ تَرْجِعَ.

(١٥) قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله: وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم فقد خنتهم.

يا أبا هرَيْرَة، لا تُرْشِدْ أحَداً إلىٰ غيرِ حدودِ اللّهِ فَيَعْمَلَ به، إذاً يكونُ عليكَ مِثْلُ ذَنْبِهِ.

يا أبا هريرة، أرشِدْ عبادَ اللّهِ إلىٰ مساجِدِ اللّهِ، وإلى البَلَدِ الحرامِ، وإلىٰ قبري، يكن لَكَ مثلُ أجورِهم، ولا تُنقَصُ من أجورِهِمْ شيئاً، يا أبا هريرة، أبلغ النِّساء انه ليس عَلَيْهِنَّ زيارَة قبري، ولكن عليهن حج بيت الله الحرام إذا كان مَعَهُنَّ مَحْرَم، وإلاّ فلا[11].

يا أبا هريرة، إنِ آسْتَطَعْتَ ان لا يكونَ لأحَدٍ مِن الظالمين عَلَيْكَ يَدٌ أو لِسانٌ، فإني أحِبّ لَكَ ذلك، يا أبا هريرة، لا يَكُنْ أمير من أمرائِكَ إلاّ أميرٌ يعدِلُ مثل ما تعدِلُ أنْتَ، فإنْ عَدَلْتَ أنْتَ، وجارَ هُوَ كُنْتَ أنْتَ شريكَهُ في الأثمِ، ولم تكن شريكه في الأجرِ.

يا أبا هريرة، إنْ كان لَكَ مال وجَبَتْ عليه زكاة مُزَكّهِ، فإنْ أصابَتْه آفَةٌ وقَدْ زَكَّيْتَهُ مرّة واحدة، فهِيَ مُجزئَةٌ إلىٰ يوم القِيامة.

يا أبا هريرة، إذا لَقِيْتَ آليهودِيَّ والنصرانيَّ، فلا تُصافِحْهُ وأنْتَ علىٰ وضوء فإنْ فَعَلْتَ فآعدِ الوُضوءَ، يا أبا هريرة، لا تُكْنِي اليهوديَّ، ولا النَّصرانيَّ، ولا المجوسِيَّ، ولكن سَمِّه باسمه، فإنَّكَ واللّهِ تُذِلّه بذلك، ولا يَحِلّ لَكَ أن تكره إنّما لَهُمْ من آلعَهْدِ والذِّمَّةِ أنْ لا يؤخَذَ أموالُهُمْ إلاّ بطيبِ أنفُسِهِمْ، ولا تَدْخُل بيوتَهُمْ إلاّ بإذنِهِمْ، ولا تَحُلْ بينَهُمْ وبَيْنَ أطفالِهِمْ، ولا يُخانون في نسائِهِمْ، فبذلك آمُرُكَ، ولتعرفِ المِلَّةَ، يا أبا هُرَيرة، إذا خَلَوتَ بيهوديّ أو نَصراني، أو مجوسيّ، فلا يَحِلُّ لَكَ أنْ تُفارِقَه حتىٰ تَدْعُوَه إلىٰ

---

(11) قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وإن كانت امرأة مثل الحشفة ـ أي مثل التمرة اليابسة المتجعدة ويريد بها المرأة المسنّة ـ قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة.

الإسلامِ، يا أبا هريرة، لا تُجادِلَنَّ احداً مِنْهُمْ، فعسى انْ يأتِيَكَ بشيءٍ منَ التنزيلِ فَتُكَذِّبَهُ، أو تجيء بشيء فَيُكَذِّبَكَ، بل لا يكون من حَديثك إلاّ ان تدعُوَهُ إلى الإسلام، وهو قول الله تعالى: ﴿وجادِلْهُمْ بالتي هي أحْسَنُ﴾[12]، الدعاءُ إلى الإسلام.

يا أبا هريرة، صلِّ إماماً كُنْتَ أو غيرَ إمامٍ في ثَوْبٍ واحدٍ إنْ كان صفيقاً[13]، يا أبا هريرة، اتريدُ أنْ يكونَ اجرُكَ كاجرِ شهداءِ اهلِ بَدْرٍ؟ فانظُرْ رَجُلاً مُسْلِماً ليسَ له ثوب يجمُعُ فيه يوم الجُمُعةِ، فاعِرْهُ ثَوْبَكَ او هَبْهُ له.

يا أبا هُرَيْرَةَ، أتريد انْ لا تَسْمَعَ حَسيسَ النارِ، ولا يَقَعَ بك شَرَرُها فاغِثْ مَنِ آستَغاث بك، حريقٌ كانَ، لِصٌّ كانَ، سَيْلٌ كانَ، غريقٌ كانَ، هَدْمٌ كانَ، يا أبا هريرة، نَفِّسْ عَنِ المكروبينَ والمَغْمورينَ تَخْرُجْ من غَمِّ يومِ القيامة.

يا أبا هريرةَ، أمشِ إلى غَريمِكَ بِحَقِّه تُشَيِّعْكَ الملائِكَةُ بالصلاةِ عَلَيْكَ. يا أبا هريرة، مَنْ عَلِمَ اللّهُ مِنْهُ أنّه يريدُ قضاءَ دَيْنِهِ رَزَقَهُ اللّهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وهَيّأ له قَضاء دَيْنِهِ في حياته أو بَعْدَ مَوْته.

يا أبا هريرة، مَنْ اصابَ مالاً حَلالاً، وأدّى زكاتَهُ ثُمَّ ورِثَه عَقِبَهُ، فَكُلُّ ما يَصْنَعُ فيه وَرَثَتُه من الحَسَناتِ، فله مِثْل ذلك من غَيْرِ أنْ يَنْقُص من أجورِهِمْ.

---

(12) الآية/125 سورة النحل.

(13) صفيقاً: من صفق الثوب بضم الفاء إذا كثف نسجه.

يا أبا هريرة، مَنْ قَذفَ مُحْصَناً أو مُحْصَنَةً، حُبِسَ يومَ القيامَةِ في وادي خبالٍ هناك حتىٰ يخرجَ أو يجيء ببيانٍ ما قالَهُ[14].

يا أبا هريرة، مَن ماتَ وعليه دينٌ، وتَرَكَ وفاءَ ذلك فَجَحَدهُ وَرَثَتُهُ اوليسَ لهُمْ عليه بيِّنَةٌ، ولم يعلمِ اللّهُ منه أنّه يريدُ قضاءَهُ، فهو قِصاصٌ من أحسناته يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرة، المقتولُ في سبيلِ الله يَغْفِرُ له جميعَ ذنوبه إلاّ دَيْناً أو قَذْفَ مُحْصَنَةٍ أو مُحْصَنٍ، يا ابا هريرة، كُلُّ ذَنْبٍ غَمٌّ يومَ القيامَةِ، فَرُبَّ ذَنْبٍ لهُ ثارَةٌ من الغَمِّ، ورُبَّ ذَنْبٍ لهُ ثاراتٍ، ولا ذَنْبَ علىٰ المسلمِ أطولُ ثاراتٍ من مَظلَمَةِ الدَّمِ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ، يا أبا هريرة، مَنْ أصابَ شيئاً من ذلك فتابَ إلىٰ اللّهِ عَزَّ وجلَّ قبل موته، واستكانَ وتَضَرَّع، وليسَ عِنْدَهُ اداءُ تِلْكَ المَظْلَمَةِ، فإنَّ علىٰ اللّهِ أنْ يُرضيَ خُصَماءَهُ يوْمَ القيامَةِ من عندِه بما شاءَ.

يا أبا هريرةَ، إنْ ظَلَمَكَ إنسانٌ فلا تَشْكُهُ، ولا تُسَمِّعْ به النّاسَ، وتعرِّفْهُم حالَتَهُ، تَكُنْ أنْتَ وَهُوَ سواء، يا ابا هريرة، مَنْ عَفا عَنْ مَظْلَمَةٍ صغيرَةٍ أو كبيرةٍ، فاجرُهُ علىٰ اللّهِ، ومَنْ كانَ أجرُهُ علىٰ اللّهِ فَهُوَ من المُقَرَّبينَ الذينَ يدخلونَ الجنَّةَ مُدْخَلاً، يا أبا هريرة، لا تُرَوِّعْ أحداً من خَلْقِ اللّهِ عزَّ وجَلَّ، فَتُرَوِّعَكَ ملائِكَةُ اللّهِ في الآخِرَةِ يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرة، أتريدُ أنْ تكونَ علَيْكَ رَحْمَةُ اللّهِ حَيًّا ومَيِّتاً ومقبوراً ومَبْعوثاً؟ فَقُمْ بالليلِ، وصَلِّ وأنْتَ تريدُ به رِضا ربِّكَ ثُمَّ مُرْ أهْلَكَ يُصَلُّونَ،

---

(14) قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وما وادي خبال؟ قال: وادي خبال، وادٍ في جهنم يسيل فيه قيحهم وما يخرج من أجوافهم.

إذا فَرَغُوا يوقِظونَكَ، فإنَّه إذا مرَّ عَلَيْكَ من الليلِ ثلاث ساعات، ومن النَّهارِ ثلاث ساعات، وفي بَيْتِكَ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ أعْطاكَ اللَّهُ مِثْلَ ذلك. يا أبا هريرة، صَلِّ في زوايا بيْتِكَ جميعاً، يكُنْ نورُ بَيْتِكَ جميعاً في السَّماء كَنورِ الكواكِبِ في السَّماء عند أهْلِ الدُّنيا.

يا أبا هريرةَ، إحمِل غداءَكَ وعشاءَكَ إلى أقارِبِكَ المحتاجين، يكُنْ لَكَ في كُلِّ خَيْرٍ يَقْسِمُهُ اللَّهُ بَيْنَ أوليائه، وأحِبّائهِ في الدُّنيا والآخِرَة سَهْمٌ وافِر.

يا أبا هريرة، إرحَمْ جميعَ خَلْقِ اللَّهِ، يَرْحَمْكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ يومَ القِيامةِ[15].

يا أبا هريرةَ، إذا نَزَلَتْ بكَ مُصيبةٌ، فارْضَ بما أعطاكَ اللَّهُ، ولْيَعْلَمِ اللَّهُ مِنْكَ أنَّ ثَوابَ المُصيبَةِ أحَبُّ إليْكَ من عَدَمِ المُصيبَةِ، يُعْطِكَ اللَّهُ الصلاةَ والرَّحْمَةَ والهُدَى.

يا أبا هريرة، عَزِّ الحَزينَ كما تُحِبُّ أنْ تُعَزَّى، وآذكرْ ثوابَ ما أعدَّ الله على المُصيبَةِ، تُعْطَ بِكُلِّ خُطوَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ.

يا أبا هريرة، إذا مَرَرْتَ بجَمْعِ نساءٍ فلا تُسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ، فإنْ بدأنَكَ بالسَّلامِ فاردُدْ عَلَيْهِنَّ، يا أبا هريرَةَ، إذا سَلَّمَ المُسْلِمُ على المُسْلِمِ فَرَدَّ عليه صَلَّت عليْه الملائكةُ سبعينَ مرَّةً، يا أبا هريرةَ، الملائكةُ تتعجَّبُ من المُسْلمِ يلقى المسلِمَ فلا يُسلِّمْ عليه، يا أبا هريرةَ، تَعوَّدِ التَّسْليمَ، فإنَّه خَصلةٌ من خِصال الجَنَّةِ[16].

---

(15) قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، إني لأرحم الذُّبابَ يكون في الماء، فقال رسول الله ﷺ : رحمك الله، رحمك الله، رحمك الله.

(16) قال ابن شاهين: وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة.

يا ابا هـريرة، أصْبِحْ وأمْسِ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللّهِ، تُصْبِحْ وتُمْسِ وليسَ عَلَيْكَ خطيئةٌ، يا ابا هرَيْرَةَ، إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ كما يُذهِبُ الماءُ الوَسَخَ.

يا ابا هريرة، أستُرْ عَوْرَةَ أخيكَ، يكُنِ اللّهُ لَكَ ناصِراً، يا ابا هريرة، أنْصُرْ اخاكَ، وآسْتُرْ عَلَيْهِ قَبْلَ أنْ يُرفَعَ إلى السُّلطانِ في حَدٍّ من حدود الله، فإنْ رُفِعَ إلى السُّلطانِ، فإياكَ أنْ تُباشِرَ لَهُ بِنَفْسِكَ ومالِكَ، فإنَّه مَنْ مالَتْ شَفاعَتُه دُونَ حَدٍّ من حُدودِ للّهِ فهُوَ كذا وكذا.

23

رسول الله ﷺ يوصي رَجُلاً[1]:

أَقْلِلْ مِنَ الشَّهواتِ يَسْهُلْ عَلَيْكَ الفَقْرُ، وأَقْلِلْ مِنَ الذُّنوبِ يَسْهُلْ عَلَيْكَ المَوْتُ، وقَدِّمْ مالَكَ أمامَكَ يَسُرُّكَ اللحاقُ به، وآقْنَعْ بما أوتِيتَهُ يَخِفَّ عَلَيْكَ الحسابُ، ولا تَتشاغَلْ عَمّا فُرِض عَلَيْكَ بما قَدْ ضُمِنَ لَكَ، إنَّه لَيْسَ بفائِتِكَ ما قُسِمَ لكَ، ولَسْتَ بلاحِقٍ ما ذُوِيَ عَنْكَ، ولا تَكُ جاهِداً فيما يُصبحُ نافِداً، وآسعَ لِمُلْكٍ لا زَوالَ لهُ في مَنْزِلٍ لا آنتِقالَ عَنْه.

---

(1) وصايا ابن عربي/260.

24

أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1] يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]:

إنَّ للَّهِ حقًّا بالليلِ لا يقبَلُه في النَّهارِ، وحَقًّا في النَّهارِ لا يقبلُهُ بالليلِ، وإنَّه لا يَقْبَلُ نافِلَةً حتى تؤدّىَ الفريضَةُ، أَلَمْ تَرَ يا عُمَر أنّما ثَقُلَتْ موازينُ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُه يومَ القيامَةِ بِاتّباعهم الحقَّ وثقله عليهم، وحُقَّ

(1) أبو بكر الصديق: عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وأحد أعاظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيِّداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة 11 هـ. فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق، واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لَسِناً، وشجاعاً بطلاً، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، توفي في المدينة، كان لقبه الصدّيق في الجاهلية. وقيل في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء، أخباره كثيرة، وقد أفردت له كتب في سيرته منها: أبو بكر الصديق لمحمد حسين هيكل، وأبو بكر الصدّيق للشيخ علي الطنطاوي، كما أفرد له صاحب كتاب أشهر مشاهير الإسلام نحو مئة وخمسين صفحة. وانظر في ترجمته: الاصابة ترجمة/4808، كامل ابن الأثير 160/2، تاريخ الأمم والملوك 64/4، تاريخ اليعقوبي 106/2، صفة الصفوة 88/1، حلية الأولياء 93/4، تاريخ الخميس 199/2، الرياض النضرة/44 ـ 187، التبيين في أنساب القرشيين/269، الاعلام 237/4 ـ 238.

(2) الكامل في التاريخ 426/2 ـ 427، المعمرون/148، البيان والتبيين 40/2، وقد ورد فيه في مقدمة الوصية ما نصه: إني مستخلفك من بعدي، وموصيك بتقوى الله، إن لله عملاً.

لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلاّ حَقٌّ انْ يكونَ ثقيلاً، ألمْ تَرَ يا عُمر انّما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّت موازينه يومَ القِيامَةِ بآتباعِهم الباطِلَ وخفَّتَهُ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلا باطلٌ انْ يكونَ خفيفاً[3]، ألَمْ تَرَ يا عُمَرُ انما نَزَلَتْ آيةُ الرَّخاء مع آيةِ الشِّدَّةِ، وآيةُ الشِّدَّةِ مَعَ آيةِ الرَّخاء ليكونَ المؤمِنَ راغِباً راهِباً، لا يرغَبُ رَغْبَةً يتمنّى فيها على اللّهِ ما ليسَ لهُ، ولا يرهَبُ رَهْبَةً يُلقي فيها بيَديهِ[3]، أوَلَمْ تَرَ يا عُمَرُ أنّما ذَكَرَ اللّهُ اهلَ النارِ بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتَهُمْ قُلْتَ: إنّي لأرجو انْ لا اكونَ مِنْهُم، وأنّه إنّما ذكَر أهْلَ الجنَّةِ بأحْسَنِ أعمالهم لأنّه يُجاوزُ لَهمْ ما كانَ من سيِّءٍ، فإذا ذَكَرْتَهُم قُلْتَ: أينَ عَملي من أعمالِهِمْ؟ فإنْ حَفِظْتَ وَصيَّتي[4] فلا يكونَنَّ غائبٌ أحَبَّ إليكَ من حاضرٍ آلموتِ، ولَسْت بِمُعجِزِهِ.

---

(3) من هذا الموضع... إلى قوله بيديه ساقط من رواية المعمرين وبيان الجاحظ.

(4) وردت العبارة في بيان الجاحظ بعد قوله فإن حفظت وصيتي هكذا:
فلا يكونَنَّ غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي، فلا يكونَنَّ غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجز الله.

25

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يوصي أسامة بن زيد[1] حين سيَّره إلى أُبنى[2]، فقال[3]:

يا أيُّها الناسُ، قِفُوا أوصيكُمْ بِعَشْرٍ فاحفظوها عنّي، لا تَخونوا، ولا تَغُلّوا، ولا تَغْدُروا، ولا تُمَثِّلوا، ولا تَقْتُلوا طفلاً صَغيراً، ولا شَيْخاً كبيراً، ولا آمراةً، ولا تَقْعَروا[4] نَخْلاً ولا تُحرِقوهُ، ولا تَقْطَعوا شَجَرةً مُثْمِرَةً، ولا تَذْبَحوا شاةً، ولا بَقَرةً، ولا بَعيراً إلاّ لمأكَلَةٍ، وسوفَ تَمرُّونَ بأقوامٍ قَدْ فَرَّغوا أنْفُسَهُمْ في الصَّوامِعِ؛ فَدَعُوهُمْ وما فَرَّغوا أنْفُسَهُمْ لَهُ، وسوفَ تَقدِمونَ على قَوْمٍ يأتونَكُمْ بآنِيَةٍ فيها ألوانُ الطعامِ، فإذا أكَلْتُمْ منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكُروا آسمَ الله عَلَيْها، وتَلْقَون أقواماً قد فَحَصوا أوساطَ رؤوسِهم. وَتَركوا حولَها مِثْلَ العَصائبِ، فاخفِقوهُمْ بالسَّيْفِ خَفْقاً. اندفعوا باسم الله.

---

(1) أسامة بن زيد بن حارثة، صحابي جليل، كنيته أبو محمد، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، لان أباه كان أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جمًّا، وينظر إليه نظرة إلى سبطيه الحسن والحسين، هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمّره رسول الله ﷺ على وسلم قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مُظَفَّراً موفقاً، ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزة، وعاد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية. ينظر عنه: طبقات ابن سعد 42/4، تهذيب ابن عساكر 391/2 ـ 399، الاصابة 29/1، الاعلام 281/1 ـ 282.

(2) أبنى: موضع بمشارق الشام قرب مؤتة، فيه قتل زيد بن حارثة والد أسامة هذا.

(3) تاريخ الطبري 213/3، كامل ابن الأثير 162/2، جمهرة خطب العرب 187/1.

(4) قعر النخلة: إذا اجتثها من أصلها فسقطت.

26

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي خالد بن الوليد لما جهّزه لقتال أهل الردّة[1]:

يا خالدُ، عَلَيْكَ بِتقوىٰ الله، والرِّفْقِ بِمَن مَعَكَ من رَعِيَّتِكَ، فإنَّ مَعَكَ اصحابَ رسولِ اللّهِ، أهلَ السَّابِقَةِ منَ ٱلمُهاجرينَ والأنصار، فشاوِرْهُمْ فيما نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ لا تُخالِفْهُمْ، وقدِّمْ أمامَكَ ٱلطَّلائِعَ تَرْتَدْ إليكَ المنازِلَ، وسِرْ في أصْحابِك علىٰ تَعْبيةٍ جيِّدَةٍ، فإذا لَقيتَ أسداً وغَطفانَ، فبعضهم لَكَ، وبَعْضُهُمْ عَلَيْكَ، وبَعْضُهُمْ لا عَلَيْكَ ولا لَكَ، مُتَرَبِّصٌ دائِرَةَ السُّوءِ، يَنْظُرُ لِمَنْ تكونُ الدائرةُ، فَيَميلَ مع مَن تكونُ الغَلَبَةُ، ولكنَّ ٱلخَوْفَ عِندي من أهلِ ٱليمامة، فٱستَعِنْ باللّهِ علىٰ قِتالِهِمْ، فإنَّهُ بلغني أنَّهُمْ رَجَعوا بأسرِهِمْ، فإنْ كفاكَ اللّهُ الضَّاحِيَةَ فٱمضِ إلىٰ أهْلِ اليمامة. سِر علىٰ بَرَكَةِ الله.

---

(1) تاريخ الخميس 2/205.

27

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي خالد بن الوليد[1] حين وجّهه لِقتال أهلِ الردّة[2]:

سِرْ على بَرَكَةِ الله، فإذا دَخَلْتَ أرضَ ٱلعَدُوِّ فَكُنْ بَعيداً من ٱلحَمْلَةِ، فإني لا آمنُ عَلَيْكَ الجَوْلَةَ، وٱستَظْهِرْ بـٱلزّادِ، وسِـرْ بالأَدِلاّءِ، ولا تُقـاتِلْ بمَجْروحٍ فإنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْه، واحترِسْ مِنَ ٱلبَياتِ فإنَّ في ٱلعَرَبِ غِرَّةً، وأقِلَّ مِن الكلامِ، فإنّما لَكَ ما دُعِيَ عَنْكَ، وٱقْبَلْ مِنَ النّاسِ علانيَتَهمْ، وكِلْهُمْ إلى الله في سَرائِرِهِمْ، وٱستَوْدِعُكَ اللّهَ الذي لا تضيعُ ودائِعَهُ.

---

(1) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الله، الصحابي الفاتح الكبير، كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة 7 هـ، فسُرَّ به رسول الله ﷺ، وولاه الخيل، ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من اعراب نجد، ثم سيره إلى العراق سنة 12 هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحوّله إلى الشام، وجعله أمير من فيها من الأمراء، ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، وولّى أبا عبيدة بن الجراح، فلم يثن ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم لهما الفتح سنة 14 هـ. فرحل إلى المدينة، فدعاه عمر ليوليه، فأبى، ومات بحمص في سوريا، وقيل: بالمدينة. كان مظفراً خطيباً فصيحاً، يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته، قال فيه أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. أخباره كثيرة. انظر عنه: الاصابة 413/1، الاستيعاب، على هامشها، تهذيب ابن عساكر 92/5 ـ 114، صفة الصفوة 268/1، تاريخ الخميس 247/2.

(2) العقد الفريد 129/1، عيون الأخبار 108/1، وقد ورد في مقدمتها أن أبا بكر الصديق أوصى بها يزيد بن أبي سفيان حين وجهه إلى الشام، وقد ورد النص فيه هكذا:

28

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بن الجراح[1] لمّا وجهه[2]:

إسْمَعْ سَماعَ مَنْ يُريدُ أنْ يَفْهَمَ ما قيل لَهُ، ثمّ يَعْمَلُ بما أُمِرَ به، إنَّكَ تَخْرُجُ في أشْرافِ النّاسِ، وبُيوتاتِ العَرَبِ، وصُلَحاءِ المُسْلِمينَ، وفُرسانِ آلجاهليةِ، كانُوا يُقاتِلونَ إذْاك عَنِ آلحَمِيَّةِ، وهُمُ اليوم يُقاتلون على الحِسْبَةِ والنِّيَّةِ الحَسَنَةِ، أحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَكَ، ولْيَكُنْ النامُ عِنْدَكَ في آلحَقِّ سَواءً، وآستَعِنْ بالله، وكَفَى بالله مُعيناً، وتَوَكَّلْ على اللّهِ، وكَفَى باللّهِ، وكيلاً، أخرج من غَدٍ إنْ شاءَ الله.

---

(1) أبو عبيدة، عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القُرشي، الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصّحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال ابن عساكر: داهيتا قريش ابو بكر وأبو عبيدة، وكان لقبه أمين الأمة، ولد بمكة، وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد، فتمّ له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرْقاً، وآسية الصغرى شمالاً، ورتّب للبلاد المرابطين والعمال، وتعلقت به قلوب الناس لرفقه وأناته وتواضعه، توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان، وانقرض عقبه، وعن المصطفى ﷺ: «لكلّ نبي أمين وأميني أبو عبيدة بن الجراح». أنظر عنه: طبقات ابن سعد، الاصابة ترجمة/4400، صفة الصفوة 1/142، تاريخ الخميس 2/244، التبيين في أنساب القرشيين/441، نسب قريش/445، الاعلام 4/21.

(2) فتوح الشام/12، جمهرة خطب العرب 1/200.

29

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بن الجراح لما خرج وهو يمشي معه في رجال من المسلمين حتىٰ بلغ ثَنِيَّة الوداع فقال له[1]:

يا أبا عبيدةَ، إعملْ صالحاً، وعِشْ مُجاهِداً، وتَوَفَّ شَهيداً، يُعْطِكَ اللَّهُ كِتابَكَ بيَمينِكَ، وَلْتَقَرَّ عَيْنُكَ في دُنْياكَ وآخِرَتِكَ، فواللَّهِ، إني لأَرجو أَنْ تكونَ مِنَ التَّوابينَ الأوابينَ المخَشَّنين[2] الزاهدين في الدُّنيا، الراغبينَ في الآخِرَة، إنَّ اللَّهَ قد صَنَعَ بكَ خَيْراً وساقَهُ إليْكَ، إذْ جَعَلَكَ تَسيرُ في جَيْشٍ من المُسْلمين إلىٰ عَدُوِّهِ مِنَ المشركينَ، فَقاتِلْ مَنْ كَفَرَ باللهِ وأشركَ بِهِ، وعَبَدَ مَعَهُ غَيرَهُ.

---

(1) فتوح الشام/14، جمهرة خطب العرب 1/200.

(2) المخشّين: أحسبهم الذين يخشون الله. وقد استبدل صاحب جمهرة خطب العرب لفظة المتن بلفظة المخبتين، وذكر ذلك مهمشاً.

30

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بقيس بن مكشوح[1] لما وجهه إلى الشام[2]:

إنّه قَدْ صَحِبَكَ رَجُلٌ عظيمُ الشَّرَفِ، فارسٌ من فُرْسانِ العَرَبِ، لا أظن له عظيم حسبة[3]، ولا كثير نِيَّةٍ في الجهادِ، وليس بالمسلمين غِنًى عن مَشورتِه، ورأيِهِ وبأسِهِ في الحرب، فأَذِنِهِ، والطِفْهُ، وارِهِ أنَّكَ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ ولا مُسْتَهينٍ بأمرِهِ، فإنْ تَسْتَخْرِجُ منه بذلك نَصيحَتَهُ لكَ، وجُهْدَهُ ووجهه على عَدُوِّكَ.

---

(1) قيس بن مكشوح: قيس بن هبيرة الملقّب بمكشوح ابن هلال البجلي، صحابي، من الشجعان الأبطال الشعراء، كان سيّد بجيلة في الجاهلية وفارسها، كنيته أبو شداد له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما. في القادسية وغيرها سار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، وشهد قتال نهاوند، وحضر معارك صفين مع عليّ، فقتل في إحداها. وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب، وكان يناقضه في الجاهلية، وفي الرواة من يعرفه بالمرادي، وكان حليفاً لمراد، وعداده فيهم. انظر عنه: معجم الشعراء/323، الاستيعاب 3/235، على هامش الاصابة. وقيل في اسم جده الاعلام 6/61.

(2) تاريخ الخميس 2/224.

(3) هذا اللفظ ورد في مصدره بهذه الصيغة، وهو غير واضح القراءة. وطبعة الكتاب قديمة جداً، ولم أجده في مرجع آخر فاثبت منه. فلفظة أظن ربما أظنّ. وعظم حسبة: لعلها عظيم حسبة.

31

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قيس بن مكشوح لما بعثه مع أبي عبيدة في غزو الشام[1]:

إنِّي بَعَثْتُكَ مَعَ أبي عُبَيْدَةَ الأمين، الذي إذا ظُلِمَ كَظَمَ، وإذا أُسِرَ إليهِ غَفَرَ، وإذا قُطِعَ وَصَلَ، رَحيمٌ بالمؤمنين، شديدٌ على الكافرين، فلا تَعْصِيَنَّ لهُ أمْراً، ولا تُخالِفَنَّ لَهُ رأياً، فإنَّهُ لنْ يأمُرَكَ إلاَّ بِخَيْرٍ، وَقَدْ أَمَرْتُه أن يسْمَعَ مِنْكَ، ولا تأمُرُه إلاَّ بِتَقوىٰ الله، فقد كُنَّا نَسْمَعُ أنَّكَ شريفٌ، بَيْتٌ، مُجَرَّبٌ، وذلك في زمان الشرك؛ والجاهلية الجهلاء، فآجعل بأسكَ وشِدَّتك ونجدَتَكَ اليومَ في الإسلامِ علىٰ مَنْ كَفَرَ باللّهِ، وعَبَدَ غَيْرَهُ، فقد جَعَلَ الله فيه الأَجْرَ العظيمَ، والعِزَّ للمسلمين[2].

---

(1) تاريخ الخميس 2/224.

(2) فقال قيس: إن بقيت ولقيت، فسيبلغك من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ما يسرّك ويرضيك. فقال أبو بكر: إفعل ذلك، فلما بلغه مبارزته البطريقين بالجابية وقتله إياهما قال: صدق قيس ووفّى وبرّ.

32

أبـو بكر الصـديق يـوصي يـزيـد بن أبي سفيـان[1] حين عقـد لـه ووجهه[2]:

يا يزيد، إني أوصيكَ بِتَقْوىٰ اللّهِ وطاعَتِه، والإيثارِ لهُ، والخوفِ منه، وإذا لَقِيْتَ العَدُوَّ فاظفَرَكُمُ اللّهُ بهِمْ، فلا تَغْلُلْ، ولا تُمَثِّل، ولا تغدُرْ، ولا تَجْبُنْ، ولا تَقْتُلوا وَليداً، ولا شَيْخاً كبيراً، ولا امرأةً، ولا تَحْرِقوا نخْلاً، ولا تَقْعَروه، ولا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، ولا تَعْقروا بهيمةً إلاّ لمأكَلَةٍ، وسَتَمُرّونَ بِقَوْمٍ في الصَّوامِع، يَزْعُمونَ أنّهم حَبَسوا أنْفُسَهُمْ لله، فذَعوهُمْ وما حَبَسوا أنْفُسَهُمْ لَهُ، وسَتَجِدونَ آخَرينَ قد فَحَصَ الشَّيطانُ عَنْ أوساطِ رؤوسِهِمْ، حَتّىٰ كأنَّ أوساط رؤوسِهِمْ أفاحيصَ القطا[3]، فاضرِبوا ما فَحَصوا من رؤوسهم بالسُّيوف حتّىٰ ينيبوا إلىٰ الإسلام، أو يؤدّوا الجِزْيَةَ عَن يدٍ وهم

---

(1) يزيد بن أبي سفيان (صخر بن حرب) الأموي، أبو خالد، أمير، صحابي، من رجالات بني امية شجاعة وحزماً، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله، ثم استعمله أبو بكر رضي الله عنه على جيش وسيّره إلى الشام، وخرج معه يشيعه راجلاً، ولما استخلف عمر ولاه فلسطين، ثم ولي دمشق وخراجها، وافتتح قيسارية، وهو أخو معاوية بن أبي سفيان، له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي في دمشق بالطاعون وهو على الولاية. ينظر عنه: الاصابة ترجمة/9267، تاريخ الإسلام 25/2، البداية والنهاية 95/7، أسد الغابة 112/5، سير أعلام النبلاء 237/1، مجمع الزوائد 413/9، نسب قريش/124 ـ 126، التبيين في أنساب القرشيين/175 ـ 176.

(2) فتوح الشام/8، جمهرة خطب العرب 197/1، وقسم منها في العقد الفريد 128/1، ونهاية الأرب.

(3) الأفاحيص: جمع مفرده أفحوص، وهو الذي يجثم فيه القطا.

صاغزونَ، ﴿ولَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ ورسله بـالغيب[4]. ثم أَخَذَ يَدَهُ فقال: إنّي أَسْتَوْدِعَكَ اللّهَ، وعليك سَلامُ اللّهِ ورَحْمَتُه، ثمّ ودّعَه وقال: إنّكَ أوّلُ أمرائي، وقَدْ وَلّيْتُكَ على رجالٍ من المسلمين أشرافٍ غيرِ أوزاعٍ[5] في النّاسِ، فاحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، ولتَكُنْ لَهُم كَنَفاً، وآخفِضْ لَهُمْ جَناحَكَ، ﴿وشاوِرْهمْ في الأمرِ﴾[6] أَحْيَنَ اللّهُ لَكَ الصّحابة وعَلّيْنا الخِلافة.

---

(4) الآية/40 سورة الحج.

(5) الأوزاع: الضعفاء، أي أنهم ليسوا ضعفاء ولا أدنياء ولا جُفاة.

(6) الآية/159 سورة آل عمران.

وقد ورد نص الوصية في العقد الفريد ونهاية الأرب بهذه الصيغة:

إنّك ستجد قوماً حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له ـ يعني الرهبان ـ وستجد قوماً فحصوا أوساط رؤوسهم الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، ثم قاله:

إني موصيك بعشر، لا تغدر، ولا تمثل، ولا تقتل هرماً، ولا امرأةً، ولا وليداً، ولا تعقرنّ شاةً، ولا بعيراً إلا ما أكلتم، ولا تحرقن نخلاً، ولا تخربَنّ عامراً، ولا تغلّ، ولا تبخس.

33

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي يزيد بن أبي سفيان[1] لما وَجَّهَهُ إلى الشام[2]:

إنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لأبلُوَكَ وأُجَرِّبَكَ وأُخَرِّجَكَ، فإن أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إلى عَمَلِكَ وزِدْتُكَ، وإنْ أسأتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بتقوى اللَّهِ، فإنَّه يرى من باطِنكَ مثلَ الذي من ظاهِرِكَ، وأنَّ أَوْلى الناسِ باللَّهِ أشدُّهُمْ تَوَلِّياً لَهُ، وأقربَ الناسِ من اللَّهِ أَشَدُّهم تَقَرُّباً إليه بِعَمَله، وقد ولَّيْتُكَ عَمَلَ خالد، فإيَّاكَ، وعُبِّيَّةَ الجاهلية[3]، فإنَّ اللَّهَ يُبْغِضُها ويُبْغِضُ أَهْلَها.

وإذا قَدِمْتَ على جُندِكَ؛ فأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وآبدأهُمْ بالخَيْرِ وعِدْهُمْ إياهُ، وإذا وَعَظْتَهُمْ فأوجزْ؛ فإنَّ كثيرَ الكلامِ يُنسي بعْضُهُ بعضاً، وأصلِحْ نَفْسَكَ يَصلُحْ لكَ الناسُ، وصَلِّ الصَّلوات لأوقاتها بإتمامِ ركوعِها وسُجودِها والتَّخَشُّعِ فيها، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فأكرِمهُمْ، وأَقْلِلْ لَبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرِجوا من عَسْكَرِكَ وهُمْ جاهلونَ به، ولا تَرَيَنَّهُمْ قَيْرُوا خَلَلَكَ، ويَعْلَموا عِلْمَكَ، وأنزِلْهُمْ في ثَرْوَةِ[4] عَسْكَرِكَ وآمْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ من محاذَتِهِمْ، وكُنْ أنتَ المُتَوَلِّي لِكلامِهِمْ، ولا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلانِيَتِكَ فَيُخْلَطَ أمرُكَ، وإذا

---

(1) يزيد بن أبي سفيان: ترجمنا له مهمشين على هامش الوصية المرقمة/32.

(2) الكامل في التاريخ 2/404 ـ 405.

(3) إياك وعبيّة الجاهلية، ما كان عليه الجاهليون من الحمية في الباطل والحق. والتعصب لها.

(4) الثروة: العدد الكثير من الناس.

آستَشْرْتَ فآصدُقِ الحديثَ تُصْدَقِ المشورَةَ، ولا تَخْزِنْ عنِ المشيرِ خَبَرَكَ فتوتىٰ من قِبَل نَفْسِكَ.

واسمُرْ بالليلِ في أصحابِكَ تأتِكَ الأخبارُ، وتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الأستار وأكثِرْ حَرَسَكَ، وبَدِّدْهُمْ في عسْكَرِكَ، وأكثِرْ مُفاجأتَهُمْ في محارِسِكَ بغير عِلْمٍ مِنْهُمْ بكَ، فمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فاحسِنْ أدَبَهُ وعاقِبْهُ في غَيْرِ إفراطٍ، وأعقِبْ بينَهُمْ بالليلِ، وآجعَلِ النَّوبةَ الأولىٰ أطْوَلَ من الأخيرة فإنَّها أيسَرُهما لقُربها منَ النَّهار، ولا تَخَفْ من عُقوبة ٱلمُسْتَحِقِّ، ولا تَلِجَنَّ، ولا تُسْرِعْ إليها، ولا تَخْذُلْها مَدْفَعاً[5]، ولا تَغْفَلْ عَنْ أهْلِ عَسْكَرِكَ فتُفْسِدَ، ولا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فتَفْضَحَهُمْ، ولا تَكْشِفِ النـاسَ عنْ أسـرارِهم، وآكتَفِ بعلانِيَّتهم، ولا تجالِسِ العيَّابينَ، وجالِسْ أهلَ الصِّدْقِ والوَفاءِ، وآصدُقِ اللقاءَ، ولا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ الناسُ، وآجتَنِبِ الغُلول[6] فإنَّهُ يُقَرِّبُ ٱلفَقْرَ، ويَدْفَعُ النَّصْرَ، وستَجِدونَ أقواماً أنْفُسَهُم في الصَّوامِعِ فدَعْهُمْ وما حَبَسوا أنْفُسَهُمْ له.

---

(5) أي لا تتهاون فيها.

(6) الغلول: الإسراف والتعدي.

34

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص لما وَجَّهَهُ إلى الشام[1]:

يا عمرو[2] إتَّقِ اللَّهَ في سرِّ أمْرِكَ وعلانِيَتِهِ، واستَحْيِهِ، فإنَّهُ يراكَ ويَرى عَمَلَكَ، وقَدْ رأيْتَ تَقديمي إيّاكَ على مَنْ هُوَ أقْدَمُ سابِقَةً مِنْكَ، ومَنْ كانَ أعْظَمَ غناءً عن الإسلامِ وأهلِهِ مِنْكَ، فَكُنْ من عُمّالِ الآخِرَةِ، وأرِدْ بما تَعْمَلُ وَجْهَ اللَّهِ، وكُنْ والداً لمَنْ مَعَكَ، ولا تَكْشِفَنَّ الناسَ عَنْ أستارِهِمْ، واكتَفِ بعلانيتهمْ، وكُنْ مُجِدًّا في أمْرِكَ، وأصدُقِ اللقاءَ إذا لاقَيْتَ، ولا تَجْبُن، وتَقَدَّمْ في العلوم[3]، وعاقِبِ عَلَيْهِ، وإذا وَعَظْتَ أصحابَكَ فأوجِزْ، وأصلِحْ نَفْسَكَ تَصْلُحْ لكَ رَعِيَّتُكَ[4].

---

(1) تاريخ ابن عساكر 1/129.

(2) ورد في مقدمة الوصية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص ويوصيه.

(3) العلوم: الذين جاوزوا حدود ما أمروا به من الدين وطاعة الإمام.

(4) قال ابن عساكر: وهي وصية طويلة. قلت: وقد بحثت عنها طويلاً وانتشرت فيها كثيراً من المظان فلم أقف عليها. إلاّ أن كثيراً من جمل هذه الوصية ومفرداتها قد وردت في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنها ليزيد بن أبي سفيان حين وجهه إلى الشام، وهي وصية طويلة، ولعلها المقصودة. انظر الوصية المرقمة/33.

35

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص[1] والوليد بن عقبة[2]، وقد أوصىٰ كلٌ واحد منهما بهذه الوَصِيَّة[3]:

إتَّقِ اللَّهَ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ، فإنَّه ﴿مَنْ يتَّقِ اللهَ يجعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[4]، ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْه سيِّئاتِهِ، ويعظِّمْ لهُ أجْراً، فإنَّ تقوىٰ اللَّهِ خَيْرُ ما تَواصىٰ به عِبادُ الله، إنَّكَ في سبيلِ اللَّهِ، لا يَسَعُكَ فيه الإدْهانُ[5] والتَّفْريطُ والغَفْلَةُ عَمَّا فيه قِوامُ دينِكُمْ، وعِصْمَةُ امرِكُمْ، فلا تَنِ[6]، ولا تَفْتُرْ.

---

(1) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبدالله، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، أسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي ﷺ إمرة جيش ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر، ثم استعمله على عمان، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها، وعزله عثمان، وولاه معاوية على مصر سنة 38 هـ. وتوفي بالقاهرة، أخباره كثيرة. ينظر عنه: الاستيعاب 2/501، على هامش الاصابة، والاصابة ترجمة/5884، تاريخ الإسلام 2/235 ـ 240، المغرب في حلى المغرب ق1/13 ـ 54، جمهرة الأنساب/154، الاعلام 5/248 ـ 249.

(2) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب الأموي القرشي، والٍ، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها وأقام إلى سنة 29 هـ ثم عزله عثمان عنها بوشاية شرب الخمر وحدّه وحبسه واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ورثى عثمان بن عفان. ومات بالرقة. عن الاعلام 9/143.

(3) تاريخ الطبري 4/29، جمهرة خطب العرب 1/187.

(4) الآية/2 سورة/الطلاق.

(5) المداهنة: الغش والاحتيال.

(6) أي لا تتاخر عن قصد ولا تكسل عنه.

36

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص[1] وقد أمدَّ به جيشَ أبي عبيدة[2]:

يا عمرو[3]، إنَّكَ ذو رأيٍ وتجربةٍ بالأُمورِ، وتَبصِرَةٍ بالحربِ، وقد خَرَجْتَ معَ أشرافِ قَوْمِكَ، ورجالٍ من صُلَحاءِ المُسْلِمينَ، وأنْتَ قادِمٌ على إخوانِكَ، فلا تألُهُمْ نصيحةً، ولا تدَّخِرْ عَنْهُمْ صالِحَ مَشورَةٍ، فَرُبَّ رأيٍ لَكَ مَحْمُودٍ في الحربِ، مُبارَكٍ في عواقِبِ الأُمورِ[4].

(1) عمرو بن العاص: ترجمنا له على هامش الوصية المرقمة/35.
(2) أبو عبيدة: ترجمنا له على هامش الوصية المرقمة/28.
(3) فتوح الشام/41. جمهرة خطب العرب 1/196، تاريخ الخميس 2/227.
(4) فقال له عمرو: ما أخلقني أن أصدق ظنك، وأن أقبل رأيك، ثم ودّعه وانصرف.

37

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي شرحبيل بن حَسْنَة[1] حين وجَّهه[2]:

يا شُرَحبيل، ألم تَسْمَعْ وصيَّتي ليزيد بن أبي سفيان[3]؟ قال: بلىٰ، قال: فإني أوصيكَ بِمِثْلها، وأوصِيْكَ بخصالٍ أغْفَلْتُ ذِكْرَهُنَّ ليزيد: أوصيك بالصَّلاة في وَقْتِها، وبالصَّبْرِ يومَ البأسَ حتىٰ تَظْفَر أو تُقْتَلَ، وبِعيادَةِ المرضىٰ، وبِحضورِ الجنائزِ، وذِكْرِ اللَّهِ كثيراً علىٰ كُلِّ حالٍ.

---

(1) شرحبيل بن عبدالله بن المطاع بن الغطريف الكندي، حليف بني زهرة، صحابي، من القادة، يعرف بشرحبيل بن حسنة وهي أمُّه، أسلم بمكة، وهاجر إلىٰ الحبشة، وغزا مع النبي ﷺ، فأوفده رسولاً إلى مصر، وتوفي رسول الله ﷺ وشرحبيل بمصر، ثم جعله أبو بكر أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام، فافتتح الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية، فإنّ أهلها صالحوه، وذلك بأمر من أبي عبيدة، ولما قدم عمر رضي الله عنه الجابية عزله، واستعمل معاوية مكانه، فقال شرحبيل: أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أردت رجلاً أقوىٰ من رجل. وتوفي بطاعون عمواس. قيل عنه: أنه كان من الفرسان الذين سادوا الناس. انظر عنه: تهذيب ابن عساكر 6/299، تهذيب الأسماء واللغات 1/242، الاعلام 3/234.

(2) فتوح الشام/11، جمهرة خطب العرب 1/200.

(3) تنظر الوصية المرقمة/32، و33.

38

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي هاشم بن عتبة[1] وقد أرسله إلى الشام مُمِدّاً لأبي عبيدة ابن الجراح[2]:

يا هاشِمُ، إنّا إنّما كُنّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشَّيخِ الكبيرِ برأيه ومَشورَته، وحُسْنِ تدبيرِهِ، وكُنّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشّابِّ بصَبْرِهِ وبأسِهِ ونَجْدَتِهِ، وإنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ قد جَمَعَ لَكَ تلك الخِصالَ كُلَّها، وأنتَ حديثُ السِّنِّ مُسْتَقْبِلُ الخَيْرِ، فإذا لقيتَ عَدُوَّكَ فاصبِرْ وصابر، واعلم أنّك لا تَخطو خُطوَةً، ولا تُنْفِقُ نَفَقَةً، ولا يُصيبُكَ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ[3] في سبيل اللّهِ إلاّ كَتَبَ الله لك به عَمَلاً صالحاً، إنَّ اللّهَ لا يُضيع أجرَ المحسنينَ[4].

---

(1) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، صحابي خطيب من الفرسان، يلقب بالمرقال، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص، أسلم يوم فتح مكة، ونزل الشام بعد فتحها، فأرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ستة عشر رجلاً من جند الشام مدداً لسعد بن أبي وقاص في العراق، وشهد القادسية مع سعد، وأصيبت عينه يوم اليرموك، فقيل له الأعور، وفتح جلولاء، وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه، وتولى قيادة الرجالة في صفين، وقتل في آخر أيامها. انظر عنه: الأخبار الطوال/186، رغبة الأمل 3/112 ـ 113، معجم ما استعجم/390، مرآة الجنان 1/101، التبيين في أنساب القرشيين 1/255.

(2) فتوح الشام/28، جمهرة خطب العرب 1/202.

(3) النصب: التعب، والمخمصة: الجوع.

(4) فقال هاشم: إن يرد الله بي خيراً يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أقتلْ أن أقتل ثم أقتل إن شاء الله. فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا بن أخي، لا تطعن طعنة، ولا تضربَنَّ ضربة، إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً، وراجع إلى الله قريباً، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صِدْقٍ قدّمته، أو عمل صالح أسلفته. فقال هاشم:
أي عمّ، لا تخالَنّ مني غير هذا، إني إذاً لمِنَ الخاسرينَ إنْ جَعَلتُ جِلّي وارتحالي، وغدوي ورواحي، وسيفي وطعني برُمحي وضربي بسيفي رياء للناس.
ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتباشر بمقدمه المسلمون.
قلت: وقد وردت لفظة لا تخالن في النص لا تخافن. وقد صححها أحمد زكي صفوت في كتابه جمهرة خطب العرب. وذكر ذلك مهمشاً. وأظنه مصيباً.

39

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي خالد بن سعيد بن العاص[1] لما خرج من المدينة غازياً[2]:

إنَّكَ قَدْ أوصيتَني برشدي وقد وَعَيْتُه[3]، وأنا موصيك فاستمع وصيَّتي وَعِها، إنَّكَ آمرؤٌ قد جَعَلَ اللّهُ لَكَ سابِقَةً في الإسلامِ، وفضيلةً عظيمةً، والنّاسُ ناظرونَ إليكَ، ومُسْتَمِعونَ مِنْكَ، وقَدْ خَرَجْتَ في هذا الوجهِ العظيم الأَجْرِ، وأنا آرجو أن يكونَ خروجُكَ فيه لِحسْبَةٍ ونِيَّةٍ صادِقةٍ إن شاءَ الله، فَثَبِّتِ العالِمَ، وعَلِّمِ الجاهِلَ، وعاتِبِ السَّفيه المُتْرَف، وآنصَحْ لعامَّة المُسلمينَ، وآخصُصِ الوالي على الجُند من نَصيحَتِكَ ومَشورَتِكَ ما يَحِقُّ لله ولِلْمسلمينَ عليْكَ، وآعمَلْ للّهِ كأنَّكَ تراهُ، وآعدُدْ نَفْسَكَ في الموتى، وآعلَمْ أنّا عَمّا قليلٍ مَيِّتونَ، ثمَّ مُساءلونَ ومُحاسَبونَ، جَعَلنا اللّهُ وإياكَ لأنعُمِهِ من الشّاكرينَ، ولِنِقَمِهِ مِنَ الخائفينَ، ثمَّ أخذ يده فوَدَّعه.

---

(1) ترجمنا له مهمشين على هامش الوصية المرقمة/145، وانظر عن سبب وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه له الطرة الثانية هامش الوصية المرقمة/145.

(2) فتوح الشام/16. جمهرة خطب العرب 1/195.

(3) انظر وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر الصديق رضي الله عنه المرقمة/145.

40

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في اليوم الذي قُبِضَ فيه[1]:

يا عُمَر، صَحِبْتُ رسولَ الله ﷺ، فرأيتُ أَثَرَتَهُ إيّانا على أهلِهِ، ووالله إن كُنّا لَنُرسِلُ إليهِمْ من فَضْلَةِ ما يأتينا مِنْهُ، وصَحِبْتَني ورأَيْتَني، فوالله ما نُمْتُ فَحَلُمْتُ، ولا تَوَهَّمْتُ فَشُبِّهَ لي، وإنّي لعلى بصيرَةٍ من رأيي.

يا عُمَر، إنَّ أوّلَ ما أحذِّرُكَ به نَفْسَكَ، فإنَّ لكُلِّ نَفْسٍ شَهْوَةً، فإذا اجابَتْها إليها دَعَتْها إلى ما هُوَ أعظَمُ مِنْها، وأُحَذِّرُكَ هؤلاء الرَّهْطَ من المُهاجرينَ، فإنّي قد رأيتُهُمْ طَمَحَتْ أبصارُهُمْ، ونُفِخَتْ اجوافُهُمْ، وتمنى كُلُّ امرىءٍ منهم لِنَفْسِهِ، فاحمِلْهُمْ على الطَّريقِ الواضحِ يَكْفُوكَ أنْفُسَهُمْ.

واعْلَمْ أنَّهُمْ لَنْ يزالوا لَكَ هايبين ما هِبْتَ اللّهَ عزَّ وجَلَّ، فرقينَ مِنْكَ ما فَرَقْتَ منهُ. هذه وصيَّتي إياكَ، واقرأ عَلَيْكَ السلام.

---

(1) المعمرون والوصايا/ 148 ـ 149.

41

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، دعا عثمان بن عفّان رضوان الله عليه وقال: أكتبْ[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قُحافَةَ، في آخِر عَهْدِهِ بالدُّنيا خارجاً مِنْها، وعِنْدَ أوّلِ عَهْدِهِ بالآخِرَةِ داخِلاً فيها، حَيْثُ يؤمِنُ الكافِرُ، ويوقِنُ الفاجرُ، ويُصَدِّقُ الشّاكُّ المكذِّبُ.

إنّي آستَخْلَفْتُ عليكُمْ بعدي عُمَرَ بنَ الخطابِ، فآسمعوا لَهُ وأطيعوا، فإني لَمْ آلُ اللّهَ ورَسولَهُ ودينَهُ ونَفْسي وإياكُمْ خيراً، فإنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنّي به وعِلْمي فيهِ، وإن بدّلَ فلِكُلِّ آمريءٍ ما آكتَسَبَ، والخيرَ أرَدْتُ، ولا يَعْلَمُ الغيبَ إلاّ اللّهُ، ﴿وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ﴾[2]، والسلامُ عليكم ورحمة الله[3].

---

(1) لباب الآداب/21، اعجاز القرآن/115، عيون الأخبار 1/14 مع اختلاف يسير ولم يقل دها عثمان بن عفان، كامل ابن الأثير 2/427، الامامة والسياسة 1/24.

(2) الآية/227 سورة الشعراء.

(3) وردت الوصية في عيون الأخبار هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر، إني استعملت عمر بن الخطاب، فإن برّ وعدل فذلك علمي به، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرىء ما اكتسب، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وفي كامل ابن الأثير أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له: اكتب:

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين:

أمّا بعد: ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: أما بعد، فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً، ثم أفاق أبو بكر فقال: إقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إنْ مِتّ في غشيتي؟ قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

42

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي غلاماً لَهُ كان يتَّجِرُ بالثياب[1]:

إذا كانَ الثَّوبُ سابغاً فآنشُرْهُ وأنتَ قائِمٌ، وإذا كانَ قصيراً فآنشُرْهُ وأنتَ جالِسٌ، وإنَّما البيعُ مِكامَسٌ[2].

(1) العقد الفريد 2/465.

(2) أي إنما البيع جباية تقول فلان مكس في البيع إذا جبى مالاً.

43

عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] يوصي سعد بن أبي وقاص[2] ومن معه من الأجناد[3]:

---

(1) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لُقِّب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم، وينذر من أرادوا إنذاره، وهو أحد العمرين اللذين كان النبي ﷺ يدعو ربَّه أن يعز الإسلام بأحدهما، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهدوا الوقائع، قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في انحطاط حتى أسلم عمر، وكانت له تجارة بين الشام والحجاز، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ بعهد منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، حتى قيل: أنتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون الوقائع، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا، وأول من دوّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لاحصاء أصحاب الأعطيات، وتوزيع المرتبات عليهم، وكان يطوف في الأسواق منفرداً، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وكتب إلى عمار إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم. وروى الزهري: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، ينبغي حدة عقولهم، وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة، وكان لا يكاد يعرض له أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر وكان ما فعله لما ولي أنْ ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصبح السبيّ سبّةً على العرب، وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد على بعضها: «الحمد لله» وفي بعضها: «لا إله إلاّ الله وحده» وفي بعضها: «محمد رسول الله»، نقش خاتمه: «كفى بالموت واعظاً يا عمر». وفي الحديث: «اتقوا غضب عمر، فإن الله يغضب لغضبه». لقّبه النبي ﷺ بالفاروق وكناه بأبي حفص، وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ. قتله غيلة أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة، ضربه بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال. أخباره كثيرة جداً. وقد ألفت فيه المؤلفات والكتب، وقد أفرد له صاحب أشهر مشاهير الإسلام نحو ثلثمائة صفحة. ولابن الجوزي: عمر بن الخطاب، ولعباس محمود العقاد: عبقرية =

أمّا بعْدُ، فإني آمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ من الأجنادِ بتقوىٰ الله علىٰ كلّ حال، فإنَّ تقوىٰ اللّهِ أفضَلُ العُدَّةِ علىٰ العَدوّ، وأقوىٰ المكيدةِ في الحرب.

وآمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ أنْ تكونوا أشَدَّ آحتراساً منَ المعاصي مِنْكُم من عدوّكم، فإنَّ ذُنوبَ الجيشِ أخوَفُ عَلَيْهِمْ من عَدُوّهم، وإنّما يُنْصَرُ المسلمونَ بمَعْصِيَةِ عَدُوّهم لله، ولولا ذلك لمْ تكن لنا بهم قُوَّةٌ، لأنَّ عَدَدَنا ليسَ كَعَدَدهم، ولا عُدَّتُنا كعُدَّتِهِمْ، فإنِ آستَوينا في آلمَعْصِيَةِ كانَ لَهُمْ آلفَضْلُ علينا في القُوَّةِ، وإلاّ نُنْصَرْ عليهم بفضلِنا لم نَغْلِبْهُمْ بقُوَّتِنا.

وآعلَموا أنَّ عَلَيْكُمْ في مَسيرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللّهِ يعلمونَ ما تَفْعَلونَ، فآستَحيوا مِنْهُمْ، ولا تَعْمَلوا بمَعاصي الله وأنتُم في سَبيل الله، ولا تَقولوا إنَّ عَدُوَّنا شَرٌّ مِنّا فَلَنْ يُسَلَّطَ علينا وإن أساءنا، فَرُبَّ قومٍ قد سُلّط عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كما سُلّطَ علىٰ بني إسرائيلَ لمّا عَمِلوا بمساخِطِ اللّهِ كُفّارُ المَجوسِ ﴿فجاسُوا خِلالَ الدِّيار وكانَ وَعْداً مفعولاً﴾(4)، وآسألوا اللّهَ آلعَوْنَ علىٰ أنفُسِكُمْ، كما تَسْألونَهُ النَّصْرَ علىٰ عَدُوِّكُمْ، أسألُ اللّهَ ذلك لنا ولكم.

وتَرَفَّق بالمسلمينَ في مَسيرِهِمْ، ولا تُجَشِّمْهُمْ مَسيراً يُتْعِبُهُم، ولا

= عمر. وللشيخ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي: عمر بن الخطاب. ولمحمود شيت خطاب: الفاروق القائد. ولمحمد حسين هيكل: الفاروق عمر. كتاب عنه باللغة الاردية نقله ظفر علي خان إلى الانكليزية وسماه: Al-Faroq Omar the great وطبع معه خريطة للفتوحات الإسلامية. وانظر في ترجمته:
كامل ابن الأثير 3/19، والطبري 1/187 ـ 217، ثم 2/2 ـ 82، تاريخ اليعقوبي 2/117، الاصابة ترجمة/5738، صفة الصفوة 1/101، حلية الأولياء 1/38، تاريخ الخميس 1/259 ثم 2/239، الكنىٰ والأسماء 1/7. الاعلام 5/203.

(2) سعد بن أبي وقاص. ترجمنا له مهمشين علىٰ هامش الوصية المرقمة/161.

(3) العقد الفريد 1/130، نهاية الارب 6/168 ـ 170، جمهرة خطب العرب 1/225 ـ 227، وثمة وصية قريبة الشبه بهذه عزيت إلى عمر بن عبد العزيز، انظر الوصية المرقمة/113 وتخريجها هناك.

(4) الآية/5 سورة الإسراء.

تُقَصِّرْ بهم عن مَنْزِلٍ يرفُقُ بهمْ؛ حَتّىٰ يبلُغوا عَدُوَّهم، والسَّفَرُ لمْ ينقُصْ قوَّتَهُمْ، فإنَّهُمْ سائِرونَ إلىٰ عدُوٍّ مُقيمٍ حامي الأَنْفُسِ والكُراع.

وأقِمْ بمَنْ مَعَكَ في كُلِّ جُمُعَةٍ يوماً ولَيْلَةً، حتىٰ تكونَ لَهُمْ راحةٌ يحيونَ فيها أَنْفُسَهُمْ، ويَرِمُّونَ أَسْلِحَتَهُمْ وأمْتِعَتَهُمْ.

ونَحِّ منازِلَهُمْ عنْ قُرىٰ أهلِ الصُّلْحِ والذِّمَّةِ، فلا يَدْخُلْها من اصحابكَ إلاَّ منْ تَثِقُ بدينِهِ، ولا يَرْزَأْ احداً من أَهْلِها شيئاً، فإنَّ لَهُمْ حُرْمَةً وذِمَّةً آبْتُلِيتُمْ بالوفاء بها؛ كما آبْتُلُوا بالصَّبْرِ عليْها، فما صَبَروا لَكُمْ فَتَوَلّوهم خَيْراً، ولا تَسْتَنْصِروا علىٰ أهلِ الحربِ بظُلْمِ أَهْلِ الصُّلْحِ.

وإذا وَطِئْتَ أَرْضَ العَدُوِّ؛ فأَذْكِ العُيونَ بينَكَ وبينَهُمْ، ولا يخْفَ عليْكَ أمرُهُمْ.

ولْيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ العَرَبِ، أو مِن أهلِ الأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إلىٰ نُصْحِهِ وصِدْقِهِ، فإنَّ الكَذوبَ لا يَنْفَعُكَ خَبَرُهُ وإنْ صَدَقَكَ في بَعْضِهِ، والغاشُّ عَيْنٌ عَلَيْكَ، وليس عَيْناً لَكَ.

ولْيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوِّكَ من أَرْضِ العَدُوِّ أنْ تُكثِرَ الطَّلائِع، وتَبُثَّ السَّرايا بينَكَ وبَيْنَهُمْ، فتقطَعُ السَّرايا أمْدادَهُمْ ومَرافِقَهُمْ، وتتبعُ الطلائِعُ عَوْراتِهِمْ.

وآنتَدِبِ للطَّلائِعِ أَهْلَ الرأي والبأسِ منْ أَصْحابِك، وتَخَيَّرْ لَهُمْ سَوابِقَ الخَيْلِ، فإنْ لَقُوا عَدُوًّا كانَ أوَّلَ ما تلقاهُمْ القُوَّةُ من رأيِكَ وآجعَلْ أمرَ السَّرايا إلىٰ أهلِ الجهادِ، والصَّبْرِ علىٰ الجِلادِ، ولا تَخُصَّ بها أَحَداً بهَوىً فيضيعَ من رأيكَ وأمرِكَ أكثَرُ مما حابَيْتَ بهِ أَهْلَ خاصَّتِكَ.

ولا تَبْعَثَنَّ طليعةً ولا سَرِيَّةً في وَجْهٍ تَتَخَوَّفُ عَلَيْها فيه غَلَبَةً، أو ضَيْعَةً ونِكايةً، فإذا عايَنْتَ ٱلعَدُوَّ فاضمُمْ إليكَ أقاصِيَكَ وطلائِعَكَ وسراياكَ، وٱجمَعْ إليكَ مكيدتَكَ وقُوَّتك، ثمَّ لا تُعاجِلْهُم المناجزَة. ما لَمْ يستكرِهْكَ قِتالٌ، حتىٰ تُبصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ ومَقاتِلَهُ، وتَعرِفَ الأَرْضَ كُلَّها كَمَعْرِفَةِ أهلِها بها، فتصنَعَ بعَدُوِّكَ كَصُنعهِ بِكَ، ثُمَّ أذْكِ أحراسَكَ علىٰ عَسْكَرِكَ، وتَيَقَّظ مِنَ ٱلبياتِ جُهْدَكَ، ولا تُؤتىٰ بأسيرٍ ليسَ لهُ عَقْدٌ إلاّ ضَرَبتَ عُنُقَهُ(5)، لِتُرْهِبَ بذلِكَ عَدُوَّ اللّهِ وعَدُوِّكَ، واللّهُ وليُّ أمرِكَ ومَنْ مَعَكَ، ووَليُّ النَّصْرِ لكُمْ علىٰ عَدُوِّكم، واللّهُ المستَعانُ.

(5) أحسبة المقاتل الذي يقاتل مع القوم وهو ليس منهم، وهو ما نسميه بالمصطلح المعاصر «المرتزق».

44

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص حين أمّره على حرب العراق[1]:

يا سَعْدُ سَعْدَ بني وُهَيْب، لا يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللّهِ أنْ قيلَ خالُ رَسولِ اللّهِ ﷺ ، وصاحِبُ رسولِ اللّهِ، فإنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ لا يَمْحوا السَّيِّءَ بالسَّيِّءِ، ولكنه يمحو السَّيِّءَ بالحسنِ، فإنَّ اللّهَ لَيْسَ بينَهُ وبينَ أحَدٍ نَسَبٌ إلاّ طاعَتُهُ، فالناسُ شَريفُهُمْ ووَضيعُهُمْ في ذاتِ اللّهِ سواءٌ، اللّهُ ربُّهُمْ، وهُمْ عِبادُهُ، يَتفاضَلونَ بالعافيةِ، ويُدْرِكونَ ما عِنْدَهُ بالطّاعَةِ، فانظُرِ الأمْرَ الذي رأيْتَ النبيَّ ﷺ مُنْذُ بُعِثَ إلى أنْ فارَقَنا فالزَمْهُ، فإنَّهُ الأمرُ، هذه عِظَتي إياكَ، إنْ تَرَكْتَها ورَغِبْتَ عنها حَبِطَ عَمَلُكَ، وكُنْتَ مِنَ الخاسِرين.

(1) تاريخ الطبري 84/4، الكامل في التاريخ 220/2، جمهرة خطب العرب 224/1.

45

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص لما وجهه لقتال الفرس[1]:

إني قَدْ وَلَّيْتُكَ حَرْبَ ٱلعِراقِ، فآحْفَظْ وَصِيَّتي، فإنَّكَ تَقْدِمُ على أَمْرٍ شديدٍ كَريهٍ، لا يُخَلِّصُ مِنْهُ إلاَّ ٱلحَقُّ، فَعَوِّدْ نَفْسَكَ ومَنْ مَعَكَ الخَيْرَ وٱسْتَفْتِحْ به، وآعلَمْ أنَّ لكُلِّ عادَةٍ عَتاداً، فعتادُ الخيرِ الصَّبْرُ، فالصَّبْرَ الصبْرَ على ما أصابَكَ أو نابكَ، يجتمع لَكَ خَشْيَةُ اللّهِ، وآعلَمْ أنَّ خَشْيَةَ اللّهِ تَجْتَمِعُ في أَمْرَيْنِ، في طاعَته، وٱجتِناب مَعْصِيَتِه، وإنَّما أطاعَه مَن أطاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنيا وحُبِّ الآخِرَة، وعصاهُ مَنْ عَصَاهُ بحُبِّ الدُّنيا وبُغْضِ الآخِرَةِ، وللقُلوب حقائِقُ يُنْشِئُها اللّهُ إنشاءً، منها السِّرُّ، ومنها العَلانِيَة، فأمّا ٱلعَلانيَة فأنْ يكونَ حامِدُهُ وذَامُّهُ في ٱلحَقِّ سَواءً، وأمّا السرُّ فَيُعْرَفُ بظُهورِ الحِكْمَةِ من قَلْبِهِ على لسانه، وبِمَحَبَّةِ النَّاسِ، فلا تزهَدْ في التَّحَبُّب، فإنَّ النبيينَ قد سألوا محبَّتَهُمْ، وإنَّ اللّهَ إذا أَحَبَّ عَبْداً حَبَّبَهُ، وإذا أبغضَ عَبْداً بَغَّضَهُ، فآعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عند الله تعالى بمنزِلَتِكَ عند الناسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ في أَمْرِكَ.

---

(1) تاريخ الطبري 4/85، جمهرة خطب العرب 1/225.

46

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي المجاهدين عند عَقْد الأَلْوِيَةِ[1]:

بسم الله، وبالله، وعلى عَوْنِ اللهِ، أُمْضُوا بتأييدِ الله، ﴿وما النَّصْرُ إلاّ من عِنْدِ اللهِ﴾[2]، ولُزومِ الحَقِّ والصَّبْرِ، فقاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بالله، ﴿ولا تَعْتَدوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدينَ﴾[3]، ولا تَجْبُنُوا عِنْدَ اللقاءِ، ولا تُمَثِّلُوا عِنْدَ القُدْرَةِ، ولا تُسْرِفوا عِنْدَ الظُّهورِ، ولا تَقْتُلُوا هَرِماً، ولا امرأةً، ولا وَليداً، وتَوَقُّوا قَتْلَهُمْ إذا التقى الزَّحْفانِ، وعِنْدَ حُمَّةِ النَّهَضاتِ، وفي شَنِّ الغاراتِ.

---

(1) العقد الفريد 1/128، عيون الأخبار 1/107.
(2) الآية/126 سورة آل عمران.
(3) الآية/87 سورة المائدة.

47

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا عبيد بن مسعود الثقفي[1] لما وجهه لقتال الفرس[2]:

إنَّكَ تُقْدِمُ على أرضِ المكرِ والخَديعةِ، والخيانةِ والجبريَّة، تَقْدمُ على قومٍ قد جَرُءُوا على الشَّرِّ فعَلِمُوهُ، وتناسَوا الخَيرَ فجَهِلوهُ، فانظُر كَيْفَ تكونُ، واحْزُنْ لسانَكَ، ولا تُفْشِيَنَّ سِرَّكَ، فإنَّ صاحِبَ السِّرِّ ـ ضبطه مُتَحَصِّنٌ لا يؤتى من وَجْهٍ يَكْرَهُهُ، وإذا ضَيَّعَهُ كانَ بِمَضْيَعَةٍ.

(1) أبو عبيد بن مسعود الثقفي، قائد من الشُّجعان، أمَّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس، وهو أول جيش سيَّره عمر رضي الله عنه، قتل في وقعة الجسر. وهو والد المختار الثقفي. انظر عنه: كامل ابن الأثير حوادث سنة 13 هـ، تاريخ الإسلام 2/5، الأعلام 4/342.

(2) تاريخ الطبري 4/66، جمهرة خطب العرب 1/223.

48

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي يعلىٰ بن أميّة[1] لما وجهه لإجلاء أهل نجران[2] فقال له[3]:

إتِهِمْ؛ ولا تَفْتِنَنَّهُمْ عن دِينِهِمْ، ثم آجْلِهِمْ من أقامَ مِنْهُمْ علىٰ دينه، وآقِرِزْ آلمُسْلِمَ، وآمْسَحْ أرْضَ كُلِّ مَنْ تُجلي مِنْهُمْ، ثمَّ خَيِّرْهُمُ البُلدانَ، وأعْلِمْهُمْ انّا نُجليهِمْ بأمرِ اللهِ ورَسولِهِ الاّ يُتْرَكَ بجزيرَةِ آلعَرَبِ دينانِ، فلْيَخْرُجوا مَنْ أقامَ علىٰ دينهِ مِنْهُمْ، ثمَّ نُعطيهِمْ أرْضاً كارضِهِمْ إقراراً لهُمْ بآلحَقِّ علىٰ أنْفُسِنا، ووفاءً بذِمَّتِهِمْ، فيما أمَرَ اللهُ من ذلكَ بَدَلاً بينَهُمْ وبَيْنَ جيرانهم من أهلِ اليَمَنِ وغيرِهم فيما صارَ لجيرانهم بالريف.

---

(1) يعلىٰ بن أمية بن أبي عبيدة، (واسمه عبيد، ويقال: زيد) بن همام التميمي الحنظلي، أول مَنْ أرَّخ الكتب، وهو صحابي من الولاة، ومن الأغنياء الأسخياء من سكان مكة، كان حليفاً لقريش، وأسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي ﷺ، واستعمله أبو بكر علىٰ حلوان في الردّة، ثم استعمله عمر علىٰ نجران، واستعمله عثمان علىٰ اليمن، فأقام بصنعاء، وهو أول من ظاهر للكعبة بكسوتين أيام ولايته علىٰ اليمن، صنع ذلك بأمر عثمان رضي الله عنه، ولما قتل عثمان انضم يعلى إلىٰ الزبير وعائشة، ثم صار من أصحاب علي رضي الله عنه، وقتل وهو معه في صفين. وهو الذي يقال له: يعلىٰ بن مُنْيَة بضم الميم وسكون النون وهي أمه أو أم أبيه. انظر عنه: أمالي اليزيدي/96، الاصابة ترجمة/9360، تهذيب الأسماء 2/165، الأعلام 9/270.

(2) ذكر الطبري أن أول بعث بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث أبي عبيدة، ثم بعث يعلىٰ بن أمية إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول الله ﷺ في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه.

(3) تاريخ الطبري 4/62، جمهرة خطب العرب 1/228.

49

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي عُتْبَةَ بن غزوان[1] لما وجَّهَهُ إلى البصرة[2]:

يا عُتْبَةُ، إنِّي قَدِ آستَعْمَلْتُكَ علىٰ أَرْضِ الهِنْدِ[3]، وهي حومة من حومة آلعَدوِّ، وأرجو أنْ يَكْفِيَكَ اللهُ ما حولها ويُعينَكَ عليْها، وقَدْ كَتَبْتُ إلىٰ العَلاءِ بن آلحَضْرَمِيِّ[4] أنْ يُمِدَّكَ بهرثمة بن عرفجة[5]، وهُوَ ذو مُجاهَدَةٍ

(1) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبدالله، باني مدينة البصرة، صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص ووجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة والياً عليها، وكانت تسمى الأبلّة، أي أرض الهند، فاختطها عتبة ومصرها، وسار إلى ميسان وابزتباذ ففتحهما، وقدم المدينة لأمر خاطب به أمير المؤمنين عمر، ثم عاد فمات في الطريق، وكان طويلاً جميلاً من الرماة المعدودين. انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد 3/69، ثم 7/1، صفة الصفوة 1/1 حلية الأولياء 1/171، امتاع الأسماع 1/57، الأعلام 4/360.

(2) الكامل في التاريخ 2/486.

(3) كانت البصرة قبل أن تختط تسمى: الأبلّة أو أرض الهند.

(4) العلاء بن عبدالله الحضرمي، صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام، أصله من حضرموت سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ، وولاه رسول الله ﷺ البحرين سنة وجعل له جباية الصدقة، وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقة، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم، ويردها على فقرائهم، وبعد وفاة الرسول ﷺ، أقرّه أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق سنة 21 هـ، وهو الذي سيّر هرثمة بن عرفجة إلى شواطئ فارس سنة 14 هـ بالسفن، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس في الإسلام. ويقال: إن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو. وقد اختلف في اسم جده كثيراً. فهو ضمار وضماد وعماد وعباد، انظر عنه: البدء والتاريخ 5/102، تهذيب الأسماء 1/341، الإصابة ترجمة/5644، ابن سعد 4/76، جمهرة أنساب العرب/430، الاعلام 5/45.

(5) عرفجة بن هرثمة: هكذا ورد الاسم في نص الوصية في مرجعها وهو لا شك وهم. وهو =

ومُكايَدَةٍ للعَدُوّ، فإذا قَدِمَ عَلَيْكَ فاستَشِرْهُ وادْعُ إلىٰ اللهِ، فَمَنْ أجابَكَ فاقبَلْ مِنْهُ، ومَنْ أبىٰ فالجزيةُ، وإلاّ فالسَّيْفُ.

واتّقِ اللهَ فيما وُلِيتَ، وإياكَ أنْ تُنازِعُكَ نَفْسُكَ إلىٰ كِبْرٍ مِمّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إخوَتَكَ، وقَدْ صَحِبْتَ رسولَ اللهِ ﷺ، فَعُزِّزتَ به بَعْدَ الذِّلّةِ، وقَوِيتَ به بَعْدَ الضَّعْفِ، حتىٰ صِرْتَ أميراً مُسَلَّطاً، ومَلِكاً مُطاعاً، تَقولُ فَيُسْمَعُ مِنْكَ، وتأمُرُ فَيُطاعُ أمْرُك، فيا لَها نِعمةً إن لَمْ تَرْفَعْكَ فوقَ قَدْرِكَ، وتُبْطِرْكَ علىٰ مَنْ دونَكَ.

واحْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ احتِفاظَكَ من المَعْصِيةِ، ولَهِيَ اخوفُهما عِنْدي عَلَيْكَ أنْ تَسْتَدْرِجَكَ وتَخْدَعَكَ فَتَسْقُط سَقْطَةً تَصيرُ بها إلىٰ جَهَنَّمَ، أعيذُكَ باللهِ ونَفْسِي من ذلك.

إنَّ النّاسَ أسْرَعوا إلىٰ اللهِ حتىٰ رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنيا فأرادُوها، فأرِدِ اللهَ ولا تُرِدِ الدُّنيا، واتّقِ مَصارِعَ الظّالِمينَ.

إنطَلِقْ أنتَ ومَنْ مَعَكَ، حتىٰ إذا كُنْتُم في أقصىٰ أرضِ العَرَبِ وأدنىٰ أرض العَجَمِ فأقيموا.

= هرثمة بن عرفجة بن عبد العزىٰ بن زهير بن ثعلبة البارقي، من الأزد، قائد من رجال الفتوح، في صدر الإسلام، من أهل البحرين، وجهه أميرها العلاء بن الحضرمي غازياً في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس، ثم كتب عمر إلى العلاء بأن يمد به عتبة بن غزوان حين غزا الأبلة، فشارك في فتحها. قال البلاذري: ثم إنه صار بعد إلى الموصل. وقال ابن حزم: وهو الذي جند الموصل. انظر في ترجمته: فتوح البلدان/349، 393، جمهرة أنساب العرب/347، الاعلام 9/76.

50

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا موسىٰ الأشعري[1] وقد وَجَّه إليه كتاباً بعد أن بلغه شيء عن أهل البصرة[2]:

أمّا بعد، فإنَّ للنّاسِ نَفْرَةً عنْ سُلطانِهِمْ، فاعوذُ بِاللهِ أنْ تُدْرِكَني وإياكَ عُمْيَاءُ مَجْهولَةٌ[3]، وضَغائِنُ مَحمولةٌ، وأهواءُ مُتَّبَعَةٌ، ودُنيا مؤثِرَةٌ، فاقِمِ الحُدودَ ولو ساعةً من نهارٍ، وإذا عَرَضَ لَكَ أمْرانِ أحَدُهُما للهِ، والآخَرُ للدُّنيا، فآثِرْ نَصيبَكَ مِنَ الآخِرَةِ علىٰ نَصيبِكَ مِنَ الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا تَنْفَدُ، والآخِرَةُ تَبْقىٰ، وكُنْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ علىٰ وَجَلٍ، وأخِفِ الفُسّاقَ؛ وآجعَلْهُمْ يَداً يَداً؛ ورِجْلاً رِجْلاً.

---

(1) أبو موسىٰ الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، من بني الأشعر، من قحطان، صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، واحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد حرب صفين، ولد في زبيد باليمن، وقدم عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم استعمله رسول الله ﷺ علىٰ زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه البصرة سنة 17 هـ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان رضي الله عنه، أقره عليها، ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان رضي الله عنه توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقرّه عليّ رضي الله عنه، ثم كانت وقعة الجمل، وأرسل عليّ رضي الله عنه يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبو موسىٰ بالقعود في الفتنة، فعزله عليّ، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فارتد أبو موسىٰ إلى الكوفة، فتوفي فيها، وكان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة، خفيف الجسم، وفي الحديث: سيد الفوارس أبو موسىٰ. انظر عنه: طبقات ابن سعد 4/79، الاصابة ترجمة/4889، غاية النهاية 1/442، صفة الصفوة 1/225، حلية الأولياء 1/256، الأعلام 4/254 ـ 255.

(2) البيان والتبيين 2/301 ـ 302، عيون الأخبار 1/11، وقد أسقط منها بعضها.

(3) العمّياء: بتشديد الميم والياء الكبر والضلالة. القاموس/عمى.

وإذا كانَتْ بَيْنَ القَبائِلِ نائِرَةٌ وتَداعُوا: يا آلَ فُلانٍ، فإنَّما تِلْكَ نَجوى الشَّيْطانِ، فاضرِبْهُمْ بالسَّيْفِ حتىٰ يَفيئوا إلىٰ أمرِ اللهِ، وتكونَ دَعْواهم إلىٰ اللهِ وإلىٰ الإمامِ.

وقَدْ بَلَغَ أميرَ المؤمنينَ أنَّ ضَبَّةَ[4] تَدعو: يا آلَ ضَبَّة، وإني واللهِ ما أعْلَمُ أنَّ ضَبَّةَ ساقَ اللهُ بها خَيْراً قطّ، ولا مَنَعَ بها سوءً قَطُّ، فإذا جاءكَ كتابي هذا، فأنهِكْهُمْ عُقوبةً حتىٰ يَفْرَقُوا إنْ لَمْ يَفْقَهُوا، وألصِقْ بغَيلانَ ابنِ خرشة[5] من بَيْنِهِمْ.

وعُدْ مرضىٰ المُسْلمينَ، واشهَدْ جَنائِزَهُمْ، وافتَحْ بابَكَ، وباشِرْ أمْرَهُمْ بنَفْسِك، أنْتَ امرؤٌ مِنْهُمْ، غَيْرَ أنَّ اللهَ جَعَلَكَ أثْقَلَهُمْ حِمْلاً.

وقَدْ بَلَغَ أميرَ المؤمنينَ أنّه فشا لَكَ ولأهْلِ بَيْتِكَ هَيْئَةٌ في لِباسِكَ ومَطْعَمِكَ ومَرْكَبِكَ، لَيْس للمُسلمينَ مِثْلُها، فإياكَ يا عَبْدَاللهِ أن تكونَ بمَنْزِلَةِ البَهيمةِ التي مرَّت بوادٍ خَصيبٍ، فلَمْ يكُنْ لها هِمَّةٌ إلاّ السِّمْنُ، وإنَّما حَتْفُها في السِّمْنِ.

واعلَمْ أنَّ للعاملِ مَرَدًّا إلىٰ اللهِ، فإذا زاغَ العاملُ زاغَتْ رَعِيَّته، وإنَّ أشقىٰ النَّاسِ مَنْ شَقِيَتْ به رَعِيَّته. والسلام.

---

(4) ضبة: اسم قبيلة من قبائل البصرة.

(5) غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار الضبيّ، من سراة أهل البصرة.

51

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري[1] فقال[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم:

أمّا بعد[3]، فإنَّ القَضاءَ فَريضةٌ مُحكمَةٌ، وسُنَّةٌ مُتَّبعَةٌ، فافْهَمْ إذا أدْليَ إليك، فإنَّهُ لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بحَقٍّ لا نَفاذَ لَهُ.

آسِ بينَ النَّاسِ في مَجْلِسِكَ ووَجْهِكَ، حتى لا يَطْمَعَ شريفٌ في حيفِكَ، ولا يخافُ ضَعيفٌ من جَوْرِكَ، والبَيِّنَةُ على مَنِ ادَّعى، واليمينُ على من أنْكَرَ، والصُّلْحُ جائِزٌ بينَ المُسْلِمينَ إلاّ صُلْحاً حَرَّمَ حَلالاً، أو أحَلَّ حَراماً.

ولا يَمْنَعَكَ قَضاءً قَضَيْتَهُ بالأمسِ، فراجَعْتَ فيهِ نَفْسَكَ، وهُديتَ فيه

---

(1) أبو موسى الأشعري: ترجمنا له على هامش الوصية المرقمة/50.

(2) البيان والتبيين 43/2 وما بعدها، عيون الأخبار / نهاية الأرب 257/4، صبح الأعشى 193/10.

(3) آثرت أن أثبت هذه الرسالة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأنها تجمع بين الرسالة والوصية، ولما فيها من أهمية، تصلح أن تكون وثيقة عمل للقضاة، رأيت أن لا ضير في أن أجعلها من جملة وصايا الخليفة عمر رضي الله عنه وأرضاه، ولما رأيته فيها من البحث في دقائق الأمور. وقد وردت هذه الوصية (الرسالة) في مظانها بشيء من اختلاف الفاظ يسيرة لم تخل بالإطار العام المراد الذي وضعت من أجله.

لِرُشْدِكَ، أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ، ومُراجَعةُ الحقِّ خَيرٌ منَ التمادي في الباطلِ.

الفَهْمَ الفَهْمَ عندما يَتَلَجْلَجُ في صَدْرِكَ مما لَمْ يبلُغْكَ في كِتاب اللهِ، ولا في سُنَّةِ النبيِّ ﷺ، إعرفِ الأمْثالَ والأشباهَ، وقِسْ الأمورَ عند ذلِكَ، ثم اعمِدْ إلىٰ أحَبِّها إلىٰ اللهِ، وأشبهِها بالحقِّ فيما تَرَىٰ.

واجْعَلْ للمدعي حقًّا غائباً او بَيِّنَةً أمَداً يَنْتَهي إليه، فإنْ أحْضَرَ بيِّنةً أخَذْتَ لهُ بِحَقِّهِ، وإلاّ وَجُهْتَ عَلَيْهِ القَضاءَ، فإنَّ ذلك أنْفَىٰ للشَّكِّ، وأجْلَىٰ للعَمَىٰ، وأبلغُ في العُذْرِ.

المسلمونَ عُدولٌ بعضُهُمْ علىٰ بَعْضٍ، إلاّ مَجْلوداً في حَدٍّ، او مُجَرَّباً عليهِ شهادَةَ زورٍ، او ظنيناً في ولاءٍ او قرابةٍ، فإنَّ اللهَ قد تَوَلّىٰ مِنكُمُ السَّرائِرَ، وَدَرأ عنكُمْ بالشُّبهاتِ.

ثمَّ إياكَ والقَلَقَ والضَّجَرَ، والتَّأذي بالناسِ، والتنكُّرِ للخُصومِ في مواطِنِ الحقِّ التي يوجِبُ اللهُ بها الأجْرَ، ويُحْسِنُ بها الذُّخرَ[٩] فإنَّهُ مَنْ يُخلِصْ نِيَّتَهُ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ تبارَكَ وتعالىٰ ولو علىٰ نَفْسِهِ، يكْفِهِ اللهُ ما بينَهُ وبينَ النَّاسِ، ومَنْ تَزَيَّنَ للناسِ بما يَعْلَمُ اللهُ خِلافَهُ مِنْهُ، هَتَكَ سِتْرَهُ، وأبدىٰ فِعلَهُ. والسلام عليك.

---

(٩) الى هذا الموضع تنتهي رواية نهاية الارب.

52

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي[1]:

مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ للتُّهَمَةِ فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ به الظَّنَّ، ومَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخِيَرَةُ بيَدِهِ، وضَعْ أمرَ أخيكَ على أحْسَنِهِ حتى يأتِيَكَ ما يغلِبُكَ عليه، ولا تَظُنَّنَّ بكَلِمَةٍ خرَجَتْ من أمرىءٍ مُسلِمٍ شرًّا، وأنت تَجِدُ لها في الخيرِ مَخْرجاً[2].

وعَلَيْكَ باخوانِ الصِّدْقِ، فكِسْ في أكيسابِهِمْ، فإنَّه زينَةٌ في الرَّخاءِ، عُدَّةٌ في البَلاءِ، ولا تَهاوَنْ في الحَلِفِ باللهِ فيهينَكَ.

وعَلَيْكَ بالصِّدْقِ ولو قَتَلَكَ، ولا تَعْتَرِ إلى مَنْ لا يُغْنيك[3]، واعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، واحْذَرْ صَدِيقَكَ إلاّ الأمينَ، والأمينُ مَنْ خَشِيَ اللهَ تعالى.

ولا تَصْحَبِ الفاجِرَ فتَتَعَلَّمَ من فُجورِهِ، ولا تُطلِعْهُ على سِرِّكَ فيَفْضَحَكَ وتَخَشَّعْ عِنْدَ القُبورِ، وآخِ الإخوانَ على قَدْرِ التُّقوى، ولا تَسْتَعِنْ على حاجَتِكَ مَنْ لا يُحِبُّ نَجاحَها لَكَ، وشاوِرْ في أمرِكَ الذينَ يَخافونَ اللهَ عزَّ وجَلَّ.

---

(1) لباب الآداب/12. سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي/177.
(2) في سيرة عمر: (محملاً) بدل (مخرجاً).
(3) في سيرة عمر: (لا تعترض لما لا يعنيك).

53

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعظ رَجلاً[1]:

لا يُلْهِكَ النَّاسُ عَنْ نَفْسِكَ، فإنَّ الأَمْرَ يصيرُ إليكَ دونَهُمْ، ولا تَقْطَعِ النَّهارَ سادِراً، فإنَّهُ مَحفوظٌ عَلَيْكَ ما عَمِلْتَ، وإذا أَسَأْتَ فأَحْسِن، فإنّي لم أَرَ شيئاً أَشَدَّ طَلَباً، ولا أَسْرَعَ دَرَكاً مِنْ حَسَنَةٍ حَديثَةٍ لِذَنْبٍ قَديمٍ.

---

(1) البيان والتبيين 3/128. وفي 3/155 منه نسب الوصية إلى مطرف بن عبدالله لابنه، وقد حذف منه بعضه فجاء هكذا:
قال مطرّف بن عبدالله لابنه: يا بني، لا يُلهِيَنَّكَ الناسُ عن نَفسكَ، فإنَّ الأمرَ خالص إليك دونهم، إنك لم تَرَ شيئاً هو أشدُّ طلباً، ولا أسرع دَرَكاً من توبة حديثة لذنب قديم.
ومطرف بن عبدالله هو ابن الشخّير الحرشي العامري، أبو عبدالله، زاهد من كبار التابعين، له كلمات في الحكمة مأثورة وأخبار، ثقة فيما رواه من حديث، ولد في حياة رسول الله ﷺ. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة. انظر عنه: حلية الأولياء 2/198 ـ 212، رغبة الأمل 3/68 ـ 69، مرآة الجنان وفيات سنة 95 هـ. الأعلام 8/154.

54

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي[1]:

أدِّبوا الخَيْلَ، وتَسَوَّكوا، وآقعُدوا في الشَّمسِ، ولا تُجاوِرَنَّكُمْ الخَنازيرُ، ولا يُرفَعَنَّ فيكُمُ الصَّليبُ، ولا تأكُلوا على مائدةٍ تُشرَبُ عليها الخمرُ، وإياكُم وأخلاقَ العَجَمِ، ولا يَحِلُّ لمؤمنٍ أنْ يَدْخُلَ الحمَّامَ إلاَّ بِمِئزَرٍ، ولا آمراةٍ إلاَّ مِن سُقْمٍ، فإنَّ عائِشَةَ رضي الله تعالى عنها حدَّثتني قالت: حدثني خليلي على مفْرَشي هذا قال: إذا وَضَعَتِ المرأةُ خِمارَها في غير بيتِ زَوْجها هَتَكَتْ ما بينَها وبينَ الله، فلَمْ تناهى دونَ العَرْشِ[2].

---

(1) البيان والتبيين 3/172.

(2) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة. وروايته الأخرى: أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيت زوجها، هتكت ستراً ما بينها وبين ربِّها.

55

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي الأحنف بن قيس[1] قال[2]:

يا أَحْنَفُ، مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، ومَنْ مَزَحَ آستُخِفَّ به، ومَنْ أكثر من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ سَقَطُهُ، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَياؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَياؤُهُ قلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ[3].

---

(1) الأحنف بن قيس ترجمنا له مهمشين على هامش الوصية المرقمة/
(2) لباب الآداب/17، البيان والتبيين 2/193، سيرة عمر بن الخطاب/177.
(3) ورد نص الوصية في بيان الجاحظ هكذا:
من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن أكثر من شيءٍ عُرِفَ به، ومن كثر مزاحُه كثر سقطه، ومن كَثُر سقطه قلَّ وَرَعه، ومن قلَّ ورعه ذهب حَياؤُهُ، ومن ذهب حياؤُهُ مات قلبه.

56

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي[1]:

إقراوا القُرآنَ تُعْرَفُوا به، وآعملوا به تكونوا مِنْ أَهْلِه، ولَنْ يَبْلُغَ حَقُّ ذي حَقٍّ أَنْ يطاعَ في مَعْصِيَةِ اللهِ، ولَنْ يُقَرِّبَ مِنْ أَجَلٍ، ولَنْ يُباعِدَ مِنْ رِزْقٍ؛ أَنْ يقومَ رَجُلٌ بحَقٍّ أو يُذَكِّرَ بعظيمٍ.

---

(1) البيان والتبيين 2/66.

57

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي شريح القاضي[1] وقد كتب إليه بذلك[2]:

لا تُشارِ، ولا تُمارِ، ولا تَبِعْ، ولا تَبْتَعْ في مَجْلِسِ ٱلقَضاءِ، ولا تَقْضِ بَيْنَ ٱثنَيْنِ وأنْت غَضْبان.

---

(1) شريح القاضي: ترجمنا له على هامش الوصية المرقمة/165.
(2) البيان والتبيين 2/155.

58

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي[1]:

كُونوا أوعِيَةَ الكِتاب، ويَنابيعَ العِلْمِ، وسَلوا اللهَ رِزْقَ يومٍ بيومٍ، ولا يضيرُكُمْ أنْ لا يُكثِرَ لَكُمْ.

(1) البيان والتبيين 2/313.

59

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي[1]:

لا تَعْتَرِضْ فيما لا يعنيكَ، وآعتَزِلْ عَدُوَّكَ، وآحتَفِظْ من خَليلِكَ إلاَّ الأمينَ، فإنَّ الأمين مِنَ القومِ لا يُعادِله شيءٌ، ولا تَصْحَبْ آلفاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ من فُجورِهِ، ولا تُفْشي إليه سِرَّكَ، وآستَشِرْ في أمرِكَ آلذينَ يَخْشونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

(1) حلية الأولياء 1/55.

60

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي ابنه عبدالله، وقد كتبها إليه في غيبة غابَها[1]:

أمّا بعد، فإنَّهُ مَنِ اتَّقى اللهَ وقاهُ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ شكر لَهُ زادَهُ[2] ومَنْ اقْرَضَهُ جَزاهُ، فاجعَلِ التَّقْوىٰ جِلاءَ بَصَرِكَ، وعِماد ظَهْرِكَ[3]، فإنَّه لا عَمَلَ لِمَنْ لا نِيَّةَ لَهُ، ولا أَجْرَ لِمَنْ لا حَسَنَةَ لَهُ، ولا جَديدَ لِمَنْ لا خَلَقَ له.

(1) أمالي القالي 2/55، زهر الآداب 1/71.
(2) في الأمالي: ومن شكره زاده.
(3) في زهر الآداب: وعماد قلبك.

61

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي ابنه عبدالله[1] عند الموت[2]:

عَلَيْكَ بِخِصالِ الإيمانِ. قال: وما هُنَّ يا أَبَه؟ قال:

الصَّوْمُ في شِدَّةِ أيّامِ الصَّيْفِ، وقِتالُ الأَعْداءِ بالسَّيْفِ، والصَّبْرُ عَلى المُصيبَةِ، وإسباغُ الوُضوءِ في اليومِ الشّاتي، وتَعجيلُ الصَّلاة في يومِ الغَيْمِ، وتَرْكُ رَدغَةِ الخَبالِ، قال: وما رَدْغَةُ الخَبالِ؟ قال: شربُ الخمرِ. وقال:

إذا قُبِضْتُ فَغَمِّضْني، وآقتَصِدْ في الكَفَنِ، ولا تُخرِجَنَّ آمرأةٌ، ولا تُزَكوني بما لَيْسَ فيَّ، فإنَّ اللهَ تعالى هُوَ أَعْلَمُ بي، واسرِعوا بي في المَشي، فإنَّه إنْ كانَ لي عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ قَدَّمْتُموني إلى ما هُوَ خَيْرٌ لي، وإن كُنْتُ على غَيْرِ ذلكَ كنتُم قد ألقَيْتُم عَنْ رِقابِكُمْ شَرًّا تَحمِلونَهُ.

---

(1) عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أعزّ بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وغزا إفريقية مرتين، الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة 34 هـ، وكُفَّ بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. وفي الاصابة: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر، وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس فيه نظير. انظر: معالم الإيمان 1/270، الاصابة ترجمة/4825، تهذيب الأسماء 1/278، وفيات الأعيان 1/246، صفة الصفوة 1/228، نكت الهميان/103، الاعلام 4/246.

(2) طبقات ابن سعد 3/261، لباب الآداب/21.

62

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي الخليفة من بعده[1] فقال[2]:

أُوصِيْكَ بِتَقْوىٰ اللهِ لا شريكَ لهُ، وأوصيْكَ بالمُهاجِرينَ الأوَّلينَ خَيْراً، أنْ تَعْرِفَ لَهُمْ سابِقَتَهُمْ، وأوصيْكَ بالأنْصارِ خَيْراً، فاقبَلْ من مُحْسِنِهِمْ، وتجاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

واوصيكَ بأهْلِ الأمْصارِ خَيراً، فإنَّهُمْ رِدْءُ العَدُوِّ، وجُباةُ الأمْوالِ والفَيءِ، لا تَحْمِلْ فَيْئَهُمْ إلاّ عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ.

وأوصيكَ بأهْلِ البادِيةِ خَيْراً، فإنَّهُمْ أصْلُ العَرَبِ ومادَّةُ الإسلامِ، أنْ تأخُذَ من حواشي أموالِ اغْنيائِهِمْ فَتُرَدَّ على فُقَرائِهِمْ.

وأوصيكَ بأهلِ الذِّمَّةِ خيراً، أنْ تُقاتِلَ من ورائهم، ولا تُكَلِّفَهُمْ فوق طاقَتِهِمْ[3] إذا أدّوا ما عَلَيْهِمْ طَوْعاً؛ أو عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ.

وأوصيكَ بتَقوىٰ اللهِ، وشِدَّةِ الحَذَرِ منه، ومَخافَةِ مَقْتِهِ، أنْ يطَّلِعَ مِنْكَ علىٰ رِيبَةٍ[4]، وأوصيكَ أنْ تَخْشىٰ اللهَ في النّاسِ، وتَخْشىٰ الناسَ في اللهِ.

---

(1) ورد في مقدمة الوصية في كتاب المعمرين/149، أن آمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا ابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنه فقال: أي بنيّ، إذا قام الخليفة بعدي فأته فقل له: إنّ عمر بن الخطاب يقرئك السلام ويوصيك بتقوىٰ الله... الوصية.

(2) البيان والتبيين 2/41 وما بعدها، شرح نهج البلاغة 3/96، تاريخ الطبري 5/13، جمهرة خطب العرب 1/265، وقسم منها في المعمرين والوصايا/149.

(3) إلىٰ هذا الموضع تنتهي رواية المعمرين.

(4) من قوله: أوصيك بتقوىٰ الله وشدة الحذر... إلى قوله ريبة ساقط من رواية الجاحظ.

وأوصيكَ بالعَدْلِ في الرَّعِيَّةِ، والتَّفَرُّغِ لحوائِجِهم وثُغورِهِمْ[5]، ولا تُؤثِرْ غَنِيَّهُمْ على فقيرِهِمْ، فإنَّ ذلك ـ بإذنِ اللهِ ـ سلامَةٌ لقَلْبِكَ، وحَطٌّ لِوِزْرِكَ، وخَيْرٌ في عاقِبَةِ أمرِكَ، حتى تُفْضِيَ من ذلك إلى مَنْ يَعْرِفُ سريرَتَكَ، ويَحولُ بينَكَ وبينَ قَلْبِكَ.

وآمُرُكَ أنْ تَشْتَدَّ في أمرِ اللهِ، وفي حُدوده، ومعاصيه على قريبِ الناسِ وبعيدِهِمْ، ثمَّ لا تأخُذْكَ في أحَدٍ الرأفةُ حتى تَنْتَهِكَ مِنْهُ مِثْلَما انْتَهَكَ من حُرْمَةِ اللهِ، وآجْعَلِ الناسَ سواءً عندك، لا تُبالي على مَنْ وَجَبَ الحقُّ ولا تأخُذْكَ في اللهِ لومَةُ لائمٍ.

وإياكَ والأَثَرَةَ والمحاباةَ؛ فيما وَلاَّكَ اللهُ ممَّا أفاءَ اللهُ على المُؤْمِنينَ، فَتَجُورُ وتَظلِمُ، وتحرِمُ نَفْسَكَ من ذلكَ ما قَدْ وَسَّعَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وقدْ أَصْبَحْتَ بِمَنْزِلَةٍ من مَنازِلِ الدُّنيا والآخرةِ، وأنت إلى الآخِرَةِ أقربُ[6]، فإنِ آقْتَرَفْتَ لِدُنياكَ عَدْلاً وعِفَّةً عَمَّا بسَطَ اللهُ لكَ، آقْتَرَفْتَ بهِ إيماناً ورِضواناً، وإن غلَبَكَ عَلَيْهِ الهَوى، ومالَتْ بكَ شَهْوَةٌ آقتَرَفْتَ به سُخْطَ اللهِ ومعاصيهِ.

وأوصيكَ ألاَّ تُرَخِّصَ لِنَفْسِكَ، ولا لِغَيْرِكَ في ظُلْمِ أهلِ الذِّمَّةِ، وقَدْ أوْصَيْتُكَ وحَضَضْتُكَ، ونَصَحْتُ لَكَ، أبتغي بذلك وَجْهَ اللهِ والدارَ الآخِرَةَ، وآخْتَرْتُ من دِلالَتِكَ ما كُنْتُ دالاً عليْهِ نَفْسي ووَلدي، فإنْ عَمِلْتَ بالذي وَعَظْتُكَ؛ وآنتَهَيْتَ إلى الذي أمَرْتُكَ أخَذْتَ به نَصيباً وافِياً، وحَظّاً وافِراً، وإن لمْ تَقْبَلْ ذلِكَ؛ ولم يَهمِّكَ؛ ولم تُنزِلْ معاظِمَ الأُمورِ عند الذي يَرْضى اللهُ به عَنْكَ، يكُنْ ذلك بكَ آنتِقاصاً، ورأيُكَ فيه مَدْخولاً، لأنَّ الأهواءَ مُشْتَرَكَةٌ، ورأسُ كُلِّ خَطيئةٍ، والداعي إلى كُلِّ هُلْكَةٍ إبليسُ، وقدْ أضَلَّ

(5) من قوله: وتخشى الله... إلى قوله... وثغورهم ليس في البيان والتبيين.
(6) وأنت إلى الآخرة أقرب. ساقط من رواية البيان.

القُرون السَّالِفَةَ قَبْلَكَ، فأورَدَهُمْ النارَ، ولَبِئْسَ الثَّمَنُ أنْ يَكونَ حَظُّ آمرىءٍ مُوالاةً لعَدُوِّ اللهِ، والدَّاعي الى معاصيه.

ثُمَّ آركَبِ الحقَّ، وخُضْ إليهِ الغَمَراتِ، وكُنْ واعِظاً لِنَفْسِكَ، وانْشُدْكَ اللهَ لما تَرَحَّمْتَ على جماعَةِ آلمُسْلِمينَ، فاجْلَلْتَ كَبيرَهُمْ، ورَحِمْتَ صغيرَهُمْ، ووَقَّرْتَ عالِمَهُمْ، ولا تَضْرِبهُمْ فيَذِلّوا، ولا تستأثِرْ عَلَيْهم بالفيءِ فتُغْضِبَهُمْ[7]، ولا تَحْرِمْهُمْ عطاياهُمْ عِنْدَ مَحَلِّها فتُفْقِرَهُمْ، ولا تُجَمِّرْهُمْ في البُعوثِ فتَقْطَعَ نَسْلَهُمْ[8]، ولا تَجْعَلِ المالَ دُولةً[9] بينَ الأغنياء مِنْهُم، ولا تَغْلَقْ بابَكَ دونَهُمْ فيأكُلَ قويُّهُمْ ضعيفَهُمْ.

هذه وَصيَّتي إياكَ، وأشهِدُ اللهَ عَلَيْكَ، وأقرأُ عَلَيْكَ السلامَ.

---

(7) رواية الطبري، ونهج البلاغة فتبغضهم. ورواية البيان أجود وأراها بمقتضى المقام.
(8) أي لا تتركهم في الغزاة فترة طويلة فحنوا إلى أهليهم ونسائهم.
(9) أي لا تختص به الأغنياء دون الفقراء.

63

علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] يوصي ابنه الحسن رضي الله عنه[2] قال[3]:

يا بُنَيَّ، أوصيكَ بتَقوىٰ اللهِ في الغيبِ والشّهادةِ، وكلمةِ الحقِّ في

---

(1) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، واحد العشرة المبشرين، وابن عمّ النبي ﷺ وصهره، واحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها، ولد بمكة، وربي في حجر النبي ﷺ، ولم يفارقه، وكان اللواء في يده في أكثر المشاهد، ولما آخى الرسول ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35 هـ، وحدث في فترة خلافته بعض اضطرابات واقتتال بسبب مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في وقعتي الجمل وصفين، قتل غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي في مؤامرة 17 رمضان المشهورة، وكان نقش خاتمه: الله الملك. أخباره كثيرة جداً. جمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب نهج البلاغة، ولأغلب الباحثين شك في نسبته كله إليه، كما أن الرواة نسبوا إليه شعراً جمع في ديوان علي بن أبي طالب ومعظم الشعر مدسوس عليه إذا لم يكن كله، قال صاحب الرياض النضرة: وغالى به الجهلة وهو حيّ، جيء بجماعة يقولون بتأليهه، فنهاهم وزجرهم وأنذرهم، فازدادوا إصراراً، فجعل لهم حفرة بين باب المسجد والقصر، وأوقد فيها النار وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا، فقذف بهم فيها. وقد كتب عنه كثير في سيرته منها: الإمام علي عدة أجزاء لعبد الفتاح عبد المقصود، وترجمة علي بن أبي طالب لأحمد زكي صفوت، وعبقرية الإمام علي لعباس محمود العقاد. عن أعلام الزركلي باختصار 5/107 ـ 108، وانظر في ترجمته على سبيل المثال: كامل ابن الأثير حوادث سنة 40 هـ، تاريخ الطبري 6/83، البدء والتاريخ 5/73، صفة الصفوة 1/118، تاريخ اليعقوبي 2/154، مقاتل الطالبين/14، حلية الأولياء 1/61.

(2) الحسن بن علي: سبقت ترجمته على هامش الوصية المرقمة/141.

(3) أسرار البلاغة/342 للعاملي، على هامش كتاب المخلاة للمؤلف نفسه.

الرِّضا والغَضَبِ، والقَصْدِ في آلغِنى وآلفَقْرِ، وآلعدلِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، والرِّضا عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

يا بُنَيَّ، ما شَرٌّ بعدَهُ آلجَنَّةُ بِشَرٌّ، ولا خَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ، وكُلُّ نعيمٍ دونَ آلجَنَّةِ مَحقورٌ، وكُلُّ بَلاءٍ دونَ النَّارِ عافِيَةٌ.

إعلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّهُ مَنْ عَيَبَ نَفْسَهُ شُغِلَ عَن عَيْبِ غَيْرِهِ، ومَنْ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ على ما فاتَهُ، ومَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ قُتِلَ به، ومَنْ حَفَرَ لأخيهِ بئراً وَقَعَ فيها، ومَنْ هَتَكَ حِجابَ أخيهِ آنكشفت عَوْراتُ بَيْتِه، وَمَنْ نَسِيَ خَطيئَتَه آستَعْظَمَ خطيئَةَ غَيْرِهِ، ومَنْ كابَدَ الأمورَ عُطِبَ، ومَنِ آقْتَحَمَ البحرَ غَرِقَ، ومَنْ أعجِبَ برأيِه ضَلَّ، ومَنِ آسْتَغْنى بعَقْلِه زَلَّ، ومَنْ تَكَبَّرَ على الناسِ ذَلَّ، ومَن سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ، ومَنْ سَلَكَ مسالِكَ الشَّرِّ آتُّهِمَ، ومَنْ خالَطَ الأنذالَ حُقِرَ، ومَنْ جالَسَ العُلماءَ وُقِرَ، ومَنْ مَزَحَ آستُخِفَّ به، ومَنْ أكثَرَ من شَيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ خطؤهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤهُ قَلَّ حَياؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ، ومَنْ ماتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النارَ.

يا بُنَيَّ، مَنْ نَظَرَ في عُيوبِ الناسِ وَرَضِيَها لِنَفْسِه فذلك الأَحْمَقُ بعَيْنِهِ، ومَنْ تَفَطَّنَ آعْتَبَرَ، ومَنِ آعْتَبَرَ آعتَزَلَ، ومَنِ آعتَزَلَ سَلِمَ، ومَن تَرَكَ الحَسَدَ كانَ له المحبَّةُ من الناس.

يا بُنَيَّ، عِزُّ المؤمنِ غِناؤُه عنِ الناسِ، وآلقَناعَةُ مالٌ لا ينفَدُ، ومَن أكثَرَ من ذكرِ الموتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنيا باليسيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أنَّ كلامَهُ من عَمَلِه قَلَّ كلامُه إلاَّ فيما ينفَعُه، والعَجَبُ مِمَّنْ خافَ آلعِقابَ فلم يكفَّ، ورَجا الثَّوابَ فلم يعْمَلْ، والذِّكرُ نورٌ، والغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ، والجهالَةُ ضلالَةٌ، والسَّعيد مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، والأَدَبُ خيرُ ميراث، وحُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرين.

يا بُنَيَّ، ليسَ معَ قطيعَةِ الرَّحِمِ نَماءٌ، ولا مَعَ الفُجورِ غِناءٌ.

يا بُنَيَّ، العافِيَةُ عَشْرَةُ أجزاءٍ، تِسْعَةٌ منها في الصَّمْتِ إلاّ بذكرِ اللهِ تعالىٰ، وواحدٌ في تَرْكِ مُجالَسَةِ السُّفَهاءِ، ومَنْ تَزَيَّنَ بمعاصي اللهِ في المجالسِ أورثَهُ اللهُ ذُلاً، مَنْ طلَبَ العِلْمَ عَلِمَ.

يا بُنَيَّ، راسُ العِلمِ الرِّفقُ، وآفَتُه الخُرْقُ، ومن كُنوزِ الايمانِ الصَّبْرُ علىٰ المصائبِ، العفافُ زينةُ الفقرُ، والشُّكْرُ زينةُ الغِنىٰ.

يا بُنَيَّ، كثرةُ الزِّيارةِ تورثُ الملالةَ، الطُّمأنينَةُ قبلَ الخِبْرَةِ ضِدُّ الحزمِ، إعجابُ المرءِ بنَفْسِه دليلٌ علىٰ ضَعْفِ عَقْلِهِ.

يا بُنَيَّ، كم من نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسْرَةً، وكم من كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعمَةً، لا شَرَفَ أعلىٰ من شَرَفِ الإسلامِ، ولا كَرَمَ أعزُّ منَ التُّقوىٰ، ولا مَعْقِلَ أعَزُّ مِنَ الوَرَعِ، ولا شَفيعَ أنْجَحُ منَ التَّوبةِ، ولا لباسَ أجمَلُ مِنَ العافِيَةِ، ولا مالَ أذهبُ للفاقَةِ مِنَ الرِّضىٰ، ومَنِ اقتَصَدَ علىٰ بُلْغَةِ الكَفافِ فقد تَعَجَّلَ الراحَةَ، وتبوّا أحسنَ الدَّعَةِ، والحسنُ مِفتاحُ التَّعَبِ ومَطِيَّةُ النَّصَبِ، وداعٍ إلىٰ التَّقَحُّمِ في الذُّنوبِ، والشَّرَهُ داعٍ إلىٰ مَساوىء العُيوبِ، وكَفاكَ ادباً لِنَفْسِكَ ما كَرِهتَهُ لِغَيْرِكَ، لأخيك المؤمنِ عليك مِثْلُ الذي لك عليه، ومَنْ تَعَرَّضَ في الأمورِ من غير نَظَرٍ في العَواقِبِ فقد تَعَرَّضَ لفادحاتِ النَّوالبِ، التَّدبيرُ قبلَ العَمَلِ يؤمِّنُكَ النَّدَمَ، مَنِ استَقْبَلَ وُجوهَ الآراء عَرَفَ مَواقِعَ الخطأ، الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الفاقَةِ، البخلُ جُلْبابُ المسكَنَةِ، الحرصُ علامَةُ الفَقْرِ، وصُولٌ مُعْدَمٌ خيرٌ من جافٍّ مُكْثِرٍ، ولِكُلِّ شيءٍ قوتٌ، وابنُ آدمَ قوتُ الموتِ.

يا بُنَيَّ، لا تُؤيِسْ مُذْنِباً، فكمْ من عاكفٍ علىٰ ذَنْبه خُتِمَ له بالخَيْرِ،

وكمْ من مُقْبِلٍ على عَمَله مُفْسِدٌ لهُ في آخِرِ عُمُرِهِ، ومَنْ تَحَرَّى القَصْدَ خَفَّت عليه الأمورُ، في خلافِ النَّفْسِ رُشْدُها، السَّاعاتُ تُنْقِصُ الأعمارَ، رَبُّكَ للباغِينَ من أَحْكَمِ الحاكِمينَ، وعالِمٌ بِضمائر المضمرين، بِئسَ الزَّادُ إلى المعادِ، العدوانُ على العبادِ، في كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ[4]، ومَعَ كُلِّ لُقْمةٍ غَصَصٌ، لا تُنالُ نِعمةٌ إلاّ بِفِراقِ أخرى، ما أقرَبَ الراحَةَ من التَّعَبِ، والبؤسَ منَ النَّعيمِ، والموتُ من الحياة، فطوبى[5] لِمَنْ أَخْلَصَ لله عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، وحُبَّهُ وبُغْضَه، وكلامَهُ وصَمْتَهُ، وبَخٍ بَخٍ لعالمٍ عَلِمَ فَكَفَّ، وعَمِلَ فَجَدَّ، وخافَ آلبَيانَ فأَعَدَّ وآستَمدَّ، إنْ سُئِلَ أَفْصَحَ، وإنْ تُرِكَ صَمَتَ، كلامُه صَوابٌ، وسكوتُه غيرُ عَيٍّ عَنِ الجوابِ، والوَيْلُ كُلّ الوَيْلِ لِمَنْ بُلِيَ بجِرمانٍ، وخُذلانٍ وعِصيانٍ، وآستَحْسَنَ لِنَفسه ما يكرَهُهُ الناسُ له، ويَزري على الناسِ بمثلِ ما يأتي، مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ محبَّتُهُ، مَنْ لمْ يكُنْ لهُ سخاءٌ ولا حَياءٌ؛ فالموتُ أولى به من الحياة، لا تَتِمُّ مروءةُ الرَّجُلِ حتى لا يُبالي أيَّ ثوبيهِ لَبِسَ، ولا أيَّ طعامه أكَلَ.

---

(4) الشرق: بفتحتين الغصة من الماء وغيره.

(5) طوبى: شجرة في الجنة، أو هي الجنة بالهندية. القاموس/طاب.

64

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه رضي الله عنه، وقد كتبها إليه منصرفه من صفّين[1]:

منَ الوالدِ الفاني، المقِرِّ للزَّمان، المُدْبِرِ العُمُرِ المُسْتَسْلِمِ للدَّهرِ، الذّامِّ للدُّنيا، السَّاكِنِ مساكنِ الموتى، والظاعِنِ عَنْها غداً، إلى المولودِ المؤمِّلِ ما لا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأسقامِ، ورَهينَةِ الأيّامِ، ورَمِيَّةِ المصائبِ، وعَبْدِ الدُّنيا، وتاجرِ الغُرورِ، وغَريمِ المنايا، وأسيرِ الموتِ، وحَليفِ الهُمومِ، وقرينِ الأَحْزانِ، ونُصْبِ الآفاتِ[2]، وصَريعِ الشَّهواتِ، وخَليفة الأمواتِ.

أمّا بَعْدُ: فإنَّ فيما تَبَيَّنْتُ من إدبارِ الدُّنيا عَنّي، وجُموحِ الدَّهرِ عليَّ، وإقبالِ الآخِرَةِ إليَّ، ما يُرَغِّبُني عَن ذِكْرِ مَنْ سوايَ، والاهتمامِ بما ورائي، غَيْرَ أنّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي ـ دونَ هُمومِ الناسِ ـ هَمُّ نَفْسي، فصَدَقَني رأيي، وصَرَفَني عَن هوائي، وصَرَّحَ لي مَحْضُ أمري، فأفْضى بي إلى جَدٍّ لا

---

(1) نهج البلاغة 3/42 ـ 64، بتحقيق الشيخ محمد عبده.

(2) ونصب الآفات: ورد في الطرة الأولى على هامش الصفحة/43 من كتاب نهج البلاغة ما نَصُّه: من قولهم: فلان نصب عيني بالضم، أي لا يفارقني، هكذا قال الأستاذ الإمام، وعندي أنّ خيراً من ذلك ضبط نصب بفتحتين أو بفتح فسكون، وهو الغاية أو العَلَم المنصوب، فكأن يريد أنّه غاية تنتهي الآفات عندها، فتلقي عصاها، وتستقر لديه، أركانه علم منصوب لا تهتدي الآفات إلا إليه، ولا تقع إلاّ عليه. ا. هـ.

يكونُ فيه لعِبٌ، وصِدْقٌ لا يَشوبُه كَذِبٌ، ووَجَدْتُكَ بَعْضي، بل وَجَدْتُـكَ كُلّي، حتىٰ كانَّ شيئاً لو اصابك اصابني، وكأنَّ الموتَ لـو أتاكَ أتـاني، فعَناني من أمْرِكَ ما يَعنيني من امرِ نَفْسي، فَكَتَبْتُ إليك كتابي، مُسْتَظهِراً به إن انا بقيتُ لكَ او فَنيتُ.

فـإني أوصيكَ بتقـوىٰ اللهِ ولـزومِ امـرِهِ، وعَمـارَةِ قَلْبِـكَ بـذِكْـرِهِ، والاعتِصامِ بحَبلِهِ، وأيُّ سَبَبٍ أوْثَقُ من سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ إنْ أنْتَ اخَذْتَ به؟.

أحْيِ قَلبَكَ بالمَوْعِظَةِ، وأمِتْهُ بالزُّهادَةِ، وقَوِّهِ باليَقينِ، ونَوِّرهُ بالحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بذكرِ الموتِ، وقَرِّرْهُ بالفَناءِ، وبَصِّرْهُ فجائِعَ الدُّنيـا، وحَذِّرْهُ صَـوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ الليالي والأيّامِ، واعْرِضْ عَلَيْهِ اخْبارَ الماضِـينَ، وذَكِّرْهُ بما أصَابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ منَ الأوَّلينَ، وسِرْ في ديارِهِمْ وآثارِهِمْ، فانظُرْ فيما فَعَلُوا، وعَمَّا انتقلوا، واينَ حَلُّوا او نَزَلوا، فإنَّك تَجِدهُم قد انتقلوا عَنِ الأحِبَّةِ، وحَلّوا ديارَ الغُربَةِ، وكأنَّك عَنْ قليلٍ قد صِرْتَ كأحدِهِمْ، فأصلِحْ مَثْواكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتِكَ بدُنياكَ، ودَعِ القَوْلَ فيما لا تَعْرِفُ، والخِطابَ فيما لَمْ تُكَلَّفْ، وأمْسِكْ عَنْ طريقٍ إذا خِفْتَ ضلالَتَهُ، فـإنَّ الكَفَّ عند حَيْـرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ من رُكوبِ الأهوالِ.

وأمُرْ بالمعروفِ تَكُنْ من أهْلِه، وانكِرِ المنكَرَ بيَدِكَ ولسـانِكَ، وبايِنْ من فَعَلَهُ بجُهْدِكَ، وجاهِدْ في اللهِ حقَّ جِهادِهِ، ولا تأخذْكَ في اللهِ لَـوْمَةُ لائمٍ، وخُضِ الغَمَراتِ للحَقِّ حَيْثُ كانَ، وتَفَقَّهْ في الدين، وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ على المكروهِ، ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ في الحقِّ.

وألْجِئْ نَفْسَكَ في الأمورِ كُلِّها إلىٰ إلهِكَ، فإنَّك تُلجِئُها إلىٰ كهفٍ

حـريزٍ[3]، ومـانِعٍ عـزيزٍ، واخْلِصْ في المسـألَةِ لِـرَبِّكَ فـإنَّ بيده العـطاءَ والحِرْمانَ، وأكثر الاستخارَةَ[4] وتَفَهَّمْ وصيَّتي، ولا تَذْهَبَنَّ عَنْها صَفْحاً، فإنَّ خَيْرَ القَولِ ما نَفَعَ، واعلمْ أنَّهُ لا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ولا يُنْتَفَعُ بعِلْمٍ لا يَحُقُّ تَعَلُّمُهُ.

أي بُنَيَّ، إني لمّا رأيتُني قد بَلَغْتُ سنّاً، ورأيتُني أزْدادُ وَهْناً، بادَرْتُ بوَصِيَّتي إليْكَ، وأورَدْتُ خِصالاً منها قبلَ أنْ يعْجَلَ بين اجلي دونَ انْ أفضِيَ إليْكَ بما في نَفسي، وانْ أنْقُصَ في رأيي كما نَقَصْتُ في جسمي، او يَسْبِقَني إليكَ بَعْضُ غَلَباتِ الهـوى، أو فِتنِ الدُّنيـا، فتكونَ كـالصَّعْبِ النَّفور[5]، وإنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كالأرْضِ الخالِيةِ، مـا أُلقِيَ فيها من شيءٍ قَبِلَتْهُ، فبادَرْتُكَ بالأدبِ قبلَ أنْ يَقْسُوَ قلبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بجِدِّ رأيكَ منَ الأمْرِ ما قد كَفاكَ أهْلُ التَّجارِبِ بُغْيَتَهُ وتَجرِبَتَهُ، فتكونَ قد كُفيتَ مؤونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفيتَ من عِلاجِ التَّجرِبَةِ، فأتاكَ من ذلك ما قَدْ كُنَّا نأتيهِ، واستَبانَ لكَ ما رُبَّما اظلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ.

أي بنيَّ، إني وإنْ لم أكن عُمِّرْتُ عُمُرَ مَن كان قبلي فقد نَظَرْتُ في أعمالِهِمْ، وفكَّرتُ في اخبارِهِمْ، وسِرتُ في آثارِهِمْ، حتىٰ عُدْتُ كأحَدِهِمْ، بل كأنّي بما انتهىٰ إليَّ من امورِهِمْ قد عُمِّرْتُ مَـعَ أوَّلِهم إلىٰ آخرِهِمْ، فعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ من كَدِرِهِ، ونَفْعَهُ من ضَرَرِهِ، فاستَخْلَصْتُ لَكَ من كُلِّ أمْرٍ نخيلَهُ[6]، وتَوَخَّيْتُ لكَ جَميلَهُ، وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهولَهُ، ورأيتُ حيث عناني من أمرِكَ ما يَعني الوالِدَ الشَّفيقَ، وأجمَعْتُ عليه من أدَبِكَ أن يكونَ ذلكَ

(3) أي إلىٰ مكان ممتنع، لا يقدر علىٰ إتيانه أحد.
(4) الاستخارة، ان تستجيلَ الراي في الأمر، وتسأل الله قبل أن تقدم علىٰ أمرٍ مهم.
(5) الصعب النفور: من الإبل نقيض الذلول منه.
(6) أي أخذت لك من كل أمر عصارته وصافيه.

وأنتَ مُقْبِلُ العُمرِ، ومُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذو بِنْيَةٍ سَليمةٍ، ونَفْسٍ صافِيةٍ، وأنْ أبتَدِئَكَ بتعليمِ كتابِ اللهِ وتأويلِهِ، وشرائعِ الإسلامِ وأحكامِه، وحَلالِهِ وحَرامِهِ لا أجاوزَ لكَ إلىٰ غيرِهِ، ثمَّ أشْفَقْتُ أنْ يلتَبِسَ عَلَيْكَ ما آختَلَفَ الناسُ فيه من أهوائِهِمْ وآرائِهِمْ مثلَ الذي آلتبسَ عليهم، فكانَ إحكامُ ذلك علىٰ ما كَرِهْتُ من تَنبيهِكَ لهُ أحَبَّ إليَّ من إسلامِكَ إلىٰ امرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ به آلهَلَكَةَ، ورَجَوْتُ أنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ لِرُشْدِكَ، وأنْ يَهْدِيَكَ لقَصْدِكَ، فعَهِدْتُ إليكَ وصيَّتي هذه.

وآعلمْ يا بُنَيَّ، أنَّ أحَبَّ ما أنتَ آخِذٌ به إليَّ من وَصيَّتي، تَقْوىٰ اللهِ، والإقتِصارُ علىٰ ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، والأَخْذُ بما مَضىٰ عليه الأوَّلونَ من آبائِكَ، والصَّالِحونَ من أهلِ بيتِكَ، فإنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أنْ نظَرُوا لأنْفُسِهِمْ كما أنتَ ناظِرٌ، وفكَّروا كما أنتَ مُفَكِّرٌ، ثمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلك إلىٰ الأَخْذِ بما عَرَفوا، والإمساكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفوا، فإنْ أبَتْ نَفْسُكَ أنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دونَ أنْ تَعْلَمَ كما عَلِموا، فليَكُنْ طَلَبُكَ بتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لا بتَوَرُّطِ الشُّبهاتِ، وعُلُوِّ الخُصوصِيّات، وآبدأ ـ قبل نَظَرِكَ في ذلك ـ بالاستِعانة بإلهِكَ، والرَّغْبَةِ إليه في تَوفيقِكَ، وتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أوْلَجَتْكَ في شُبْهَةٍ، أو أسْلَمَتْكَ إلىٰ ضلالةٍ، فإذا أيْقَنْتَ أنْ قَدْ صَفا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رأيُكَ فآجْتَمَعَ، وكانَ هَمُّكَ في ذلِكَ هَمًّا واحداً، فآنظُر فيما فَسَّرْتُ لكَ، وإنْ أنْتَ لم يَجْتَمِعْ لكَ ما تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفَراغِ نَظَرِكَ وفِكرِكَ، فآعلَمْ أنَّكَ إنَّما تخبِطُ العشواء[7]، وتَوَرَّطُ الظَّلماءَ، ولَيْسَ طالِبُ الدِّينِ مَن خَبَطَ أو خَلَطَ، والإمساكُ عَنْ ذلك أمْثَلُ.

فتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ، وصيَّتي، وآعلَمْ أنَّ مالِكَ آلموتِ هُوَ مالِكُ آلحَياةِ،

(7) العشواء من النوق: الضعيفة البصر، فهي لا تستقر على مكان ثابت في الرعي.

وأنَّ الخالِقَ هُوَ المُمِيتُ، وأنَّ المُفْني هُوَ المُبِيدُ، وأنَّ المُبْتَلىٰ هُوَ المُعافى، وأنَّ الدُّنيا لَمْ تَكُنْ لِتَستَقِرَّ إلاّ على ما جَعَلها اللهُ عليْهِ منَ النَّعْماءِ، والابتلاءِ والجَزاءِ في المعادِ، أو ما شاءَ مِمّا لا نَعْلَمُ، فإنْ أشْكَلَ عَلَيْكَ شيءٌ من ذلك فآحمِلْهُ على جهالَتِكَ به، فإنَّكَ أوّلُ ما خُلِقْتَ جاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وما أكْثَرَ ما تَجْهَلُ منَ الأمْرِ، وتَتَحَيَّرُ فيه رأيُكَ، ويَضِلُّ فيه بصَرُكَ، ثمَّ تُبصِرُهُ بَعْدَ ذلك، فآعتَصِمْ بآلذي خَلَقَكَ ورَزَقَكَ وسَوّاكَ، ولْيَكُنْ لهُ تَعَبُّدُكَ، وإليه رَغْبَتُكَ، ومنه شفَقَتُكَ.

وآعلمْ يا بُنَيَّ، أنَّ أحَداً لَمْ يُنْبِىء عَنِ اللهِ كما أنْبأ عنه الرَّسولُ ﷺ، فآرضَ به رائداً، وإلىٰ النجاةِ قائداً، فإني لَمْ آلُكَ نَصيحةً، وإنَّكَ لَنْ تَبلُغَ في النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وإن آجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظري لكَ.

وآعْلَمْ يا بُنَيَّ، أنَّهُ لو كانَ لِرَبِّكَ شَريكٌ لأتَتْكَ رُسُلُه، ولرأيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وسُلطانِه، ولَعَرَفْتَ أفعالَهُ وصِفاتِه، ولكنهُ إلهٌ واحِدٌ، كما وَصَفَ نَفْسَه، لا يُضادُّهُ في مُلْكه أحَدٌ، ولا يزولُ أبَداً، ولم يزَلْ، أوّلٌ قَبْلَ الأشْياءِ بلا أوّليَّةٍ، وآخِرٌ بَعْدَ الأشياءِ بلا نهايةٍ، عَظُمَ عَنْ أنْ تثبُتَ رُبوبيَّتُهُ بإحاطَةِ قَلْبٍ أو بَصَرٍ، فإذا عرفْتَ ذلكَ فآفْعَلْ كما ينبغي لِمِثْلِكَ أنْ يَفْعَلَهُ في صِغَرِ خَطَرِهِ، وقِلَّةِ مقدِرَتِهِ، وكَثْرَةِ عَجْزِه، وعظيمِ حاجَته إلى ربِّه في طَلَبِ طاعَتِهِ، والخَشْيَةِ من عُقوبتِهِ، والشَّفَقَةِ من سُخْطِهِ، فإنَّه لم يأمُرْكَ إلاّ بحَسَنٍ، ولَمْ يَنْهَكَ إلاّ عن قبيحٍ.

يا بُنَيَّ، إني قد أنبأتُكَ عن الدُّنيا وحالِها، وزَوالِها وآنتِقالِها، وأنْبأتُكَ عنِ الآخِرَةِ، وما أُعِدَّ لأهلِها فيها، وضَرَبْتُ لَكَ فيهما الأمْثالَ لتَعْتَبِرَ بها، وتَحْذَرَ عليها، إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنيا كمثل قومٍ سَفْرٍ[8] نَبا بِهِمْ مَنْزِلٌ

(8) السفر: بفتح السين وسكون الفاء المسافرون.

جَديبَ فأمُّوا مَنْزِلاً خَصيباً، وجَناباً مريعاً، فآحتملوا وَعْثاءَ الطَّريقِ، وفِراقَ الصَّديقِ، وخُشونَةَ السَّفَرِ، وجُشوبَةَ المطعم(9)، ليأتُوا سعَةَ دارِهِمْ، ومَنْزِلَ قرارِهِمْ، فلَيْسَ يَجِدونَ لشيءٍ من ذلك أَلَماً، ولا يَرَونَ نَفَقَةً مَغْرَماً، ولا شيء أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ من مَنْزِلِهِمْ، وادناهُمْ من مَحَلِّهِمْ، ومَثَلُ مَنِ آغتَرَّ بها كَمَثَلِ قَومٍ كانوا بِمَنْزِلٍ خَصيبٍ، فنبا بهم إلىٰ مَنْزِلٍ جَديبٍ، فلَيْس شيءٌ أكرَهَ إِلَيْهِمْ ولا أقطَعَ عِنْدَهُمْ من مُفارَقَةِ ما كانوا فيه إلىٰ ما يَهجُمونَ عليْه، ويصيرونَ إليه.

يا بُنَيَّ، آجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فيما بينَكَ وبينَ غيرِكَ، فأَحْبِبْ لغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وآكرَهْ لهُ ما تكرَهُ لها، ولا تَظْلِمْ كما لا تُحِبُّ أَنْ تُظلَمَ، وأَحْسِنْ كما تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إليكَ، وآستَقْبِحْ من نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِح من غيرِكَ، وآرْضَ منَ النامسِ بما تَرْضاهُ لَهُمْ من نَفْسِكَ، ولا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ، وإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ، ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يقالَ لكَ.

وآعلمْ أَنَّ الإعجابَ ضد الصَّوابِ، وآفةُ الألبابِ، فآسعَ في تَكْدِحِكَ، ولا تكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ(10)، وإذا كُنْتَ هُديتَ لقَصْدِكَ فكنْ أَخْشَعَ ما تكونُ لِرَبِّكَ.

وآعلَمْ أنَّ أمامَكَ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ، ومَشقَّةٍ شديدةٍ، وأنَّهُ لا غِنى لكَ فيه عَنْ حُسْنِ الإرتيادِ، وقَدْرِ بلاغَكَ من الزَّادِ مع خِفَّةِ الظَّهْرِ، فلا تَحْمِلَنَّ على ظَهْرِكَ فوقَ طاقَتِكَ، فيكونَ ثقلُ ذلك وبالاً عَلَيْكَ، وإذا وَجَدْتَ من أَهْلِ الفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ إلىٰ يومِ القيامَةِ فَيوافيكَ به غداً حَيْثُ تَحْتاجُ إليهِ فآغتَنِمْهُ، وحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وأَكْثِرْ من تَزويده وأنْتَ قادِرٌ عليْهِ،

(9) تقول: جشب الطعام إذا غلظ طعمه ولم يستساغ.
(10) أي لا تكن جامعاً للأموال التي سيرثها غيرك.

فلَعَلَّكَ تَطلُبُهُ فلا تَجِدُهُ، وآغْتَنِمْ مَنِ آستَقْرَضَكَ في حالِ غِناكَ، لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لكَ في يومِ عُسْرَتِكَ.

وآعلَمْ أنَّ امامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً[11] المخِفُّ فيها أحْسَنُ حالاً من المُثْقَلِ، والبَطيءُ عليها أقْبَحُ حالاً منَ المسرعِ، وأنَّ مَهْبَطَكَ بها لا محالةَ على جَنَّةٍ أو على نارٍ، فآرتَدْ لِنَفْسِكَ قبْلَ نُزلِكَ، ووَطِّىء المَنْزِلَ قبلَ حُلولِكَ، فلَيْس بعْدَ الموتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولا إلى الدُّنيا مُنْصَرَفٌ.

وآعْلَمْ أنَّ الذي بِيدِه خَزائِنُ السَّماواتِ والأرضِ قد أذِنَ لكَ في الدُّعاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بالإجابة، وأمَرَكَ أنْ تسألَهُ لِيُعطيَكَ، وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَن يَحْجُبُهُ عَنْكَ، ولَمْ يُلْجِئْكَ إلى مَنْ يَشْفَعُ لك إليه، ولم يَمْنَعْكَ إنْ أسَأْتَ من التَّوبَةِ، ولَمْ يُعاجِلْكَ بالنِّقْمَةِ، ولَمْ يُعَيِّرْكَ بالإنابةِ ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضيحَةُ بكَ أوْلى، ولم يُشَدِّدْ عَلَيْكَ في قُبولِ الإنابة، ولَمْ يُناقِشْكَ بالجريمةِ، ولَمْ يوئِسْكَ من الرَّحْمَةِ، بل جَعَلَ نُزوعَكَ عن الذَّنْبِ حَسَنَةً، وحَسَبَ سيِّئَتِكَ واحِدةً، وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وفَتَحَ لَكَ بابَ المتابِ، وبابَ الاستيعاب، فإذا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِداءَكَ، وإذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْواكَ، فأفْضَيْتَ إليهِ بحاجَتِكَ، وأبْثَثْتَهُ ذاتَ نَفْسِكَ، وشَكَوْتَ إليهِ هُمومَكَ، وآستكْشَفْتَهُ كُروبَكَ، وآستَعَنْتَهُ على أُمورِكَ، وسألْتَهُ من خَزائنِ رَحْمَتِهِ ما لا يَقْدِرُ على إعطائِهِ غَيْرُهُ من زيادَةِ الأعْمارِ، وصِحَّةِ الأبدانِ، وسَعَةِ الأرْزاقِ، ثمَّ جَعَلَ في يَدَيْكَ مَفاتيحَ خزائنه بما أذِنَ لك من مسألَتِهِ، فمَتى شِئْتَ آستَفْتَحْتَ بالدُّعاء أبوابَ نِعمَتِهِ، وآستَمْطَرْتَ شآبيبَ رَحْمَتِهِ، فلا يُقْنِطَنَّكَ إبطاءُ إجابتِهِ، فإنَّ العَطِيَّةَ على قَدْرِ النِّيَّةِ، ورُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ

(11) أي طريق شاق صعب المرتقى.

الإجابةُ ليكونَ ذلكَ أعظَمَ لأجرِ السّائِلِ، وأجزَلَ لعَطاءِ الآمِلِ، وربّما سألتَ الشّيءَ فلا تُؤتاهُ، وأوتِيتَ خيراً منه عاجِلاً أو آجِلاً، أو صُرِفَ عَنْكَ لما هُوَ خَيْرٌ لكَ، فلَرُبَّ أمْرٍ قد طَلَبْتَهُ فيه مَلاكُ دينِكَ لو أوتِيتَهُ، فلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فيما يَبْقى لكَ جَمالُهُ، ويُنْفى عَنْكَ وَبالُهُ، والمالُ لا يبقى لكَ، ولا تَبْقى لهُ.

وآعلَمْ أنّكَ إنّما خُلِقْتَ للآخِرَةِ لا للدُّنيا، وللْفناءِ لا لِلْبقاءِ، وللْمَوْتِ لا لِلْحياةِ، وأنّكَ في مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[12]، ودارِ بُلْغَةٍ، وطريقٍ إلى الآخِرَةِ، وأنّكَ طريدُ المَوْتِ الذي لا يَنْجُو منه هارِبُه، ولا يَفوتُهُ طالِبُهُ، ولا بُدّ أنّهُ مُدْرِكُهُ، فكُنْ منه على حَذَرٍ أنْ يُدرِكَكَ، وأنْتَ على حالٍ سيِّئَةٍ، قد كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ منها بالتَّوبَةِ، فيحولُ بَيْنَكَ وبينَ ذلكَ، فإذا أنْتَ قد أهلكتَ نَفْسَكَ.

يا بُنَيَّ، أكثِرْ من ذِكْرِ المَوْتِ، وذِكْرِ ما تَهْجُمُ عليْهِ، وتُفْضي بَعْدَ الموتِ إليه، حتى يأتِيَكَ وَقَد أخَذْتَ منه حِذْرَكَ، وشَدَدْتَ لهُ أزْرَكَ، ولا يأتيكَ بَغْتَةً فَيبهَرَكَ، وإياكَ أن تَغْتَرَّ بما تَرى من إخلادِ أهلِ الدُّنيا إليها، وتكالُبِهم عليها، فقد نبّأَ اللهُ عَنْها، ونَعَتْ لك نَفْسَها، وتكشّفَتْ لَكَ عن مساوِيَها، فإنّما أهلُها كِلابٌ عاوِيَةٌ، وسِباعٌ ضارِيَةٌ، يهِرُّ بَعْضُها بَعْضاً، ويأكُلُ عَزيزُها ذليلَها، ويَقْهَرُ كبيرُها صغيرها، نِعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[13] وأخرى مهملةٌ قد أضَلَّتْ عُقُولَها، ورَكِبت مَجهولَها، سُروحُ عاهَةٍ[14] بوادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لها

---

(12) القلعة: بضم فسكون، أو بضمتين، أو بضم ففتح، الذي لا يبقى فيه صاحبه، ولا يدري متى يرتحل عنه.

(13) أي الإبل المربوطة في أعطانها، وعقل البعير: إذا شدَّ وظيفه إلى ذراعه.

(14) السروح: بالضمّ، جمع سرح، وهو المال السائم من إبلٍ ونحوها، والعاهة، الآفة، أي أنهم يسرحون في وادٍ مليء بالمتاعب، والوعث من الطريق: الذي يصعب فيه السير.

واعٍ يُقيمُها، ولا مُسيمٌ يسيمُها[15]، سَلَكَتْ بهم الدُّنيا طريقَ العَمى، وأخَذَتْ بأبصارِهِمْ عَنْ مَنارِ الهُدى، فتاهُوا في حَيْرتِها، وغَرِقُوا في نِعْمَتِها، واتَّخَذوها رَبًّا، فَلَعِبَتْ بهِمْ ولَعِبوا بها، ونَسوا ما وراءها. رُوَيداً يَسْفِرُ الظَّلامُ، كأنْ قد وَرَدَتِ الأظعانُ، يوشِكُ مَنْ أسْرَعَ أنْ يَلْحَقَ.

واعلَمْ يا بُنَيَّ، أنَّ مَنْ كانَتْ مَطِيَّتُهُ الليلَ والنَّهارَ فإنَّهُ يُسارُ به وإنْ كانَ واقفاً، ويَقْطَعُ المسافَةَ وإنْ كان مُقيماً وادِعاً.

واعلَمْ يقيناً أنَّكَ لنْ تَبْلُغَ أمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَ أجَلَكَ، وأنَّكَ في سبيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، فخَفِّض في الطَّلَبِ، واجمِلْ في المكتَسَبِ، فإنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قد جَرَّ إلى حَرَبٍ، فليْسَ كُلُّ طالِبٍ بمَرْزوقٍ، ولا كُلُّ مُجْملٍ بمَحْرومٍ.

واكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وإنْ ساقَتْكَ إلى الرَّغائِبِ، فإنَّكَ لن تَعْتاضَ بما تَبْذُلُ من نَفْسِكَ عِوَضاً، ولا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا، وما خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنالُ إلاَّ بشَرٍّ، ويُسْرٍ لا يُنالُ إلاَّ بعُسْرٍ.

وإياكَ أنْ تُوجِفَ[16] بِكَ مطايا الطَّمَعِ، فتوردَكَ مناهِلَ آلهُلَكَةِ، وإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لا يكونَ بينَكَ وبينَ اللهِ ذو نِعمةٍ فافعَلْ، فإنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمَكَ، وآخِذٌ سَهْمَكَ، وإنَّ اليَسيرَ مِنَ اللهِ ـ سبحانه ـ أعظمُ وأكرَمُ من الكثيرِ من خَلْقِهِ، وإنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وتلافيكَ ما فَرَطَ من صَمْتِكَ أيْسَرُ من إدْراكِكَ ما فاتَ من مَنْطِقِكَ، وحِفْظُ ما في الوعاءِ بشدِّ الوكاء[17]، وحِفْظُ ما في يَدَيْكَ أحَبُّ إليَّ من

---

(15) أي ليس لها راعٍ يأخذ بها إلى المكان المطمئن الذي تسرح فيه بأمان.
(16) توجف: تسرع.
(17) حفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء: هذا القول جارٍ مجرى المثل، وهو في مجمع الأمثال=

طَلَبِ ما في يَدِ غَيْرِكَ، ومَرارَةُ اليأسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إلى الناسِ، والجرفَةُ مع العِفَّةِ خيرٌ منَ الغِنى مع الفُجورِ، والمرءُ أحفَظُ بسرِّه، ورُبَّ ساعٍ فيما يضُرُّهُ، مَنْ أكثرَ أهْجَرَ[18]، ومَنْ تَفَكَّرَ أبْصَرَ.

قارِنْ أهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وباينْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئسَ الطَّعامُ الحرامُ، وظُلْمُ الضَّعيفِ أفْحَشُ الظُّلْمِ، إذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كانَ الخُرْقُ رفقاً[19]، رُبَّما كانَ الدَّواءُ داءً، والدَّاءُ دواءً، ورُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وغَشَّ المُسْتَنْصَحُ، وإياكَ واتكالَكَ على المُنَى فإنَّها بَضائِعُ الموتى، والعَقْلُ حِفْظُ التَّجاربِ، وخَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ، بادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تكونَ غُصَّةً، ليسَ كُلُّ طالبٍ يُصيبُ، ولا كُلُّ غائبٍ يَؤوبُ، ومِنَ الفسادِ إضاعَةُ الزَّادِ، ومَفْسَدَةُ المعادِ، ولِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ، سوفَ يأتيكَ ما قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخاطِرٌ، ورُبَّ يسيرٍ أنْمى من كثيرٍ، ولا خيرَ في مُعينٍ مَهينٍ، ولا في صديقٍ ظنينٍ[20]، ساهِلِ الدَّهْرِ ما ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[21]، ولا تُخاطِرْ بشيءٍ رَجاءَ أكثرَ مِنْهُ، وإياكَ أنْ تَجْمَحَ بكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ، احمِلْ نَفْسَكَ من أخيكَ ـ عند صرمه ـ على الصِّلَةِ، وعند صُدودِهِ على اللُّطْفِ والمقارَبَةِ، وعِنْدَ جُمودِهِ على البَذْلِ، وعِنْدَ تَباعُدِهِ على الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِه على اللينِ، وعِنْدَ جُرْمِهِ على العُذْرِ، حتى كأنَّكَ لهُ عَبْدٌ، وكأنَّهُ ذو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ،

= 1/207 ونصّه فيه: احفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء. يضرب في الحثّ على أخذ الأمر بالحزم.

(18) من أكثر أهجر: الاهجار، الافحاش، وهو أن يأتي في كلامه بالفحش، والهُجر، اسم من الاهجار، كالفحش من الافحاش، سُمي هجراً لهجر العقلاء إياه. وهو مثل يضربُ لمَن يأتي في كلامه بما لا يعنيه. أمثال الميداني 2/297.

(19) الخرق بضم الخاء: العنف. أي إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً.

(20) الظنين: الشاك: وتروى الضنين: بالضاد وهو البخيل، وكلا الروايتين له وجه.

(21) القعود من الإبل، ما يقتعده الراعي، ويقال للبكر إلى أن يثني أي يصل إلى سنه الثانية، وللفصيل أيضاً.

وإياك أنْ تَضَع ذَلِكَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، او أنْ تَفْعلَهُ بغَيْرِ أَهْلِهِ، لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صديقِكَ صديقاً فتُعادِيَ صديقَكَ، وآمْحَضْ أخاكَ النَّصيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ أو قبيحَةً، وتَجَرَّعِ ٱلغَيْظَ فإني لمْ أرَ جُرْعَةً أحلىٰ منها عاقِبَةً ولا ألَذَّ مَغَبَّةً، ولِنْ لِمَنْ غالَظَكَ، فإنَّهُ يوشِكُ أنْ يلينَ لكَ، وخُذْ علىٰ عَدُوِّكَ بالفضْلِ فإنَّهُ احْلَى الظَّفَرَينِ، وإنْ أرَدْتَ قطيعَةَ اخيكَ فآستَبْقِ لهُ من نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إليها إنْ بدا لهُ ذلكَ يوماً ما، ومَنْ ظَنَّ بكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظنَّهُ، ولا تُضيعَنَّ حقَّ اخيكَ آتكالاً علىٰ ما بينَكَ وبينَهُ، فإنَّهُ ليس لكَ بأخٍ مَنْ أضَعْتَ حَقَّهُ، ولا يكُنْ اهلُكَ أشْقىٰ الخَلْقِ بكَ، ولا تَرْغَبَنَّ فيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، ولا يَكونَنَّ أخوكَ علىٰ مقاطَعَتِكَ اقوىٰ مِنْكَ علىٰ صلته، ولا يكونَنَّ علىٰ الإساءَةِ أقوىٰ منْكَ علىٰ الإحسانِ، ولا يكبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فإنَّهُ يَسْعَىٰ في مَضرَّتِهِ ونَفْعِكَ، ولَيْسَ جَزاءُ مَنْ سَرَّكَ أنْ تسوءَهُ.

واعْلَمْ يا بُنَيَّ، أنَّ الرِّزْقَ رِزْقانِ، رِزْقٌ تَطلُبُهُ، ورِزْقٌ يَطلُبُكَ، فإنْ أنْتَ لمْ تَأتِهِ أتاكَ، ما أقْبَحَ الخُضوعَ عِنْدَ ٱلحاجَةِ، وٱلجَفاءَ عِنْدَ الغِنىٰ، إنَّ لكَ من دُنياكَ ما أصْلَحْتَ بهِ مَثْواكَ، وإنْ جَزِعْتَ علىٰ ما تَفَلَّتَ من يَدَيْكَ، فآجزَعْ علىٰ كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ إليْكَ، آستَدِلَّ علىٰ ما لَمْ يكُنْ بما قَدْ كانَ فإنَّ الأمورَ أشْباهٌ، ولا تكونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إلاَّ إذا بالَغْتَ في إيلامِهِ، فإنَّ العاقِلَ يَتَّعِظُ بالآدابِ، وٱلبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إلاَّ بالضَّرْبِ، إطرَحْ عَنْكَ واردِاتِ الهُمومِ بعزائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ اليقينِ، من تَرَكَ القَصْدَ جارَ، والصاحِبُ مناسَبٌ[22]، والصَّديقُ مَن صدَقَ غَيْبُه، والهوىٰ شريكُ العَناءِ، رُبَّ قَريبٍ أبعَدُ من بعيدٍ، ورُبَّ بَعيدٍ أقربُ من قريبٍ، والغَريبُ مَنْ لمْ يَكُنْ لهُ

(22) أي أن الصاحب المخلص ترىٰ
منه ما ترىٰ في قرابة النسب، وكذلك هو يرىٰ فيك مثله.

خبيبٌ، مَنْ تَعَدَّىٰ الحقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ، ومَنِ آقتَصَرَ على قَدْرِهِ كانَ أبقىٰ لهُ، واوثقُ سَبَبٍ أخذْتَ به سببٌ بينَكَ وبينَ اللهِ، ومَنْ لم يُبالِكْ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قد يكونُ اليأسُ إدراكاً إذا كانَ الطَّمَعُ هلاكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، ولا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ، ورُبَّما أخطأ البصيرُ قَصْدَهُ، وأصابَ الأعمىٰ رُشْدَهُ، أخِرِ الشَّرَّ فإنَّكَ إذا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وقطيعةُ الجاهلِ تَعْدِلُ صلَةَ العاقلِ، مَنْ أمِنَ الزَّمانَ خانَهُ، ومَنْ أعْظَمَهُ أهانَهُ، ولَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمى أصابَ، إذا تَغَيَّرَ السُّلطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ، سلْ عَنِ الرَّفيقِ قبلَ الطَّريقِ، وعَنِ الجارِ قبلَ الدارِ، إياكَ أنْ تَذْكُرَ منَ الكلامِ ما كانَ مُضْحِكاً، وإنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وإياكَ ومشاوَرَةَ النِّساءِ، فإنَّ رأيَهُنَّ إلىٰ أفَنٍ، وعَزْمَهُنَّ إلىٰ وَهَنٍ[23]، واكفُفْ عَلَيْهِنَّ من أبصارِهِنَّ بحِجابِكَ إياهُنَّ، فإنَّ شِدَّةَ الحِجابِ أبقىٰ عَلَيْهِنَّ، ولَيْسَ خُروجُهُنَّ بأشَدَّ من إدخالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ به عَلَيْهِنَّ، وإنِ آستَطَعْتَ أن لا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فافعَلْ، ولا تُمَلِّكِ المرأةَ من أمرِها ما جاوَزَ نَفْسَها، فإنَّ المرأةَ ريحانَةٌ ولَيْسَتْ بقَهْرَمانة[24]، ولا تَعْدُ بِكرامَتِها نَفْسَها، ولا تُطْمِعْها في أنْ تَشْفَعَ بغَيْرِها، وإياكَ والتَّغايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فإنَّ ذلكَ يدعو الصَّحيحَةَ إلىٰ السُّقْمِ، والبريئَةَ إلىٰ الرِّيبِ، وآجعَلْ لِكُلِّ إنسانٍ من خَدَمِكَ عَمَلاً تأخُذُهُ به، فإنَّهُ أحرىٰ أنْ لا يَتواكَلُوا[25] في خِدْمَتِكَ، وأكرِمْ عشيرَتَكَ فإنَّهُمْ جناحُكَ الذي به تَطيرُ، وأصلُكَ الذي إليهِ تصيرُ، ويَدُكَ التي بها تَصولُ.

أستَودِعُ اللهَ دينَكَ ودُنياكَ، وأسألُهُ خَيْرَ القضاءِ لكَ في العاجِلَةِ والآجِلَةِ، والدُّنيا والآخِرَةِ. والسلام.

---

(23) الأفَنُ: الضياع، وضعف الرأي، والوَهَنُ: الضعف.
(24) القهرمان: الذي يحكم في الأمور، ويتصرف فيها بأمره.
(25) أي: لا يتكل بعضهم على بعض.

65

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الحسنَ رضي الله عنه[1]:

هذا ما أوصى به عليٌّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ لهُ، وأنّ محمداً عبدُهُ ورَسوله، وأنَّ السّاعَةَ آتِيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في ٱلقُبورِ، ثم ﴿إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحياي ومَماتي للهِ رَبِّ العالمينَ، لا شَريكَ لهُ، وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّل المسلمينَ﴾[2].

وإني أوصيكَ يا حَسَنُ، وجميعَ ولدي، ومَنْ بَلَغَهُ كِتابي هذا بتقوى اللهِ رَبِّكُمْ، ﴿ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتُمْ مُسْلِمونَ، وٱعتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[3]، فإني سَمِعْتُ حَبيبي رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «صَلاحُ ذاتِ ٱلبَيْنِ أَفْضَلُ مِن عامِ الصِّيامِ والصَّلاةِ».

انظُروا ذوي أرحامِكُمْ فَصِلوهُمْ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكُمُ الحسابَ، واللهَ اللهَ في الأيتامِ، فلا تُغَيِّرُنَّ أفواهَهُمْ بحَضْرَتِكُمْ، واللهَ اللهَ في الضُّعيفينَ، فإنَّ آخِرَ ما تكلَّم به رسولُ اللهِ ﷺ أنْ قال: «أوصيكُمْ بالضُّعيفينَ خيراً»، واللهَ اللهَ في القرآنِ، فلا يسبِقكُمْ بالعَمَلِ به غيرُكُمْ، واللهَ اللهَ في الصَّلاةِ، فإنَّها

---

(1) المعمرون/150 ـ 151.
(2) الآية/163 سورة الأنعام.
(3) الآية/103 سورة آل عمران.

عمودُ دينِكُمْ، واللهَ اللهَ في الزكاةِ فإنَّها تُطْفِىءُ غضَبَ ربِّكُمْ عَنْكُمْ، واللهَ اللهَ في صِيامِ رَمَضانَ فإنَّ صيامَهُ جُنَّةٌ لَكُمْ من النَّارِ، واللهَ اللهَ في الحجِّ فإنَّ بَيْتَ اللهِ إذا خَلا لَمْ تُناظَروا، واللهَ اللهَ في الفُقراء والمساكينِ، فشارِكوهم في معايشِكُم وأموالِكُمْ.

عليكُمْ يا بَنِيَّ بالبِرِّ والتَّواصُلِ والتَّبارِّ، وإياكم والتَّقاطُعَ والتَّدابُرَ والتَّفَرُّقَ: ﴿وتعاوَنوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاوَنُوا على الإثمِ والعُدوان﴾(4)، حَفِظَكُمُ اللهُ من أهلِ بَيْتٍ، وحَفِظَ فيكُمْ نَبِيَّكُمْ، ﷺ.

(4) الآية/2 سورة المائدة.

66

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن رضي الله عنه[1]:

هذا ما أوصى به أميرُ المؤمنينَ عليٌّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بالهدىٰ ودينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ علىٰ الدّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ ٱلمشرِكونَ، إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي للهِ رَبِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ، وبذلك أمِرْتُ وأنا مِنَ المسلمين،

أوصيكَ يا حَسَنُ وجَميعَ وُلدي وأهْلَ بيْتي، ومَنْ بَلَغَهُ كتابي هذا بتَقوىٰ اللهِ رَبِّنا، ﴿ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتُم مُسلمونَ، وٱعتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[2] فإني سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «صلاحُ ذاتِ ٱلبينِ أفْضَلُ من عامة الصلاة والصِّيام» وأنَّ المبيرةَ الحالقةَ للدِّين فَسادُ ذاتِ البينِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العليِّ العظيم.

انظروا ذوي أرحامِكُمْ فَصِلوهُمْ يُهَوِّنِ اللهُ عليكُمُ الحِسابَ، اللهَ اللهَ في الأيتامِ، فلا تَغْبُوا أفواهَهُمْ[3]، ولا يضيعوا بحَضْرَتِكُمْ، واللهَ اللهَ في

(1) مقاتل الطالبين/25 ـ 26.
(2) الآية/103 سورة آل عمران.
(3) أي لا تعطوهم يوماً وتحرموهم آخر، وأصل الغب بفتح الغين أن تسقى الماء يوماً وتظما يوماً آخر.

جيرانِكُمْ، فإنها وصيّة رسولِ اللهِ ﷺ، ما زال يوصينا بها حتىٰ ظنَنّا أنّه سيُوَرِّثُهُمْ، واللهَ اللهَ في القرآنِ فلا يَسْبِقُكم إلىٰ العَمَل به غيرُكُمْ، واللهَ اللهَ في الصَّلاةِ، فإنّها عمادُ دينِكُمْ، واللهَ اللهَ في بيتِ ربِّكُمْ، فلا يخلو منكُمْ ما بقيتُم، فإنّه إنْ تُرِكَ لَمْ تُناظَروا، وإنّه إنْ خَلا منكُمْ لَمْ تُنْظَروا، واللهَ اللهَ في صيامِ شَهْرِ رَمضانَ، فإنّه جُنّةٌ من النارِ، واللهَ اللهَ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ بأموالِكُمْ وأنفُسِكُمْ، واللهَ اللهَ في زكاةِ أموالِكُمْ، فإنّها تُطفِىءُ غَضَب ربِّكُمْ، اللهَ اللهَ في ذُرِّيّةِ نبيِّكُمْ، فلا يُظْلَمُنَّ بينَ أظهُرِكُمْ، واللهَ اللهَ في أصحابِ نبيِّكُمْ، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ أوْصىٰ بهمْ، واللهَ اللهَ في الفقراء والمساكين، فاشرِكوهم في معايشكم، واللهَ اللهَ فيما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ، ثم قال: الصَّلاةَ الصَّلاةَ، لا تخافوا في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ، فإنّه يكفيكُمْ مَنْ بغىٰ عليكم؛ وأرادكُمْ بسوءٍ، قولوا للنّاسِ حُسناً كما أمَرَكُمُ اللهُ، ولا تتركوا الأمرَ بالمعروفِ، والنَّهْيَ عنِ المنكَرِ، فتولّىٰ الأمر غيركم، وتَدعُونَ فلا يُسْتَجابُ لكُمْ.

عليكُمْ بالتّواضُعِ والتباذُلِ، وإياكُمْ والتّقاطُعَ والتّفَرُّقَ والتّدابُرَ، ﴿تعاوَنوا علىٰ البرِّ والتّقوىٰ، ولا تعاوَنوا علىٰ الإثمِ والعُدوانِ واتّقوا اللهَ إنَّ اللهَ شديدُ العقابِ﴾[3] حفظكُمُ اللهُ من أهْلِ بيتٍ، وحَفِظَ فيكُمْ نبيُّهُ ﷺ، أستودِعكُمُ اللهَ خَيْرَ مُسْتَوْدَعٍ، وأقرأ عليكم سلامَ اللهِ ورحمته[4].

---

(3) الآية/3 سورة المائدة.

(4) ثبتّ هذه الوصية ههنا لما فيها من فرق واختلاف عن الوصية التي قبلها. واعتبرتها وجهاً آخر ورواية أخرىٰ للوصية.

67

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن رضي الله عنه[1]:

يا بُنَيَّ[2]، فإنَّ فيما تَفَكَّرتُ فيه من إدبارِ الدُّنيا عنِّي، وإقبالِ الآخرةِ إليَّ، وجموحِ الدهرِ عليَّ ما يُزَعِّبُني عنْ ذكرِ سِوايَ، والاهتمام بما ورائي، غيرَ أنَّه حينَ تَفَرَّدَ بي هَمُّ نَفْسي دونَ هَمِّ الناسِ، فصدقني رأيي، وصَرَفني عن هواي، وصرَّحَ بي مَحْضُ أمري، فأفضى بي إلى جِدٍّ لا يَزري به لعِبٌ، وصِدْقٍ لا يشوبُه كَذِبٌ، ووَجَدْتُكَ يا بُنَيَّ بَعْضي، بل وَجَدْتُكَ كُلّي، حتى كأنَّ شيْئاً لو أصابَكَ لأصابني، وحتى كأنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني، فعِنْد ذلكَ عناني من أمرِكَ ما عَناني من أمرِ نَفْسي، كتبتُ إليكَ كتابي هذا يا بُنَيَّ مُسْتَظهراً به إنْ أنا بقيتُ لك أو فنيتُ، فإني موصيكَ بتقوى اللهِ، وعِمارَةِ قلبِكَ بذِكْرِهِ، والاعتصامِ بحَبْلِهِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿واعتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقوا واذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكُمْ إذ كُنْتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلوبكُمْ فأصبَحْتُمْ بنِعْمَتِهِ إخواناً﴾[3].

---

(1) العقد الفريد 3/155 ـ 156.

(2) هذه الوصية هي وصية طويلة جداً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أوصى بها ابنه الحسن، وقد أوردها كاملة صاحب كتاب نهج البلاغة 3/42 ـ 64. ولكثرة الاختلافات بين الروايتين والاسقاط الذي فيها آثرت أن أثبتها منفردة ههنا. لكي لا أدخل القارئ في متاهات الفروقات الواردة فيهما.

(3) الآية/103 سورة آل عمران.

وأيُّ سببٍ يا بُنَيَّ أوثقُ من سَببٍ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالى إن انتَ أخذتَ به، إحْيِ قلبَكَ بالمَوعِظَةِ، ونَوِّرْهُ بالحكمةِ، وأمِّتْهُ بالزُّهْدِ، وذَلِّلْهُ بالموتِ، وقَوِّهِ بالغِنى عَنِ النَّاسِ، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وتَقَلُّبَ الأيامِ واللياليِ، وأعرِضْ عَلَيْهِ أخبارَ الصَّينَ[4] وسِرْ في ديارهم وآثارِهِمْ فانظُرْ ما فَعلوه وأينَ حَلّوا، فإنَّكَ تَجِدهم قد انتقلوا عَنْ دارِ الأَحِبَّةِ، ونزلوا دارَ الغُربةِ، وكأنَّك عن قليلٍ يا بُنَيَّ قد صِرْتَ كأحدهم، فبِعْ دنياكَ بآخِرَتِكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بدنياكَ، ودَعِ القَوْلَ فيما لا تَعْرِفْ، والأمرَ فيما تكلَّفْ، وأمُرْ بالمعروفِ بيَدِكَ ولسانِكَ، وانْهَ عنِ المنكَرِ بيدكَ ولِسانِكَ، وبايِنْ[5] من فَعَلَهُ، وخُضِ الغَمَراتِ للحقِّ، ولا تأخذْكَ في اللهِ لومةُ لائمٍ.

واحفَظْ وصيَّتي، ولا تذهَبْ عَنْكَ صَفْحاً، فلا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ.

واعْلَمْ أنَّ أمامَكَ طريقاً ذا مسافَةٍ بعيدَةٍ، ومَشقَّةٍ شديدةٍ، وأنَّه لا غِنىً لك فيه عَنْ حُسْنِ الإرتيادِ، مع بلاغِكَ من الزَّادِ، فإنْ أصَبْتَ من أهْلِ الفاقةِ مَنْ يَحْمِلُ عَنْكَ زادَكَ، فيُوافيكَ به في معادِكَ فاغتنِمْهُ، فإنَّ أمامَكَ عَقَبَةً كؤوداً[6]، لا يُجاوِزُها إلاّ أخَفُّ الناسِ حِمْلاً، فأجمِلْ في الطَّلَبِ، وأحْسِنِ المكتَسَبِ، فرُبَّ طَلَبٍ قد جَرَّ إلى حَرْبٍ، وإنَّما المحروبُ من حُرِبَ دينُه، والمسلوبُ مَنْ سُلِبَ يقينُه، واعلَمْ أنَّه لا غِنىً يعدِلُ الجنَّةَ، ولا فَقْرَ يعدِلُ النارَ. والسلامُ عليك ورحمةُ اللهِ وبركاته[6].

---

(4) هذه اللفظة وردت هكذا في مصدرها، وفي نهج البلاغة رويت الماضين، ولا أحسبه يريد تلك البلد، إذ رواية نهج البلاغة هي المصيبة. وأن هذا المثبت هنا هو من التطبيع ليس إلاّ أو هو من الوهم.

(5) ابتعد عنه.

(6) لقد فسرنا الألفاظ الصعبة من الوصية في سابقتها.

68

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي آبنه الحسَن[1]:

يا بُنَيَّ، آحْفَظْ عَنِّي اربعاً وأربعاً، لا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ، اَغْنى الغِنى ٱلعَقْلُ، وأكبرُ الفَقْرِ الحُمْقُ، وأوحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ، وأكرمُ الحَسَنِ حُسْنُ الخُلُقِ.

يا بُنَيَّ، إياكَ ومُصادَقَةَ الأَحْمَقِ، فإنَّه يُريدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ وإياكَ ومُصادَقَةَ البَخيلِ، فإنَّهُ يبعِدُ عنْكَ اَحْوَجَ ما تكونُ إليهِ، وإيّاكَ ومُصادَقَةَ الفاجِرِ، فإنَّه يَبيعُكَ بالتَّافِهِ، وإيّاكَ ومُصادَقَةَ الكذّاب، فإنَّه كالسَّرابِ، يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البَعِيدَ، ويُبْعِدُ عليْكَ القريبَ[2].

---

(1) نهج البلاغة 4/11.

(2) من قوله: يا بني إياك ومصادقة الأحمق... إلى نهاية الوصية وردت وصيَّة منفردة، وفيها شيء من التقديم والتأخير في الجمل والألفاظ فآثرت أن أثبت كلا الوصيتين. انظر الوصية المرقمة/75.

69

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن[1]:

لا تَدْعُوَنَّ أحَداً إلى المبارَزَةِ، وإنْ دُعِيتَ إليها فأجِبْ، فإنَّ الداعِيَ إليها باغٍ، والباغي مَصْروعٌ.

(1) العقد الفريد 1/152، الكامل للمبرد 1/68.

70

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الحسنَ والحسينَ رضي الله عنهما لما ضَرَبه ابن مُلْجم[1]:

أوصيكُما بتَقوىٰ اللهِ، ولا تَبْغِيا الدُّنيا وإنْ بَغَتْكُما، ولا تَبْكيا علىٰ شيءٍ منها زُوي عَنكُما، قولا الحقَّ، وارحَما اليتيمَ، وأعينا الضّائعَ، وأضيفا الجائِع، وكُونا للظالمِ خَصْماً، وللْمَظلومِ عَوْناً، ولا تاخُذْكُمْ في اللهِ لومةُ لائم. ثمَّ نظر إلىٰ ابن الحنفية[2] فقال:

هل فَهِمْتَ ما أوصيتُ به أخَوَيْكَ؟ قال: نعم، قال:

أوصيكَ بمِثله، وأوصيك بتوقير أخَويكَ، وتزيينِ أمرهما، ولا تَقْطَعْ أمراً دونهما، وقال لهما:

أوصيكُما بهِ، فإنَّهُ شقيقُكما، وابنُ أبيكُما، وقد عَلِمْتُما أنَّ أباكُما كان يُحِبُّه فأحِبّاهُ[3].

---

(1) المعمرون والوصايا/150، أمالي الزجاجي/114 ـ 115، كامل المبرد 3/243.

(2) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وهو أخو الحسن والحسين، لأبيهما، أمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تميزاً له عنهما، كان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما، كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة، وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلىٰ إمامته ويزعم أنه المهدي، وكانت الكيسانية من فرق الإسلام تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوىٰ، مولده ووفاته بالمدينة، وقيل: خرج إلىٰ الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك. انظر عنه: ابن سعد 5/66، وفيات الأعيان 1/449، صفة الصفوة 2/42، حلية الأولياء 3/174، البدء والتاريخ 5/75، نزهة الجليس 2/254، الاعلام 7/152 ـ 153.

71

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي بعد ما ضربه ابن مُلْجم[1]:

وصيّتي لكُمْ ان لا تُشرِكوا باللهِ شيئاً، ومحمّدٌ صلىٰ اللهُ عليه وآلهِ فلا تُضَيِّعوا سنّتَهُ، اقيموا هَذين العَمودينِ وخَلاكُمْ ذَمٌّ.

انا بالأمسِ صاحِبُكُمْ، واليومَ عِبرَةٌ لكُمْ، وغَداً مُفارِقُكُمْ، إنْ أَبْقَ فانا وَلِيُّ دَمي، وإنْ أفْنَ فالفَناءُ مِيعادي، وإنْ أَعْفُ فالعَفْوُ لي قُربَةٌ، وهُوَ لكُمْ حَسَنَةٌ، فاعفُوا ﴿ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لكُمْ﴾[2].

واللهِ ما فجأني منَ الموتِ واردٌ كرِهتُهُ، ولا طالِعٌ انكرتُه، وما كُنْتُ إلاّ كقاربٍ وَرَدَ، وطالبٍ وَجَدَ، ﴿وما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ للأبرارِ﴾[3].

---

(1) نهج البلاغة 3/21.
(2) الآية/22 سورة النور.
(3) الآية/198 سورة آل عمران.

72

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي بنيه[1] بعد أن ضَرَبه ابنُ مُلْجِم[2]:

يا بَنيّ، إياكُمْ أنْ تَخوضوا في دِماء المسلمينَ، وأنْ تقولوا: قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ، الا لا يُقْتَلَنَّ فيَّ إلاّ قـاتِلي، وضَرْبَـةٌ بضَرْبَـةٍ، فإيـاكَ يا حَسَنُ والمُثْلَةَ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهى عَنْها، ولو بالكَلْبِ العَقورِ.

---

(1) ورد في مقدمة هذه الوصية أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لابن ملجم: أَنَفِّذْ فيك ما أمرني به أمير المؤمنين، قال ابن ملجم: وما الذي أمرك به أبوك؟ قال: جمعنا فقال: يا بني... الوصية.

(2) المعمرون/152 ـ 153، حياة الحيوان 1/53، وقد ورد فيه نص الوصية هكذا:
يا بني عبد المطلب، لا تخوضوا دماء المسلمين خَوْضاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتَلَنَّ بي غير قاتِلي، اضربوه ضَرْبةً بضرْبةٍ، ولا تمثلوا به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة».

73

عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي[1]:

أوصيكُمْ بخَمْسٍ لو ضَرَبْتُمْ إليها آباطَ الإبلِ لكانَتْ لذلك أهلاً[2]، لا يرْجُوَنَّ أحدٌ منكم[3] إلا ربَّهُ، ولا يخافَنَّ إلاّ ذَنْبَهُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ[4] أحَدٌ إذا سُئِلَ عَمّا لا يَعْلَمُ أنْ يقولَ لا أعلَمُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ أحَدٌ[5] إذا لم يعلمِ الشيءَ أن يتعلَّمَهُ، وعليكُمْ بالصَّبرِ[6]، فإنَّ الصَّبْرَ من الإيمان كالرأس منَ الجَسَدِ، ولا خيرَ في جَسَدٍ لا رأسَ مَعَهُ، ولا في إيمانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ.

---

(1) شرح نهج البلاغة 4/18، البيان والتبيين 2/72.
(2) في بيان الجاحظ: لكنّ لذلك أهلاً.
(3) منكم لفظ ساقط من رواية البيان والتبيين.
(4) في البيان: ولا يستحي.
(5) ولا يستحين أحد: ليس في البيان والتبيين.
(6) من قوله: وعليكم بالصبر... وإلى نهاية الوصية وردت في بيان الجاحظ هكذا: واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

74

عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال[1]:

لا يُزَهِّدَنَّكَ في المعروفِ مَنْ لا يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ، فقد شَكَرَكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْتَمْتِعْ مِنْكَ بشيءٍ، وقَدْ يُدْرِكُ من شُكرِ الشَّاكرِ أكثرُ مِمَّا أضاعَ منه الكافِرُ.

(1) الفاضل/94.

75

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي[1]:

لا تؤاخِ الفاجِرَ؛ فإنَّه يُزَيِّنَ لكَ فِعْلَهُ، ويُحِبُّ لو أنَّكَ مِثْلُهُ، ويُزَيِّنُ لَكَ أسْوأَ خِصالِهِ، ومُدْخَلُهُ عَلَيْكَ ومُخْرَجُه من عِنْدِكَ شَيْنٌ وعارٌ، ولا الأحْمَقَ، فإنَّهُ يَجْتَهِدُ بِنَفْسِهِ لكَ ولا يَنْفَعُكَ، وربَّما أرادَ أنْ يَنْفَعَكَ فيَضُرُّكَ، فسُكوتُهُ خَيْرٌ من نُطْقِهِ، وبُعْدُه خَيْرٌ من قُربِهِ، ومَوْتُه خَيْرٌ من حَياتِه، ولا الكذَّابَ، فإنَّه لا يَنْفَعُكَ مَعَهُ عَيْشٌ، يَنْقُلُ حَديثَكَ، ويَنْقُلُ الحَديثَ إليكَ، حتى إنَّهُ لَيُحَدِّثُ بالصِّدْقِ فما يُصَدَّقُ.

(1) عيون الأخبار 3/79. وانظر الوصية المرقمة/68 أيضاً.

76

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عبدالله بن عباس[1] عند استولائه إياهُ على البصرة[2]:

سَعِ النّاسَ بوَجْهِكَ ومَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وإياكَ والغَضَبَ فإنّه طِيَرَةٌ مِنَ الشّيطانِ، وأعلمْ أنّ ما قَرّبَكَ منَ اللهِ يباعِدُكَ من النّار وما باعَدَكَ من اللهِ يُقَرّبُكَ منَ النّارِ.

---

(1) عبدالله بن عباس: سبقت ترجمته على هامش وصيته المرقمة/
(2) نهج البلاغة 3/136.

77

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عبدالله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج[1]:

لا تُخاصِمْهُمْ بالقُرآنِ، فإنَّ القُرآنَ حَمَّالٌ ذو وجوهٍ، تَقولُ ويقولونَ، ولكن حاجِجْهُمْ بالسُّنَّةِ، فإنَّهُمْ لنْ يَجِدوا عَنْها مَحِيصا.

(1) نهج البلاغة 3/136.

78

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي شريح بن هانىء[1] لما جعله على مقدمته إلى الشام[2]:

إتَّقِ اللهَ في كُلِّ صباحٍ ومَساءٍ، وخَفْ على نَفْسِكَ الدُّنيا الغَرورَ، ولا تأمَنْها على حالٍ، وأعلَمْ أنَّكَ لمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كثيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخافَةَ مَكْروهِهِ، سَمَتْ بِكَ الأهواءُ إلى كثيرٍ منَ الضَّرَرِ، فكُنْ لِنَفْسِكَ مانِعاً رادِعاً، ولِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الحَفيظَةِ داقِماً قامِعا.

---

(1) سبقت ترجمته على هامش وصيه المرقمة/166.
(2) نهج البلاغة 3/113.

79

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي من يستعمله على الصدقات[1]:

إنطَلِقْ على تقوى اللهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، ولا تُرَوِّعَنَّ مُسلِماً، ولا تَجْتازَنَّ عَلَيْهِ كارِهاً، ولا تاخُذَنَّ منه أكثَرَ من حَقِّ اللهِ في مالِهِ، فإذا قَدِمْتَ على الحيِّ؛ فآنزِلْ بمائِهِمْ من غيرِ أنْ تُخالِطَ أبيائِهم، ثمَّ آمضِ إليهم بالسَّكينة والوَقارِ حتى تقومَ بينَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، ولا تُخْدِجْ[2] بالتَّحِيَّةِ لهُمْ، ثمَّ تقول:

عبادَ اللهِ، أرْسَلَني إليكُمْ وليُّ اللهِ وخَليفَتُه لآخُذَ مِنكُم حقَّ اللهِ في أموالِكُمْ، فهَلْ للهِ في أموالِكُمْ من حَقٍّ فتُؤَدّوهُ إلى وَلِيِّهِ؟ فإنْ قالَ قائِلٌ: لا، فلا تُراجِعْهُ، وإن أنْعَمَ لكَ مُنعِمٌ فآنطَلِق مَعَهُ من غَيْرِ أنْ تخيفَهُ او توعِدَهُ أو تَعْسِفَهُ أو تُرْهِقَهُ، فخُذْ ما أعطاكَ من ذَهَب أو فِضَّةٍ، فإنْ كانَ لهُ ماشِيَةٌ أو إبلٌ؛ فلا تَدخُلها إلا بإذنه، فإنَّ أكثَرَها لهُ، فإذا أتَيْتَها فلا تَدْخُل عليها دخولَ مُتَسَلِّطٍ عليْهِ، ولا عنيفٍ به، ولا تُنَفِّرَنَّ بهيمَةً، ولا تُفزِعَنَّها؛ ولا تَسوءَنَّ صاحِبَها فيها، وآصدَعِ المالَ صَدْعَيْنِ؛ ثمَّ خَيِّرْهُ، فإذا آختارَ فلا تَعرِّضَنَّ لما آختارَهُ، فلا تزالُ كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءٌ لحقِّ اللهِ في مالِهِ، فآقبَض حقَّ اللهِ منه، فإنِ آستقالَكَ فأقِلْهُ، ثمَّ آخلطْهُما، ثمَّ آصنَعْ

(1) نهج البلاغة 3/23 وما بعدها.

مِثلَ الذي صَنَعْتَ اولاً حتىٰ تاخُذَ حقَّ اللهِ في مالِهِ، ولا تاخُذَنَّ عَوداً[2] ولا هَرِمَةً، ولا مَكْسورةً، ولا مَهْلوسةً، ولا ذاتَ عَوارٍ، ولا تَأمَنَنَّ عليها إلاَّ مَنْ تَثِقُ بدينِه، رافِقاً بمالِ المسلمين حتىٰ يوصِلَهُ إلىٰ وليِّهِمْ فيقسِمَهُ بينَهُمْ، ولا توكِلْ بها إلاَّ ناصِحاً شَفيقاً، وأميناً حَفيظاً، غَيْرَ مُعْنَفٍ؛ ولا مُجْحِفٍ، ولا مُلْغَبٍ[3] ولا مُتْعِبٍ، ثمَّ احدِرْ إلينا ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ به، فإذا اخذها أمينُك فاوعِزْ إليهِ ألاَّ يحولُ بينَ ناقةٍ وبينَ فصيلِها، ولا يُمَصِّرْ[4] لَبَنَها فَيَضرُّ ذلك بوَليدِها، ولا يُجهِدَنَّها رُكوباً، ولْيَعْدِلْ بين صواحباتِها في ذلك وبينَها، وَلْيُرَفِّهْ على اللاغبِ[5] ولْيَسْتَانِ بالنَّقيبِ والظالِعِ[6] ولْيوردِها ما تَمُرُّ به من الغُدُرِ، ولا يَعْدِلْ بها عن نبتِ الأرضِ إلىٰ جوازِّ الطريقِ، ولْيُرَوِّحْها في السَّاعاتِ، ولْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطافِ والأعشابِ حتىٰ تاتِيَنا باذنِ اللهِ بُدْناً مُنْقِياتٍ غيرَ مُتْعباتٍ ولا مجهوداتٍ، لِنَقْسِمَها علىٰ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلىٰ اللهُ عليه وآلِهِ، فإنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ، وأقربُ لرُشْدِكَ إن شاء الله.

---

(2) العود: المُسِنّ من الإبل. ويقرأ بفتح العين.
(3) الملغب: الضعيف الأحمق.
(4) مصرّ الناقة أو الشاة وتمصرها وامتصرها حلبها بأطراف الأصابع الثلاث أو الابهام والسبابة فقط. فهي ماصر ومصور: أي بطيئة خروج اللبن.
(5) اللاغب من الإبل: المتعب، واللغب السير: أتعبه وأعياه أشد الاعياء.
(6) الظالع: الذي في أحد قوائمه ضلع وهو نوع من العرج: أو فيه اعوجاج في أحد أطرافه.

80

عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي بما يعمل في أمواله، كتبها بعد مُنصَرفه من صِفِّين[1]:

هذا ما أمَرَ به عبدالله عليٌّ بن أبي طالب في مالِهِ ٱبتغاءَ وجهِ اللهِ، ليولِجَهُ به الجنَّةَ؛ ويعطيهِ به الأَمَنَةَ، وأنَّه يقومُ بذلك الحَسَنُ بن عليّ، يأكُلُ منه بٱلمعروفِ، ويُنْفِقُ في المعروفِ، فإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وحُسَيْنٌ حَيٌّ قامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ، وأصدَرَهُ مَصدَرَهُ.

وإنَّ لابنَي فاطِمةَ من صدقَةِ عليٍّ مِثْلَ الذي لِبَني عليٍّ، وإني إنَّما جَعَلْتُ القِيامَ بذلِكَ إلى ٱبني فاطِمةَ ٱبتغاءَ وجهِ اللهِ؛ وقُربةً إلى رسولِ اللهِ، وتكريماً لحُرْمَته، وتشريفاً لوُصْلَتِهِ.

ويَشْتَرِطُ على الذي يجْعَلَهُ إليه أنْ يَتْرُكَ المالَ على أصوله، وينفِقُ من ثَمَرِهِ حيثُ أُمِرَ به وهُدِيَ له، وأن لا يبيعَ من أولادِ نَخْلِ هذه القُرى وَدِيَّةً[2] حتى تُشكِلَ أرضُها غِراساً.

ومَن كانَ من إمائي اللاتي أطوفُ عليْهِنَّ لها وَلَدٌ، أو هي حـامِلٌ، فَتُمْسِكُ على وَلَدِها، وهي من حَظِّه، فإنْ ماتَ ولدُها وهي حَيَّةٌ فهِيَ عَتيقَةٌ، قدْ أخرجَ عنْها الرِّقَّ، وحَرَّرها العِتْقُ.

---

(1) نهج البلاغة 3/22.

(2) الودية: صغار الفسيل من النخل والشجر.

81

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي مَعْقِل بن قيس الرياحي[1] حينَ أنفَذَهُ إلى الشام في ثلاثة آلاف[2]:

إتَّقِ اللهَ الذي لا بُدَّ لكَ من لقائه، ولا مُنْتَهىٰ لكَ دونَه، ولا تُقاتِلَنَّ إلاّ مَنْ قاتَلَكَ، وسِرِ البَرْدَينِ[3]، وغَوِّرْ بالنّاسِ، ورَفِّه بالسَّيْرِ، ولا تَسِرْ أوّلَ الليلِ، فإنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدِّرْهُ مَقاماً لا ظَعَناً، فارِحْ فيه بَدَنَكَ، ورَوِّحْ ظهرَكَ، فإذا وَقَفْتَ حينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أو حينَ ينفَجِرُ الفَجْرُ، فسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللهِ، فإذا لقيتَ العَدُوَّ فَقِفْ من أصحابِكَ وَسَطاً، ولا تَدْنُ مِنَ القَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يريدُ أن يَنْشِبَ الحربَ، ولا تَباعَدْ عَنْهُم تباعُدَ مَن يَهابُ البأسَ حتىٰ يأتِيَكَ أمري، ولا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ علىٰ قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ والإعذارِ إليهم.

---

(1) معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي، من بني يربوع، قائد من الشجعان الأجواد، أدرك عصر النبوة، وأوفده عمار بن ياسر علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشيراً بفتح تستر، ووجهه علىٰ بني ناجية حين ارتدوا، ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة علي بن أبي طالب، ثم كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة، فلما خرج المستورد بن علفة، جهز المغيرة معقلاً في ثلاثة آلاف، وسيره لقتاله، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة، فتبارزا، فقتلا معاً. انظر عنه: كامل ابن الأثير 3/221، الاصابة ترجمة/8451، نسب قريش/440، النقائض/247، طبعة ليدن، الاعلام 8/188.

(2) نهج البلاغة 3/14.

(3) البردان: والأبردان، الغداة والعشي.

82

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عسكرَه قبل اللقاء بصفين[1]:

لا تُقاتِلوهُمْ حتىٰ يبدأوكُمْ، فإنَّكُمْ بحمدِ الله على حُجَّةٍ، وتركُكُمْ إياهُمْ حتىٰ يبدأوكم حُجَّةٌ اخرىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فإذا كانت الهَزيمَةُ باذنِ اللهِ، فلا تقتُلوا مُدْبراً، ولا تُصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجهِزوا علىٰ جَريحٍ، ولا تَهيجوا النِّساءَ بأذىً وإن شَتَمْنَ أعراضَكُمْ وسَبَبْنَ أمراءَكُمْ، فإنَّهُنَّ ضَعيفاتُ القُوىٰ والأنفُسِ والعُقولِ، إنْ كُنّا لَنُؤمَرُ بالكَفِّ عَنْهُنَّ وإنَّهُنَّ لَمُشْرِكاتٌ، وإنْ كانَ الرَّجُلُ ليتناوَلُ المرأةَ في الجاهلية بالفِهْرِ أو الهراوةِ فيُعَيَّرُ بها وعَقِبُه من بعدِهِ.

(1) نهج البلاغة 3/14 والذي بليها.

83

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي جيشاً[1]:

فإذا نَزَلتُمْ بعَدوٍّ؛ أو نَزَلَ بكُمْ؛ فليكُنْ معسكَرُكُمْ في قُبيلِ الأشرافِ أو سِفاحِ[2] الجبالِ، أو أثناءِ الأنهارِ؛ كيما يكونَ لكم رِدْءً، ودونَكُمْ مَرَدًّا، ولتكن مُقاتَلَتُكُمْ من وجهٍ واحدٍ أو اثنين، واجعَلوا لكم رُقباءَ في صَياصي الجبال، ومناكب الهِضاب لئلاّ يأتيكُمُ العدوُّ من مَكانِ مَخافةٍ أو أمْنٍ.

واعلَموا أنَّ مُقَدِّمَةَ القومِ عيونُهُم، وعيونُ المقدِّمة طلائعهم، وإياكم والتَّفَرُّقَ، فإذا نَزلْتُم فانزِلوا جميعاً، إذا ارتحلتُم فارتَحلوا جميعاً، وإذا غَشِيكُمْ الليلُ فاجعلوا الرِّماحَ كِفَّةً[3]، ولا تَذوقوا النَّومَ إلاّ غِراراً أو مَضْمَضَةً.

---

(1) نهج البلاغة 3/13.

(2) سفاح: هكذا ورد اللفظ، واحسب المراد به جمع سفح على غير قياس، وهو عرض الجبل المضطجع، أو أصله أو أسفله، ويجمع على سفوح. إلا إذا أريد به وجه آخر من المعنى. ولا أحسبه يريد غير هذا المعنى.

(3) أي في حالة أهبة، وهي مشرعة.

84

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه محمد بن الحنفية[1] قال[2]:

تَفَقَّه في الدِّين، وعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ على المكروه، وكِلْ نَفْسَكَ في أمورِكَ كُلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّك تَكِلُها إلى كَهْفٍ، وأخلِصْ المسألةَ لربِّكَ، فإنَّ بيَده العطاءَ والحِرمانَ، وأكثِر الاستِخارةَ لهُ، وآعلَمْ أنَّ من كانَتْ مطيَّته الليلَ والنهارَ، فإنَّه يسارٌ بهِ، وإن كانَ لا يسيرُ، فإنَّ الله تعالى قد ابى إلاّ خرابَ الدُّنيا وعِمارة الآخرةِ، زُهْدَك كُلَّهُ فآفعَلْ ذلك، وإن كُنْتَ غَيْرَ قابلٍ نصيحَتي إياكَ فآعلَمْ علماً يقيناً أنَّك لنْ تَبْلُغَ أمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَ أجَلَكَ، وإنَّك في سبيلِ مَنْ كان قِبَلَكَ، فأكرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلِّ دَنِيَّةٍ، وإن ساقَتْكَ إلى الرَّغائِبِ، فإنَّكَ لنْ تَعْتاض بما تَبْذُلُ من نَفْسِكَ عِوَضاً.

وإياكَ أنْ توجِفَ[3] بك مطايا الطَّمَع وتقولَ: متى ما أُخِّرْتُ نَزَعْتُ، فإنَّ هذا أهلَكُ مَنْ هَلَكَ قَبْلَكَ، وأمْسِكْ عليك لِسانَكَ فإنَّ تلاقيكَ ما فَرَط من صَمْتِكَ أيْسَرُ عَلَيْكَ من إدراكِ ما فاتَ من مَنْطِقِكَ.

---

(1) محمد بن الحنفية: ترجمنا له مهمشين على هامش الوصية المرقمة/70، كما ان كثيراً من جمل هذه الوصية وألفاظها وردت ضمن وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن. انظر الوصية المرقمة/69 وشروحها.

(2) نهج البلاغة 3/65.

(3) توجف: تسرع.

وآحفَظْ ما في الوِعاءِ بشدِّ الوكاءِ، فَحُسْنُ التَّدبير مع الاقتصادِ أبقى لَكَ منَ الكثيرِ مع الفسادِ، والجِرفَةُ مع العِفَّةِ خيرٌ منَ الغِنى معَ الفُجورِ، والمرءُ أَحْفَظُ لسرِّهِ، ولرُبَّما سعى فيما يَضُرُّهُ.

وإياكَ والإتِّكالَ على الأماني، فإنَّها بضائعُ النَّوكى، وتُثَبِّطُ عن الآخِرَةِ والأولى، ومن خير حَظِّ الدُّنيا القَرينُ الصَّالِحُ، فقارِنْ أهلَ الخيرِ تَكُنْ منْهُمْ، وباينْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، ولا يَغْلِبَنَّ عليْكَ سوءُ الظَّنِّ، فإنَّهُ لنْ يَدَعَ بينَكَ وبينَ خليلٍ صُلْحاً.

أَذْكِ قَلْبَكَ بالأَدَبِ كما تُذكي النارَ بالحَطَبِ، وآعلَمْ أنَّ كُفْرَ النِّعمةِ لؤْمٌ، وصُحْبَةَ الأَحمَقِ شُؤْمٌ، ومنَ الكَرَمِ مَنْعُ الحَرَمِ، ومَنْ حَلُمَ سادَ، ومَنْ تَفَهَّمَ آزدادَ.

إمحَضْ أخاكَ النَّصيحَةَ، حَسَنَةً كانَتْ أو قبيحةً، لا تصرِمْ أخاكَ على آرتيابٍ، ولا تَقْطَعْهُ دونَ آستِعتاب، ولَيْسَ جَزاءُ مَنْ سرَّكَ أنْ تسوءَهُ الرِّزْقُ رِزْقانِ، رِزقٌ تطلُبُه، ورِزْقٌ يطلُبُكَ، فإنْ لم تأتِهِ أتاكَ.

وآعلَمْ يا بُنَيَّ أنَّ مالكَ من دُنياكَ إلاَّ ما أَصْلَحْتَ به من مَثواكَ، فآنفِقْ من خَيْرِكَ، ولا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ، وإن جَزِعْتَ على ما يُفْلِتُ من يَدَيْكَ؛ فآجْزَعْ على ما لَمْ يصِلْ إليكَ، ربَّما أخطأ البصيرُ قصْدَهُ وأبصَرَ الأعمى رُشْدَهُ، ولَمْ يَهْلَكِ آمرؤٌ آقتصَدَ، ولم يفْتَقِرْ مَنْ زَهَدَ.

مَنِ آئتَمَنَ الزَّمانَ خانَه، ومَنْ تَعَظَّم عليه أهانَهُ، رأسُ الدِّينِ اليقينُ، وتمامُ الإخلاصِ آجتِنابُ المعاصي، وخَيرُ المقالِ ما صدَّقَتْهُ الفِعالُ، سلْ عَنِ الرَّفيقِ قَبْلَ الطَّريقِ، وعَنِ الجارِ قبلَ الدارِ، وآحمِلْ لصديقِكَ عَلَيْكَ، وآقبَلْ عُذْرَ مَنِ آعْتَذَرَ إليْكَ، واخْبُرِ الشَّرَّ ما آستَطَعْتَ، فإنَّكَ إذا شئتَ

تَعَجُّلَتَهُ، لا يكُنْ أخوكَ على قطيعَتك أقوىٰ منْكَ على صلَتِه، وعلىٰ الإساءةِ أقوىٰ مِنْكَ على الإحسانِ.

لا تُمَلِّكَنَّ المرأةَ مِنَ الأمرِ ما يُجاوِزُ نَفْسها، فإنَّ المرأةَ ريحانةٌ وليْسَتْ بقَهْرَمانة، فإنَّ ذلك أدومُ لحالها، وأرخىٰ لبالِها.

وآغضُضْ بصَرَكَ بسَتْرِكَ، واكفُفْها بحجابِكَ، وأكرِمِ الذينَ بهم تَصولُ، وإذا تَطاوَلَتْ بهم تطولُ،

أسألُ اللهَ أن يُلهِمَكَ الشُّكرَ والرُّشْدَ، ويُقَوِّيكَ على العَمَلِ بكُلِّ خَيْرٍ، ويَصْرِفَ عَنْكَ كُلَّ محذورٍ برحمتِهِ، والسلامُ عليك ورحمة اللهِ وبركاته.

85

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي[1]:

إحفَظوا عَنّي خَمساً، إثنتينِ وٱثنتينِ وواحدةً، ألا لا يخافَنَ احدٌ مِنْكُم إلاّ ذُنُبَهُ، ولا يَرْجُوَنَّ إلاّ رَبَّهُ، ولا يَسْتَحيي أَحَدُ مِنكُمْ إذا لَمْ يعلَمْ أَنْ يتعلَّمَ، ولا يَسْتَحيي أَحَدٌ منكُمْ إذا سُئِلَ وهو لا يعلمُ أنْ يقولَ: لا أعلمَ.

وٱعلموا أنَّ الصَّبْرَ من الأمورِ بمنزلَةِ الرأسِ منَ الجَسَدِ، فإذا فارَقَ الرأسُ الجَسَدَ فَسُدَ الجَسَدُ، وإذا فَارَقَ الصَّبْرُ الأُمورَ فسُدَتِ الأمورُ. ثُمَّ قال[2]:

ألا أدلُّكُمْ على الفَقيهِ كلَّ الفقيهِ؟ قالوا: بلىٰ يا أميرَ المؤمنينَ، قال: مَنْ لم يؤيِّسِ الناسَ من رَوْحِ اللهِ، ولَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ من رَحْمَةِ اللهِ، ولَمْ يؤمِّنِ الناسَ من مَكْرِ الله، ولَمْ يُزَيِّن للنّاس المعاصي، ولا ينْزِلِ العارفينَ الموحِّدينَ الجنَّةَ، ولا يُنْزِلِ ٱلعاصينَ ٱلمُوَحِّدينَ النارَ، حتىٰ يكونَ الرَّبُّ عَزَّ وجلَّ هو الذي يقضي بينَهُمْ.

لا يأمَنَنَّ خَيِّرُ هذه الأمَّةِ من عذابِ اللهِ تعالىٰ، واللهُ عزَّ وجَلَّ يقول:

---

(1) البيان والتبيين 72/2، لباب الآداب/293، نهج البلاغة 18/4.
(2) ورد هذا القسم من الوصية منفرداً في وصية سابقة. انظر الوصية المرقمة/73.

﴿ولا يأمَنْ مَكْرَ اللهِ إلاّ القَوْمُ الخاسِرونَ﴾[3]، ولا ييأس شرُّ هذه الأُمّة من رَوْحِ الله تعالى، فاللهُ سبحانه يقول: ﴿إنّه لا ييأسُ من رَوْحِ اللهِ إلاّ القَوْمَ الكافرونَ﴾[4].

(3) الآية/99 سورة الأعراف.
(4) الآية/87 سورة يوسف.

86

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي يوم موته[1]:

كلُّ امرىءٍ ملاقيهِ ما يَفِرُّ مِنْهُ، والأَجَلُ تُساقُ النَّفْسُ إليهِ، والهَرَبُ منه مُوافاتُه، كم طردتُ الأيامَ أتحيَّنُها من مَكنونِ هذا الأمرِ، فأبىٰ اللهُ عزَّ وجلَّ إلاَّ إخفاءَهُ، هَيهاتَ عِلْمٌ مَكنونٌ، أمَّا وصيَّتي:

فاللهَ لا تُشْرِكوا به شيئاً، ومُحمَّداً لا تُضيِّعوا سنَّتَهُ، أقيموا هذين العَمودَيْنِ، حَمَل كُلُّ امرىءٍ مِنْكُمْ مَجْهودَهُ، وخَفِّف عن الحملةِ ربٌّ رَحيمٌ، ودينٌ قَويمٌ، وإمامٌ عليمٌ.

كُنَّا في إعصارٍ ذي رياحٍ تحت ظلِّ عمامَةٍ أضمَحَلَّ راكدها فمَحَطَها[2] من الأرض حَيّاً، وبَقِيَ من بعدي جُثَّةً جاواءَ، ساكنةً بعْدَ حَرَكَةٍ، كاظمةً بعد نطقٍ.

لِيَعِظكُمْ هُدوئي، وخُفوتُ أطرافي، إنَّهُ أوْعَظُ لَكُمْ من نُطقِ البليغِ، ودِّعتُكُمْ وَداعَ امرىءٍ مُرْصَدٍ لتَلاقٍ، وغَداً تَرَوْنَ ويُكْشَفُ عَن ساقٍ، عَلَيْكُمْ السَّلامُ إلىٰ يومِ المرامِ، كُنْتُ بالأمسِ صاحِبَكُمْ، واليومَ عِظَةٌ لَكُمْ، وغداً مُفارِقُكُمْ، إنْ أبْقَ فأنا وليُّ دَمي، وإنْ أمُتْ فالقِيامَةُ مِيعادي، والعَفْوُ أقرَبُ للتَّقوىٰ: ﴿ألا تُحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لكُمْ واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾[3].

---

(1) مروج الذهب 2/424.

(2) تقول عام ماحط إذا كان قليل المطر.

(3) الآية/22 سورة النور.

87

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي مالك بن الحارث الأشتر[1] حين ولاه مصر[2]:

هذا ما أَمَرَ به عبدالله عليٌّ أميرُ المؤمنينَ إلى مالك بن الحارث الأشتَرْ في عَهْدِه إليه حينَ ولاه مصرَ.

جِبايةَ خِراجِها، وجِهادَ عَدُوِّها، وآستِصلاحَ أهلِها، وعمارَةَ بلادِها، أمَرَهُ بتَقوىٰ اللهِ، وإيثارِ طاعَته، وآتِّباعِ ما أمَرَ به في كتابه من فرائِضه وسُنَنِه التي لا يَسْعَدُ أحَدٌ إلاّ باتِّباعِها، ولا يَشْقىٰ إلاّ بالعُدول عنها، وأن يَنْصُرَ اللهَ تعالىٰ بيَده وقلبه ولسانه، فإنَّه جَلَّ آسمُهُ قد تَكَفَّل بنَصْرِ مَن نَصَرَه، وإعزازِ مَنْ أعزَّه، وأمَرَهُ أنْ يكسِرَ نَفْسَهُ عند الشَّهواتِ ويَزَعَها عند الجَمَحاتِ، فإنَّ النَّفْسَ لأمّارَةٌ بالسُّوءِ.

---

(1) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر، أمير، من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية، وسكن الكوفة، وكان له نسل فيها، وشهد اليرموك، وذهبت عينه فيها، وكان ممّن ألّب على عثمان رضي الله عنه، وحضر حصره في المدينة، وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع علي، وولاه عليّ رضي الله عنه مصر، فقصدها فمات في الطريق، فقال عليّ رضي الله عنه: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله. له شعر جيد، ويعدّ من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء. انظر عنه: الإصابة ترجمة/8343، الولاة والقضاة/23 ـ 26، سمط اللآلئ/277، المؤتلف والمختلف/28، المغرب في حلى المغرب 1/68.

(2) نهاية الارب 6/19 ـ 32، نهج البلاغة 2/50 ـ 68.

ثم اعلَمْ يا مالك أني وجَّهْتُكَ إلى بلادٍ قد جَرَتْ عليها دُوَلٌ قَبْلَكَ، من عَدْلٍ وجَوْرٍ، وأنَّ الناسَ يَنْظُرونَ من أمورك في مِثْل ما كُنْتَ تَنْظُر فيهِ من أمر الولاةِ قَبْلَكَ، ويقولونَ فيكَ ما كُنْتَ تقولُ فيهم، وإنَّما يُسْتَدَلُّ على الصَّالحينَ بما يُجري اللهُ لهُمْ على ألْسُنِ عِباده، فلْيَكُنْ أحَبَّ الذَّخائِرِ إليكَ ذخيرَةُ العَمَلِ الصَّالحِ، فآملِك هواكَ وشُحَّ بنَفْسِكَ عمَّا لا يَحِلُّ لكَ، فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ الإنصافُ منها فيما أحَبَّت او كَرِهَتْ.

واشعِرْ قلبَكَ الرَّحْمَةَ للرَّعِيَّةِ، والمحبَّةَ لهُمْ، واللُّطْفَ بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ اكلَهُمْ، فإنَّهم صِنفانِ، إمَّا أخٌ في الدينِ، وإمَّا نظيرٌ لكَ في الخُلُقِ، يفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وتَعرِضُ لَهُمَ العِلَلُ، ويؤتى على ايديهمْ في العمدِ والخطأ[3] فاعطِهِمْ من صَفْحِكَ وعَفْوِكَ مِثْلَ الذي تُحِبُّ انْ يعطيَكَ اللهُ من عَفْوِهِ وصَفْحِهِ، فإنَّكَ فَوْقَهُمْ، ووالي الأمر عليك فَوْقَكَ واللهُ فَوْقَ مَنْ ولاكَ، وقَدِ استَكْفاكَ امرَهُمْ وابتَلاكَ بهم، فلا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لحربِ اللهِ، فإنَّهُ لا قُوَّةَ لكَ بنَقْمَتِهِ، ولا غِنىً بكَ عنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ، ولا تَنْدَمَنَّ على عَفْوِهِ، ولا تَبَجَّحَنَّ بعُقوبةٍ، ولا تُسْرِعَنَّ إلى بادرَةٍ؛ وَجَدْتُ منها مَنْدُوحَةً[4]، ولا تَقولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمِرٌ فأُطاعُ، فإنَّ ذلك إدغالٌ[5] في القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدينِ، وتَقَرُّبٌ منَ الغَيْرِ، فإذا أحْدَثَ لكَ ما أنْتَ فيه من سلطانِكَ أُبَّهَةً او مَخيلةً[6] فانْظُرْ إلى عِظَم مُلْكِ اللهِ تعالى فَوْقَكَ، وقُدْرَتَهُ مِنْكَ على ما لا تَقْدِرَ عَلَيْهِ من نَفْسِكَ، فإنَّ ذلكَ يُطامِنُ إليْكَ من

---

(3) أي يقادون به ويحاسبون عليه.
(4) المندوحة: المتسع.
(5) أي فساد له.
(6) المخيلة والخيلاء: التكبّر.

طِماحِك[7] ويَكُفُّ عَنْكَ من غَرْبِكَ[8]، ويُضيء إليكَ بما عَزَبَ عَنْكَ من عَقْلِكَ.

وإيَّاكَ ومُساماةَ اللهِ في عَظَمَتِهِ، والتَّشَبُّهَ به في جَبَروتِهِ، فإنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جبّارٍ، ويُهين كُلَّ مختالٍ.

أنصِفِ اللهَ، وأنصِفِ النّاسَ من نَفْسِكَ، ومن خاصَّة أهْلِكَ، ومِمَّنْ لكَ فيه هوىً من رَعِيَّتِكَ، فإنَّك إلاّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَن ظَلَمَ عبادَ الله؛ كان خَصْمَهُ دونَ عبادِهِ، ومَنْ خاصَمَهُ اللهُ أدْحَضَ حُجَّتَهُ، وكانَ للهِ حَرْباً حتى يَنزِعَ ويتوبَ، وليسَ شيءٌ أدعى إلى تَغْيير نِعمَةِ اللهِ، وتعجيلِ نِقْمَته من إقامةٍ على ظُلمٍ، فإنَّ اللهَ سَميعُ دَعْوَةِ المُضْطَهِدينَ، وهُوَ للظّالمينَ بالمرصادِ.

ولْيَكُنْ أحبُّ الأمورِ إليكَ أوْسَطُها في الحقِّ، وأعمّها في العَدْل، وأجمَعُها لِرِضا الرَّعِيَّةِ، فإنَّ سُخْطَ العامَّةِ يُجْحِفُ برِضا الخاصَّةِ، وإنَّ سُخْطَ الخاصَّةِ يُغْتَفَرُ برضا العامَّةِ، وليس أحَدٌ من الرَّعِيَّةِ أثْقَلَ على الوالي مَؤونةً في الرَّخاء، وأقَلَّ معونةً في البَلاءِ، وأكرَهَ للإنصافِ، وأسْأَلَ بالإلحافِ، وأقَلَّ شُكراً عِنْدَ الإعطاءِ، وأبطأ عُذْراً عِنْدَ المَنْعِ، وأضعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمّاتِ الدَّهْرِ من أهلِ الخاصَّةِ، وإنَّ عَمودَ الدين، وجِماعَ المُسلمينَ والعُدَّةَ، الأعداءِ العامَّة منَ الأُمَّةِ، فليكُنْ صَغْوُكَ[9] لَهُمْ، ومَيْلُكَ مَعَهُمْ، وليكُنْ أبْعَدُ رَعِيَّتِك مِنْكَ وأشْنَؤُهُمْ عِنْدَكَ أطْلَبُهُمْ لعُيوبِ الناسِ، فإنَّ في النّاسِ عيوباً الوالي أحقُّ بسَتْرِها، فلا تَكْشِفَنَّ عَمّا غابَ عَنْكَ منها، فإنَّما

(7) الطماح والطموح: ما يرغب به الإنسان لمستقبله ونفسه.
(8) أي يكف عنك من حدتك وتماديك.
(9) صغوك: استماعك إليهم وإنصاتك.

عَلَيْكَ تَطهيرُ ما ظَهَرَ لكَ، واللهُ حَكَمٌ على ما غابَ عَنْكَ منها، فاستُرِ العَورَةَ ما اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللهُ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ من عَيْبِكَ.

أَطْلِقْ عنِ الناسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقْطَعْ عَنْهُمْ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وتَنابَ عنْ كُلِّ ما لا يَصِحُّ لكَ، ولا تَعجَلَنَّ إلى تَصديقِ ساعٍ، فإنَّ الساعِيَ غاشٌّ وإنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحينَ.

ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتِكَ، بَخيلاً فَيَعْدِلَ بكَ عَنِ الفَضْلِ، ويَعِدَكَ الفَقْرَ، ولا جَباناً فَيُضْعِفَكَ عَنِ الأُمورِ، ولا حَريصاً فيُزَيِّنَ لكَ الشَّرَهَ بالجورِ، فإنَّ البُخْلَ والجُبْنَ والحِرْصَ غَرائِزُ شَتَّى يَجْمَعُها سوءُ الظَّنِّ باللهِ.

واعلَمْ انَّ شرَّ زَرائِكَ مَنْ كانَ للأشرار قَبلَكَ وَزيراً، ومَنْ شرِكَهُمْ في الآثامِ، فلا يكونَنَّ لكَ بطانةً، فإنَّهُمْ الأئمَةُ، وإخوانُ الظَّلَمةِ، وأنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرائِهم ونفاذِهِمْ، وليسَ عليه مِثْلُ آصارهم[10] وآوزارِهِمْ؛ ممَّن لم يُعاوِنْ ظالماً على ظُلمه، ولا آثماً على إثمه، أولئكَ اخفُّ عَلَيْكَ مَؤونَةً، وأحسنُ لكَ مَعونَةً، وأحنى عَلَيْكَ عِطفاً، وأقلُّ لِغَيْرِكَ إلفاً، فاتَّخِذ اولئكَ خاصَّةً لخَلَواتِكَ وحَفَلاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُم عِنْدَكَ أقولَهُمْ للحَقِّ، وأقلَّهُم مساعَدةً فيما يكونُ منكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ تعالى لأوليائه واقِعاً من هَواكَ حَيْثُ وَقَعَ، ثمَّ رُضْهُمْ على ألاَّ يُطرُوكَ ولا يُبَجِّحوكَ بباطلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فإنَّ كَثْرَةَ الإطراءِ تُحدِثُ الزَّهْوَ، وتُدني إلى العِزَّةِ، ولا يكونَنَّ المحسنُ والمسيءُ عِنْدَكَ بمَنْزِلَةٍ واحِدَةٍ، فإنَّ في ذلك تَزْهيداً لأهل الإحسانِ في الإحسانِ، وتدريباً لأهلِ الإساءَةِ على الإساءَةِ، وألْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ ما ألزَمَ نَفْسَهُ.

---

(10) آصارهم: جمع مفرده إصْرٌ. وهو ثقل الذنب والوزر.

وآعلَمْ أنّه ليس شيءٌ أدْعَى إلىٰ حُسْنِ ظَنِّ والٍ بِرَعِيَّته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤونات عَنهم، وتَرْكِ آستِكراهه إيـاهُم علىٰ ما ليس لـه قِبَلَهُمْ، وليكُنْ منكَ في ذلك أمرٌ يجتَمِعُ لكَ به حُسْنُ الظَّنِّ برَعِيَّتِكَ، فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طويلاً[11]، وإنَّ أحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ به مَنْ حَسُنَ بلاؤكَ عِنْدَهُ، وإنَّ أحَقَّ مَنْ ساءَ ظَنُّكَ به لَمَنْ ساءَ بلاؤكَ عِنْده.

ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحةً عَمِلَ بها صدورُ هذه الأُمَّةِ، وآجتَمَعَتْ بها الإلفةُ، وصَلُحَتْ عليها الرَّعِيَّةُ، ولا تُحدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بشيءٍ من ماضي تِلْكَ السُّنَنِ، فيكون الأجْرُ لِمَن سنَّها، والوِزْرُ عَلَيْكَ بما نَقَضْتَ منها.

وأكثِرْ مُدارسَةَ العُلماء، ومُناقَشَةَ الحُكَماءِ في تَثْبيتِ ما صَلُحَ عليه أمرُ بلادِكَ، وإقامَةِ ما آستَقامَ به النامُ قَبْلَكَ.

وآعلَمْ أنَّ الـرَّعِيَّةَ طبقـاتٌ، لا يَصْلُحُ بعْضُهـا إلاّ ببعْضٍ ولا غِنىً ببعضها عَنْ بعضٍ، فمنها جنودُ اللهِ، ومنها كُتّابُ العامّة وآلخاصَّةِ، ومنها قُضاةُ العَدْلِ، ومنها عُمّالُ الإنصافِ والرِّفْقِ، ومنها أهلُ الجِزْيَةِ والخِراجِ من أهل الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ الناسِ، ومنها التُّجارُ وأهلُ الصِّناعاتِ، ومنها الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ من ذوي الحاجة والمسكَنَةِ، وكُلٌّ قد سمّىٰ اللهُ سَهْمَهُ، ووَضَعَ علىٰ حَدِّه فريضَتَهُ في كتابه وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ، عهداً منه مَحْفوظاً.

فالجنودُ بإذنِ اللهِ حُصونُ الرَّعِيَّةِ، وزَيْنُ الوُلاةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وسُبُلُ الأمنِ، ولَيْسَ تقومُ الرَّعِيَّةُ إلاّ بِهِمْ، ثُمَّ لا قِوامَ للجُنودِ إلاّ بما يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ منَ الخِراجِ الذي يَقْوَوْنَ به في جهادِ عَدُوِّهِمْ، ويعْتَمِدونَ عَلَيْه فيما يُصلِحُهُمْ، ويكـونُ من وَراءِ حـاجَتهم، ثُمَّ لا قِـوام لهـذين الصِّنفَيْن إلاّ

(11) أي يمنع عنك التعب وانشغال البال.

بالصِّنْفِ الثَّالث من القُضاةِ والعُمَّالِ والكُتَّابِ، لما يحكُمونَ من المعاقدِ، ويجمَعونَ من المنافِعِ، ويُؤتمنونَ عليْه من خَواصِّ الأُمورِ وعَوامِّها، ولا قوامَ لَهُمْ جميعاً إلاّ بالتُّجار وذوي الصِّناعات فيما يجتمعون عليْه من مرافِقِهِمْ، ويَقومونَ به في اسواقِهِمْ، ويكْفونَهُم من الرِّفْق بأيديهم ما لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطبقةُ السُّفْلىٰ من أَهْلِ الحاجةِ والمسْكَنَةِ الذينَ يحِقُّ رِفْدهُمْ ومَعونَتُهم، وفي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، ولِكُلٍّ علىٰ الوالي حَقٌّ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ.

وليسَ يُخْرِجُ الوالي من حقيقةِ ما ألزَمَهُ اللهُ من ذلك إلاّ بالاهتمامِ والاستِعانةِ باللهِ، وتَوْطينِ نَفْسِهِ علىٰ لُزومِ الحقِّ والصَّبْرِ عليْه فيما خَفَّ عَلَيْهِ أو ثَقُلَ، فوَلِّ من جُنودِكَ أنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ للهِ تعالىٰ ولرَسوله، ولإمامِكَ، وأنقاهُمْ جَيباً، وافضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِىء عَنِ الغَضَبِ، ويستريحُ إلىٰ العُذْرِ، ويَرْفَقُ بالضُّعَفاءِ، ويَنْبو عنِ العُنْفِ، ولا يَقْعُدُ به الضَّعْفُ، لمْ الحِقْ بذَوي الاحساب وأهلِ البُيوتاتِ الصالِحَةِ، والسَّوابقِ الحَسَنَةِ أهلَ النَّجدةِ والشَّجاعَةِ والسَّخاء والسَّماحةِ، فإنَّهمْ جِماعُ الكَرَمِ، وشُعَبُ العُرْفِ، ثمَّ تَفَقَّدْ من أمورِهِمْ ما يتفقَّدُهُ الوالدانِ من وُلْدِهما، ولا يتفاقَمَنَّ في نَفْسِكَ شيءٌ قوَّيتَهُمْ به، ولا تَحقِرَنَّ لُطفاً، تعاهِدُهُمْ به وإنْ قَلَّ، فإنَّه داعِيةٌ لَهُمْ إلىٰ بذلِ النَّصيحَةِ لَكَ، وحُسْنِ الظَّنِّ بكَ.

ولا تَدَعْ تَفَقُّدَ لطيفِ أمورِهِمْ أتِّكالاً علىٰ جَسيمها، فإنَّ لليسيرِ من لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعونَ به، وللجَسيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغنون عَنْهُ.

وليَكُنْ آثَرُ رؤوس جُندِكَ عِنْدَكَ مَنْ واساهم في مَعونَتِهِ، وأفضَلَ عَلَيْهِمْ من جَدْته بما يَسَعُهُم، ويَسَعُ مَنْ وراءَهُمْ من خُلوفِ أهليهم حتىٰ يكونَ هَمُّهُمْ هَمّاً واحداً في جهادِ العَدُوِّ، فإنَّ عَطْفَكَ عليهِمْ يَعطِفُ عَلَيْكَ

قُلوبَهُمْ، وإنَّ أفضلَ قُرَّةَ عَيْنِ الوُلاةِ آستِقامَةُ العَدْلِ في البِلادِ، وظُهورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وإنَّه لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إلاّ بسلامَةِ صَدْرِهِمْ، ولا تَصِحُّ نَصيحَتُهُمْ إلاّ بحيطَتِهِمْ على ولاةِ أمورِهِمْ، وقِلَّةِ استثقالِ دُوَلِهِمْ، وترك آستبطاءِ آنقِطاعِ مُدَّتِهِمْ، فآفسَحْ آمالِهِمْ، وواصِلْ في حُسْنِ الثَّناء عَلَيْهِمْ، وتَعْديدِ ما أبْلىٰ ذوو البلاءِ مِنْهُمْ، فإنَّ كثرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ فِعالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجاعَ، وتُحَرِّضُ الجَبانَ إن شاءَ الله.

ثُمَّ آعرِفْ لكُلِّ امرىءٍ منهم ما أبلىٰ، ولا تَضُمَّنَّ بلاءَ امرىءٍ إلىٰ غَيره، ولا تُقَصِّرَنَّ به دونَ غايةِ بلائِهِ، ولا يدعُوَنَّكَ شَرَفُ امرىءٍ إلىٰ أن تُعَظِّمَ من بلائِهِ ما كان صغيراً، ولا ضَعَةُ آمرىءٍ إلىٰ أنْ تَسْتَصغِرَ من بلائِهِ ما كانَ عظيماً.

واردُدْ إلىٰ اللهِ ورسوله ما يُضلِعُكَ منَ الخطوبِ، ويشتبِهُ عَلَيْكَ منَ الأُمورِ، فقد قال اللهُ تعالىٰ لقومٍ أحَبَّ إرشادَهُمْ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا أطيعوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ وأولي الأمرِ مِنْكُمْ فإنْ تنازَعْتُمْ في شيءٍ فَرُدّوهُ إلىٰ اللهِ والرسولِ﴾[12]، فالرادُّ إلىٰ اللهِ هو الآخِذُ بمُحكَمِ كتابه، والرادُّ إلىٰ الرسولِ الآخِذُ بسُنَّته الجامِعَة غَيْرِ المُتَفَرِّقَةِ.

ثُمَّ آختَرْ للحُكْمِ بينَ النَّاسِ أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ مِمَّنْ لا تَضيقُ به الأمورُ، ولا تُمحِكُه[13] الخصومُ، ولا يتمادىٰ في الزَّلَّةِ، ولا يحصَرُ مِنَ الفَيءِ إلىٰ الحقِّ إذا عَرَفَهُ، ولا تُشْرِفُ نَفْسُهُ علىٰ طَمَعٍ، ولا يكتفي بأدنىٰ فَهْمٍ دونَ أقصاهُ، أوقَفَهُمْ في الشُّبُهاتِ، وآخَذَهُمْ بالحُجَجِ، وأقلَّهُمْ تَبَرُّماً

---

(12) الآية/59 سورة النساء.
(13) تمحكه: من محك إذا لجّ أو غضب.

بِمُراجَعَةِ الخَصْمِ، واصبَرهم على تَكَشُّفِ الأمورِ، وأخرَمَهُمْ عند إيضاحِ الحُكْمِ مِمَّن لا يَزْدَهيه إطراءٌ، ولا يَسْتَميلُهُ إغراءٌ، واولئك قليلٌ.

ثمّ اكثِرْ تعاهُدَ قضائه، واَفسَحْ لهُ في البَذْلِ ما يريحُ عِلَّتَهُ، وتَقِلُّ معه حاجَتَهُ إلى النّاسِ، واَعطِهِ مِنَ المنزِلَةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فيه غَيْرُهُ من خاصَّتِكَ، ليأمَنَ بذلك اغتيالَ الرجالِ له عِنْدَكَ، فانظُرْ في ذلك نَظَراً بَليغاً، فإنَّ هذا الدِّينَ قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعْمَلُ فيه بالهوى، وتُطْلَبُ به الدُّنيا.

ثمّ انظُرْ امورَ عُمّالِكَ، فاستَعْمِلْهُمْ اختباراً، ولا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً واَثَرَةً، فإنَّهما جِماعٌ من شُعَبِ الجورِ والخِيانَةِ، وتَوَخَّ مِنْهُمْ أهْلَ التجرِبَةِ والحَياءِ من أهلِ البيوتاتِ الصّالِحَةِ والقَدَمِ في الإسلامِ المُتَقَدِّمة، فإنَّهم اكرَمُ اخْلاقاً، واصَحُّ اعراضاً، واَقَلُّ في المطامِعِ إسرافاً، وابلغُ في عواقِبِ الأمور نَظَراً، ثُمَّ أسْبِغ عليهم الأرزاقَ، فإنَّ ذلك قُوَّةٌ لهُمْ على اصْلاحِ انفُسِهِمْ، وغِنىً لهُمْ عَنْ تناوُلِ ما تحْتَ ايديهِمْ، وحُجَّةٌ عليهم إنْ خالَفوا اَمْرَكَ او ثَلَموا امانَتَكَ، ثمّ تَفَقَّدْ اعمالَهُمْ، وابعَثِ العُيونَ من أهلِ الصِّدقِ والوفاءِ عَلَيْهِمْ، فإنَّ تعاهُدَكَ في السِّرِّ لأمورِهم حَدْوَةٌ لَهُمْ على اسْتِعمال الأمانةِ والرِّفق بالرَّعِيَّةِ.

وتَحَفَّظ من الأعوانِ، فإنْ احَدٌ منهم بسطَ يدَهُ إلى خِيانةٍ اجتَمَعَتْ بها عليه عِنْدَكَ اخبارُ عُيونِكَ اكتفيتَ بذلك شاهداً، فبَسَطْتَ عليهِ العُقوبةَ في بَدَنه، واَخَذْتَهُ بما اصابَ من عَمَلِهِ، ثمّ نَصَبْتَهُ بمقامِ الذِّلَّةِ، ووَسَمْتَهُ بالخِيانةِ، وقَلَّدْتَهُ عارَ التُّهَمَةِ.

وتَفَقَّدْ امرَ الخِراجِ بما يُصلِحُ اهْلَهُ، فإنَّ صلاحَهُمْ وصلاحَهُ صلاحٌ

لمَنْ سواهُمْ، ولا صَلاحَ لمَنْ سواهُمْ إلاّ بهم، لأنَّ الناسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ على الخراج، لأنَّ ذلك لا يُدْرَكُ إلاّ بالعِمارَةِ، ومَنْ طلَبَ الخِراجَ بغَيْرِ عِمارَةٍ أخْرَبَ البلادَ، وأهلَكَ العِبادَ، ولم يسْتَقِمْ أمرُهُ إلاّ قليلاً، فإنْ شَكَوا ثِقَلاً او عِلَّةً او انقِطاعَ شُربٍ او بالَّةٍ[14] او إحالَةِ أرْضٍ اغتمرها غَرَقٌ او اجحَفَ بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنْهُمْ بما ترجو انْ يصلُحَ به امرُهُمْ، ولا يَثْقُلَنَّ عليْكَ شَيءٌ خَفَّفْتَ به المَؤونَةَ عنْهُمْ، فإنَّهُ ذُخْرٌ يعودونَ به عَلَيْكَ في عِمارَةِ بلادِكَ، وتَزْيينِ ولايَتِكَ معَ استجلابِكَ حُسْنَ ثنائِهِمْ، وتَبَجُّحِكَ باستفاضَةِ العَدْلِ فيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضلَ قُوَّتِهِمْ بما ذخَرْتَ عِندَهُمْ من إجمامِكَ لهُمْ، والثِّقة منهم بما عَوَدْتَهُمْ من عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، ورِفْقِكَ بهِمْ، فرُبَّما حَدَثَ من الأُمورِ ما إذا عَوَّلْتَ فيه عَلَيْهِمْ من بَعْدُ احتَملوهُ طيِّبَةً أنفُسُهُمْ به، فإنَّ العُمران يحتَمِلُ ما حَمَّلتَهُ، وإنَّما يؤتَى خَرابُ الأرْضِ من إعوازِ أهلها، وإنَّما يُعوِزُ أهلَها لاشرافِ أنفُسِ الولاةِ على الجَمْعِ، وسوءِ ظنِّهم بالبَقاءِ، وقِلَّةِ انتفاعِهِمْ بالعِبَرِ، واستَعْمِلْ مَنْ يُجِبُّ انْ يَدَّخِرَ حُسْنَ الثَّناءِ مِنَ الرَّعِيَّةِ، والمثوبةَ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ، والرِّضا منَ الإمامِ.

ثمَّ انظُرْ في حالِ الكُتَّابِ، فوَلِّ امورَكَ خَيْرَهُم، واخصُصْ رسائِلَكَ التي تُدْخِلَ فيها مَكايِدَكَ واسرارَكَ باجمعِهِمْ لوجودِ صالحِ الأخلاق مِمَّن لا تُبْطِرُهُ الكرامَةُ فيَجْتَرِىء بها عَلَيكَ في خِلافٍ لكَ بحَضْرَةِ مَلأ، ولا تُقَصِّرُ به الغَفْلَةُ عن إيرادِ مُكاتَبات عُمّالِكَ عَلَيْكَ، وإصدارِ جَوابها على الصَّواب منها عَنْكَ، وفيما يأخُذُ لكَ، ويُعطي مِنْكَ، ولا يُضعِفُ عَقْداً اعتقَدَهُ لكَ، ولا يَعْجَزُ عن إطلاقِ ما عُقِدَ عَلَيْكَ، ولا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسه في الأمور، فإنَّ الجاهِلَ بِقدْرِ نَفْسِهِ يكون بِقَدْر غَيره أجْهَلَ.

(١٤) البالة: ما يبلّ الأرض من الماء، وهو الندى ايضاً.

ثمَّ لا يكُنِ آختيارُكَ إيّاهُمْ على فراسَتِكَ وآستِنامَتِكَ، وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فإنَّ الرِّجالَ يتعرَّضُونَ لِفِراساتِ الوُلاةِ بتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وليس وراءَ ذلك من النَّصيحة والأمانَةِ شيءٌ، ولكن آختبِرهُمْ بما وَلُوا للصالحينَ قبلَكَ، فآعمِدْ لأحسَنِهِمْ كانَ في العامَّة أثراً، وأعْرَفِهِمْ بالأمانةِ وَجْهاً، فإنَّ ذلكَ دليلٌ على نصيحَتِكَ للهِ ولِمَنْ وَلِيْتَ أمرَهُ.

وآجْعَلْ لرأسِ كُلِّ أمرٍ من أمورِكَ رأساً منهم، لا يقهَرُهُ كبيرها، ولا يَتَشَتَّتُ عليه كثيرُها، ومَهما كان في كُتّابِكَ من عَيْبٍ فتغابَيْتَ عَنْهُ أُلزِمتَهُ.

ثُمَّ آستَوْصِ بالتُّجارِ وذوي الصِّناعات، وأَوْصِ بهم خَيْراً، المقيمُ منهم، والمضطَرِبُ بماله، والمُتَرَفِّقُ ببدنِه، فإنَّهُمْ مَوادُّ المنافِعِ، وأسْبابُ المرافِقِ وجُلّابُها منَ المباعِدِ والمطارِحِ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ، وحَيْثُ لا يلتَئِمُ الناسُ لمواضِعِها، ولا يجْتَرِئونَ علَيْها، فإنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ، وصُلْحٌ لا تُخْشى غائِلَتُهُ.

وتَفَقَّد أمورَهُمْ بحَضْرَتِكَ وفي حواشي بلادِكَ، وآعْلَمْ أنَّ في كثيرٍ منهم ضِيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، وآحتِكاراً للمَنافِعِ في المبايَعاتِ، وذلكَ باب مَضَرَّةٍ للعامَّةِ، وعَيْبٌ على الوُلاةِ، فآمنَعْ منَ الاحتكارِ فإنَّ رسول اللهِ ﷺ منع منه[15]، وليكُنِ البيعُ بيعاً سَمْحاً بموازينِ عَدْلٍ، وأسعارٍ لا تُجْحِفُ بالفريقينِ، البائِعَ والمبتاعُ، فمَنْ قارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إياهُ فَنَكِّلْ به وعاقِبْهُ من غَيْرِ إسرافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبقةِ السفلى من الذينَ لا حيلةَ لهُمْ، والمساكين،

---

(15) قال رسول الله ﷺ : «لا يحتكر إلاّ خاطئ». انظر باب الاحتكار من كتب الصحاح والفقه.

والمحتاجينَ، وأهلِ البؤسى والزَّمنى، فإنَّ في هذه الطَّبقة قانِعاً ومُعْتَرًّا، فاحْفَظْ للهِ ما استحفظَكَ من حَقِّهِ فيهِمْ، واجعَلْ لَهُمْ قِسْماً من بيتِ مالِكَ، وقِسْماً من غَلاَّت صوافي[16] الإسلامِ في كُلِّ بلَدٍ، فإنَّ للأقصى مِنْهُمْ مِثْلَ الذي للأدنى، وكُلٌّ قدِ استرعَيْتَ حقَّهُ، فلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بطَرٌ، فإنَّكَ لا تُعْذَرُ بتَضْييعِكَ التافِهَ لإحكامِكَ الكثيرَ المُهِمَّ، فلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، ولا تُصَعِّر خَدَّكَ لهُمْ، وتَفَقَّدْ أمورَ مَنْ لا يصلُ إليكَ منهم مِمَّن تقتحمُهُ العُيونُ، وتَحقِرُهُ الرِّجالُ، ففَرِّغْ لأولَئِكَ ثِقَتَكَ من أهْلِ الخَشْيَةِ والتَّواضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إليك أمورَهم، ثمَّ اعمَلْ فيهم بالإعذارِ إلى اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى يوْمَ تَلْقاهُ، فإنَّ هؤلاء من بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أحوجُ إلى الإنصافِ من غَيْرِهم، وكُلٌّ فأعْذِرْ إلى الله تعالى في تأدِيةِ حَقِّه إليه.

وتَعَهَّدْ أهْلَ اليُتمِ، وذوي الرِّقَّةِ في السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلةَ لهُ، ولا ينصِبُ للمسألةِ نَفْسَهُ، وذلك على الولاةِ ثَقيلٌ، والحقُّ كُلَّهُ ثَقيلٌ، وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ على أقوامٍ طلبوا العاقِبَةَ فَصَبروا أنفُسَهُمْ، ووَثِقوا بصِدْقِ مَوعودِ اللهِ لهُمْ.

واجْعَلْ لِذوي الحاجاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لهُمْ فيه شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ فيه مَجْلِساً عامًّا، فَتَتواضَعَ فيه للهِ الذي خَلَقَكَ، وتُبعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأعوانَكَ من أحرابِكَ وشُرَطِكَ حتى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ[17]، فإني سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في غَيرِ مَوْطِنٍ «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يؤخَذُ للضَّعيفِ فيها حَقُّهُ منَ القَوِيِّ غير مُتَعْتَعٍ»[18].

---

(16) ما تستصفيه للدولة من الزكاة والخراج وغيرها.

(17) أي غير متردد.

(18) روي الحديث عن عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث عن رسول الله ﷺ : انظر التبيين ـ

ثمَّ احتَمِل الخُرْقَ منهم والعِيَّ، ونَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ والأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عليْكَ بذلك أكنافَ رَحْمَتِه، ويوجِبْ لكَ ثوابَ طاعَتِه، وأعطِ ما أعْطَيْت هنيئاً، وامنَعْ في إجمالٍ وإعذارٍ.

ثُمَّ امورٌ من أمورِكَ لا بُدَّ لكَ من مباشَرتِها، منها إجابةُ عُمالِكَ بما لا يُغْنِي عَنْهُ كُتَّابُكَ، ومنها إصدارُ حاجاتِ الناسِ عِنْدَ وُرودِها عليْكَ ممَّا تَحْرِجُ به صدورَ أعوانِكَ، وامضِ لكُلِّ يوْمٍ عَمَلَهُ، فإنَّ لِكُلِّ يومٍ ما فيه، واجعَلْ لنَفْسِكَ فيما بينَكَ وبَيْنَ اللهِ أفضَلَ تِلْكَ المَواقيتِ، وأجْزَلَ تِلْكَ الأقسامِ، وإنْ كانَتْ كُلُّها للهِ إذا صَلُحَتْ فيها النِّيَّةُ، وسَلِمَتْ مِنْها الرَّعِيَّةُ.

ولْيَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخْلِصُ للهِ به دينَكَ إقامَةُ فرائِضِهِ التي هي لَهُ خاصَّة، فأعطِ اللهَ من بَدَنِكَ في لَيْلِكَ ونَهارِكَ، ووَفِّ ما تَقَرَّبْتَ به إلى اللهِ تعالى من ذلك كامِلاً غَيْرَ مثْلومٍ، ولا مَنْقوصٍ بالغاً من بَدَنِكَ ما بَلَغَ.

وإذا قُمْتَ في صلاتِكَ للناسِ فلا تكونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً، فإنَّ في الناسِ مَنْ به العلةُ ولهُ الحاجةُ، وقد سألْتُ رسولَ اللهِ ﷺ حين وجَّهني إلى اليَمَنِ كيفَ أصلي بهم؟ قال: «كصلاةِ أضْعَفِهِمْ، وكُنْ بالمؤمنينَ رَحيماً»[19].

وأمَّا بعدَ هذا فلا يطولَنَّ احتجابُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فإنَّ احتِجابَ الولاةِ عنِ الرَّعِيَّةِ شعْبَةٌ من الضِّيق، وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأمورِ، والاحتجابُ منهم يقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ ما احتَجَبوا دونَه، فيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الكبيرُ، ويعظُمُ الصغيرُ، ويَقْبُحُ

= في أنساب القرشيين/87. وروايته: ما قدَّست أمة... ورواه ابن ماجة في باب الفتن. واللفظ فيه: لا قدَّست.

(19) وفي مسند أحمد حديث عثمان بن العاص عن رسول الله ﷺ : «جوِّز في صلاتك واقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الصغير والكبير وذا الحاجة».

الحسنُ، ويَحْسُنُ القبيحُ، ويُشابُ الحقُّ بـالباطِـلِ، وإنّما الـوالي بَشَرٌ لا يعرِفُ ما يُواري عنه الناسُ من الأمور، وليست علىٰ الحقِّ سِماتٌ تُعرَف بها ضروبُ الصِّدْقِ من الكَـذِبِ، وإنّما أنتَ أحـدُ رَجُلَيْنِ، إمّا آمرؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ في الحَقِّ، ففيمَ آحتجابُكَ من واجبِ حَقٍّ تُعْطيهِ، او فِعْلِ كـريمٍ تُسديـهِ؟ وإمّا آمـروءٌ مبتَلىٰ بالمَنْـعِ، فما أسـرعَ كفَّ الناسِ عَنْ مسألتكَ إذا يَئِسوا من ذلك! مع أنَّ أكثَرَ حاجاتِ الناسِ إليكَ مِمّا لا مؤونَةَ فيه عليْكَ من شِكايةِ مَظْلَمَةٍ أو طَلَبِ إنصافٍ في معامَلَةٍ.

ثمَّ إنَّ للوالي خاصَّة وبطانةً، فيهم آستئثارٌ وتطاوُلٌ وقلَّةُ إنصافٍ في مُعامَلَةٍ، فاحسِمْ مادَّةَ ذلِكَ بقَطْعِ أسبابِ تِلْكَ الأحوالِ، ولا تُقْطِعَنَّ لأحَدٍ من حاشِيتِكَ وخاصَّتِكَ قطيعَةً، ولا يَطْمَعَنَّ منك في آعتِقادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بمَن يليها مِنَ النَّاسِ في شُربٍ أو عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يحْمِلونَ مؤونَتَهُ علىٰ غَيْرِهم، فيكونَ مَهْنَأُ ذلك لهُمْ دونَكَ، وعَيْبُهُ عَلَيْكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

والزِمِ الحَقَّ مَنْ لَزِمَـهُ من القريب والبَعيـد، وكُنْ في ذلكَ صـابِراً مُحْتَسِباً، واقِعاً ذلك من قَرابَتِكَ وخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وآبتَغِ عاقِبَتَه بما يُثْقِلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فإنَّ مغبَّةَ ذلك محمودَةٌ.

وإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بكَ حَيْفاً فاصحِرْ[20] لهُمْ بعُـذْرِكَ، واعدِلْ عَنْـكَ ظنونَهُمْ بإصحارِكَ، فإنَّ ذلك إعذاراً تبلُغُ بـه حاجَتَـكَ من تقويمهم على الحقِّ.

ولا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دعاكَ إليه عَدُوُّكَ ولله فيه رِضاً، فإنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً لجنودِكَ، وراحةً من هُمومِكَ وأمناً لبلادِكَ، ولكنِ آحذَرْ كُلَّ الحذرِ من

(20) أي جاهرهم من قولك أصحر الرجل إلى الرجل إذا جاهره القول.

عَدُوِّكَ بعْدَ صُلْحِه، فإنَّ العَدُوَّ رُبَّما قارَبَ ليَتَغَفَّلَ، فخُذْ بالحزمِ، وأتِّهِمْ في ذلك حُسْنَ الظَّنِّ، فإنْ عَقَدْتَ بينَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً وألبَستَهُ مِنْكَ ذمَّةً فحُط عَهْدَكَ بالوفاءِ، وارْعَ ذمَّتَكَ بالأمانةِ، واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دونَ ما أعطيتَ، فإنَّه ليسَ من فرائِضِ اللهِ شيءٌ الناسُ أشدّ عليه اجتماعاً مع تَفَرُّقِ أهوائهم وتَشَتُّتِ آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود، وقَد لَزِمَ ذلك المشرِكونَ فيما بينَهُمْ دونَ المسلمينَ لما استوبَلوا[21] من عواقبِ الغَدْرِ، فلا تغدُرَنَّ بذِمَّتِكَ، ولا تخيسَنَّ بعَهْدِكَ، ولا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فإنَّهُ لا يجْتَرِىء على اللهِ إلاّ جاهِلٌ شقيٌّ، وقد جَعَلَ الله عَهْدَهُ وذِمَّتَهُ أمناً قضاهُ بينَ العِبادِ برَحْمَتِهِ، وحَرَماً يسكنون إلى مَنَعَته، ويستفيضون إلى جوارِه، فلا إدغالَ ولا مُدالسةَ ولا خداعَ فيه.

ولا تعقِدْ عَقْداً تجوزُ فيه العِلَلُ، ولا تُعَوِّلَنَّ على لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التأكيد والتَّوثِقَةِ، ولا يَدْعُوَنَّكَ ضيقُ أمرٍ لَزِمَكَ فيهِ عَهْدُ اللهِ إلى طَلَبِ انْفِساخِهِ بغَيْرِ الحقِّ، فإنَّ صَبْرَكَ على ضيقٍ ترجو انفِراجَهُ، وفَضْلُ عاقِبَتِهِ خَيْرٌ من غُدْرٍ تَخافُ تَبِعَتَهُ، وأن تُحيطَ بكَ منَ اللهِ طِلبَةً، فلا تستقيلَ فيها دُنياكَ ولا آخِرَتَكَ.

وإياكَ والدِّماءَ وسَفْكَها بغَيْرِ حِلِّها، فإنَّه ليْسَ شيءٌ أدعى لنِقْمَةٍ، ولا أعظَمَ تَبِعةً، ولا أحرى بزَوالِ نِعمَةٍ وانقطاعِ مُدَّةٍ من سَفْكِ الدِّماءِ بغَيْرِ حَقِّها، واللهُ سبحانَهُ مُبْتَدِىءٌ بالحُكْمِ بينَ العِبادِ فيما تسافَكوا منَ الدماءِ يومَ القيامةِ، فلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطانَكَ بسَفْكِ دمٍ حرامٍ، فإنَّ ذلك مِمّا يُضْعِفُهُ ويوهِنُهُ بلْ يزيلُهُ وينقُلُهُ، فلا عُذْرَ لك عِنْدَ اللهِ ولا عِندي في قَتْلِ العَمْدِ، لأنَّ فيه

(21) لما خافوا وبالها.

قَوَدِ البَدَنِ، فإنِ ابتُليتَ بخَطإٍ وأفرَطَ عليك سَوْطُكَ او سَيْفُكَ او يَدُكَ بعُقوبَةٍ، فإنَّ في الوَكْزَةِ فما فَوْقَها مَقْتَلَةً، فلا تَطْمَحَنَّ بكَ نَخْوَةُ سُلْطانِكَ عَنْ أنْ تؤدّيَ إلى أولياءِ المقتولِ حَقَّهُمْ.

وإياكَ والاعجابَ بنَفْسِكَ؛ والثِّقَةَ بما يُعْجِبُكَ منها، وحبَّ الإطراءِ، فإنَّ ذلكَ من أوثَقِ فُرَصِ الشَّيطان في نَفْسه ليمحَقَ ما يكونُ من إحسانِ المحسنينَ.

وإياكَ والمنَّ على رعيَّتِكَ بإحسانِكَ، والتَّزَيُّدَ فيما كان من فِعْلِكَ، وان تَعِدَهُم فَتُتْبِعُ مَوْعِدَكَ بخُلْفٍ، فإنَّ المنَّ يُبْطِلُ الإحسانُ، والتَّزَيُّدَ يُذْهَبُ بنورِ الحقِّ، والخُلْفُ يوجبُ المقتَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقولوا ما لا تَفْعلونَ﴾[21].

وإياكَ والعَجَلَةَ بالأمورِ قَبْلَ أوانِها، أوِ التَّسَقُّطَ فيها عِنْدَ إمكانِها، أوِ اللجاجَةَ فيها إذا تَنَكَّرَتْ، أوِ الوَهَنَ عَنْها إذا آستَوضَحَتْ، فضَعْ كُلَّ امرٍ مَوْضِعَهُ، وأوقِع كلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وإياكَ والإستِئثارَ بما النَّاسُ فيه أُسْوَةٌ، والتَّغابي عمّا يُعْنى به ممّا قد وَضَحَ لعُيونِ النَّاظِرينَ، فإنَّهُ مأخوذٌ مِنْكَ لغَيْرِكَ، وعَمّا قليلٍ تنكَشِفُ عَنْكَ أغْطِيَةُ الأمورِ، ويُنْتَصَفُ مِنْكَ للمَظْلومِ.

إملِكْ حَمِيَّةَ أنْفِكَ، وسَوْرَةَ حَدِّكَ، وسَطْوَةَ يدِكَ، وغَرْبَ لسانِكَ، وآحْتَرِسْ من كُلِّ ذلكَ بكفِّ البادِرَةِ، وتأخيرِ السَّطْوَةِ يَسْكُنْ غَضَبُكَ فتملِكُ الإختيارَ، ولَنْ تُحكِمَ ذلك من نَفْسِكَ حتى تَكْثُرَ هُمومُكَ بذكرِ المعادِ إلى رَبِّكَ.

---

(21) الآية/3 سورة الصف.

والواجبُ عَلَيْكَ انْ تَتَذكَّرَ ما مضىٰ لمَنْ تَقدَّمَك من حكومةٍ عادِلةٍ، أو سُنَّةٍ فاضِلَةٍ، أو أثرٍ من نَبيِّنا ﷺ، أو فريضَةٍ في كتابِ اللهِ، فتَقْتَدي بما شاهَدْتَ ممّا عَمِلنا به فيها، وتَجْتَهِدُ لِنَفْسكَ في آتباعِ ما عَهِدْتُ إليكَ في عَهْدي هذا، وآستَوْثقتُ به من الحجَّةِ لنَفْسي عَلَيْكَ، لكي لا تكونَ لكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلىٰ هَواها.

وأنا أسألُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وعَظيمِ قُدرَتِهِ علىٰ إعطاءِ كُلِّ ذي رَغْبَةٍ، أنْ يوفِّقَني وإياكَ لما فيه رضاهُ من الإقامَةِ علىٰ العُذرِ الواضحِ إليه وإلىٰ خَلْقِهِ، مع حُسْنِ الثَّناء في العِبادِ، وجَميلِ الأثرِ في البِلادِ، وتمامِ النِّعمةِ، وتَضعيفِ الكرامَةِ، وأن يَخْتِمَ في ولَكَ بالسَّعادةِ والشَّهادَةِ ﴿إنّا لله وإنّا إليهِ راجعونَ﴾[22].

---

(22) الآية/156 سورة البقرة.

88

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي قيس بن سعد[1] حين ولاه مصر[2]:

سِرْ إلىٰ مِصْرَ فَقَدْ وَلَّيْتُكَها، واخرُج إلىٰ رحْلِكَ، واجمَعْ إليْكَ ثِقاتَكَ، ومَنْ أحْبَبْتَ أنْ يَصْحَبَكَ حتىٰ تأتِيَها ومَعَكَ جُنْدٌ، فإنَّ ذلك أرْعَبُ لعَدُوِّكَ، وأعَزُّ لوَلِيِّكَ، فإذا أنْتَ قدِمتَها إن شاءَ اللهُ فأحْسِنْ إلىٰ المُحْسِنِ، واشتَدَّ علىٰ المُريبِ، وارفُقْ بالعامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ.

---

(1) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني، والٍ صحابي، من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، ويلي أمورَه، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي ﷺ بمنزلة الشرطي من الأمير، وصحب علياً في خلافته، فاستعمله على مصر سنة 36 ـ 37 هـ، وعُزِل بمحمد بن أبي بكر، وعاد إلى علي رضي الله عنه، فكان على مقدمته يوم صفين، ثم كان مع الحسن بن علي حتىٰ صالح معاوية، فرجع إلىٰ المدينة، وتوفي بها في آخر خلافة معاوية، وقيل: هرب من معاوية سنة 58 هـ وسكن تفليس فمات فيها. وكان من أطول الناس وأجملهم ولم يكن في وجهه شعر. أخباره كثيرة، انظر عنه: المحبّر/155، تاريخ ابن العبري/185، صفة الصفوة 1/300، الجرح والتعديل ق 2 ج 3/99، النجوم الزاهرة 1/83، كامل المبرد في رغبة الأمل 5/41 و43، الأعلام 6/56.

(2) تاريخ الطبري 5/227.

89

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي كميل بن زياد[1] قال[2]:

يا كُمَيلُ بن زياد، القُلوبُ أوعِيَةٌ، فَخَيْرها أوعاها، إحفَظ ما أقولُ لك: الناسُ ثلاثَةٌ، فعالِمٌ رَبّانيٌ، ومُتَعَلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وهَمَجٌ رُعاع، أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يميلونَ مع كُلِّ ريحٍ، لم يستَضيئوا بنورِ العِلْمِ، ولَمْ يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ.

العِلْمُ خَيْرٌ من المالِ، العِلْمُ يحرُسُكَ، وأنْتَ تَحْرُسُ المالَ، العِلْمُ يزكو على العَمَلِ، والمالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، ومَحَبَّةُ العالِمِ دَيْن يدانُ بها، العِلْمُ يُكسِبُ العالِمَ الطاعَةَ في حياته، وجميلَ الأُحدوثَةِ بعد مَوْتِهِ، وصَنيعَة المالِ تزولُ بزوالِهِ، ماتَ خَزّانُ الأموالِ وهُمْ أحياءٌ، والعُلماء باقونَ ما بقيَ الدَّهْرُ، أعيانُهُمْ مَفقودَةٌ، وأمثالُهُمْ في القُلوبِ مَوجودةٌ، هاه، إن هَهُنا ـ وأشارَ بيدِهِ إلى صَدْرِهِ ـ عِلماً لو أصَبْتُ لهُ حَمَلَةً، بلى أصَبْتُهُ لَقِناً غيرَ مأمونٍ عليْهِ، يستَعْمِلُ آلةَ الدِّينِ للدُّنيا، يستَظْهِرُ بحجَجِ اللهِ على كتابه، وبِنِعمِهِ على عِبادِهِ، أو مُنقاداً لأهْلِ الحقِّ، لا بصيرَةَ لهُ في إحيائه، يقْتَدِحُ الشَّكَّ

---

(1) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي ثقة، من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان شريفاً مطاعاً في قومه، شهد صفين مع عليّ رضي الله عنه، وسكن الكوفة، وروى الحديث، قتله الحجاج صبراً. انظر عنه: تهذيب التهذيب 8/447، الاصابة ترجمة/7503، جمهرة أنساب العرب/390، كامل ابن الأثير 3/151، الأعلام 6/93.

(2) حلية الأولياء 1/79 ـ 80، العقد الفريد 2/212 ـ 213.

في قَلْبه بادِئ عارِضٍ من شِبهِهِ، لا ذا ولا ذاكَ، أو مَفهومٌ باللذاتِ، سَلِسُ القيادِ للشَّهَواتِ، أو مُغْرًى بجَمْعِ الأموالِ والادّخارِ، وليْسا من دُعاةِ الدّين، اقربُ شَبَهاً بهما الأنعامُ السّائِمةُ، كذلك يموتُ العِلم بمَوْتِ حامليهِ.

اللهُمَّ بَلىٰ، لا تَخلو الأرْضَ من قائمٍ للهِ بحُجَّةٍ، لِئلاّ تَبْطلُ حِجَج اللهِ وبيِّناتِهِ، أولئك هُمُ الأقلّونَ عَدداً، الأعظَمون عنْدَ اللهِ قَدْراً، بهِمْ يَدْفَعُ اللهُ عَنِ حِجَجِه حتّىٰ يُؤدّوها إلىٰ نُظرائِهِمْ، ويَزْرَعوها في قُلوبِ أشباهِهِمْ، هَجَمَ بهم العِلْمُ علىٰ حقيقةِ الأمرِ فاستلانوا ما اسْتَوعَرَ منه المُتْرَفونَ، وأنِسوا بما اسْتَوْحَشَ منه الجاهلونَ، صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعَلَّقَةٌ، بالمنظرِ الأعلىٰ، أولئك خُلفاءُ اللهِ في بلاده، ودُعاتُه إلىٰ دينِهِ، هاه هاه شوقاً إلىٰ رؤيتهم، واستَغْفِرُ اللهَ لي ولكَ. إذا شئتَ فَقُمْ.

90

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الناس قبل مَوْته[1]:

أيُّها الناسُ، كُلّ آمرىءٍ لاقٍ ما يَفِرُّ منه في فرارِه، والأَجَلُ مَساقُ النَّفْسِ، والهَرَبُ منه مُوافاتُهُ، كم اطرَدْتُ الأيّامَ أبْحَثُها عَنْ مَكنونِ هذا الأمْرِ، فأبىٰ اللهُ إلاّ إخفاءَهُ، هَيْهاتَ، عِلْمٌ مَخزونٌ، أمّا وَصيَّتي:

فالله لا تُشرِكوا به شيئاً، ومُحمَّدٌ صلّى اللهُ عليْه وآلِهِ وسلَّم فلا تُضَيِّعوا سُنَّتَهُ، اقيموا هذين آلعمودَيْنِ، وأوقِدوا هذين المصباحَيْن، وخَلاكُمْ ذَمٌّ ما لَمْ تشرُدوا[2]، حَمَلَ كُلَّ آمْرىءٍ مِنْكم مجهودَهُ، وخَفَّفَ عن آلجَهَلةِ رَبٌّ رَحيمٌ، ودينٌ قَويمٌ، وإمامٌ عَليمٌ، أنا بالأمسِ صاحِبُكُمْ، وأنا اليومَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغداً مفارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لي ولَكُمْ.

إن ثَبَتَتِ الوَطأَةُ في هذه المَزَلَّةِ فذاكَ، وإنْ تَدحَضِ القَدَمُ، فإنّا كُنّا في أفياءِ أغصانٍ، ومَهَبِّ رِياحٍ، وتَحْتَ ظِلِّ غَمامٍ آضمَحَلَّ في الجَوِّ مُتَلَفِّقُها، وعفا في الأرْضِ مَخَطُّها[3]، وإنّما كُنْتُ جاراً جاوَرَكُمْ بَدَني آياماً، وستُعْقِبونَ منّي جُثَّةً خَلاءً[4] ساكنَةً بعد حَراكٍ، وصامِتَةً بعْدَ نُطوقٍ،

---

(1) نهج البلاغة 2/45 ـ 47.

(2) أي برئتم من الذم ما لم تنفروا وتميلوا عن الحقّ.

(3) المتلفق: المنضم بعضه على بعض. والمخط: المكان الذي تخطّه في الأرض.

(4) ليس فيها روح. فهي ساكنة بعد أن كانت تتحرك.

لِيَعِظْكُمْ هُدوِّي وخُفوتُ أطرافي، وسكونُ أطرافي[5]؛ فإنَّهُ أوعَظُ للمُعْتَبرينَ منَ المنطقِ البليغِ والقَوْلِ المَسْموعِ، وداعِيكُمْ وداعُ امرئٍ مُرْصَدٍ للتلافي[6]، غداً ترونَ أيَّامي ويُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سرائِري، وتَعْرِفونَني بعْدَ خُلُوِّ مكاني، وقيامِ غَيْري مَقامي.

(5) أطرافي الأولى: يريد بها عيناهُ. والطرافي الثانية، يريد بها يداه ورجلاه.
(6) وداعيكم: يعني، وداعي إياكم، أو دواعي لكم، وبكل رويت.

91

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[1] يوصي آبنه يزيد[2] لما حضرته الوفاة[3]:

(1) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، واحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً حليماً وقوراً، ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها سنة 8 هـ، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ﷺ في كتّابه، ولما ولي أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت، ولما ولي عمر جعله والياً على الأردن، ورأى فيه حزماً وعلماً فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخي معاوية، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها، وجعل ولاة أمصارها تابعين له، وقتل عثمان، فولي علي بن أبي طالب، فوجه لقواده بعزل معاوية، وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان، واتهم علياً بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة علي في العراق، ثم قتل علي وبويع بعده ابنه الحسن، فسلم الخلافة إلى معاوية سنة 41 هـ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فمهد بها إلى ابنه يزيد، ومات في دمشق، وهو أحد عظماء الفاتحين في الإسلام، بلغت فتوحاته المحيط الاتلانطيقي، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان سنة 43 هـ، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، ولي أيامه فتح كثير من جزائر يونان والدردنيل، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة 48 هـ، وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير (القصور الواسعة المحصنة:، وأول من اتخذ الحرس والحجاب في الإسلام، وأول من نصب المحراب في المسجد، كان يخطب قاعداً، وكان طوالاً جسيماً أبيض، وضربت في أيامه الدنانير وعليها صورة أعرابي متقلد سيفاً. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نظر إليه قال: هذا كسرى العرب، وللشهاب ابن حجر الهيثمي كتاب تطهير الجَنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان، ولعباس محمود العقاد معاوية في الميزان، وللمستشرق هنري لامنس كتاب عن أول الخلفاء الأمويين طبع باللغة الفرنسية. انظر عنه: ابن الأثير 2/4، الطبري 180/6، منهاج السنة 201/2 ـ 226، اليعقوبي 192/2، تاريخ الخميس 291/2، البدء والتاريخ 5/6، شذور العقود/6، مروج الذهب 42/2، الذهب المسبوك/24، الاعلام 172/8.

(2) يزيد بن معاوية: ستمر ترجمته على هامش الوصية المرقمة/97.

(3) المعمرون والوصايا/155، البيان والتبيين 66/2، تاريخ الطبري 179/1، العقد الفريد 141/2، الفخري في الآداب السلطانية/102.

إنّي كَفَيْتُكَ الحِلَّ والتَّرحالَ[4]، ووطّأتُ لَكَ الأشياءَ، وذلّلتُ لكَ الأعزّاءَ، وأخضَعْتُ لَكَ أعناقَ العَرَبِ، وجَمَعْتُ لك ما جَمَعَ واجِدٌ.

فانظرْ أهْلَ الحجازِ، فإنّهُمْ أصْلُكَ، فأكرِمْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ، وتعَهَّدْ مَنْ غابَ عَنْكَ مِنْهُمْ.

وانظُرْ أهْلَ العِراقِ، فإنْ سألوكَ أنْ تعزِلَ عَنْهُمْ لي كُلَّ يومٍ عامِلاً فافعَلْ، فإنَّ عَزْلَ غامِلٍ أحَبُّ إليْكَ من أنْ يُشْهَرَ عَلَيْكَ مِئَةُ الفِ سَيْفٍ.

وانظُرْ أهْلَ الشّامِ، فلْيكونوا بطانَتَكَ وعَيْبَتَكَ[5]، وإذا أصَبْتَ بهم عدُوَّكَ فأرْدُدْهُمْ إلى بلادِهِمْ، فإنَّهُمْ إنْ أقاموا بِغَيْرِ بلادِهِمْ أخذوا بغَيْرِ أخْلاقِهِمْ.

وإنّي لَسْتُ أخافُ عَلَيْكَ من قُرَيشٍ إلاّ الحسينَ بنَ عليّ[6]، وعَبْدَاللهِ بن عمر[7]، وعبدَاللهِ بن الزُّبَير رضي الله عنهم[8].

فأمّا الحسينُ، فإنَّ لهُ رَحِماً عَظيماً، فإنْ قَدِرْتَ عَلَيْهِ فاصْفَحْ عنْه، فإنّي لو أُوتيَ به عَفَوْتُ عَنْهُ. وأمّا ابن عمر، فيُقَيِّدُهُ إيمانُه. وأمّا ابنُ الزُّبير، فخَبٌّ ضَبٌّ، يَجْثِمُ لَكَ جُثومَ الأسَدِ، ويَروغُ رَوَغانَ الثَّعْلَبِ، فإنْ أمكنتْهُ الفُرْصَةُ وَثَبَ، فإنْ فَعَلَ فَقَدِرْتَ عَلَيْه أنْ تُقَطِّعَهُ إرْباً إرْباً فافعل.

92

معاوية بن أبي سفيان لما حضرته الوفاة ويزيد غائب دعا مسلم بن عقبة المريّ[1] والضحّاك بن قيس الفهري[2] فقال[3]:

أبلغا عني يزيد وقولا له:

أنـظُرْ إلى أهل الحجـاز، فهُم اصْلُكَ وعِترَتُـكَ، فمن أتـاك منهم فأكْرِمْهُ، ومن قَعَدَ عَنْكَ فَتَعَهَّدْهُ.

---

(1) مسلم بن عقبة بن رباح المري، أبو عقبة، قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي، أدرك النبي ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة، وقلمت بها عينه، وولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي أرسله إلى المدينة بعد أن أخرجوا عامله منها، فأوقع فيها قتلاً ونهباً في وقعة الحرة، فسماه أهل الحجاز مسرفاً، وأخذ ممن بقي فيها البيعة ليزيد، وتوجه إلى مكة ليحارب ابن الزبير فمات في الطريق بمكان يسمى المشلل، ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه. انظر: الاصابة ترجمة/8416، تاريخ الطبري 14/7، نسب قريش/127، رغبة الأمل 99/3، المحبر/303 و482، الأعلام 118/8 ـ 119.

(2) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس، سيد بني فهر، في عصره، وأحد الولاة الشجعان، شهد فتح دمشق، وسكنها، وشهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه، فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه، ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد، ولما خلع معاوية ابن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق، ومات معاوية سنة 64 هـ، فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة، وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مروان، فقتل في مرج راهط. انظر عنه: كامل ابن الأثير حوادث سنة 14 هـ، مروج الذهب 69/5، تهذيب ابن عساكر 4/7، الأعلام 309/3.

(3) البيان والتبيين 135/2 وما بعدها، المعمرون/155 ـ 156.

وانظُرْ إلىٰ أهلِ العراقِ، فإن سألوكَ عَزْلَ عاملٍ لهُمْ في كُلِّ يومٍ فاعزِلْهُ عَنْهُمْ، فإنَّ عزل عاملٍ أهْوَنُ عليك من سَلِّ مِئَةِ ألف سيف، ثمَّ لا تدري علىٰ ما أنتَ عليه منهم.

ثمَّ انظُرْ أهل الشام، فاجعَلْهُمْ الشِّعارَ دونَ الدِّثارِ، فإن رابَكَ من عَدُوِّكَ ريبٌ فارمِهِمْ بهم، فإنْ أظفرَكَ الله بهم، فارْدُدْ أهلَ الشام إلىٰ بلادهم، ولا يُقيموا في غَيْرِ بلادهم فيتأدَبوا بغير أدَبهم.

لستُ أخافُ عليك غير عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وحسين بن عليّ، فأمّا عبدالله بن عمر، فرَجُلٌ قد وَقَذه الوَرَعُ، وأمّا الحسين فإنّي أرجو أن يكفيكَهُ الله بمن قتل أباهُ، وخَذَلَ أخاهُ، وأمّا ابن الزبير، فإنَّهُ خَبٌّ ضَبٌّ[4]، فإذا طلع فاثبت له، فقلَّما مارَسْتَ رَجُلاً مِثْلَهُ، فوالله لو قذفتَهُ في بئرٍ مملوءَةٍ زِفتاً لخَرَجَ منها مُتَمَلِّساً[5].

---

(4) الخبّ: المخادع المخاتل، والضب: المغبظ المحنق الحقود.

(5) من قوله: فإذا طلع فاثبت له... إلى نهاية الوصية ليس في رواية البيان والتبيين. قلت: وقد أثبتّ هذا الوجه الأخر من الرواية، لما فيها من اختلاف في الرواية، وتوثيق لمسألة غياب يزيد عن الوصية، واحضار شاهدين عليها. انظر الشروحات المثبتة على الوصية التي قبل هذه.

93

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص يوم التحكيم[1]:

إنَّ أَهْلَ العراقِ أكرهوا عليًّا على أبي موسى، وأنا وأهلُ الشامِ راضونَ عَنْكَ، وأرجو في دفْع هذه الحرب قُوَّةً لأهلِ الشامِ، وفُرْقَةً لأَهْلِ العِراق، وإمداداً لأَهْلِ اليمن، وقد ضُمَّ إليكَ رَجُلٌ طويلُ اللسانِ، قصيرُ الرأيِ، ولهُ على ذلكَ دينٌ وفَضْلٌ، فدَعْهُ يقولُ، فإذا هُوَ قالَ فأصمُتْ.

وأعلمْ أنَّ حُسْنَ الرأيِ زيادَةٌ في العَقْلِ، إنْ خَوَّفَكَ العراقَ، فخَوِّفْهُ بالشامِ، وإنْ خَوَّفَكَ مِصْرَ، فَخَوِّفْهُ باليَمَن، وإنْ خَوَّفَكَ عَلِيًّا، فَخَوِّفْهُ بمعاوية، وإن أتاكَ بالجميلِ، فأتِهِ بالجميلِ[2].

---

(1) الإمامة والسياسة 1/116، جمهرة خطب العرب 1/389.

(2) ورد في نهاية الوصية: فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، أَقْبِلِ الاهتمامَ بما قِبَلي، وأرجُ الله تعالى فيما وجهتني له، إنَّك من أمرِكَ على مثل حدّ السيف، لم تنل في حربك ما رجوتَ، ولم تأمَنْ ما خِفْتَ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً، وقد ذكرتَ لأبي موسى ديناً، وإن الدين منصور، أرأيتَ إن ذكر عليًّا وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول.
فقال معاوية: قل ما تريد وترى.

94

معاوية بن أبي سفيان يوصي عمرو بن العاص لما وجّهه إلى مصر[1]:

أوصيكَ يا عَمْرو بتقوىٰ الله والرِّفْقِ، فإنَّهُ يُمْنٌ، وبالمَهَلِ والتُّؤدَةِ، فإنَّ العجلةَ من الشيطانِ، وبأنْ تَقْبَلَ مِمَّنْ أَقْبَلَ، وأنْ تَعْفُوَ عَمَّن أَدْبَرَ، فإنْ قَبِلَ فيها ونِعْمَتْ، وإن أَبىٰ؛ فإنَّ السَّطْوَةَ بعْدَ المَعْذِرَةِ أَبْلَغُ في الحجَّةِ، وأَحْسَنُ في العاقِبَةِ، وآدعُ النَّاسَ إلىٰ الصُّلْحِ والجماعَةِ، فإذا أنتَ ظَهَرْتَ فَلْيَكُنْ أنصارُكَ آثَرَ النَّاسِ عِنْدَكَ، وكُلُّ النَّاسِ فأَوْلِ حَسَناً.

---

(1) تاريخ الطبري 6/57.

95

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يوصي آبنه لما حضرته الوفاة[1]:

يا بُنَيَّ، إنِّي صَحِبْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فخرجَ لحاجَته فَتَبِعْتُهُ بأداوةٍ، فكساني أحَدَ ثَوْبَيْهِ الذي يلي جِلْدَهُ، فخَبأتُهُ لهذا اليومِ، وأخَذَ رسول اللهِ ﷺ من شَعْرِهِ وأضفارِه ذات يومٍ، فخَبأتُه لهذا اليومِ.

فإذا أنا مِتُّ، فآجعَلْ ذلك القَميصَ دونَ كَفَني مِمّا يلي جِلدي، وخُذْ ذلك الشَّعْرَ والأضفارَ، فآجعله في فَمي، وعلى عَيْنَيَّ، ومَوْضِعَ السُّجودِ منِّي، فإنْ نَفَعَ شيءٌ فذَلِكَ، وإلاّ فإنَّ اللهَ غَفورٌ رحيمٌ.

---

(1) التبيين في أنساب القرشيين/178.

96

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يوصي آبنه يزيد[1]:

عَلَيْكَ بالحِلْمِ والاحْتِمال حَتىٰ تُمَكِّنَكَ الفُرْصَةُ، فإذا أمكَنَتْكَ فَعَلَيْكَ بالصَّفحِ، فإنَّه يَدْفَعُ عَنْكَ مُعْضِلاتِ الأُمورِ، ويقيكَ مَصارِعَ المحذور.

(1) نهاية الأرب 6/50.

97

يزيد بن معاوية[1] يوصي سلم بن زياد[2] عاولاه خراسان[3]:

إنَّ اباكَ كَفَى اخاهُ عظيماً، وقَدِ آستكفَيتُكَ صغيراً، فلا تَتَكِلَنَّ على عُذْرٍ مِنِّي لَكَ، فقدِ آتَّكَلْتُ على كِفايَةٍ منْكَ، وإيَّاكَ مِنِّي قَبْلَ أنْ اقولَ إيايَ مِنْكَ، فإنَّ الظَّنَّ إذا أخْلَفَ مِنِّي فيكَ، اخْلَفَ مِنْكَ فيَّ، وانْتَ في أدْنى حَظِّكَ، فآطلُبْ اقصاهُ، وقَدْ أتْعَبَكَ ابوكَ، فلا تُرِيحَنَّ نَفْسَكَ، وكُنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ لَكَ، وآذكُرْ في يَوْمِكَ احاديثَ غَدِكَ تَسْعَدْ إنْ شاءَ الله.

---

(1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ، وفي أيامه كان قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة 61 هـ، خلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، فأذنَ أهل المدينة وقتل من صحابتها وأبنائهم وخيار التابعين. في زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع، وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم، ويقال: إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني، ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة اشهر إلاّ أياماً، توفي بحوارين من أرض حمص. يروى له شعر رقيق، وإليه ينسب نهر يزيد في دمشق، كان نهراً صغيراً يسقي ضيعتين فوسعه فنسب إليه. انظر عنه: تاريخ الطبري حوادث سنة/64 هـ، تاريخ الخميس 300/2، منهاج السنّة 237/2 ـ 254، كامل ابن الأثير 49/4، البدء والتاريخ 6/6 ـ 16، الأعلام 244/9 ـ 245.

(2) سلم بن زياد بن أبيه، أمير، من آل زياد، كنيته أبو حرب، كانت إقامته بالبصرة، ولاه يزيد بن معاوية خراسان سنة 61 هـ، فذهب إليها، وغزا سمرقند، وكان جواداً، أحبه الناس ومدحه الشعراء، ولما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد، دعا سلم أعيان خراسان إليه وعرض عليهم أن يبايعوه على الرضا، إلى أن يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه سنة 64 هـ، ثم نكثوا بعد شهرين، فاستخلف عليهم المهلب بن أبي صفرة، ورحل إلى سرخس، ومنها إلى xxx

98

مروان بن الحكم[1] يوصي ابنه عبد العزيز[2] حين استعمله على مصر[3]، فقال له حينَ ودّعه: ارسِل حكيماً ولا توصِه[4]:

أي بُنَيّ، انْظُرْ إلى عُمّالِكَ، فإنْ كانَ لَهُمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غُدْوَةٌ، فلا

(1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب بنو مروان، ودولتهم المروانية، ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصّته، واتخذه كاتباً له، ولما قتل عثمان، خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه، وقاتل مروان في وقعة الجمل قتالاً شديداً، وانهزم أصحابه فتوارى، وشهد صفين مع معاوية، ثم أمّنه عليّ رضي الله عنه، فأتاه فبايعه، وانصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة سنة 42 ـ 49 هـ، وأخرجه منها عبدالله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة، وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان ليهم مروان، ثم عاد إلى المدينة، وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر، ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد، ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسنّ، فرحل إلى الجابية في شمالي حوران، ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة 64 هـ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها، وخرج إلى مصر وقد فشت في أهلها البيعة لابن الزبير فصالحوا مروان، فولى عليهم ابنه عبد الملك، وعاد إلى دمشق، فلم يطل أمره، وتوفي فيها بالطاعون، وقيل غطته زوجته أم خالد بوسادة وهو نائم فقتلته، ومدة حكمه تسعة أشهر و18 يوماً، وهو أول من ضرب الدنانير الشامية، وكتب عليها: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وكان يلقّب خيط باطل لطول قامته واضطراب خلقه. ينظر عنه: الاصابة ترجمة/8320، أسد الغابة 4/348، تهذيب ابن عساكر 10/91، الجمع بين رجال الصحيحين/501، ابن الأثير 4/74، تاريخ الطبري 7/34 و83، البدء والتاريخ 6/19، تاريخ الخميس 2/306، الأعلام 8/94.

(2) عبد العزيز بن مروان: ستمر ترجمته على هامش الوصية المرقمة/11.

(3) العقد الفريد 1/42، نهاية الأرب 6/42.

(4) أصله بيت من الشعر. وهو:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

تُؤَخِّرهُ إلىٰ عَشِيَّةٍ، وإنْ كان لهُمْ عَشِيَّةٌ، فلا تُؤَخِّرْهُ إلىٰ غُدوةٍ، وأعْطِهِمْ حُقوقَهُمْ عِنْد مَحَلِّها تَسْتَوجِبْ بذلك الطَّاعَةَ مِنْهُمْ.

وإياكَ أنْ يَظْهَرَ لرعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذِبٌ، فإنَّهم إنْ ظهرَ لهُمْ مِنْكَ كَذِبٌ لم يُصَدِّقُوكَ في الحَقِّ.

واسْتَشِرْ جُلَساءَكَ وأهْلَ العِلْمِ، فإنْ لمْ يَسْتَبِنْ لكَ؛ فاكْتُبْ إليَّ، بأيِّكَ رأيي فيه إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

وإنْ كانَ بكَ غَضَبٌ علىٰ أحَدٍ من رَعِيَّتِكَ، فلا تُؤاخِذْهُ فيه عِنْدَ سَوْرَةِ الغَضَبِ، واحبِسْ عَنْهُ عُقوبَتَكَ حتىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ، ثمَّ يكون مِنْكَ ما يكونُ وانتَ ساكِنُ الغَضَبِ، مُنْطَفِىء الجمرة[5]، فإنَّ أوَّلَ مَنْ جَعَلَ السِّجْنَ كانَ حَليماً ذا أناةٍ.

ثمَّ انظُرْ إلىٰ أهْلِ الحَسَبِ والدِّين والمُروءةِ، فلْيَكونُوا أصحابَكَ وجُلساءَكَ، ثمَّ اعرِفْ مَنازِلَهُمْ منكَ علىٰ غيرِ استِرْسالٍ، ولا انْقِباضٍ. أقولُ هذا واستَخْلِفُ اللهَ عَلَيْكَ.

---

(5) في نهاية الأرب: مطفأ الجمرة.

99

عبد الملك بن مروان[1] يوصي بنيه لما حضرته الوفاة[2]:

يا بَنِيَّ، أوصيكُمْ بتَقْوى اللهِ، فإنَّها أحْصَنُ كَهْفٍ، وأزْيَنُ حِلْيَةٍ، ليَعْطِفِ الكبيرُ مِنْكُمْ على الصَّغيرِ، وليعرِفِ الصَّغيرُ منكُمْ حَقَّ الكبيرِ، وإياكُمْ والاختلافُ، والفِرْقَةَ، فإنَّ بها هَلَكَ الأولونَ قبلكُمْ، وذَلَّ دون العَدَدِ والكثرةِ.

انظُروا مَسْلَمَةَ[3]، فاصدُروا عَنْ رأيه، فإنَّه جُنَّتُكُمْ الذي به

---

(1) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من أعاظم الخلفاء، ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة 65 هـ، فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبدالله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد صك الدراهم، وكان يقال: معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم، نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً. توفي في دمشق. انظر في ترجمته: كامل ابن الأثير 4/198، تاريخ الطبري 6/56، تاريخ اليعقوبي 3/14، ميزان الاعتدال 2/153، المحبر/377، مروج الذهب 2/86 ـ 103، الأعلام 4/312.

(2) المعمرون/160، وعدا الشعر في مروج الذهب 3/160 ـ 161، والشعر فقط في لباب الآداب/31.

(3) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير قائد، من أبطال عصره، من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة، سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان، وبنى مسجد ملسمة بالقسطنطينة سنة 96 هـ، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمينية، وغزا الترك والخزر سنة 109 هـ، ومات بالشام، قال =

تَسْتَجِنّونَ، ونابِكم[4] الذي عنه تغْتَرونَ، أكرِموا الحجّاج[5]، فإنّه وطّأ لكم المنابِرَ، وكونوا عِنْدَ القِتالِ أحراراً، وعِنْدَ المعروفِ مَناراً، وكُونوا بني أُمِّ بَرَزَةٍ، إحلَوْلوا في مَرارةٍ، ولينوا في شِدّةٍ. ثمّ رَفَع رأسهُ إلى الوليد فقال:

يا وليد[6] لا أعْرِفَنّكَ إذا وَضَعْتَني في حُفْرَتي تَمْسَحُ عَيْنَيْكَ وتَعْصِرُهما فِعْلَ الأَمَةِ، ولكن إذا وَضَعْتَني في حُفْرَتي؛ فشَمِّرْ وائتَزِرْ، والبَسْ جِلْدَ النَّمِرِ، ثمّ اصعدِ المِنْبَرَ فادعُ النّاسَ إلى البَيْعَةِ، فمَنْ قالَ كذا، فقل كذا، وأومأ إليه، مَن قال لا فاقْتُلْهُ[7].

= الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. ترجمته في: تهذيب التهذيب 10/144، نسب قريش/165، دول الإسلام 1/62، نهاية الأرب/339، رغبة الأمل 5/16، 64، 118، الأعلام 8/122.

(4) في المعمرين: ونابيكم، واحبه من التطبيع.

(5) الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد سبقت ترجمته على هامش وصيته.

(6) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه سنة 86 هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان، فأطراف الصين شرقاً، فبلغت مسافتها مسيرة سنة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، وكان ولوعاً بالبناء والعمران، فكتب إلى والي المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأن يعمل فوارة، فعملها وأجرى ماءها، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار، ومنع المجذومين من مخالطة الناس، وأجرى لهم الأرزاق، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال، وأقام لكل مُقعد خادماً، ورتب للقرّاء أموالاً وأرزاقاً، وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء، وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به، ثم بناها بناءاً جديداً، وصفّح الكعبة والميزاب الأساطين في مكة، وبنى المسجد الأقصى في القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير، المعروف بالجامع الأموي، بدأ فيه سنة 88 هـ وأتمه أخوه سليمان، وكانت وفاته بدير مران من غوطة دمشق، ودفن بدمشق، وكان نقش خاتمه: يا وليد إنك ميت. تجد ترجمته في: كامل ابن الأثير 5/3، تاريخ الطبري 8/97، تاريخ اليعقوبي 3/27، تاريخ الخميس 2/311، مروج الذهب 2/119 ـ 127، الأعلام 9/140 ـ 141.

(7) ورد بعده: ثم بعث إلى خالد وعبدالله ابني يزيد بن معاوية فقال: أتعلمان لِمَ بعثتُ إليكما؟ قالا: نعم يا أمير المؤمنين، لترينا عافية الله إياك. قال: لا، ولكن لأسألكما، هل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء فأقيلكما؟ قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال: والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما، فقاما وخرجا. المعمرون/160.

ثمّ قال لبنيه: آحفَظوا هذه الأبيات عَنّي:

أنفُسوا الضَّغائِنَ والتَّخاذُلَ عَنْكُمْ ... عِنْدَ البَعيدِ وفي الحُضورِ الشُّهَّدِ
بصَلاحِ ذاتِ البينِ طولُ بقائِكُمْ ... إنْ مُدَّ في عُمُري وإن لَمْ يُمْدَدِ
فَلِمثلِ رَيْبِ الدَّهْرِ أُلفةُ بينِكُمْ ... بِتَواصُلٍ وتَراحُمٍ وتَوَدُّدِ
وآنفوا الضَّغائِنَ والتَّخاذُلَ عَنْكُمُ ... بِتَكَرُّمٍ وتَوَسُّعٍ وتَغَمُّدِ(8)
حتى تَلينَ جُلودُكُمْ وقُلوبُكُمْ ... لِمُسَوَّدٍ مِنْكُمْ وغيرِ مُسَوَّدِ
إنَّ القِداحَ إذا آجْتَمَعْنَ فَرامَها ... بالكَسْرِ ذو بَطْشٍ شَديدٍ أيِّدِ(9)
عَزَّتْ فَلَمْ تُكسَرْ وإن هِيَ بُدِّدَتْ ... فَالوَهْنُ والتكسيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ(10)

---

(8) البيت ساقط من رواية المعمرين.
(9) رواية عجز البيت في المعمرين: بالكسر ذو خَنَقٍ وبطشٍ أيِّدِ.
(10) وردت الوصية في مروج الذهب بهذه الصيغة:
يا هذا، أحنين الحمامة؟ إذا أنا ميتٌ، فشمِّر وآتزر، والبس جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدئ ذات نفسه لك، فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه، ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال: إنّ طويلك لقصير، وإنّ كثيرك لقليل، وإن كُنّا منك لفي غرور، ثمّ أقبل على جميع ولده فقال:
أوصيكم بتقوى الله، فإنّها عصمة باقية، وجُنّة واقية، فالتقوى خير زادٍ، وأفضل في المعادِ، وهي أحصنُ كهف، وليعطفِ الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حقّ الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور.
وإياكم والبغي والتحاسد، فبهما هلك الملوك الماضون، وذوو العزّ المكين.
يا بُنيّ، أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه، ومجنّكم الذي تستجنّونَ به، أصدروا عن رأيه، وأكرموا الحجاج فإنّه الذي وطّأ لكم هذا الأمر، وكونوا أولاداً أبراراً، وفي الحروب أحراراً، وللمعروفِ مناراً. وعليكم السلام.

100

عبد الملك بن مروان يوصي بنيه لما حضرته الوفاة[1]:

إتّقوا اللهَ ربَّكم، وأصلِحوا ذاتَ بينِكُمْ، ولْيُجِلَّ صَغيرُكُمْ كبيرَكُمْ، آنظروا أخاكم مَسْلَمَةَ، فآستَوْصوا به خيراً، فإنّه شيخُكُمْ ومجنُّكُمْ الذي به تَسْتَجِنّونَ، وسيفُكم الذي به تَضْرِبونَ، أوصيكم به خيراً.

وآنظروا ابن عمكم عمر بن عبد العزيز، فآصدروا عن رأيه، ولا تَخلّوا عن مشورته. اتخذوه صاحباً لا تجفوهُ، ووزيراً لا تعصوهُ، فإنّه مَنْ عَلِمْتُمْ فَضْلَهُ ودينَه، وذكاء عَقْله، فآستَعينوا به على كُلِّ مُهِمّ، وشاوروه في كلِّ حادث[2] ثم دخل عليه عمر ابن عبد العزيز، فقال عبد الملك: يا أبا حفص، آستوصِ خيراً بأخويك الوليد وسليمان، إنْ زَلاّ فَسَلْهُما، وإنْ مالا فأقِمْهُما، وإن غَفلا فذكّرْهما، وإنْ ناما فأيقظهما، وقد أوصيتُهما بك، وعَهِدْتُ إليهما أنْ لا يَقْطعا شيئاً دونك[3]، وقد عَلِمْتَ يا عُمر مكانَ فاطمة

---

(1) الإمامة والسياسة 2/46.

(2) ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقال لهما: أتحبان أن أسألكما بيعة الوليد وسليمان؟ فقالا: يا أمير المؤمنين، معاذ الله من ذلك، قال: فأومأ بيده إلى مصلّى كان مضطجعاً عليه، فأخرج من تحته سيفاً مصلتاً، فقال لهما: والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف، ثم خرجا من عنده.

(3) فقال عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، أوصيتهما بكتاب الله فليقيماهُ في عباده وبلاده، وسنّة رسول الله ﷺ فليُحْيِياها، ويحملا الناسَ عليها؟ فقال عبد الملك: قد فعلت، ووليي فيكم الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولى الصالحين.

منّي، ومحلّها من قلبي، وإني آثرتُك بها على جميع آل مروان، لفضلك ووَرَعِكَ، فكن عند ظنّي بك، ورجائي فيك، وقد عَلِمْتُ أنّك غيرُ مُقَصِّر، ولا مُضَيِّعٍ حَقَّها، ولكنَّ الله قد قضى أنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنينَ، قوموا عصمكم الله وكفاكم، ثم خرجوا من عنده، ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان، فدخلا عليه، فقال للوليد:

إسمع يا وليد، قد حضر الوداعُ، وذهب الخداعُ، وحَلَّ القضاءُ، فبكى الوليد، فقال له عبد الملك: لا تَعصِرْ عينيك عَليَّ كما تعصِرُ الأمة الوكساء[4]، إذا أنا مِتُّ فآغسلني وَكَفِّني، وصَلِّ عليَّ، واسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي، وآخرج أنتَ إلى الناس، والبس لهم جلد نمر، وآقعُدْ على المِنْبَر، وآدعُ الناسَ إلى بَيْعَتِكَ، فمَن مال بوجهه عَنْكَ كذا، فقل له بالسيف كذا، وتَنَكَّر للصَّديقِ والقريب، وآسمع للبعيد، وأوصيك بالحَجّاج خيراً، فإنّه هو الذي وطّأ لَكُمُ المنابِرَ، وكفاكم تَقَحُّمَ تلك الجرائم[5].

---

(4) أي الأمة الضعيفة.

(5) اختلفت رواية الوصية في مصادرها عنه في كتاب الإمامة والسياسة ولذلك آثرت أن أورد نص الإمامة والسياسة منفرداً. انظر الوصية التي قبل هذه.

101

عبد الملك بن مروان يوصي ابنه الوليد وكان وليّ عَهْدِه[1]:

يا بُنَيّ، إعلمْ أنّه ليسَ بينَ السُّلطانِ[2] وبَيْنَ ان يَمْلِكَ الرَّعِيَّةَ، أو تَمْلِكهُ الرَّعِيَّةُ إلاّ حَزْمٌ او تَوانٍ.

(1) العقد الفريد 1/43، نهاية الأرب 6/45، عيون الأخبار 1/33، ولم يعزها إلى أحد.
(2) (الملك) في موضع (السلطان) في عيون الأخبار.

102

عبد الملك بن مروان يوصي الوليد[1]:

لا تَعْزِلْ اخاكَ عَبْدَاللهِ عَنْ مِصْرَ، وآنظُرْ عَمَّكَ محمد بن مروان[2] فأقِرّه على الجَزيرة، وأمّا الحَجاجُ، فانتَ احْوَجُ إليه منه إلَيْكَ، وآنظُرْ عليَّ بن عبدالله[3]، فاستوصِ به خيراً[4].

(1) البيان والتبيين 3/201.

(2) محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أمير، من الشجعان الأبطال، كان والي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان، واشتهر بقوة البأس، حتى كان أخوه الخليفة عبد الملك يحسده على ذلك، له وقائع وحروب مع الروم، وهو والد مروان آخر ملوك بني أمية. انظر عنه: دول الإسلام 1/52، فتوح البلدان/340، كامل بن الأثير 5/26، لسان الميزان 5/375، الأعلام 7/315.

(3) هو علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أبو محمد، جد الخلفاء العباسيين، من أعيان التابعين، كان كثير العبادة والصلاة، فغلب عليه لقب «السجاد»، وكان من أجمل الناس وأوسمهم، عظيم الهيبة، جليل القدر، قيل للوليد بن عبد الملك: إنه يقول: بأن الخلافة ستصير إلى أبنائه، فأمرَ به فَضُرِبَ بالسياط وأهين، واعتقله هشام بن عبد الملك في البلقاء، فمات معتقلاً. ترجمته في: دول الإسلام 1/61، طبقات ابن سعد 5/229، وفيات الأعيان 1/323، صفة الصفوة 2/59، تاريخ اليعقوبي 3/12، تاريخ الطبري 8/230، حلية الأولياء 3/207، الأعلام 5/117.

(4) قال الجاحظ: فضرب علياً بالسياط، وعزل أخاه وعمّه.

103

عبد الملك بن مروان يوصي بنيه[1]:

عليْكُمْ بطلَبِ الأَدَبِ، فإنَّكُمْ إنِ آحتَجْتُم إليه كان لَكُم مـالاً، وإنِ استَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كانَ لَكُمْ جمالاً.

(1) العقد الفريد 1/421.

104

عبد الملك بن مروان يوصي بنيه[1]:

كُفّوا الأذىٰ، وآبذُلوا المعروفَ، وآعفـوا إذا قَدَرْتُمْ، ولا تَبْخَلوا إذا سُئِلْتُمْ، ولا تُلحِفوا إذا سألْتُمْ، فإنَّه مَنْ ضيَّق ضُيِّقَ عليْهِ، ومَنْ أعطىٰ أخْلَفَ اللهُ عَلَيْهِ.

(1) العقد الفريد 3/154.

105

عبد الملك بن مروان يوصي بنيه[1]:

يا بَني عَبْد الملك، أَحْسابَكُمْ أحسابَكُمْ، صونوها ببَذْلِ أموالِكُمْ، فما يُبالي رجُلٌ منكم ما قِيلَ فيه من الهَجْوِ بعْدَ قولِ الأعشى[2]:

تَبِيتُونَ في المشتى مِلاءً بُطونُكُمْ وجارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصا

وما يُبالي قومٌ ما قيلَ فيهم منَ المدحِ بعْدَ قولِ زهير[3]:

على مكثِريهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَريهِمُ وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ

---

(1) مروج الذهب 3/166.

(2) الديوان/149 ضمن قصيدة عدادها خمسة وعشرون بيتاً هو الحادي عشر فيها.

(3) الديوان/

106

عبد الملك بن مروان يوصي مؤدب ولده وكان رجلاً من بني زهرة[1]:

عَلِّمْهُمُ الصِّدقَ كما تُعلِّمُهم القرآنَ، وآحمِلْهُمْ على الأخلاقِ الجَميلةِ، ورَوِّهِمُ الشِّعْرَ يشجُعُوا ويَنْجُدُوا، وجالِسْ بهم أشرافَ النَّاسِ وأهْلَ العِلْمِ مِنْهُمْ، فإنَّهم أحْسَنُ النَّاسِ رِعَةً[2]، وآحسَنُهُمْ أدباً، وجَنِّبْهُمُ السِّفِلَةَ والحَذَمَ، فإنَّهُمْ أسْوأُ النَّاسِ رِعَةً، وأسْوَؤُهم أدباً، ومُرْهُمْ فَلْيَسْتَاكُوا عَرضاً، ولْيَمُصُّوا الماءَ مصّاً، ولا يَعُبُّوهُ عَبّاً، ووَقِّرْهُمْ في العَلانِيَةِ، وذَلِّلْهُمْ في السِّرِّ، وآضرِبْهُمْ على الكَذِبِ، إنَّ الكَذِبَ يَدعو إلى الفُجورِ، والفُجورُ يدْعو إلى النَّارِ، وجَنِّبْهُمْ شَتْمَ أعراضِ الرِّجالِ، فإنَّ الحرَّ لا يَجِدُ من عِرْضِهِ عِوَضاً، وإذا وُلوا أمْراً فآمْنَعْهُمْ من ضَرْبِ الأبشارِ[3]، فإنَّه عارٌ باقٍ، ورِئْـرٌ مَطلوبٌ، وآحمِلْهُمْ على صِلَةِ الأرحامِ، وآعلَمْ أنَّ الأدَبَ أولى بالغُلامِ مِنَ النَّسَبِ[4].

---

(1) لباب الآداب/230، وبعضها في عيون الأخبار 2/167.

(2) الرعة: الورع.

(3) الابشار: من البشر، وهو الإنسان ذكراً كان أم أنثى.

(4) وردت الوصية في عيون الاخبار هكذا:
علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رعة، وأقلهم ادباً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، وأحفِ شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عَرْضاً، ويمصّوا الماء مصّاً، ولا يعبّوه عبّاً، وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب، فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه.

107

عبد الملك بن مروان يوصي مؤدب ولده[1]:

إذا رَوَّيتَهُمْ شِعْراً؛ فلا تُرَوِّهِمْ إلاّ مثل قَوْلِ العُجَيْر السَّلولي[2]:

يَبيتُ الجارُ حينَ يبيتُ عَنِّي ... ولَمْ تأنَسْ إليَّ كِلابُ جارِي
وتَظْعَنُ جارَتي من جَنبِ بَيْتي ... ولَمْ تُسْتَرْ بِسَتْرٍ من جِداري
وتأمَنَ أنْ أُطالِعَ حينَ آتي ... عَلَيْها وَهْيَ واضِعَةُ الخِمارِ
كَذلِكَ هَذْيُ آباتي قَديماً ... تَوارَثَهُ النِّجارُ عَنِ النجارِ[3]
فَهَذْيي هَذْيُهُمْ وهُمُ أفَتَلوني ... كما أفْتُلِيَ العَتيقُ من المِهارِ[4]

---

(1) الأغاني 13/75، وتجريده/1459، ومختاره 5/124، ونزهة الأبصار 1/295 عدا البيت الأخير. وانظر أيضاً شعر العجير السلولي المنشور في مجلة المورد العراقية بتحقيقنا العدد الأول للسنة 1979 ص 207 ـ 242.

(2) العجير السلولي، واسمه عمير بن عبدالله بن عُبيدة بفتح العين وكسر الباء، والعجير لقب غلب عليه، وهو مصغر عجر من قولهم عجر عُنقه إذا لواها، كنيته أبو الفرزدق، وأبو الغيل، شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، من المحسنين الكرماء الأجواد، عدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام، وقرن معه أبا زبيد الطائي، وعبدالله بن همّام السلولي.
انظر تفصيل حياته في مقدمة شعره المنشور بتحقيقنا في مجلة المورد العراقية.

(3) النجار: الأصل والحسب.

(4) افتلوني: يقال: فلا الصبي والمهر فلواً، وأفلاه، وافتلاه، إذا عزله عن الرضاع وفصله، وافتليته: فطمته. يريد أنهم فطموني عن جهل الصبا وعقلت. والعتيق من الأفراس: الرائع الكريم. والمهار: بكسر الميم جمع مُهر بالضم، وهو ولد الفرس.

108

عبد الملك بن مروان يوصي أميراً سيَّره إلى أرض الروم[1]:

أنتَ تاجرُ اللهِ لعِبادِه، فكُنْ كالمُضارِبِ الكيِّسِ الذي إنْ وَجَدَ رِبْحاً اتَّجَرَ، وإلاَّ تَحَفَّظ[2] برأسِ المالِ، ولا تَطْلُبِ الغَنيمَةَ حتى تُحْرِزَ[3] السَّلامَةَ، وكُنْ من احتيالِكَ على عَدُوِّكَ أشَدَّ خوفاً[4] من احتيالِ عَدُوِّكَ عليك.

(1) العقد الفريد 1/41، نهاية الأرب 6/170، البيان والتبيين 2/109 وقد وردت الوصية فيه منسوبة لعبد الملك بن صالح يوصي ابنه وهو أمير سرية في بلاد الروم.
(2) في بيان الجاحظ: تَجَرْ وإلاَّ احتفظ.
(3) في البيان والتبيين: تحوز في موضع تحرز.
(4) في البيان والتبيين: أشدّ حذراً.

109

عبد الملك بن مروان يوصي الشعبي[1] وقد كان نديماً له[2]:

يا شَعْبِيّ، لا تُساعِدْني على ما قَبُحَ، ولا تَرُدَّ عليَّ الخَطأَ في مَجْلِسي، ولا تُكَلِّفني جَوابَ التشميتِ[3] والتَّهنئة، ولا جَوابَ السُّؤالِ والتَّعزِية، ودَعْ عَنْكَ كَيْفَ أصبحَ الأميرُ، وكَيْفَ أمسى، وكَلِّمني بقَدْرِ ما أَسْتَطيعُكَ، واجعَلْ بدل المدح لي صَوابَ الاستماعِ مِنِّي، واعلَمْ أنَّ صوابَ الإستماعِ أكثر من صَوابِ القَوْلِ، وإذا سَمِعْتَني أتحَدَّثُ فلا يَفُوتَنَّكَ منه شيءٌ، وأرِني فَهْمَكَ من طَرْفِكَ وسَمْعِكَ، ولا تُجهِدْ نَفْسَكَ في نَظْرِية[4] صوابي، ولا تَسْتَدعِ بذلك الزيادةَ في كلامي، فإنَّ أسوأ الناس حالاً مَن آستَكَدَّ الملوك بالباطلِ، وأنَّ أسوأ الناسِ حالاً منهم من آستَخَفَّ بحَفَظِهم، واعلَمْ يا شَعبيُّ أنَّ أقلَّ من هذا يذهَبُ بسالِفِ الإحسانِ، ويُسْقِطُ حقَّ الحرمةِ، فإنَّ الصَّمْتَ في مَوْضِعِهِ رُبَّما كانَ أبْلَغَ من النُّطقِ في مَوْضِعِه، وعند إصابته وفرصتِهِ[5].

---

(1) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره، ورسوله إلى ملك الروم، وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر، وسئل عمّا بلغ إليه حِفْظه، فقال: ما كَتَبْتُ سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديثٍ إلا حفظته، وهو من رجال الحديث الثقات، آستقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً، واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل، وقيل: عبدالله، نسبته إلى شعب، وهو بطن من همدان. انظر عنه: تهذيب التهذيب 5/65، وفيات الأعيان 1/244، حلية الأولياء xxx

110

عبد الملك بن مروان يوصي أخاه عبد العزيز[1] حين ولاه مصر[2]:

ابسُطْ بِشْرَكَ، وأَلِنْ كَنَفَكَ، وآثِرِ الرِّفْقَ في الأُمورِ، فإنّه أبلغُ بكَ، وآنظُرْ حاجِبَكَ، فليكُنْ من خَيْرِ أهْلِكَ، فإنّه وَجْهُكَ ولسانُك، ولا يَقِفَنَّ أحَدٌ ببابِكَ إلاّ أعْلَمَكَ مكانَهُ، لتكونَ انتَ الذي تأذَنُ لهُ او تَرُدُّهُ، وإذا خَرَجْتَ إلى مَجْلِسِكَ فابدأ بالسّلام يأنسوا بكَ، وتَثَبَّتْ في قلوبهم مَحَبَّتُكَ، وإذا أنتهى إليك مُشْكِلٌ فآستَظْهِرْ عليْه بالمشاوَرَةِ، فإنّها تَفْتَحُ مَغاليقَ الأمورِ، وإذا سَخِطْتَ على أحَدٍ فآخِّر عقوبَتَهُ، فإنّك على العُقوبَةِ بعد التَّوقُّبِ عنه أقْدَرُ مِنْكَ على ردِّها بعْدَ إمضائها.

---

(1) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أميّة، ابو الاصبغ، امير مصر، ولد في المدينة، وولي مصر لأبيه، استقلالاً سنة 65 هـ، فسكن حلوان، وأعجبته، فبنى فيها الدور والمساجد، وغرس بها كرماً ونخيلاً، وتوفي فيها، فنقل إلى الفسطاط، كان يَقِظاً عارفاً بسياسة البلاد، شجاعاً جواداً، تنصَبُ حول داره كلَّ يوم ألف قِصْعَةٍ للآكلين، وتحمل مئة قصعة على العجل إلى قبائل مصر، واستمر إلى أن توفي، وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. انظر عنه: خزانة البغدادي 583/3، كامل ابن الأثير 197/4، تاريخ الطبري 53/8، الموشح/143، وما بعدها. في أخبار كُثَيِّر عزّة، الأعلام 154/4.

(2) الفخري في الآداب السلطانية/113، جمهرة خطب العرب 198/2.

111

عبد الملك بن مروان يوصي بني أميَّة[1]:

يا بني أُمَيَّةَ، ابذلوا نَـداكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ، وآعفـوا إذا قَدِرْتُمْ، ولا تَبخَلوا إذا سُئِلْتُمْ، فإنَّ خَيْرَ المالِ ما أفادَ حَمْداً، أو نَفى ذَمًّا، ولا يَقولَنَّ أحَدُكُمْ: إبدأ بِمَنْ تقولُ، فإنَّما النامُّ عِيالُ اللهِ، قد تَكَفَّلَ اللهُ بأَرْزاقِهِمْ، فمَنْ وَسَّعَ أخلَفَ اللهُ عليه، ومَنْ ضَيَّقَ ضَيَّقَ الله عليه.

(1) أمالي القالي 2/29.

112

سليمان بن عبد الملك[1] يوصي بالخلافة لعمر بن عبد العزيز ثم ليزيد بن عبد الملك[2] من بعده[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به عبدالله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، عهد أنه يشهد لله بالربوبية والوحدانيّة، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، بعثه إلى محسني عبادِه بشيراً، وإلى مذنبيهم نذيراً، وأنَّ الجنَّة حقّ، وأنَّ النار حقّ مخلوقتانِ، خلق الجنّة رحمة لمن أطاعه، والنار عذاباً لمن عصاهُ، وأوجب العَفْوَ لمن عفا عَنْهُ، وأنَّ إبليس في النار، وأنّ سليمان مقرٌّ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه، موجب على نفسه استحقاق ما خلق من النقمة، راج لما وعد من الرحمة والمغفرة، وأن المقادير كلها خيرها وشرُّها من الله، وأنَّه هو الهادي وهو

---

(1) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولِيَ الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة 96 هـ، وكان بالرملة، فلم يتخلف عن مبايعته أحد، فأطلق الأسرى، وأخلى السجونَ، وعفا عن المجرمين، وأحسَنَ إلى الناس، وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، جهز جيشاً كبيراً، وسيَّرهُ في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك، وتوفي في دابق من أرض قنسرين بين حلب ومعرة النعمان، وكانت عاصمته دمشق، ومدَّة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلاّ أياماً. انظر عنه: كامل ابن الأثير 14/5، تاريخ الطبري 126/8، فوات الوفيات 77/1، تاريخ اليعقوبي 36/3، تاريخ ابن خلدون 74/3، مروج الذهب 127/2، تاريخ الخميس 314/2 و315، الأعلام 192/3 ـ 193.

(2) يزيد بن عبد الملك بن مروان: ترجمنا له على هامش الوصية المرقمة/117.

(3) الإمامة والسياسة 95/2 ـ 96.

الفاتن، لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية، ولا لمن خلق لعذابه هداية، وأنَّ الفِتْنَةَ في القُبورِ بالسؤالِ عن دينه دنيّة الذي أرسل إلى أمته حقّ يقين، لا منجى لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسألة، وسليمان يسأل الله بواسِع فضله وعظيم مَنِّه الثبات على الحق عند تلك المسألة، والنجاة من أهوال تلك الفتنة، وأنّ الميزان حقٌّ يقينٌ، يضع الموازين القِسْطَ ليوم القيامة، فمن ثَقُلَتْ موازينُه فأولئك هُمُ المفلحون، ومَنْ خَفَّتْ موازينُه فأولئك هُمُ الخاسرونَ، وأنَّ حوضَ محمد ﷺ يوم الحشر والموقف حقٌّ، عددُ آنِيَته كنجوم السَّماء، مَنْ شرِبَ منه لم يَظمأ أبداً، وسليمان يسألُ الله برحمته أن لا يَرُدَّهُ عنه عطشانَ، وأنَّ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ خَيْرُ هذه الأُمَّةِ بعد نبيِّنا ﷺ، والله يعلم بعدهما حيثُ الخَيْرُ، وفيمن الخيرُ من هذه الأُمَّة، وأنَّ عذه الشهادةَ المذكورةَ في عَهْدِه هذا، يَعْلَمُها من سرِّه وإعلانِهِ، وعقد ضميرِه، وأنَّ بها عبد ربَّه في سالف أيامه، وماضي عمره، وعليها أتاهُ يقينُ ربِّه، وتوفاه أجَلُه، وعليها يُبْعَثُ بعد الموت إن شاءَ الله، وأنَّ سليمان كانت له بين هذه الشَّهادة بلايا وسيِّئات، لم يكن له عنها مَحيص، ولا دونَها مَقْصر[4] بالقدرِ السَّابق والعِلْمِ النافِذِ في مُحْكَمِ الوَحْي، فإنْ يَعْفُ ويَصْفَحْ، فذلك ما أعرفُ منه قديماً، ونُسِبَ إليه حديثاً، وتلك الصِّفةُ التي وَصَفَ بها نَفْسَهُ في كتابه الصادق، وكلامه النَّاطق، وإنْ يُعاقِبْ ويَنْتَقِمْ فيما قَدَّمَتْ يداهُ، وما الله بظلاّم للعبيد، وإنّي أَحَرَّجُ[5] على مَن قرأ عهدي، وسمِعَ ما فيه من حِكمةٍ، أنْ ينتهيَ إليه في أمرِهِ ونَهْيِه، بالله العظيمِ، وبمحمد ﷺ، وأنْ يدعَ الإحَنَ[6]، ويأخُذَ بالمكارِمِ، ويرفعَ

(4) مقصر: بفتح الميم وسكون القاف: ابتعاد وانتهاء.
(5) أي أضيق: من حَرِجت على فلان المسلك إذا ضيقته عليه.
(6) الإحن: الضغائن والأحقاد.

يديه إلى السَّماء بالابتهالِ الصَّحيح، والدُّعاء الصريح، يسألهُ العَفْوَ عنِّي، والمغفِرَةَ لي، والنجاة من فَزَعي، والمسألَةَ في قبري، لعَلَّ الوَدودَ أنْ يجعلَ بِكُم مجابَ الدَّعْوَةِ بما عَليَّ من صَفْحِهِ يعودُ إنْ شاءَ اللهُ، وإنَّ وَلِيَّ عَهْدي فيكم، وصاحِبَ أمري بَعْدَ مَوْتي، في كُلِّ مَنِ آستَخْلَفَني الله عليه، الرَّجُلُ الصَّالِحُ عُمَر بن عبد العزيز(7) ابن عمِّي، لما بلوتُ من باطنِ أمرِهِ وظاهِرِه، ورَجَوْتُ اللهَ بذلك وأردتُ رضاهُ ورَحْمَتَهُ إن شاء الله، ثُمَّ ليزيد بن عبد الملك من بعده، فإنّي ما رأيتُ منه إلاَّ خَيْراً، ولا أطَّلَعْتُ له على مكروهٍ، وصِغارُ وُلدي وكبارُهُمْ إلى عمر، إذ رَجَوْتُ الاَّ يألوهُمْ رُشْداً وصَلاحاً، واللهُ خليفتي عليهم، وهُوَ أرْحَمُ الراحمينَ، وأقرأُ عليكم السَّلامَ ورَحْمَةَ اللهِ.

(7) عمر بن عبد العزيز: ترجمنا له مهمشين على الوصية المرقمة/113.

113

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[1] يوصي منصور بن غالب، حين بعثه لقتال أهل الحرب[2] وحربه من آستعرض من أهل الصلح[3]:

أمره في ذلك بتقوىٰ الله علىٰ كُلِّ حالٍ نَزَلَ به من أمرِ اللهِ، فإنَّ تقوىٰ اللهِ أفضلُ العُدَّةِ، وأبْلَغُ المكيدةِ، وأقوىٰ القُوَّةِ، وأمَرَهُ أنْ لا يكونَ من

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين، تشبيهاً له بهم، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم آستوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 هـ، فبويع في مسجد دمشق، وسكن الناس في أيامه، ولم تطل مدته، قيل: دس له السمّ وهو بدير سمعان من أرض المعرّة فتوفي به، ومدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى أشجّ بني أميّة رمحته دابّة وهو غلام فشجّته، وفي كتاب الإسلام والحضارة العربية: كانت طريقته في إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلاّ في أهم المهمات مما يشكل عليه أمره، رثاه الشريف الرضي بقصيدة، ولابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز، ومثله لعبدالله بن عبد الحكم، ولأحمد زكي صفوت: عمر بن عبد العزيز، ولعبد العزيز سيد الأهل: الخليفة الزاهد في سيرته. انظر في ترجمته: فوات الوفيات 105/2، تهذيب التهذيب 475/7، المحبر/27، حلية الأولياء 253/5 ـ 253، كامل ابن الأثير 22/5، تاريخ اليعقوبي 44/3، صفة الصفوة 63/2، تاريخ ابن خلدون 76/3، تاريخ الخميس 315/2، تاريخ الطبري 137/8، مروج الذهب 131/2، الأغاني 254/9، الإسلام والحضارة العربية 172/2، الأعلام 209/5.

(2) سبقت هذه الوصية منسوبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أوصىٰ بها سعد بن أبي وقاص لما وجهه إلى الشام، وقد أثبتها هنا لاختلاف يسير في الرواية، وأنّ التي هناك أطول من هذه. انظر الوصية المرقمة/43 وتخريجها، وتوضيح غامضها.

(3) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم/84 ـ 87، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/200، حلية الأولياء 253/5.

شيءٍ من عَدُوِّهِ أَشَدُّ احتراساً منه لِنَفسه ومَنْ معه من معاصي اللهِ، فإنَّ الذُّنوبَ أَخْوَفُ عندي على الناسِ من مَكيدة عَدُوِّهِمْ، وإنَّما نُعادي عَدُوَّنا ونُنْصَرُ عليهم بمعصِيَتِهِمْ، ولولا ذلك لم تَكُنْ لنا قوَّةٌ بهم، لأنَّ عَدُوَّنا ليس كَعَدُوِّهِمْ، ولا عُدَّتُنا كَعُدَّتِهِمْ، فلو استَوينا نَحْنُ وهُمْ في المعصِيَةِ كانوا أَفْضَلَ منَّا في القُوَّةِ والعَدَدِ، فإنْ لا تُنْصَرْ عليهِمْ بحَقِّنا، لا نَغْلِبُهُمْ بقوَّتنا، ولا تكونوا لعَداوةِ أَحَدٍ من الناس أَحْذَرَ منكم لذنوبكُم، ولا تكونوا بالقُدْرَةِ لكُمْ أَشَدَّ تعاهُداً منكُمْ لذُنوبِكُمْ.

وآعلمـوا أَنَّ مَعَكُم منَ اللهِ حَفَظَةً عليكُمْ يعلمـونَ مـا تفعلونَ في مَسـيرِكُمْ ومَنْزِلِكُمْ، فـاستَحيُوا مِنْهُمْ، واحسِنـوا صَحابَتَهُمْ، ولا تُؤذوهُمْ بمعاصي اللهِ وأنتُمْ زَعَمْتُم في سبيلِ اللهِ، ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنا شرٌّ منَّا فَلَنْ يُسَلَّطوا علينا وإن أَذْنَبنا، فرُبَّ قومٍ قد سُلِّط عليهِمْ شرٌّ منهُمْ بـذنوبِهِمْ، فآسألوا اللهَ العَوْنَ على أَنْفُسِكُمْ، كما تَسألونَه النَّصْرَ على عَدُوِّكُمْ، أسألُ اللهَ ذلك لنا ولَكُمْ.

وأمرهُ ان يَرْفُقَ بمَنْ معهُ في سَفَرِهم، ولا يُجَشِّمْهُمْ مَسيراً يُتْعِبُهُمْ فيه، ولا يُقَصِّرْ بهم عن مَنْزلٍ يَرْفُقُ بهم حتى يلْقوا عَدُوَّهُمْ؛ والسَّفَرُ لم يُنْقِصْ قُوَّتَهُمْ، فإنَّما يَسيرونَ إلى عَدُوٍّ مقيم جامٍّ الأُهْبَةِ والكُراعِ، فإنْ لا يرفُقوا بأنفُسِهِمْ وكُراعِهِمْ في مسيرهم يكُنْ لِعَدُوِّهِمْ فَضْلٌ في القُوَّةِ عليْهِمْ بإقامَتِهِمْ في جِمامِ الأَنْفُسِ والكُراعِ، واللهُ المستَعانُ.

وأمرَهُ أنْ يقيمَ ومَنْ مَعَهُ في كُلِّ جُمُعَةٍ يوماً ولَيْلَةً؛ يكونُ لهم راحةً يُجِمُّونَ فيها أَنْفُسَهُمْ وكُراعَهُمْ، ويُرِمُّونَ أَسْلِحَتَهُمْ وامتِعَتَهُمْ.

وأمَرَه أنْ يُنَحِّيَ مَنْزِلَهُ عَنْ قُرى الصُّلْحِ، فلا يَدْخُلها أَحَدٌ من أَصْحابه

لسُوقِهِمْ وجماعَتِهِمْ إلاّ مَنْ يَثِقُ بدينه وأمانَتِه على نَفْسه، ولا يُصيبوا منها ظلماً، ولا يَتَزَوَّدوا منها إثماً، ولا يُؤذوا أحداً من أهْلها بشيءٍ إلاّ بحَقٍّ فإنَّ لهُمْ حُرْمَةً وذِمَّةً ابْتُليتُمْ بالوفاءِ بها، كما ابْتُلوا بالصَّبْرِ عليها، فما صَبَروا لكُمْ فَفُوا لهُمْ، ولا تَسْتَنصِروا على أهْلِ أرْضِ الحَرْبِ بظُلْمِ أهْلِ ارضِ الصُّلْحِ، فلَعَمْري لقد أعطيتُم ممّا يَجِلُّ منهُمْ ما يغنيكُمْ عَنْهُمْ، فلمْ أتْرُكْ لكُمْ خَللاً في العُدَّةِ، ولا رِقَّةً في القُوَّةِ، فتظاهَرْتُ وآكْتَفْتُ لكُمْ العُدَدَ، وآنتَخَبْتُ لكُمُ الجُنْدَ، وأغْنَيْتُكَ بارضِ الشِّرْكِ عَنْ أرْضِ الصُّلحِ، وبَسَطتُ لكَ أفْضَلَ ما بَسَطتُ لغازٍ، فلمْ أجْعَلْ لكَ عِلَّةً في التَّقْوِيةِ، وباللهِ الثِّقَةُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ.

وأمرَهُ أن تكونَ عُيونُهُ في العَرَبِ، وممّن يطمئنُّ إلى نصيحته وصِدْقه، من أهْلِ الأرْضِ، فإنَّ الكَذوبَ لا يَنْفَعُ خَبَرُهُ؛ وإنْ صَدَقَ في بَعْضِه، وإن الغاشَّ عَيْنٌ عَلَيْكَ، وليسَ بعَيْنٍ لك. والسلامُ عليك.

114

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي بعض الأجناد، وقد كتب بذلك[1]:

أمّا بعد، فإني أوصيك بتقوىٰ الله، ولُزومِ طاعَتِه، والتَّمسُّكِ بأمره، والمعاهَدَةِ علىٰ ما حَمَلك اللهُ عزَّ وجَلَّ من دينِهِ، واستَحْفَظَكَ من كتابه، فإنَّ بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجَلَّ نجاةَ أولياء اللهِ عزَّ وجلَّ من سُخْطه، وبها تَحُقُّ لهُم ولايَتُهُ، وبها رافَقوا أنبياءَهُ، وبها نَضُرَتْ وُجوهُهُم، ونَظروا إلىٰ خالِقِهِمْ، وهي عِصمةٌ في الدُّنيا من الفِتَن، والمخرجُ من كُرَبِ يومِ القيامة، ولَنْ يَقْبَلَ مِمَّن بقي إلاّ مثلَ ما رَضيَ به عنْ مَن مضىٰ، ولمن بقيَ عِبْرَة فيمَن مضىٰ، وسُنَّةُ الله عزَّ وجَلَّ فيهم واحدة.

بادِرْ بنَفْسِكَ قبل أنْ يؤخَذَ بحَظْمِكَ، ويُخْلَصَ إليكَ كما خَلَصَ إلىٰ من كانَ قَبْلَكَ، فقد رأيتَ الناسَ كيف يموتونَ، وكيف يَتضرَّفون، ورأيت الموت كيف يُعَجِّلُ لتائبٍ توبَتَهُ، وذا الأهلِ أهْلَهُ، وذا السُّلطانِ سلطانه، وكفىٰ بالموتِ وَعْظَةً بالغَةً وشاغِلاً عَنِ الدُّنيا، ومَرغباً في الآخرةِ، فنعوذُ باللهِ عزَّ وجلَّ من شرِّ الموتِ وما بَعْدَهُ، ونَسْأَلُ اللهَ تعالىٰ خَيْرَهُ.

لا تَطْلُبَنَّ شيئاً من عَرَضِ الدُّنيا بِقَولٍ ولا فِعْلٍ تخافُ أنْ يَضُرَّ بآخِرَتِكَ، ويَزْرِي بدينِكَ، ويَمْقُتَكَ عليه رَبُّك.

---

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز/91 ـ 93 لابن الجوزي.

وآعلَمْ أنَّ القَدَرَ سيجري إليْكَ برِزْقِكَ ويُوافِيكَ أكْلَكَ من دُنياكَ غير مزيد فيه بحَولٍ منكَ ولا قُوَّةٍ، ولا منقوص منه بضَعْفٍ، إنِ ابتلاكَ اللهُ بفَقْرٍ فَتَعَفَّفْ في فَقْرِكَ، واعتَبِرْ بما قَسَمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لكَ من الإسلامِ، وما زُوِي عَنْكَ من نِعْمَةِ دُنياكَ، فإنَّ في الإسلامِ خَلَفاً من الذَّهَبِ والهفضَّةِ والدُّنيا الفانِية.

وآعلَمْ أنَّه لنْ يَضُر عَبداً صارَ إلى رِضوانِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإلى الجَنَّةِ ما أصابَهُ في الدُّنيا من فَقْرٍ وبَلاءٍ، وأنَّه لنْ ينفع عَبْداً صار إلى سُخْطِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإلى النارِ ما أصابَ في الدُّنيا من نعمةٍ ورَخاءٍ، وما يجِدُ أهْلُ الجَنَّةِ مَسَّ مكروهٍ أصابَهُمْ في الدُّنيا، وما يَجِدُ أهلُ النارِ طَعْمَ لذَّةٍ نَعِموا بها في دُنياهُمْ، كانَّ سائِرَ ذلك لم يكُنْ[2]، فمن كان راغباً في الجنَّةِ، أو هارِباً من النَّارِ، فالآنَ في هذه الأيّامِ الخالية والتوبةُ مقبولةٌ والذَّنْبُ مغفورٌ قبلَ نفاد الأجل وآنقضاء المدة، وفراغٍ من الله عزَّ وجلَّ للثَّقَلَيْنِ، ليدينَهم بأعمالِهِمْ في مَوْطنٍ لا تُقْبَلُ فيه الفِديةُ، ولا تنفعُ فيه الحيلةُ، تبرز فيه الخَفِيات، وتَبْطُلُ فيه الشَّفاعات، يَرِدُهُ الناس جميعاً بأعمالهم وينصرفونَ منه أشتاتاً إلى منازِلِهِمْ، فطوبى يومئذٍ لمَنْ أطاعَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ، ووَيْلٌ يومئذٍ لمَنْ عصى اللهَ عزَّ وجلَّ، فإنِ آبتلاكَ اللهُ بالغِنى فآقتصِدْ في غِناكَ وضَعْ للهِ نَفْسَكَ، وأدِّ للهِ عزَّ وجَلَّ فرائِضَ حَقِّه من مالِكَ وقُلْ عند ذلك ما قال العبدُ الصالِحُ: ﴿هذا من فَضْلِ ربِّي لِيَبْلُوَني أأشْكُرُ أمْ أكفُرُ، ومَنْ شكَرَ فإنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسه ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربِّي غَنِيٌّ كريمٌ﴾[3].

---

(2) من هذا الموضع وإلى نهاية الوصية، ورد أيضاً ضمن وصيته لابنه عبد الملك. انظر الوصية التي بعد هذه.

(3) الآية/40 سورة النمل.

وإياكَ أنْ تَفْخَرَ بطولكَ، وأنْ تَعْجَبَ بنَفْسِكَ، أو يُخَيَّلَ إليكَ أنَّ ما رُزِقْتَهُ لكرامَتِكَ على رَبِّكَ عَزَّ وجلَّ وتَفضيلُه إياكَ على غَيْرِكَ مِمَّن لم يُرْزَقْ مثلَ غِناكَ، فإذا أنْتَ أخطأتَ بابَ الشُّكْرِ، ونَزَلْتَ منازِلَ أهلِ الفَقْرِ، وكُنْتَ ممن أطغاهُ الغِنى، وتعجَّلَ طيِّباته في الدُّنيا، فإني أعِظُكَ بهذا، وإني لكثيرُ الإسرافِ على نفسي غيرُ مُحْكِمٍ لكثيرٍ من أمري، ولو أنَّ المرءَ لا يَعِظُ أخاهُ حتى يحكُمَ نفسَهُ، ويَعْمَلَ في الذي خُلِقَ له من عبادَةِ ربِّه عزَّ وجلَّ، إذاً لَتَواكَلَ النامُّ الخيرَ، وإذاً لَرُفِعَ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، وإذاً لاسْتُحِلَّتِ المحارِمُ وقلَّ الواعِظونَ والساعونَ للهِ عزَّ وجلَّ بالنَّصيحة في الأرضِ.

115

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي ابنه عبد الملك في العام الذي استخلف فيه وكان ابنه إذّاك في المدينة فكتب بها إليه[1]:

أمّا بعدُ، فإنَّ أحَقَّ مَنْ تعاهدت بالوصية والنّصيحة بعْدَ نفسي أنْتَ، وإنَّ أحَقَّ مَنْ وعىٰ ذلك وحفظه عني أنْتَ.

إنَّ الله لهُ الحمدُ قد أحْسَنَ إلينا إحساناً كثيراً بالغاً في لطيف امرنا وعامّته، وعلىٰ اللهِ إتمامُ ما غَبَرَ من النِّعْمَةِ، وإيّاه نَسألُ العَوْنَ علىٰ شُكْرها، فأذكُرْ فضلَ الله عليك وعلىٰ أبيك، ثمَّ أعِنْ أباكَ علىٰ ما قَوِيَ عليهِ، وعلىٰ ما ظَنَنْتَ أنَّ عنهُ فيه عجزاً عنِ العَملِ فيما أنعَمَ به عليه، وعليك في ذلك فراغُ نَفْسِك وشبابِكَ وصِحّتِكَ، وإنِ استطعتَ أنْ تُكثِرَ تَحْرِيكَ لسانِكَ بذكر اللهِ تحميداً وتسبيحاً، وتهليلاً فافعل، فإنَّ أحْسَنَ ما وَصَلْتَ به حديثاً حسناً حمد اللهِ وشُكْره، وإنَّ احسَنَ ما قطعتَ به حديثاً سيِّئاً حمد اللهِ وذِكرَهُ، فلا تَفتَتِن فيما أنْعَمَ اللهُ به عليكَ فيما عَسِيتَ أنْ تُقَرِّظَ به اباكَ فيما ليس فيه.

إنَّ اباكَ كانَ بينَ ظهري إخوتَه، يفضُلُ عليه الكبير، ويُدني دونه الصَّغيرَ، وإن كانَ اللهُ ولهُ الحمدُ قد رَزَقني من والدي حَسَباً جميلاً، كُنْتُ به راضياً، أرىٰ أفضل بِرِّهِ ولده عليَّ حَقًّا حتىٰ وُلِدْتَ، ووَلَدْتُ طائِفَةً من

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز/259 وما بعدها.

إخوَتِكَ، ولا أخرجُ بكم من المنزل الذي أنا فيه(*)، فمن كان راغِباً في الجنّة، وهارباً من النارِ، فالآنَ التّوبةُ مقبولة، والذنبُ مغفورٌ، قبل نفاد الأَجَل وانقضاء العَمَل، وفراغ من الله للمنقلبي ليدينهم(2) بأعمالهم في موضع لا تُقْبَلُ فيه الفِديَةُ، ولا تنْفَعُ فيه المَعْذِرَةُ، تَبْرُزُ فيه الخَفِيّاتُ، وتَبْطُلُ فيه الشّفاعاتُ، يَرُدُّهُ النّاسُ بأعمالهم، ويصدِرونَ عنه أشتاتاً إلى منازلهم(3)، فطوبى يومئذٍ لمَنْ أطاعَ الله، وويلٌ يومئذٍ لمن عصى الله.

فإنِ ابتلاكَ اللهُ بغِنى، فاقتَصِدْ في غِناك، وضَعْ للهِ نَفْسَكَ، وأدِّ إلى اللهِ فرائِضَ حَقِّه من مالك، وقُلْ كما قال العبدُ الصالِحُ: ﴿هذا من فَضْلِ ربّي ليَبْلُوَني أأشكُرُ أمْ أكفُرُ ومَنْ شكَرَ فإنّما يشكُرُ لِنَفْسِهِ ومَنْ كَفَرَ فإنّ ربّي غَنِيٌّ كريم﴾(4).

وإيّاكَ أنْ تَفْخَرَ بقولِكَ، وأنْ تُعْجَبَ بنَفْسِكَ، أو يُخَيَّلَ إليكَ أنّ ما رُزِقْتَهُ لكرامَةٍ لكَ على رَبِّكَ، وفضيلةٍ على مَنْ لم يُرزَقْ مِثْلَ غِناكَ، فإذا أنتَ أخطأتَ بابَ الشُّكرِ، وتَرَكْتَ منازِلَ أهلِ الفَقْرِ، وكُنْتَ ممّن طغى للغِنى، وتَعَجَّلَ طيِّباته في الحياة الدُّنيا، فإني لأَعِظُكَ بهذا، وإني لكثيرُ الإسرافِ على نَفسي، غيرُ مُحْكِمٍ لكثيرٍ من أمري، ولو أنّ المرءَ لم يعِظْ أخاهُ حتى يحْكُمَ أمرَ نَفْسِهِ، ويَعْمَلَ في الذي خُلِقَ له من عِبادَةِ رَبِّه، إذاً

(*) من هذا الموضع وإلى نهاية الوصية وردت ضمن وصيته لبعض الأجناد، انظر الوصية التي قبل هذه.

(2) المحاة إلى قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبونَ﴾ الآية/227 سورة الشعراء.

(3) إشارة إلى قوله تعالى ﴿يومئذٍ يصْدُرُ النّاسُ أشتاتاً ليُرَوا أعمالَهم﴾ الآية/6 سورة الزلزلة.

(4) الآية/40 سورة النمل.

لَتواكل الناسُ الخيرَ، وإذاً لَرُفِعَ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وقلّ الواعِظونَ والسّاعونَ للهِ بالنّصيحةِ في الأرْضِ[5] فللّه الحمدُ ربِّ السّماواتِ ورَبِّ الأرْضِ، ربِّ العالمينَ، ولهُ الكبرياءُ في السّماواتِ والأرضِ وهو العزيز الحكيمُ.

(5) من هذا الموضع وإلى النهاية ليس في الوصية السابقة.

116

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي سهل بن صدقة مؤدب ولده[1] وقد كتب له بذلك.

أمّا بعدُ، فإني اخترْتُكَ على عِلْمٍ منّي بكَ لتأديبِ وُلدي، فصَرَفْتُهُمْ إليك عن غيرِك من مواليَّ، وذوي الخاصة بي، فخذّلهم بالجَفاء، فهُوَ أمْعَنُ لاقدامِهِمْ، وتَرْكِ الصُّحْبَةِ فإنّ عادَتَها تُكسِبُ الغَفْلَةَ، وقِلّةَ الضَّحِك فإنّ كثرَتَهُ تميتُ القَلْبَ.

وليكُنْ أوّلُ ما يعتقدون من أدَبِكَ بغضُ الملاهي التي بِدؤها من الشّيطان، وعاقِبَتُها سُخْطُ الرّحمن، فإنّه بلغني عنِ الثقاتِ من أهل العِلم أنّ حُضور المعازِفِ وٱستِماعِ الأغاني، واللّهج بها يُنْبِتُ النِّفاقَ في القَلْبِ كما يُنْبِتُ العُشْبَ الماءُ، ولَعمري لتَوَقّي ذلك بتَركِ حُضورِ تِلْكَ المواطنِ أيسَرُ على الذِّهْنِ من الثّبوتِ على النِّفاق في قلبه، وهو حينَ يُفارِقُها لا يعتقد مما سمِعَتْ أُذُناه على شيءٍ ممّا يَنْتَفِعُ به.

ولْيَفْتَتِحْ كُلُّ غُلامٍ مِنْهُمْ بجُزءٍ من القرآن، يَتَثَبَّتُ في قراءته، فإذا فرغ تناول قوسَهُ ونَبْلَهُ، وخَرَجَ إلى الغَرضِ[2] حافياً، فرمى سَبْعَةَ أرشاقٍ ثمّ ٱنصَرَفَ إلى القائلةِ[3]، فإنّ ابنَ مسعود رضي الله عنه كان يقول: يا بَنِيَّ، قيلوا فإنّ الشّياطينَ لا تقيل.

---

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز/257 ـ 258.

(2) الغرض: الموضع الذي يوجه إليه الرامي سهمه، ويسمى الدريئة أيضاً.

(3) القائلة: النوم بعد صلاة الظهر.

117

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي عند مَوْته[1]:

لما حَضَرَتِ الوَفاةُ عُمَرَ بن عبد العزيز قيلَ له: أكتُبْ يا أميرَ المؤمنينَ إلىٰ يزيد بن عبد الملك[2] فأوْصِهِ بالأمْرِ، قال: وبما أوصيهِ؟ إني لأعْلَمُ انّه من بَني مَرْوان، ثمّ أمَرَ بالكتاب إليه:

امّا بَعْدُ، فأتقِ يا يزيدُ الصُّرَعَةَ علىٰ الغَفْلَةِ، فلا تُقالُ العَثْرَةُ، ولا تَقْدِرُ علىٰ الرَّجْعَةِ، وتَتْرُكُ ما تَتْرُكُهُ لِمَنْ لا يَحْمَدُكَ، وتَرْجِعُ إلىٰ مَنْ لا يَعْذِرُكَ.

---

(1) المعمرون والوصايا/164.

(2) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة 101 هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك، وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك، وانتصاره عليهم، وخرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله، مات في إربد من بلاد الأردن، أو بالجولان، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق فدفن فيها، كان يلقب بالقادر بصنع الله، ونقش خاتمه: فتى الشباب يا يزيد، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً. انظر في ترجمته: كامل ابن الأثير 5/45، النجوم الزاهرة 1/255، تاريخ اليعقوبي 3/52، الطبري 8/178، بلغة الظرفاء/25، رغبة الآمل 1/60 و6/181، الوزراء والكتاب/56 ـ 58، مرآة الجنان 1/224، معجم ما استعجم/950 و1097. الأعلام 9/239.

118

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي والياً[1]:

عَلَيْكَ بتَقْوىٰ اللهِ، فإنَّها جماعُ الدُّنيا والآخرةِ، وٱجعَلْ رَعِيَّتَكَ الكبيرَ مِنْهُمْ كالوَالِد، والوَسَطَ كالأَخِ، والصَّغيرَ كالوَلَدِ، فبِرُّ والدَكَ، وَصِلْ أخاكَ، وتَلَطَّفْ بوَلَدِكَ[2].

(1) محاضرات الأدباء 1/70.

(2) ما يشبه هذه الوصية نسبت إلى محمد الباقر يوصي بها عمر بن عبد العزيز. انظر الوصية المرقمة/191 غير أن هذه أزيد من تلك.

119

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي الجراح بن عبدالله الحكمي[1] قال[2]:

إنِ استَطَعْتَ أنْ تَدَعَ ممّا أحَلَّ اللهُ لكَ، ما يكُونُ حاجِزاً بينَكَ وبيْنَ ما حَرَّمَ اللهُ عليْكَ فافْعَلْ، فإنَّه مَنِ استَوعَبَ الحَلالَ كُلَّهُ تاقَتْ نَفْسُهُ إلى الحرامِ.

(1) الجراح بن عبدالله الحكمي، أبو عقبة، أمير خراسان، وأحد الأشراف الشجعان، دمشقي الأصل والمولد، ولي البصرة للحجاج، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وعزله لشدّةٍ بلغته عنه، فأقام إلى أن ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان، فانصرف إليها بجيش كثيف، وغزا الخزر وغيرهم، فاتح حصن بلنجر وحصوناً أخرى، ومات يزيد، فأقرّه هشام بن عبد الملك زمناً، ثم عزله سنة 108 هـ، وأعاده سنة 111 هـ، فانصرف إلى الغزو والفتح، فاستشهد غازياً بمرج أردبيل، قتله الخزر، ورثاه كثير من الشعراء، قال الزركلي: كان الجراح يد الله على خراسان كلها، حربها وصلاتها ومالها، وقال الواقدي: كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً، فبكوا عليه في كل جند. انظر: كامل ابن الأثير 5/58، الأعلام 2/106.

(2) البيان والتبيين 3/153.

120

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي بنيه عندما حضره الموت[1] قال[2]:

يا بَنِيَّ، إنّي قد تَرَكْتُكُمْ منَ اللهِ بخَيْرٍ، إنَّكُمْ لا تمرُّونَ على مُسْلمٍ ولا مُعاهدٍ إلاّ ولكم عليهِ حقٌّ واجِبٌ إن شاءَ اللهُ.

يا بَنيَّ، مَيَّلْتُ رأيي بينَ أنْ تَفْتَقِروا في الدُّنيا، وبينَ أنْ يدْخُلَ أبوكم النّارَ، فكانَ أنْ تَفْتَقِروا إلى آخِرِ الأبَدِ خيراً من دُخولِ أبيكُمْ يوماً واحداً في النّار. قوموا يا بَنيَّ، عَصَمَكُمُ اللهُ ورَزَقَكُمْ.

---

(1) ورد في مقدمة هذه الوصية، أنّ مسلمة بن عبد الملك دخل على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك فَطَمْتَ أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالةً، ولا بُدَّ من شيء يصلحهُم، فلو أوصيتَ بهم إليَّ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك، لكفيتُكَ مئونتهم إن شاء الله. فقال عمر: أجلسوني. فأجلسوه فقال:
الحمدُ لله، أباللهِ تُخَوِّفُني يا مَسْلَمَةُ! أمّا ما ذكرت من أني فَطَمْتُ أفواهَ ولدي عن هذا المال، وتركتُهم عالةً، فإني لم أمنعهم حقًّا هو لهم، ولم أعطِهِمْ حقًّا هو لِغَيْرِهم، وإنَّ ما سألتَ من الوصاة إليك، أو إلى نظرائِكَ من أهل بيتي، فإنَّ وصيتي بهم إلى الله الذي نزّل الكتابَ، وهو يتولى الصالحينَ، وإنما بنو عمر أحد رجلين، رجلٍ اتّقى الله، فجعل الله له من أمره يُسراً، ورَزَقَهُ من حيث لا يَحْتَسِبُ، ورجلٍ غيرِ وفجرٍ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه، أدعُوا لي بَنيَّ، فَدَعوهم، وهم يومئذٍ اثنا عشر غُلاماً، فجعل يُصَعِّد بصَرَهُ فيهم ويصوِّبه، حتى اغرورقت عيناه بالدمع، ثم قال: بنَفْسي فتيةٌ تركتُهُمْ ولا مال لهم!. يا بنيَّ... الوصية.

(2) العقد الفريد 2/280، سيرة عمرة بن عبد العزيز لابن الجوزي/280، جمهرة خطب العرب 2/213 ـ 214، المعمرون/164، باختلاف يسير جداً.

121

هشام بن عبد الملك[1] يوصي سليمان الكلبي مؤدب ولده[2]:

يا سُلَيْمانُ، قد بلغني عنكَ ما أُحِبُّ، وإذا بَلَغَني عَنْ أَحَدٍ من رَعِيَّتي مِثْلَ الذي بَلَغَني عَنْكَ أَسْرَعْتُ إليهِ بما يُحِبُّ، واستَعَنْتُ به على مُهِمِّ أمري.

وإنَّ محمد بن أميرِ المؤمنينَ بالمكانِ الذي بَلَغَكَ، وهُوَ جِلدَةُ ما بَيْنَ عَيْني، وإني أرْجو أنْ يَبْلُغَ اللهُ به أفضَلَ ما بَلَغَ باحدٍ من أهلِ بيته، وقد ولاكَ أميرُ المؤمنينَ تأديبَهُ وتعليمَهُ، ومآله، والنَّظرَ فيما يُصلِحُ اللهُ به أمْرَهُ.

فَعَلَيْكَ بتقوى اللهِ، وأداءِ الأمانَةِ فيه، فإنَّكَ تَقْصُدُ فيه بخِصالٍ لو لَمْ تَكُنْ إلاّ واحدةً، كُنْتَ قَمِناً[3] ألاّ تُضَيِّعَها، فكيْفَ إذا اجتَمَعَتْ؟

أمّا أوّلُها، فإنَّك مُؤتَمَنٌ عليْهِ، وحُقَّ لكَ أداءُ الأمانَةِ فيه، وأمّا الثانِيَةُ،

---

(1) هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105 هـ، نشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان الترك واستيلاء العرب على بعض بلاده، واجتمع في خزائنه من الأموال ما لم يجتمع لأحد من ملوك بني أمية في الشام. وبنى الرصافة على أربعة فراسخ من الرقة غرباً، وهي غير رصافة بغداد والبصرة، وكان يسكنها صيفاً وتوفي فيها، كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. ينظر عنه: كامل ابن الأثير 96/5، الطبري 283/8، تاريخ الخميس 318/2، تاريخ اليعقوبي 57/3، مروج الذهب 142/2 ـ 145، تاريخ الإسلام 170/5، الأعلام 84/9 ـ 85.

(2) المعمرون/137 وما بعدها، وبعضها في محاضرات الأدباء 29/1.

(3) أي كنت حَرِيًّا ألاّ تضيعها وجديراً بذلك.

فانا إمامٌ تَرْجوني وتَخافُني، وأمّا الثّالِثةُ، فكُلّما ارتَقَى الغُلامُ في الأُمورِ دَرَجَةً ارتَفَعْتَ مَعَهُ، ففي هذا ما يُرَغِّبُكَ فيما أوصيكَ به.

فادخُلْ عليْهِ في خاصّةِ أهْلِ القُرآنِ، وذَوي الأسنان، فإنّك مِنْهُمْ بينَ خَصْلَتَيْنِ، إمّا أنْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ كلاماً فيَعيهُ ويَحْفَظُهُ، فيكونُ لكَ صَوْنُه وذِكْرُهُ، وإمّا أنْ يراهُمُ النّاسُ يخرُجونَ من عندِهِ، فيرونَ أنّكُمْ على مِثْلِ ما هُمْ عليه.

ولا تُدْخِلْ عَليْه الفُسّاقَ، ولا شَرَبَةَ الخَمْرِ، فإنّكَ مِنْهُمْ بينَ خَصْلَتَيْنِ، إمّا أنْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ كلاماً قَبيحاً فيعِيهِ ويَحْفَظُه، ويأخذُ به، فتُريدُ تحويلَه عَنْ ذلكَ فلا تقدِرُ عليه، وإمّا أنْ يراهُمُ النّاسُ يَخْرجونَ من عندِكُمْ فيَرَوْنَ أنّكُمْ على مِثْلِ ما هُمْ عليه.

وانظُرْ إذا سَمِعْتَ منه الكلِمَةَ العَوراءَ، فلا تُؤنِّبْهُ بها فتَمْحَكَهُ[4]، ولكن احْفَظْها عليه، فإذا قامَ من مَجْلِسِه فانقُلْهُ إلى ما هُوَ أحْسَنُ منه، وإذا سَمِعْتَ منه الكَلِمَةَ المُعْجِبَةَ فَغُطِّنِ القومَ لها، فإنّهُمْ عسى ألاّ يكونوا فهِموها، وفَهِمْتَها باهتِمامكَ بها، حتى يقوموا وقد سَمِعوا منه كلاماً حَسناً، ويرونه عنه[5]، ويرفعونَه به.

وإذا حَضَرَ النّاسُ أبوابَكُمْ فعَجِّلوا أذْنَهُمْ، ثُمّ لِيَحْسُنْ بِشْرُكُمْ بهم، وأطيبوا للنّاسِ طعامَهُمْ، فإذا فَرَغُوا مِنَ الغَداء والعشاءِ، فمَنْ أحَبَّ القيامَ للحَديثِ من قِبَلِ نَفْسِهِ، ومَنْ انصَرَفَ إلى أهْلِه، فإنّ للناسِ حوائِجَ عِنْدَ زِيارَتِكُمْ.

---

(4) المماحكة: من المحك، تقول رجل محك إذا كان لجوجاً.

(5) هكذا ورد اللفظ في الأصل، ولعله: ويروونه عنه.

وإذا أعطَيْتُمْ أهْلَ القُرآنِ، وحَمَلَةَ العِلْمِ، وأهْلَ الفَضْلِ، فإنَّكُمْ تُؤجَرونَ على إعطائِهِمْ، إلاّ أنْ يكونَ في سببِ النَّجْدَةِ، أو وَسيلةٍ، فإنَّكُمْ مُلوكٌ، والنّاسُ سوقٌ[5] وإنّما تَسودونَ النّاسَ، ويطاوِنَ أعقابَكُمْ ببارِعِ الفَضْلِ ولينِ الجَناحِ. قال الشاعِرُ:

فإنَّكَ لنْ تَرَى طَرْداً لحُرٍّ ... كإلصاقٍ بهِ بَعْضَ الهوانِ
ولَمْ تَسْجِلِبْ مَوَدَّةَ ذي وَفاءٍ ... بِمِثْلِ البَذْلِ أو لُطْفِ اللسانِ

وخُذْهُ بعِلْمِ نَسَبِهِ في العَرَبِ، حتى لا يَخْفَى منه قليلٌ ولا كَثيرٌ، وعَلِّمْهُ منازِلَ القَمَرِ، وأنواعَ الخُطَبِ، ومواضِعَ الكلامِ، ومَعْرِفَةَ الجوابِ.

وإنْ هُوَ احْتَبَسَ عَنْ تأديبِهِ ومُرُوّاتِهِ، فأدخُلْ عليْهِ، وإنْ كانَ معَ أهْلِهِ في لحافِهِ حتى تَجُرَّ برِجلِهِ إلى ما يَنْفَعُهُ اللهُ به.

وإياكَ أنْ تَكْتُمَ عليْهِ، فيؤدي ذلك إليَّ غَيْرُكَ، فأُنزِلُ لكَ عمّا يسرُّكَ إلى ما يَضُرُّكَ.

ولا يَخْرُجَنَّ إلاّ مُعْتَمًّا، ولا يَرْكَبَنَّ مَحذوفاً[7]، ولا مَهلوباً[8]، ولا يُعْقَدَنَّ لهُ ذَنَبُ دابَّةٍ إلاّ من لَتَقٍ[9]، ولا يَرْكَبَنَّ سَرْجاً صغيراً فتَبْدو منه أليتاهُ كفعلِ الفُسّاقِ، ولا يسيرَنَّ مُتَلَفِّتاً ولا طامِحاً.

فخُذْهُ بهذه الخِصالِ، وزِدْهُ من عِنْدِكَ ما اسْتَطَعْتَ، فإنّي سأقيسُ عَقْلَهُ اليومَ وبَعْدَ اليومِ، فإنْ رأيْتُهُ قدِ ازدادَ خيراً إلى ما كانَ عليْهِ، رُؤِيَ

(5) أي الناس عامة لا يحملون من المسؤولية مثل ما نحمل.
(7) المحذوف من الخيل: الذي يتحرك جنبها أو عجزها في المشي، أو هي التي تداني خطوها.
(8) المهلوب: من الأضداد، وهي الفرس التي تقترب أو تبتعد من الحصان.
(9) اللتق: البلل.

فضلُ أميرِ المؤمنينَ عَلَيْكَ، وإنْ كانَتِ الأُخرىٰ، فلا تَلُمْ إلاّ نَفْسَكَ، وقَدْ أجْرَيْتُ عَلَيْكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ في كُلِّ شَهْرٍ سوىٰ كُسوَتِكَ وجائِزَتِكَ(٥).

(١٥) وردت الوصية في محاضرات الأدباء بهذه الصيغة:
إنّ أبني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوىٰ الله، وأداء الأمانة فيه بخلال، أولها أنّك مؤتمن عليه، والثانية أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلما ارتقىٰ الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه، وفي هذه الخلال ما يرغبك فيما أوصيك به.
إنّ أول ما آمرك به أنْ تأخُذَه بكتاب الله، وتُقْرِئَهُ في كُلِّ يومٍ عُشْراً، يحْفَظُهُ حِفْظَ رجل يريد التكسبَ به، ثمّ روِّه من الشعر أحْسَنَه، ثمّ تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، ويَصَّرِّفْهُ طرَفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلِسه كلّ يوم للناس ليتذكر.

وصايا العامة

122

أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو)[1] يوصي ابنته ليلةَ البناء بها[2]:

يا بُنَيَّة، كان النِّساءُ أَحَقَّ بأَدَبِكِ منّي، ولكن لا بُدَّ لي منه.

يا بنيَّة، إنَّ أطيبَ الطيبِ الماءُ، وأَحْسَنَ الحُسْنِ الدُّهْنُ، وأحلى الحَلاوة الكُحْلُ.

يا بُنَيَّة، لا تُكثري مباشَرَةَ زَوْجِكِ فَيملُّكِ، ولا تباعَدي عَنْه فيجفوكِ، ويَعْتَلَّ عَلَيْكِ، وكوني كما قُلْتُ لأُمِّك.

---

(1) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري البديهة والجواب، من التابعين، رسم له علي بن أبي طالب رضي الله عنه شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود، وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير، سكن البصرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وولي إمارتها في أيام علي رضي الله عنه، استخلفه عليها عبدالله بن عباس لما شخص إلى الحجاز، ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي رضي الله عنه، وكان قد شهد صفين معه، ولما تمّ الأمر لمعاوية قصده، فبالغ معاوية في إكرامه، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، مات بالبصرة نحو سنة 69 هـ. انظر في ترجمته: صبح الأعشى 3/161، وفيات الأعيان 1/240، الاصابة ترجمة/4322، تهذيب ابن عساكر 7/104، انباه الرواة 1/13، خزانة الأدب 1/136، الاعلام 3/340.

(2) المعمرون/147 ـ 148، عيون الأخبار 4/77، الأغاني 18/128 ثم قال بعد أن نسبها إلى أسماء بن خارجة الفزاري: وقيل: إنها لأبي الأسود الدؤلي وليس ذلك بصحيح، وهي في ديوان أبي الأسود/244 بتحقيق عبد الكريم الدجيلي، وكذلك هي في إحياء علوم الدين 2/33، وقد أضاف إلى الوصية بيتاً من الشعر هو الأخير فيما أثبتناه، وقد أخل كتاب المعمرين وعيون الأخبار بالبيتين الثالث والرابع من أبيات الوصية. وانظر أيضاً وصية أسماء بن خارجة الفزاري المرقمة 134 من هذا السفر وتخريجها هناك.

خُذي العفْوَ مِنّي تَستَديمي مَوَدَّتي ولا تَنْطقي في سَوْرَتي حينَ أَغْضَبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في الصَّدْرِ والأذى إذا اجتَمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ
ولا تَنْقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً فإنَّكِ لا تَدْرينَ كيفَ المُغَيَّبُ
ولا تُكْثِري الشكوى فَتَذْهَبَ بالهَوَى ويَاباكِ قَلْبي والقُلوبُ تُقَلَّبُ

123

أبو الأسود الدؤلي يوصي آبنَه[1]:

إذا بَسَطَ اللهُ لَكَ في الرِّزقِ فآبسُط، وإذا قَبَضَ فآقبضْ، ولا تجاودِ[2] اللهَ، فإنَّ اللهَ أجودُ مِنْكَ.

(1) البخلاء/29.

(2) أي لا تكون أكثر جوداً من الله، فإنك مهما فعلت فإنه سيغلبك بجوده.

124

ابو جَهم عامر أو عبيدة بن حذيفة العدوي[1] جاء إلىٰ مجلس لقريش وهو يومئذ ابن مئة سنة، فأوسعوا له عن صدر المجلس فقال:[2]

يا بَني اخي، انتم خيرٌ لكبيرِكُم من مَهْرَةَ لكبيرِهم. قالوا: وما شأنُ مَهْرَةَ وكبيرِهم؟ قال:

كانَ الرَّجُلُ منهم إذا أَسَنَّ وَضَعُفَ، آتاهُ آبنُه أو وَلِيُّه فعقله[3] بعقال ثُمَّ قال: قُمْ، فإنِ آستَتَمَّ قائِماً، وإلاَّ حَمَلَهُ إلىٰ مَجْلِس لَهُمْ يُجْرىٰ علىٰ أَحَدِهِمْ فيه رزقُه حتىٰ يموتُ، فجاء شابٌّ منهم إلىٰ أبيهِ، ففَعَلَ ذلك به فلَمْ يَسْتَتِمّ قائماً، فحَمَلَهُ، فقال:

يا بُنَيَّ، أينَ تَذْهَبُ بي؟ فقال: إلىٰ سُنَّةِ آبائِكَ. فقال: يا بُنَيَّ، لا تَفْعَل، فواللهِ لقَد كُنْتَ تمشي خلفي فما أَخلُفُكَ، وأماشيكَ فما ابذُّكَ[4]، وأسقيك الدُّوايةَ قائماً[5]. فقال: لا جَرَمَ، لا اذهَبُ بِك. فاتَّخَذته مهرة سُنَّةً.

---

(1) ابو جهم بن حذيفة: واسمه عامر او عبيد بن حذيفة بن غانم، من قريش من بني عدي بن كعب، احد المعمرين، أسلم يوم فتح مكة، واشترك في بناء الكعبة مرتين، الأولى في الجاهلية، والثانية حين بناها، ابن الزبير سنة 64 هـ، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان رضي الله عنه، توفي نحو سنة 70 هـ، انظر في ترجمته: نسب قريش/369، سمط اللآلئ/539، الاصابة كنىٰ ترجمة/206، التبين في أنساب القرشيين/391.

(2) المعمرون والوصايا/147.

(3) أصل العقل: أن يشد وضيف البعير إلىٰ ذراعه، وعقل الرجل شد ساقه إلىٰ فخذه.

(4) ابذُّك: أسبقك، يريد أنه كان يجعله نصب عينيه كي لا يعصيه أذىٰ.

(5) الدواية: اللبن. وقوله: أسقيك الدواية قائماً، أن العرب ترىٰ أنه إذا أسقي الغلام اللبن قائماً، كان ذلك أسرع لشبابه.

125

(أبو الدّرداء) عويمر بن مالك رضي الله عنه[1] يوصي أصحابَه[2]:

لا تكلّفوا من أمورِ النّاسِ ما لَمْ تُكلّفوا، ولا تحاسِبوهُمْ دونَ ربِّهِمْ تعالىٰ، آبنَ آدَمَ عليكَ نَفْسَكَ، فإنَّهُ مَنْ يُكْبِرْ تَتَبُّعَ النّاسِ لما يرىٰ في أيديهم يَطُلْ حُزْنُهُ، ويَكْثُرْ فِكْرُهُ، ولا يُشْفَىٰ غَيْظُهُ.

---

(1) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابيّ من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجراً في المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولمّا ظهر الإسلام اشتُهِرَ بالشجاعة والنسك، وفي الحديث: «عويمر حكيم أمتي»، وونِعْمَ الفارس عويمر»، وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول قاض بها. قال ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً، على عهد النبي ﷺ بلا خلاف، مات بالشام. انظر: الاصابة ترجمة/6119، الاستيعاب عن هامشها 15/3، حلية الأولياء 208/1، تاج العروس 346/2، غاية النهاية 606/1، صفة الصفوة 257/1، حسن الصحابة/218، تاريخ الإسلام 107/2، الكواكب الدرية 45/1. الاعلام 281/5، وقد اختلف في اسم أبيه فقيل: زيد أو عبدالله، أو ثعلبة أو عامر.

(2) لباب الآداب/16.

126

(أبو الدرداء) عويمر بن مالك، يوصي رَجُلاً[1] وقد طلب منه ذلك:

لا تأكُلْ إلاّ طَيِّباً، ولا تَكْسَبْ إلاّ طيِّباً، ولا تُدخِلْ بيتَكَ إلاّ طَيِّباً، وسَلِ اللهَ عزَّ وجَلَّ يَرْزُقْكَ يوماً بيومٍ، وإذا أصْبَحْتَ فاعدُدْ نَفْسَكَ من الأموات، فكأنَّكَ قد لَحِقْتَ بهِمْ، وهَبْ عِرضَكَ للهِ عزَّ وجلَّ، فمَنْ سَبَّكَ، أو شَتَمَكَ، او قاتَلَكَ فَدَعْهُ للهِ عَزَّ وجَلَّ، وإذا أسأتَ فاستغفِرِ اللهَ عزَّ وجلَّ.

---

(1) حلية الأولياء 1/222.

127

أبو الطُّحَان القَيني[1] يوصي آبنه[2]:

بُـنَـيَّ إذا مـا سـامَـكَ الـذُّلَّ قـاهِـرٌ
عَـزيـزٌ فَـبَـعضُ الـذُّلِّ أبـقـى وأحْـرَزُ
ولا تـحْـمَ مـن بَـعْضِ الأمـورِ تَـعَـزُّزاً
فـقـد يـورِثُ الـذُّلَّ الـطَّويـلَ الـتَّـعَـزُّزُ

(1) أبو الطمحان القيني، حنظلة بن شرقيّ، أحد بني القين، من قضاعة، شاعر فارس، معمر، عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، وأدرك الإسلام وأسلم، ولم ير النبي ﷺ، وقيل في اسمه ونسبه، ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر. توفي نحو سنة 30 هـ. وكنت قد قمت بجمع أشعاره، ودفعت بها إلى مجلة المورد العراقية، لنشرها، وعسى أن تصدر قريباً. انظر عنه: الأغاني 11/125، الاصابة 1/381، وسمط اللآلئ/332، أمالي المرتضى 1/185، الشعر والشعراء/145، خزانة البغدادي 3/426، تاريخ الشعراء الحضرميين 1/37.

128

أبو عبيدة عامر بن الجراح[1] لمّا طُعن[2] بالأردن، دعا من حضره من المسلمين فقال[3]:

إني أوصيكُم بوَصيَّةٍ، إنْ قبلتموها لَنْ تَزالوا بخير، وبعدها تهلكوا، اقيموا الصَّلاة، وآتُوا الزكاةَ، وصُوموا شهر رمضانَ، وحُجُّوا، واعتَمِروا، وتَواصَلوا، وانصحوا لأُمرائِكُمْ، ولا تُبغِضوهُمْ، ولا تُلهِكُمُ الدُّنيا، فإنَّ امْرأً لو عَمَّر ألفَ حَوْلٍ ما كانَ لهُ بدٌّ من أنْ يصيرَ إلى مِثْلِ مَصْرَعي هذا الذي تَرونَ.

إنَّ الله قد كَتَبَ الموتَ على بني آدمَ، فهُمْ مَيِّتونَ، وأكيَسُهُم أطوَعُهُم لِرَبِّه، وأعمَلُهُمْ ليومِ مَعادِه. والسلام عليكم.

---

(1) عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد، فاتح الديار الشاميَّة، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان لقبه أمين الأمة، ولد بمكة، وهو من السابقين الى الإسلام، وشهد المشاهد كلها، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتم له فتحها، وبلغ الفرات شرقاً، وآسيا الصغرى شمالاً، توفي في طاعون عمواس سنة 18 هـ. وعن رسول الله ﷺ: «لكل نبي أمين، وأميني أبو عبيدة بن الجراح»، انظر عنه: حلية الأولياء 1/100، البدء والتاريخ 5/87، تهذيب ابن عساكر 7/157، صفة الصفوة 1/142، تاريخ الإسلام 2/244، الاعلام 4/21.

(2) المعمرون والوصايا/162، فتوح الشام/240، وقد ورد بين روايتي المصدرين اختلاف طفيف جداً بالألفاظ لا يخل بالمعنى العام لها.

129

الأحنف بن قيس[1] يوصي أبا موسى الأشعري عند التحكيم[2]:

يا أبا موسى، إنَّ هذا مَسيرٌ له ما بَعْدَهُ، من عِزِّ الدُّنيا، او ذلِّها آخِرَ الدَّهْرِ، ادعُ القومَ إلى طاعَةِ عليٍّ، فإنْ أَبَوا فادعُهُمْ أنْ يختارَ أَهْلُ الشامِ من قُرَيْش العِراقِ مَنْ أَحَبُّوا، ويَخْتارُ أَهْلُ العراقِ من قُريشٍ الشام مَن أَحَبُّوا، وإياكَ إذا لقيتَ ابن العاص أنْ تُصافِحه بيَدٍ، وأن يُقْعِدَكَ على صدْرِ المَجْلِسِ، فإنَّها خديعة، وأن يضُمَّكَ وإيَّاهُ بيْتٌ، فيَكْمُن لكَ فيه الرِّجالُ،

---

(1) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرِّي السعدي المنقري التميمي، أبو بحر، سيد تميم، واحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة، وأدرك النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه في المدينة، فاستبقاه عمر، فمكث عاماً، وأذن له فعاد إلى البصرة، وشهد الفتوح في خراسان، ويقال إنه دخلها وتملك مدنها، فبدأ بالطبسين ثم هراة ومرو الشاهجان ونيسابور في مدة يسيرة، وهرب منه يزدجرد بن شهريار ملك الفرس إلى خاقان ملك الترك بما وراء النهر، واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع علي، ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه، فأغلظ له الأحنف في الجواب، فسئل معاوية عن صبره عليه فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب، وولي خراسان، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير أمير العراق، فوفد عليه بالكوفة فتوفي فيها وهو عنده. أخباره كثيرة جداً. والأحنف عند أغلب المؤرخين لقب له لحنف كان في رجله، أي اعوجاج. واختلفوا في اسمه، فقيل: الضحاك، وقيل: صخر. انظر عنه: ابن سعد 7/66، وفيات الأعيان 1/230، جمهرة أنساب العرب/206، معجم البلدان 3/409، تاريخ الخميس 2/309، تاريخ الإسلام 3/129، الاعلام 1/262 ـ 263.

(2) نهاية الأرب 3/239، الامامة والسياسة 1/116، شرح نهج البلاغة 1/16، جمهرة خطب العرب 1/388.

ودَعْهُ فلْيَتَكلَّمْ، لتكونَ عليه بالخِيارِ، فالبادئُ مُسْتَغْلَقٌ[3]، والمجيبُ ناطقٌ[4].

(3) أي أن البادئ في الكلام ليس له الخيار في ردّ ما قال.

(4) ورد في نهاية الوصية: فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف، وأشار به، فكان من الأمر ما كان، فلقيه الأحنف بعد ذلك، فقال له: أدْخَلَ والله قَدَمَيْكَ في خُفٍّ واحدة.
وقد ورد نص الوصية في الامامة والسياسة هكذا:
يا أبا موسى، إعرفْ خَطَّ هذا الأمر، واعلم أنّ له ما بَعْده، وإنَّك إنْ ضيَّعْتَ العراق، فلا عراق لك، فاتّقِ الله، فإنك تجمع بذلك دنيا وأخرى، وإذا لقيت عَمْراً غداً فلا تبادره بالسلام، فليس من أهله، ولا تعطه يدك فإنّها أمانة، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش، فإنّها خدعة، ولا تلقه إلا وحده، وإياك أن يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالاً، وإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فخيِّره أن يختار أهل العراق من قريش أهل الشام من شاءوا، فإنهم إنْ يولّوا الخيار يختاروا من يريدون، فإن أبى فلتختر أهل الشام من قريش أهل العراق من شاءوا، فإن فعلوا كان الأمر بيننا.

130

الأحنف بن قيس يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وفد إليه[1]:

يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ مَفاتيحَ الخيرِ بيَدِ اللهِ، والحِرْصُ قائدُ الحُرُماتِ، فاتَّقِ اللهَ فيما لا يُغني عنكَ يومَ القِيامَةِ قِيلاً ولا قالا.

واجعَلْ بينَكَ وبينَ رَعِيَّتِكَ مِنَ العَدْلِ والإنصافِ شيئاً يكفيكَ وِفادَةَ الوُفودِ، واستِماحَةَ المُحْتاجِ، فإنَّ كُلَّ امرىءٍ إنَّما يجمَعُ في دعائِه، إلاَّ الأقَلَّ مِمَّنْ عسى أنْ تَقْتَحِمَهُ الأعْيُنُ، وتَخونَهُمُ الألْسُنُ، فلا يوفَدُ إليكَ يا أميرَ المؤمنينَ.

---

(1) البيان والتبيين 2/147، نهاية الأرب 7/239، جمهرة خطب العرب 1/450.

131

الأحْنَف بن قيس يوصي قَومَهُ[1]:

يا بَني تميم، تحابُّوا تَجْتَمِعْ كَلِمَتُكُمْ، وتَباذَلوا تَعْتَدِلْ امورُكُمْ، وآبداوا بجهـادِ بـطونكُمْ وفُـروجِكُمْ، يَصْلُحْ لكم دينُكُمْ، ولا تَغُلُّوا يَسْلَمْ لَكُمْ جهادُكُمْ.

(1) البيان والتبيين 2/90، وفيه أن الأحنف قالها وهو في خراسان.

132

الأحنف بن قيس يوصي بني تميم[1]:

يا مَعْشَرَ بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفِتْنَةِ، فإنَّ أَسْرَعَ الناسِ إلى القتالِ أَقَلُّهُمْ حياءً مِنَ الفرارِ.

(1) البخلاء/21.

133

الأحنف بن قيس يوصي[1]:

إياكَ وَصَدْرَ ٱلمَجْلِسِ وإنْ صَدْرَكَ صاحِبُهُ، فإنّه مَجْلِسٌ قُلْعَةٌ[2].

(1) البيان والتبين 2/205.

(2) القلعة: الذي لا يدوم لصاحبه.

134

أسماء بن خارجة الفزاري[1] يوصي ابنته عنداً عند هدائها[2]:

يا بُنَيَّة، إنَّ الأُمهاتِ يؤَدِّبنَ البنات، وإنَّ أمَّكِ هَلَكَتْ وأنت صغيرَة، فعليكِ بأطيَبِ الطيبِ، الماءِ، وأحْسَنِ الحُسْنِ الكُحْلِ، وإيَّاكِ وكثرَةَ المعاتَبَةِ، فإنَّها قطيعَةٌ للوُدِّ، وإياكِ والغَيْرَةَ، فإنَّها مِفْتاحُ الطَّلاقِ، وكُوني لِزَوْجِك أَمَةً، يكُن لكِ عَبْداً، واعلمي أني القائلُ لأُمِّكِ[3]:

خُذي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي ... ولا تَنْطِقي في سَورتي حينَ أغضبُ
ولا تَنْقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تَدرينَ كيف المُغَيَّبُ
فإني وَجَدْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأذَى ... إذا اجْتَمَعا لَمْ يَلْبَثِ الحُبُّ يذهَبُ

---

(1) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق، كان سيِّد قومه، جواداً مقدَّماً عند الخلفاء. قال له عبد الملك بن مروان: بِمَ سُدْتَ الناسَ يا أسماء؟ فقال: هو من غيري أحسن، فعزم عليه فقال: ما سألني أحد حاجة إلاَّ رأيتُ له الفضل عليَّ. انظر عنه: فوات الوفيات 11/1، تاريخ الإسلام 372/2، النجوم الزاهرة 179/1، الكامل لابن الأثير حوادث سنة 66 هـ، الاعلام 299/1.

(2) الأغاني 128/18، البيان والتبيين 45/2.

(3) نسبت الأبيات إلى أبي الأسود الدؤلي، وهي في ديوانه. وانظر هوامش الوصية المرقمة/122 من هذا الجزء، فقد خرجنا النص هناك.

135

الأشعث بن قيس الكندي[1] يوصي بنيه[2]:

يـا بَنيَّ، لا تَذِلّـوا في أعراضِكُمْ وآنخَـدِعوا في أمـوالِكُم، ولْتَخِفْ بُطونكُمْ من أموالِ الناسِ، وظهورُكُمْ من دمائِهم، فإنَّ لكلّ آمرىءٍ تَبِعَةً، وإياكُمْ وما يعتَذَرُ منه او يُستَحْيَ، فإنّما يُعْتَذَرُ من ذَنْبٍ، ويُسْتَحْيَ من عَيْبٍ، وأصلحوا المالَ لِجَفْوَةِ السُّلطانِ، وتَغَيُّرِ الـزّمانِ، وكُفّـوا عند الحـاجَة عن المسألَةِ، فإنّه كَفَىٰ بالردِّ مَنْعاً، وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ حتىٰ يوافِقَ الرِّزقُ قَدَراً.

وآمنعوا النِّساء من غيرِ الأكفاءِ، فإنكُمْ أهلُ بيتٍ يتأسّىٰ بكم الكَريمُ، ويَتَشَرَّفُ بكُم اللئيمُ، وكونوا في عوامّ الناسِ ما لَمْ يضْطَرِبِ الحبلُ، فإذا آضْطَرَبَ الحبلُ فآلحَقوا بعشائِرِكُمْ.

---

(1) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد، كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النبي ﷺ بعد ظهور الإسلام في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه، ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، فتنحّىٰ والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت، فاستسلم الأشعث، وفتحت حضرموت عنوةً، وأرسل الأشعث موثوقاً إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليرىٰ فيه رأيه، فأطلقه وزوّجه أخته أم فروة، فأقام في المدينة، وشهد الوقائع، وأبلىٰ فيها بلاءً حسناً، ثم كان مع سعد بن أبي وقاص في حروبه في العراق، ومع عليّ رضي الله عنه في صفين، وكان معه في النهروان، وورد المدائن، ثم عاد إلى الكوفة وتوفي فيها سنة 40 هـ. ينظر عنه: تهذيب ابن عساكر 3/64، المؤتلف والمختلف/45، ثمار القلوب/69، خزانة البغدادي 2/465، الاعلام 1/334.

(2) العقد الفريد 3/154.

136

أم الأوقص المخزومي[1] توصي ابنها الأوقص[2]:

يا بُنَيَّ، إنَّكَ خُلِقْتَ خِلْقَةً لا تَصْلُحُ مَعَها لمجامَعَةِ الفِتيانِ في بيوتِ القِيانِ، إنَّكَ لا تكونُ مَعَ أَحَدٍ إلاَّ تَخَطَّتْكَ إليه العيونُ[3]، فعَلَيْكَ بالدِّينِ فإنَّهُ يَرْفَعُ الخَسيسَةَ، ويُتِمُّ النَّقيصَةَ[4].

---

(1) محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن يحيى بن هشام بن العاص، المعروف بالأوقص، المخزومي، كان على قضاء مكة أيام الخليفة المهدي. انظر عنه: نسب قريش/315، جمهرة ابن حزم/146، التبيين في أنساب القرشيين/329.

(2) عيون الأخبار 1/322، شرح مقامات الحريري 4/37، وقد سماه الأويقص بالتصغير، والعقد الفريد 3/169.

(3) قولها: إنك لا تكون مع أحد إلا تخطتك إليه العيون: سائط من رواة شرح مقامات الحريري. وتريد أنه كان دميم الخلقة.

(4) قال الأوقص: فنفعني الله بكلامها فبلغت القضاء.

137

تياذوق المتطبّب[1] يوصي الحجاج بن يوسف الثقفي[2] فقال[3]:

لا تَتزوَّج منَ النِّساء إلاّ شابَّةً، ولا تأكُلْ منَ اللحمِ إلاّ فَتِيّاً، ولا تأكُلْهُ حتىٰ يَنْعُمَ طبخُهُ، ولا تَشرَبَنَّ دواءً إلاّ منْ عِلَّةٍ، ولا تأكُلْ مِنَ الفاكِهَةِ إلاّ نَضيجَها، ولا تأكُلْ طعاماً إلاّ أَجَدْتَ مَضْغَهُ، وكُلْ ما أَحْبَبْتَ من الطَّعامِ وآشرَبْ عَلَيْهِ، وإذا شَرِبتَ؛ فلا تأكُلْ عليهِ شيئاً، ولا تَحْبِسِ الغائِطَ البَوْلَ، وإذا أَكَلْتَ بالنَّهارِ فنَمْ، وإذا أَكَلْتَ باللّيلِ فتَمَشَّى ولو مِئَةَ خُطوةٍ[4].

---

(1) تياذوق: طبيب مشهور في صدر الإسلام والدولة الأموية، اختُصَّ بالحجّاج بن يوسف الثقفي، فكان يثق به، ويعتمد عليه في مداواته. ينظر عنه: تاريخ الحكماء/105، طبقات الأطباء 1/121، وهو عند صاحب العقد الفريد (تياذوق).

(2) ورد في مقدمة هذه الوصية أنّ الحجاج بن يوسف قال لتياذوق: صِف لي صِفةً آخذُ بها في نفسي، ولا أعدوها. فقال تياذوق... الوصية.

(3) عيون الأخبار 3/270.

(4) في كتاب المخلاة/297 وصية نسبها لجالينوس يوصي ها بعض الملوك، وفي ألفاظها ما يشبه هذه الوصية، وقد جاء نصّها فيه هكذا:
لا تأكل بعد أن تشبع، ولا تطأ من النساء إلاّ شابة، ولا تأكُلْ من الفاكهة المُدْبِرة، ولا تقطع حظَّكَ من المشي، ولا تُجامع على شِبَع، وإذا تعشيتَ فأخطُ خُطُواتٍ، وإذا أردتَ النوم فاعرض نَفْسكَ على الخلاء، لم تحتج إلىٰ طبيبٍ أبداً.
وفي المستطرف 2/296 ورد ما نصّه: قال الحجاج لطبيبه: أخبرنا بجوامع الطب فقال: لا تنكح إلاّ فتاةً، ولا تأكُلْ من اللحم إلاّ فتيّاً، وإذا تغدّيتَ فنم، وإذا تعشيت فامشِ ولو على الشوك، ولا تدخل بطنك طعاماً حتىٰ تستمرئ ما فيه، ولا تأوِ إلىٰ فراشك حتىٰ تدخل الخلاء، وكُلْ الفاكهة في إقبالها، وذَرْها في إدبارِها.
وثمة رواية أخرىٰ في المستطرف 2/296 عزيت إلىٰ حكيم يوصي خليفته، ويعده إذا لزمها لا يمرض إلاّ مرض الموت. قال:
إياكَ أن تُدخِلَ طعاماً علىٰ طعامٍ، ولا تَمشِ حتىٰ تغيا، ولا تُجامع عجوزاً، ولا تدخل حماماً على شِبَع، وإذا جامعتَ فكن على حالٍ وسط من الغذاء، وعليك في كلّ أسبوع بفَيْئَةٍ، ولا تأكل الفاكهة إلاّ في أوانِ نُضجها، ولا تأكل القديد منَ اللحمِ، وإذا تغديت فنم، وإذا تعشيت فامشِ أربعينَ خطوةً، ونم علىٰ يسارِكَ لتقع الكبد على المعدة فينهضِمَ ما فيها، وتستريحَ الكبدُ من حرارة المَعِدَة، ولا تنم على يمينك فيطئ الهضم، ولا تأكُلْ بشهوة عينكَ بعد الشبع، ولا تنم ليلاً حتى تعرضَ نفسك علىٰ الخلاء إنِ أحتجتَ إلىٰ ذلك أو لم تحتج، واقعُدْ علىٰ الطعامِ وأنت تشتهيه، وقم عنه وأنت تشتهيه.

138

ثابت بن قيس بن شماس[1] يوصي بلال بن رباح[2] قال[3]:

إنّي أوصيك بوَصِيَّةٍ؛ فإياك أن تقولَ هـذا حُلُم فتضيِّعَها، إنّي لمّـا قُتِلْتُ بالأمسِ، جاء رَجُلٌ من ضاحية نجد؛ وعَليَّ دِرعي فأخذها، فأتىٰ بها مَنْزِلَهُ؛ فأكفأ عليهـا بُرمـةً، وجعل علىٰ البُرْمَة رحْـلاً، وخِباؤُه في أقصىٰ العَسْكَر إلىٰ جانبِ خِبائه فَـرَسٌ يَسْتَنُّ في طولِـه، فأتِ خـالد بن الـوليد فَخَبِّرْهُ؛ فلْيَبْعَثْ إلىٰ درعي فَلْيأخُذْها، وإذا قَدِمْتَ علىٰ خليفةِ رسول الله ﷺ فأخبِرْهُ أنَّ عَلَيَّ منَ الدَّينِ كذا، ولي مِنَ الدَّيْنِ كذا، وسعدٌ ومُبارِكٌ غُلاماي حُرّانِ، وإياكَ أن تقولَ: هذا حُلُم فَتُضَيِّعَهُ[4].

---

(1) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري، صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وفي الحديث: «نعم الرجل ثابت»، ودخل عليه النبي ﷺ وهو عليل، فقال: «أذهب البأس ربُّ الناسِ عن ثابت بن قيس بن شماس»، قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. ينظر عنه: صفة الصفوة 1/257، الاعلام 2/82.

(2) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله مؤذن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت ماله، من مولدي السراة، واحد السابقين للإسلام. وفي الحديث: «بلال سابق الحبشة»، وكان شديد السمرة، نحيفاً طوالاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك، وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم، وتوفي في دمشق. انظر عنه: طبقات ابن سعد 3/169، صفة الصفوة 1/171، حلية الأولياء 1/147، تاريخ الخميس 2/245، الاعلام 2/49.

(3) لباب الآداب/13 ـ 15، وقد أوردها ضمن خبر طويل اجتزأت منه ما له علاقة بالوصية. وقد رويت هذه القصة بأوجه مختلفة، وهي مطولة في المستدرك 3/235، وعنده من مثيلاتها كثير، وانظر أيضاً تفسير الطبري 26/75 ـ 76، والدر المنثور 6/84 ـ 86، وفي ترتيبها شيء من الاختلاف، وتاريخ الخميس 2/213، وقال: أُرِي رجل ولم يقل بلال.

(4) فلما أصبح بلال رحمه الله أتى خالداً رحمه الله فخبّره الخبر، فبعث خالد نفراً إلى الدرع، فوجدوها كما قال، فلما قدم بلال رحمه الله إلى المدينة، أتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه فأخبره بوصية ثابت بن قيس بن شماس رحمه الله فأجازها.

139

الحجاج بن يوسف الثقفي[1] يوصي[2]:

هذا ما أوصى به الحجّاج بن يوسف:

أوصى أنّه يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنّ مُحَمّداً عبدُهُ ورسولُه، وأنّه يؤمِنُ باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِهِ، ﴿لا نُفَرّقُ بينَ أَحَدٍ من رُسُلِهِ وقالوا سَمِعنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبّنا وإلَيْكَ المصيرُ﴾[3] لا نُفَرّقُ بينَ أَحَدٍ من خُلفاء اللهِ، ولا نَتّهِمُ اللهَ في قضائِهِ فيهم، هُم لي أولياءُ، وأنا لَهُمْ وَليٌّ في الدُّنيا والآخِرَةِ، مَنِ اتّهَمَ اللهَ على قضائِه فيهم أو نَكَثَ عَهْدَهُ أو

---

(1) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد داهية خطيب، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان، فكان في شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبدالله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، لم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إليه وقمع الثورة، وثبتت له الامارة عشرين سنة، وهو أول من ضرب درهماً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام وهي مدينة واسط، وأول من اتخذ المحامل، وأول من اتخذ المناظر بينه وبين قزوين، فكان إذا دخن أهل قزوين، دخنت المناظر إن كان نهاراً، وإن كان ليلاً أشعلوا نيراناً، فتجرد الخيل اليهم، فكانت هذه المناظر متصلة بين قزوين وواسط، وإن امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت يا حجاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك لبيك وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة. مات بواسط. وأخباره كثيرة جداً. وقد كتب عنه أكثر من واحد. انظر: معجم البلدان 382/8، وفيات الأعيان 123/1، مروج الذهب 103/2 ـ 119، تهذيب التهذيب/210، البدء والتاريخ 28/6، الاعلام 175/2.

(2) المعمرون/161 ـ 162.

(3) الآية/285 سورة البقرة.

عصاهُ؛ أو خَلَعَ عطاءَ اللهِ الذي ولأَهُم؛ فأنا لذلك عَدُوٌّ في الدنيا والآخرة، على هـذا أحيا، وعليـه أموتُ، وعَلَيْـه أُبْعَثُ، وبه أُخـاصَمُ، وأنَّ صـلاةَ الحجاجِ ونُسُكَهُ ومَحْياهُ ومماتَه للهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ لـهُ ﴿وبذلـك أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المسـلمين﴾[4].

(4) الآية/163 سورة الأنعام.

140

الحجاج بن يوسف الثّقفي يوصي معلم ولده[1]:

علِّمْ وُلْدِي السِّباحَةَ قَبْلَ الكِتابَةِ، فإنَّهُمْ يُصيبونَ[2] مَنْ يكتُبُ عَنْهُم، ولا يُصيبونَ مَن يَسْبَحُ عَنهُم.

(1) البيان والتبيين 2/183، وعيون الأخبار 2/166.

(2) في عيون الأخبار (يجدون) في موضع (يصيبون) في الموضعين.

141

الحسنُ بن عليّ رضي الله عنهما[1] يوصي ابنه[2]:

يا بُنَيَّ، لا تُخَلِّفْ وراءَكَ شيئاً مِنَ الدُّنيا، فإنَّكَ تُخَلِّفُه على رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ عَمِلَ بطاعَةِ اللهِ تعالى فَسَعُدَ بما شَقِيتَ به، ورَجُلٍ عَمِلَ بِمَعصِيَتِهِ فكُنْتَ عوناً لهُ على ذلك، ولَيْسَ أحَدٌ بحَقيق على أنْ تُؤثِرَهُ على نَفْسِكَ، أعْيَنُ الغَبنِ كَدُّك فيما نَفْعُهُ لغَيْرِك.

---

(1) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو محمد، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم، كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة، حج عشرين حجة ماشياً، دخل أصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ومعه عبدالله بن الزبير، وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة 40 هـ، فسار إلى الشام لمحاربة معاوية، والتقى الجمعان في موضع يقال له مسكن، فلما رأى تقارب الجيشين هاله أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية شروطاً للصلح، فأجابه إليها معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة 41 هـ في هام سنّي عام الجمعة، لاجتماع كلمة المسلمين. فيه. وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة حيث أقام فيها إلى أن توفي مسموماً في قول بعضهم. وأخباره كثيرة. انظر: تهذيب التهذيب 2/295، الاصابة 1/328، تاريخ اليعقوبي 2/191، تهذيب ابن عساكر 4/199، مقاتل الطالبيين/31، حلية الأولياء 2/35، صفة الصفوة 1/319، الأعلام 2/214 ـ 215.

(2) محاضرات الأدباء 1/203.

142

الحسن بن علي رضي الله عنه يوصي أخاه الحسين لمّا حضره الموت[1]:

يا أخي، إنَّ أباكَ رَحِمَهُ الله لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحِبَه، فصَرَفها اللهُ عَنْهُ، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاةُ؛ تشرَّفَ لها أيضاً، فصُرِفَتْ عنه إلىٰ عُمَرَ، فلمّا احتُضِرَ عمرُ جعلها شورىٰ بين سِتَّةٍ هو أحدُهُمْ، فلم يَشُكَّ أنّها لا تعدوه، فصُرِفَتْ عنه إلىٰ عثمان، فلمّا هلكَ عثمان، بويِعَ ثمّ نوزِعَ حتّىٰ جَرَّدَ السَّيْفَ وطلبها، فما صَفِيَ له شيءٌ منها، وإنّي واللهِ ما أرىٰ أن يجمع الله فينا أَهْلَ البيتِ النبوَّةَ والخِلافَة، ولأعرفَنَّ ما استَخَفَّكَ سُفهاءُ الكوفة فأخرجوكَ[2].

وقد كنت طَلَبْتُ إلىٰ عائِشَةَ إذا مِتُّ أنْ أدفَنَ في بَيْتِها مَعَ رسول اللهِ ﷺ، فقالت: نعم، وإنّي لا أدري لعلَّه كانَ ذلك منها حَياءً، فإذا أنا مِتُّ فاطلُبْ ذلك إليها، فإنْ طابت نفسها فادفِنّي في بيتها، وما أظُنُّ إلاّ القومَ

(1) تاريخ الخميس 2/293، التبيين في أنساب القرشيين/108.
(2) إلىٰ هذا الموضع تنتهي رواية التبيين في أنساب القرشيين. وقد زاد عليها قوله: وروي أنه قال فإنهم قتلوا أباك، وخذلوا أخاك.

سَيَمنَعوك إذا أَرَدْتَ ذلك، فإنْ فَعَلوا فلا تُراجِعْهُم في ذلك، وآدفِنّي في بقيع الغَرْقَد، فإنَّ لي بِمَنْ فيهِ أسوةً[3].

(3) فلما توفي الحسن رضي الله عنه، أتى الحسين عائشة يطلب ذلك إليها، فقالت: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان فقال: والله لا يدفن هناك أبداً، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، ويريدون دفن حسن في بيت عائشة؟ وكادت تقع واقعة لولا أن تدخل أبو هريرة رضي الله عنه وأقنع الحسين عليه السلام بالعدول عن الأمر. فدفنه ببقيع الغرقد إلى جوار أمه فاطمة رضي الله عنها.

143

الحسن بن علي رضي الله عنهما يوصي آبنه[1]:

يا بُنَيَّ، إذا جالَسْتَ العُلَماءَ، فكُنْ على أنْ تَسمَعَ أحرصَ مِنْكَ على أنْ تقولَ، وتعلَّم حُسْنَ الإستِماعِ كما تتعلَّمُ حُسْنَ الصَّمْتِ[2] ولا تَقْطَعْ على أَحَدٍ حديثاً وإن طالَ حتى يمسك[3].

(1) أمالي القالي 1/288، البيان والتبيين 2/299.
(2) في البيان والتبيين (القول) بدل (الصمت).
(3) قول الموصي: وإن طال حتى يمسك. ساقط من رواية البيان والتبيين.

144

الحسنُ بن أبي الحسن ٱلبَصري[1] يوصي الخليفة عمر بن عبد العزيز[2] وقد طلب منه ذلك[3]:

إعلَمْ يا أميرَ المؤمنينَ أنَّ اللهَ جعلَ الإمامَ العادلَ قِوامَ كُلِّ مائل، وقَصْدَ كُلِّ جائرٍ، وصَلاحَ كُلِّ فاسدٍ، وقُوَّةَ كُلِّ ضَعيفٍ، ونَصَفَةَ كُلِّ مَظلومٍ، ومَفْزَعَ كُلِّ مَلْهوفٍ.

والإمامُ العادِلُ يا أمير المؤمنين كالراعي الشَّفيقِ على إبله، والحازمِ الرَّفيقِ الذي يَرْتادُ لها أطيبَ المراعي، ويذودُها عن مراتعِ الهلكة، ويَحميها منَ السِّباعِ، ويكنِفُها من أذى الحرِّ والقَرِّ.

والإمامُ العادِلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالأبِ الحاني على وَلَدِه، يَسْعَى لَهُمْ صِغاراً، ويُعَلِّمُهُمْ كِباراً، يَكْسِبُ لَهُمْ في حياته، ويَدَّخِرُ لَهُمْ بعدَ وَفاته.

والإمامُ العادِلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالأُمِّ الشَّفيقَةِ البَرَّةِ الرَّفيقَةِ بوَلَدها

---

(1) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، ونشب في كنف علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم. أخباره كثيرة، توفي بالبصرة سنة 110 هـ. انظر عنه: ميزان الاعتدال 1/254، حلية الأولياء 2/131، أمالي المرتضى 1/106، الأعلام 2/242.

(2) عمر بن عبد العزيز: سبقت ترجمته.

(3) نهاية الأرب 6/37 ـ 39، العقد الفريد 1/14.

﴿حَمَلَتْهُ كُرْهاً ووَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾[4]، وَرَبَّتْهُ طِفْلاً، تَسْهَرُ لِسَهَرِهِ، وتَسْكُنُ لسُكونه، وتُرضِعُه تارَةً، وتُفْطِمُه أُخرى، وتَفْرَحُ بعافِيَته، وتَغْتَمُّ بشِكايَته.

والإمامُ العادِلُ يا أميرَ المؤمنينَ وصِيُّ اليَتامى، وخازِنُ المساكينِ، يُرَبّي صَغيرَهُم، ويُمَوِّنُ كبيرَهُمْ.

والإمامُ العادِلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالقَلْبِ بينَ الجوارِحِ، تَصْلُحُ الجَوارِحُ بصَلاحِهِ، وتَفْسُدُ بفسادِهِ.

والإمامُ العادِلُ يا أميرَ المؤمنينَ؛ هو القائمُ بينَ اللهِ وبينَ عِباده، يَسْمَعُ كلامَ اللهِ ويُسْمِعُهُمْ، ويَنْظُرُ إلى اللهِ ويُريهِمْ، ويَنْقادُ للهِ ويَقودُهُمْ، فلا تَكُنْ يا أميرَ المؤمنينَ فيما مَلَّكَكَ اللهُ كَعَبْدٍ ائْتَمَنَهُ سَيِّدُهُ واسْتَحفَظَهُ مالَهُ، وعِيالَه، فبَدَّدَ المالَ، وشَرَّدَ العِيالَ، فأفقَرَ اهلَهُ، وأهلك مالَه.

واعلَمْ يا أميرَ المؤمنينَ أنَّ اللهَ أنزلَ الحدودَ ليَزْجُرَ بها عَنِ الخبائث والفواحش، فكيفَ إذا أتاها مَنْ يَلِيَها! وانَّ اللهَ انزَلَ القِصاصَ حياةً لعِباده، فكيفَ إذا قَتَلَهمْ من يَقْتَصُّ لَهُمْ!

واذكُرْ يا أميرَ المؤمنينَ الموتَ وما بَعْدَهُ، وقِلَّةَ اشياعِكَ عِنْدَهُ، وانصارِكَ عَلَيْه، فَتَزَوَّدْ لهُ وما بَعْدَهُ مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ.

واعلَمْ يا أميرَ المؤمنينَ أنَّ لكَ مَنْزِلاً غَيْرَ مَنْزِلِك الذي انتَ به، يطولُ فيه ثَواؤُكَ، ويُفارِقُكَ احِبّاؤُكَ، ويُسلِمونَك في قَعرِهِ فريداً وَحيداً، فَتَزَوَّدْ لَهُ ما يَصْحَبُكَ ﴿يوم يَفِرُّ المرءُ من أخيه وأُمِّه وأبيهِ وصاحِبَته وبنيهِ﴾[5].

واذكُرْ يا أميرَ المؤمنينَ ﴿إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ وحُصِّلَ ما في

(4) الآية/15 سورة الأحقاف. وهو (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً).
(5) الآية/36 سورة عَبَس.

الصُّدورِ﴾[6]، فالأسرارُ ظاهِرَةٌ، والكتابُ ﴿لا يغادِرُ صغيرةً ولا كبيرَةً، إلاّ أحصاها﴾[7].

فالآنَ يا أميرَ المؤمنينَ، وأنتَ في مَهَلٍ قبلَ حلولِ الأجَل، وانقِطاعِ الأمَلِ، لا تحكُمْ يا أميرَ المؤمنينَ في عبادِ اللهِ بحُكْمِ الجاهليّنَ، ولا تَسْلُكْ بهم سبيلَ الظالمينَ، ولا تُسَلِّطِ المستكبرينَ على المُستَضْعَفينَ، فإنّهم ﴿لا يَرقُبونَ في مُؤمِنٍ إلاً ولا ذِمّةً﴾[8]، فتبوءَ بأوزارِكَ وأوزارٍ مع أوزارِكَ، وتَحْمِلَ أثقالَكَ وأثقالاً مَعَ أثقالِكَ.

ولا يَغُرَّنَّكَ الذينَ يَنْعَمونَ بما فيه بؤسُكَ، ويأكلونَ الطَّيِّباتِ من دُنياهُمْ باذهابِ طيِّباتِكَ في آخِرَتِكَ.

ولا تَنْظُرَنَّ إلى قُدْرِكَ اليومَ، ولكنِ انْظُرْ إلى قَدْرِكَ غداً وأنتَ مأسورٌ في حَبائِلِ الموتِ، وموقوفٌ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى في مَجْمَعِ الملائِكَةِ والمُرْسَلينَ، وقد عَنَتِ الوجوهُ للحَيِّ القَيّومِ.

إنّي يا أميرَ المؤمنينَ إنْ لَمْ أبلُغْ في عِظَتي ما بَلَغَهُ أولو النُّهى قبلي، فلم آلُكَ شَفَقَةً ونُصْحاً، فانزِلْ كتابي هذا إليك كمداوي حبيبِهِ يَسْقيهِ الأدويَةَ الكريهةَ لما يَرْجو لهُ بذلكَ منَ العافيةِ والصِّحَّةِ. والسلامُ عليك يا أميرَ المؤمنينَ ورحمة اللهِ وبركاتُه.

---

(6) الآية/10 سورة العاديات.
(7) الآية/49 سورة الكهف.
(8) الآية/10 سورة التوبة.

145

الحطيئة[1] جرول بن أوس لما حضرته الوفاة، أكتنفه أهله وبنو عَمِّه، فقيل له: يا حُطَيء أوصِ، قال[2]:

وبِمَ أوصي؟ مالي بينَ بَنِيَّ، قالوا: قد علمنا أنَّ مالكَ بين بنيكَ فأوصِ، فقال: ويل للشِّعر من رواية السُّوء، فأرسلها مَثلاً، فقالوا: أوصِ، فقال: أخبِروا أهْلَ ضابئ بن الحارث[3] أنَّه كان شاعراً حيث يقولُ:

لِكُلِّ جَديدٍ لذَّةٌ غيرَ أنَّني ... وَجَدْتُ جَديدَ الموتِ غَيْرَ لذيذِ

---

(1) الحطيئة: جرول بن أوس بن مالك العَبْسي أبو مُليكة، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هَجّاءً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذاً تموت عيالي جوعاً. له ديوان شعر مطبوع. ينظر عنه: فوات الوفيات 1/99، الأغاني 2/157، شرح الشواهد الكبرى/163، الشعر والشعراء/110، خزانة البغدادي 1/409، وفيها أنه عاش إلى زمن معاوية.

(2) مجمع الأمثال 2/223، وقسم منها في المعمرين/134 ـ 135.

(3) ضابئ بن الحارث بن أرطاة التميمي البرجمي، شاعر خبيث اللسان، كثير الشر، عرف في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فعاش بالمدينة إلى أيام عثمان رضي الله عنه، وكان مولعاً بالصيد، وله خيل، وكان ضعيف البصر، سجنه عثمان رضي الله عنه لقتله صبياً بدابته، ولم ينفعه الاعتذار بضعف بصره، ولما انطلق هجا قوماً من بني نهشل، فأعيد إلى السجن، وعرض السجناء يوماً، فإذا هو قد أعدَّ سكيناً في نعله يريد أن يغتال عثمان رضي الله عنه، فلم يزل في السجن إلى أن مات. انظر المعاني الكبير/375 و755 و763، طبقات الشعراء/40، معاهد التنصيص 1/186، الشعر والشعراء/226، خزانة البغدادي 4/80، رغبة الأمل 3/201، الأعلام 3/305.

ثمّ قال: لا تُراجِنّ على الصَّعْبَةِ، ولا تُنْشِدِ القريضَ[4]، فارسلها مثلاً، قال الميداني: وفي بعض الروايات أنه قيل له: يا أبا مُليكَةَ أوصِهِ: قال: مالي للذكورِ دونَ الإناثِ، قالوا: إنَّ الله لم يأمُرْ بذا، قال: فإني آمرُ، قالوا: أوصِه، قال: أخبروا آلَ الشَّماخ أنَّ اخاهم أشعَرُ العَرَبِ حيثُ يقولُ[5]:

وظَلَّتْ بـاعـرافٍ صِيـامـاً كـأنّهـا رِماحٌ نَحاها وُجْهَةُ الـرِّيحِ راكِـزُ

قالوا: أوصِه فإنَّ هـذا لا يُغني عَنْكَ شيئاً، قال: أبلِغوا كِنْدَةَ أنَّ اخاهُم أشعَرُ العَرَبِ حيْثُ يقول[6]:

فيـا لَـكَ من لَيْـلٍ كـأنَّ نُجـومَـهُ بـامـراسِ كَتّـانٍ إلى صُـمِّ جَنْـدَلِ

قالوا: أوصِه، فإنَّ هذا لا يغني عنك شيئاً، قال: أخبروا الأنصارَ أنَّ اخاهم امدَحُ العَرَبِ حيثُ يقول[7]:

---

(4) لا تُراجِن على الصحبة ولا تنشد القريض: جار مجرى المثل، انظر مجمع الأمثال 2/223.

(5) هو الشمّاخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان، وأخباره كثيرة. قيل: إن اسمه معقل بن ضرار والشماخ لقب له. انظر: الاصابة ترجمة/3913، الأغاني 8/101، الخزانة 1/526، المحبّر/381، المؤتلف والمختلف/203، الاعلام 3/252 ـ 253.

(6) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، واحد من أصحاب المطولات المعروفين في الجاهلية. وهو أولهم. والذي يبدو أن خلطاً قد حصل في رواية شطر البيت وعجزه، إذ إن صدر البيت من مطوله وروايته فيها:

فيـا لَـكَ من لَيْـلٍ كـأنَّ نجـومَـهُ بكلِّ مغار الفتلِ شُدَّت بيذبُلِ

وعجز البيت من نفس مطوله وروايته فيها:

كـأنَّ الثـريـا عُلِّقت في مَصـايِهـا بـامـراسِ كَتّـانٍ إلى صم جَنْـدَلِ

ينظر شرح المعلقات للتبريزي أو ابن النحاس.

(7) هو حسان بن ثابت الأنصاري، شاعر الرسول ﷺ. وهوُ شاعر مشهور معروف بشعره الذي وقف به مدافعاً عن رسول الله وما جاء به من عند الله.

يُغْشَـونَ حتّى مـا تَهِـرُّ كِـلابُهُـم لا يسـألـونَ عَنِ السَّـوادِ المُقْبِـلِ

قالوا: اوصِه فإنَّ هذا لا يُغني عَنْكَ شيئاً، قال: أوصيكُمْ بـالشِّعرِ خَيْراً، ثم انشا يقول:(8)

الشِّعـرُ صَعْبٌ وَطَـويـلٌ سُلَّمُـه إذا ارْتَقـى إلـى الـذي لا يَعْلَمُـه
زَلَّتْ بـه إلى الحَضيضِ قَـدَمُـه والشِّعـرُ لا يُـعطيـهُ مَنْ يَـظْلِمُـه
يـريـدُ انْ يُعـرِبَـهُ فَيُـعجِـمُـه ولَمْ يـزلْ من حيثُ يـأتي يَخْـرِمُـه

مَنْ يَسمِ الأعداءَ يَبْقَى مَيْسَمُه

قالوا: اوصِه فإنَّ هذا لا يُغني عنْكَ شيئاً، قال(9):

قـد كُنْتُ احيانـاً شديـدَ المعتَمَدْ وكُنْتُ احيـانـاً على خَصمي ألَـدّ

قد وَرَدَتْ نفسي وما كانَتْ تَرِدْ

قـالوا: أوصِـه فإنَّ هـذا لا يغني عنك شيئـاً، قال: واجَـزَعاه على المديحِ الجيِّد يُمدَحُ به من لَيْسَ من اهله. قالوا: أوصِه فإنَّ هذا لا يُغني عنك شيئاً، فبكى، قالوا: وما يبكيكَ؟ قال: أبكي الشعر الجيِّدَ من روايةِ السوءِ، قالوا: أوصِ للمـساكينِ بشيء قـال: أوصيهم بالمـسألةِ، وأوصي الناسَ ان لا يُعطوهم، قالوا: اعتق غُلامَكَ فإنَّه قد رعى عليك ثلاثينَ سنةً، قـال: هـو عَبْـدٌ مـا بقِيَ على الأرض عَبْـسِيٌّ، ثم قـال: آحملوني على حماري، ودوروا بي حول هذا التلِّ، فإنَّه لم يَمُت على الحمـارِ كريمٌ،

---

(8) ديوان الحطيئة/
(9) الديوان/

فعسى ربّي أن يَرْحَمَني، فحمله أبناه وأخذا بضبعيهِ[10]، ثم جعلا يسوقانِ الحمارَ حولَ التلّ وهو يقولُ[11]:

قد عَجّلَ الدَّهْرُ والأحداثُ يُتْمَكُما ... فاستَغنيا بوَشيكٍ إنّني عانِ
ودَلّيانِيَ في غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ ... كما تُدَلّى دِلاءٌ بينَ أشطانِ

قالوا: يا أبا مُليكَةَ مَنْ أشعَرُ العربِ؟ قال: هذا الجُحَيْرُ إذا طَمع بخيرٍ وأشارَ إلى فيه بيده. وكانَ آخِرَ كلامه فماتَ[12]:

---

(10) الضبعان: مثنى ضبع وهو العضد.

(11) الديوان/

(12) أما رواية المعمرين فقد وردت هكذا:
لما حضر الحطيئة الوفاة، قيل له: أوصه. قال: ويلٌ للشعر من راوية السوء، قيل: اوصه. قال: أخبروا آل شماخ بن ضرار أنه أشعر العرب، قالوا: أوصه، قال: بماذا؟ قالوا: في مالِكَ، فإنّه كثير، قال: هو لذكور ولدي دون النساء، قالوا: ليس كذلك قال الله عزّ وجلّ: قال: لكن أنا أقوله. قالوا: أوصه. قال: بماذا؟ قالوا: عبدُك هذا قد طالت صحبتُه. قال: أشهدوا أنه عبد ما بقي على الأرض عبسيّ، ثم قال: أحملوني على حمار، فإنه بلغني أنّ الكريم لا يموتُ على حمارٍ، فحمل عليه، فمات.

146

خالد بن سعيد بن العاص[1] يوصي أبا بكر الصديق رضي الله عنه[2] فقال[3]:

يا أبا بكرٍ، إنَّ الله أكرمَنا وإياكَ والمُسْلمينَ طُرًّا بهذا الدين، فأَحَقُّ مَنْ اقامَ السُّنَّةَ، وأماتَ البِدْعَةَ، وعَدَلَ في السِّيرَةِ، الوالي على الرَّعِيَّةِ، وكُلُّ آمرىءٍ من أهْلِ هذا الدينِ مَحْقوقٌ بالإحسانِ، ومَعْدَلَةُ الوالي أعمُّ نَفْعاً،

---

(1) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي من الولاة الغُزاة، قديم الإسلام أسلم ورسول الله ﷺ يبثّ الدعوة للدين سرًّا، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ يصلي معه في نواحي مكة خالياً، فبلغ ذلك أبا أحيحة (وكان من خصوم الإسلام الأشداء، وهو أبوه، فدعاه وكلمه في أن يدع ما هو عليه فأبى، فضربه أبو احيحة بعصاً كانت في يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه بمكة وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر، ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنة وعاد سنة 7 للهجرة، فغزا مع النبي ﷺ ، وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك، وكان يكتب للنبي ﷺ بمكة والمدينة، وهو الذي خط كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف، ومشى بالصلح بينهم وبين النبي ﷺ ، ثم بعثه رسول الله ﷺ عاملاً على اليمن، فأقام إلى أن استخلف أبو بكر فعزله عن اليمن ودعاه إليه، فجاءه، وخرج مجاهداً فشهد فتح أجنادين قرب الرملة في فلسطين سنة 13 هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفّر قرب دمشق فقتل فيها. ينظر عنه: طبقات ابن سعد 4/67، الاصابة 1/406، البدء والتاريخ 5/59، التبيين في أنساب القرشيين/158، الاعلام 2/337.

(2) ورد في مقدمة الوصية أن خالد بن سعيد بن العاص أراد أن يغدو سائراً إلى الشام، فلبس سلاحه، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم، وهم عمرو والحكم وابان، وغلمته ومواليه، ثم أقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الغداة، وصلى معه، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته، فجلسوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا أبا بكر...

(3) فتوح الشام/17، جمهرة خطب العرب 1/194.

فاتَّقِ اللهَ يا أبا بكرٍ فيمَن ولاَّكَ اللهُ أمرَهُ، وارحَمِ الأرمَلَةَ واليتيمَ، وأعِنِ الضَّعيفَ المظلومَ، ولا يكُنْ رَجُلٌ منَ المسلمينَ إذا رَغِبتَ عَنْه آثَرَ عِنْدَكَ في الحَقِّ مِنْهُ إذا سَخِطْتَ عليهِ، ولا تَغْضَب ما قَدِرتَ على ذلك، فإنَّ الغَضَبَ يَجُرُّ الجَوْرَ، ولا تَحقِدْ على مُسْلمٍ وأنْتَ تَسْتَطيعُ، فإنَّ حِقْدَكَ على المسلم يجعَلُكَ له عَدُوًّا، وإنِ اطَّلَعَ على ذلكَ مِنْكَ عاداكَ، فإذا عادى الوالي الرَّعِيَّةَ، وعادتِ الرَّعِيَّةُ الوالي، كانَ ذلك قِمناً أنْ يكونَ إلى هَلاكِهِمْ داعِياً، وكُنْ ليِّناً للمُحْسِنِ، واشْدُدْ على المريبِ، ولا تأخُذْكَ في اللهِ لَوْمَةُ لائمٍ[٩].

(٩) ورد بعده: ثم قال هات يدك، فإني لا أدري هل نلتقي في الدنيا بعد هذا اليوم؟ فإن قضى الله لنا التقاءً فنسأل عفوه وغفرانه، وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها التقاء، فعرفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنات النعيم. فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، ثم بكى وبكى خالد والمسلمون، وظنّوا أنه يريد الشهادة.

147

خالد بن صفوان[1] يوصي آبنه[2] فقال[3]:

كُنْ أَحْسَنَ ما تكونُ في الظّاهِرِ حالاً، أَقَلَّ ما تكونُ في الباطنِ مآلاً، ودَعْ من اعمالِ السِّرِّ ما لا يَصْلُحُ لَكَ في العلانية.

---

(1) خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها، له كلمات سائرة، عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباس، وحظي عنده وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه، وكان يرمى بالبخل، كفّ بصره. انظر عنه: منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين 120/1، وفيات الأعيان 243/1، معجم البلدان 387/4، أمالي المرتضى 172/4، نكت الهميان/148، الاعلام 338/2.

(2) ذكر المرحوم خير الدين الزركلي أن ابن الأهتم لم يتزوج، غير أن هذه الوصية وما يأتي بعدها هي مما قاله لبنيه. مما يدلل على أنه كان متزوجاً وأنه كان له بنين.

(3) العقد الفريد 153/3.

148

خالد بن صفوان قال[1]:

لا تَصنَعِ المعروفَ إلىٰ ثلاثةٍ، الفاحِشِ، واللئيمِ، والأَحْمَقِ، فأمّا الفاحِشُ فيقولُ: إنّما صَنَعَ هذا بي اتِّقاءً لفُحْشي، وأمّا الأحمقُ فلا يَعْرِفُ المعروفَ فيشكره، وأمّا اللئيمُ فكالأرضِ السَّبْخَةِ لا تُثمِرُ ولا تُنمي، فإذا رأيتَ الشَّريَّ فَدَعِ المعروفَ عِنْدَهُ واستَحْصِدِ الشُّكْرَ، وأنا لك الضامِنُ.

(1) لباب الآداب/354.

149

لما ثَقُلَ ابن الأهتم أظهر ماله ودعا بنيه فقال[1]:

يا بَنِيَّ، دونَكُم، فقد كَفيتُكُمْ كدَّهُ، وصفا لكم ما اشتهَيْتُم منه، وإنما جَمَعْتُه لنَبْوَةِ الزَّمانِ، وجَفْوةِ السُّلطانِ، ومُباهاةِ العَشيرَةِ، وأيمُ اللهِ لوَدِدتُ أنَّه كانَ بينَ ضِلعَي حِمارٍ بالفَلاةِ، أو بِقراءِ مُقْحَلٍ[2].

(1) المعمرون/141.

(2) القراء: بكسر القاف، الوعاء أو الإناء. والمقحل: المسدود.

150

الخنساء[1] توصي بنيها في معركة القادسية[2]

يا بَنِيَّ، إنَّكُمْ أسلَمْتُم طائعينَ، وهاجَرتُم مُختارينَ، واللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هو إنكُمْ لبَنو رجُلٍ واحدٍ، كما أنَّكم بنو آمرأةٍ واحدةٍ، ما خُنْتُ أباكُمْ، ولا فَضَحْتُ خالكُمْ، ولا هجَّنْتُ حَسَبَكُمْ، ولا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ، وقد تعلمونَ ما أعَدَّ اللهُ تعالىٰ للمؤمنينَ من الثوابِ الجزيلِ في حَرْبِ الكافرينَ.

وآعلموا أنَّ الدارَ الآخِرَةَ خيرٌ من الدارِ الفانِيَةِ، يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا آصبِروا وصابِروا ورابِطوا واتَّقوا اللهَ لعلَّكُم تفلحون﴾[3]، فإذا أصبحتُم غداً إنْ شاء الله سالمينَ، فآغدوا لقِتالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرينَ، وباللهِ علىٰ أعدائِه مُسْتَنْصِرينَ[4]، فإذا رأيتُم الحربَ قد شَمَّرَتْ عن ساقِها، وجَلَّلَتْ ناراً علىٰ أوراقِها، فتيمَّموا وَطيسَها، وجالِدوا رَئيسَها، تظْفَروا بالغُنْمِ والكرامَةِ في دارِ الخُلد والمقامة[5].

---

(1) الخنساء: تُماضر بنت عمرو بنت الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَمية، من بني سُلَيم، من قيس عيلان، من مضر، أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فاسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: «هيه يا خنساء»، أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قُتلا في الجاهلية، لها ديوان شعر مطبوع. اشترك بنوها الأربعة في حرب القادسية، وكانت تحرضهم على القتال حتى استشهدوا جميعاً. فقال: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم.

151

الزبرقان بن بدر[1] كانَ إذا زوَّج آبنةً لهُ، دنا من خِدرها وقال[2]: أتسمعينَ؟ لا أُعَرِّفَنَّ ما طَلَبْتِ، كوني لهُ أَمةً يكن لك عبداً.

(1) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، صحابي من الرؤساء في قومه، قيل اسمه الحُصَيْن، ولقب بالزبرقان لحسن وجهه ـ والزبرقان القمر ـ ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه، فثبت إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كفَّ بصره في آخر عمره، توفي في أيام معاوية، وكان فصيحاً شاعراً، فيه جفاء الاعراب. انظر عنه: الاصابة 1/543، المؤتلف والمختلف/128، جمهرة الأنساب/208، خزانة البغدادي 1/531.

(2) عيون الأخبار 4/76.

152

زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه)[1] يوصي حاجبَه[2]:

إنّي ولّيتُكَ هذا البابَ، وعَزَلْتُكَ عن أربَعٍ، هذا المنادي إذا دعاني إلى الصّلاةِ، فلا سبيلَ لكَ عليْه، وعَنْ طارق لَيْلٍ، فشرٌّ ما جاءَ به، ولو جاء بخَيْرٍ ما كُنْتُ من حاجَته في ذلك الوقت، وعن هذا الطبّاخِ إذا فرغَ من طعامه، فإنَّ الطّعامَ إذا أعيدَ عَلَيْه الطعامُ فسَدَ، وعن رسول صاحبِ الثّغر فإنّه إنْ أبطأ ساعَةً ربّما يُفْسِدُ امرَ سَنَةٍ.

(1) زياد بن أبي سفيان (المعروف بابن أبيه)، أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة، من أهل الطائف، لأن أمه ولدته بالطائف، وهي على ما يقول الثقلة سمية جارية الحارث ابن كلدة الثقفي، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته في البصرة، ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس، ولما توفي علي رضي الله عنه امتنع زياد على معاوية، وتحصن في قلاع فارس، وتبين لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه أخوه من أبيه أبي سفيان، فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ، فكان عضده الأقوى، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي. قال الشعبي: ما رأيتُ أحداً أخطب من زياد، وقال الأصمعي: أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم الله ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم زياد. وهو أول من عرّف العرفاء، ورتب النقباء، وربع الأرباع بالكوفة والبصرة، وأول من جلس الناس بين يديه على الكراسي من أمراء العرب، وأول من اتخذ الحرس والحرس في الإسلام، وأول والٍ سارت الرجال بين يديه تحمل الحراب والعمد كما كانت تفعل الأعاجم، أخباره كثيرة، مات ولم يخلف غير ألف دينار، وكان عليه قميص ربما رقعه، ورثاه بعد موته كثير من الشعراء. انظر عنه: تاريخ ابن خلدون 3/5 ـ 15، كامل ابن الأثير 3/195، تاريخ الطبري 6/162، تهذيب ابن عساكر 4/406، ميزان الاعتدال 1/355، لسان الميزان 2/493، البدء والتاريخ 6/2، الاعلام 3/89 ـ 90.

(2) محاضرات الأدباء 1/130، الأخبار الموفقيات/312، وقد قدم وأخر في جمل الوصية.

153

زياد بن أبي سفيان كانَ إذا ولّى رجُلاً عملاً قال له[1]:

خُذْ عَهْدَكَ، وسِر إلى عَمَلِكَ، واعلَمْ أنَّكَ مَصروفٌ راسَ سَنَتِكَ، وإنَّك تَصيرُ إلى أربَعِ خِلالٍ، فآختَرْ لِنَفْسِكَ:

إنّا إنْ وَجَدْناكَ أميناً ضَعيفاً آستبدَلنا بكَ لضَعْفِكَ، وسَلَّمْنَاكَ من مَعَرَّتِنا أمانَتَكَ، وإن وَجَدْناكَ قويّاً خائناً آستَهَنّا بقُوَّتِكَ، وأحْسَنّا على خِيانَتِكَ أدَبَكَ؛ وأوجَعْنا ظَهْرَكَ، وثَقَّلنا غُرْمَكَ، وإنْ جَمَعْتَ عَلَيْنا الجُرْمَيْن جَمَعْنا عليكَ المضرَّتين، وإن وَجَدْناكَ أميناً قويّاً زِدنا في عملك، ورَفَعْنا ذِكرَكَ، وكَثَّرنا مالَكَ، وأوطأنا عَقِبَكَ.

---

(1) أمالي القالي 2/80 ـ 81.

154

زياد بن أبي سفيان يوصي[1]:

إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعل لعِباده عُقولاً عاقَبَهُمْ بها على مَعْصِيَته، وأثابَهُمْ بها على طاعَتِهِ، فالنَّاسُ بين مُحْسِنٍ بنعمةِ اللهِ عَلَيْه، ومُسيءٍ بخُذْلانِ الله إياهُ، ولله النِّعمةُ على المُحْسِنِ، والحجَّةُ على المُسيء، فما أولى مَنْ تَمَّتْ عَلَيْه النِّعمةُ في نَفْسه، ورأى العِبْرَةَ في غَيْرِهِ؛ بأنْ يَضَعَ الدُّنيا بحَيْثُ وَضَعها اللهُ، فيُعطي ما عليه منها، ولا يتكثَّرُ[2] ممّا ليسَ له فيها، فإنَّ الدُّنيا دارُ فناءٍ، ولا سبيلَ إلى بقائها، ولا بُدَّ من لِقاء اللهِ عزَّ وجلَّ.

فأحَذِّرُكُمُ اللهَ الذي حَذَّرَكُمْ نَفْسَهُ، وأوصيكُمْ بتَعْجيلِ ما أخَّرَتْهُ العَجَزَةُ، قبل أنْ تَصيروا إلى الدارِ التي صاروا إليها، فلا تَقْدِروا فيها على تَوْبَةٍ، ولَيْسَتْ لكم منها أوْبةٌ، وأنسا أسْتَخْلِفُ اللهَ عليكُمْ، وأسْتَخْلِفُهُ منكم[3].

---

(1) البيان والتبيين 1/364.

(2) لا يتكثر: هكذا هي رواية البيان والتبين في نشرة عبد السلام هارون. وهي في نشرة السندوبي ويتكثر. ومما أثبناه أصوب.

(3) قال الجاحظ في نهاية الوصية: وقد روي هذا الكلام عن الحجاج، وزياد أحَقُّ به منه.

155

زياد بن ابي سُفيان يوصي[1]:

استوصوا بثلاثةٍ منكُمْ خيراً، الشريفِ، والعالمِ، والشَّيخِ، فوَاللهِ لا ياتيني شيخٌ بشابٍّ قد استَخفَّ به إلاّ اوجَعْتُه، ولا يأتيني عالِمٌ بجاهلٍ استَخَفَّ به إلاّ نَكَلْتُ به، ولا ياتيني شريفٌ بوضيعٍ استَخَفَّ به إلاّ انتقمت له مِنْهُ.

(1) البيان والتبيين 2/149.

156

زياد بن أبي سفيان يوصي آبنه[1]:

إذا دَخَلْتَ على أميرِ المؤمنينَ؛ فآدعُ لهُ ثمَّ آصفحْ صَفْحاً جَميلاً، ولا يَرَيَنَّ منكَ تهالُكاً عليْهِ، ولا آنقِباضاً عنه.

(1) عيون الأخبار 1/19.

157

زياد بن أبي سفيان كان يقول لقُوّاده[1]:

تجنّبوا اثنينِ لا تُقاتِلوا فيهما العَدُوّ، الشّتاءَ، ويُطونَ الأوديةِ.

---

(1) نهاية الأرب 6/170.

158

زياد بن أبي سفيان يوصي آبنه[1]:

عليْكَ بالحِجاب، فإنَّما تَجَرّاتِ الرُّعاةُ على السِّباعِ لكِثْرَةِ نَظَرِها إليها.

(1) نهاية الأرب 6/95.

159

زيد بن أسلم[1] يوصي بنيه[2]:

يا بَنِيَّ، لا تعلّموا العِلم لاثنين، لا تعلّموه للتّمارِي، ولا للتّباهي، ولا تَدَعوه رَغْبَةً عنه، ولا آستحياءً من تَعَلُّمه.

(1) زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبدالله، فقيه مفسر من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتياً في أمر، وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن. انظر عنه: تذكرة الحفاظ 124/1، تهذيب التهذيب 395/3، الاعلام 95/3.

(2) الأخبار الموفقيات/399.

160

زيد بن علي[1] رضي الله عنهما يوصي أصحابه[2]:

أوصيكم بتقوىٰ اللهِ، فإنَّ الموصي بها لم يدَّخر نصيحةً، ولم يُقصِّر في الإبلاغ، فاتَّقوا اللهَ في الأمرِ الذي لا يَفوتُكُم منه شيء وإن جَهِلتموه، وأجملوا في الطَّلَبِ، ولا تَستَعينوا بنِعَمِ اللهِ علىٰ معاصيه، وتفكَّروا وأبصروا، هل لكم قِبَل خالِقِكُم من عَمَلٍ صالحٍ قدَّمتموه، فشكره لكم؟ فبذلك جَعَلكُمُ اللهُ تعالىٰ أهْلَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وفضَّلَكُم علىٰ أدْيانِ آبائِكُم، أَلَمْ يَسْتَخْرِجكم نُطَفاً من أصلابِ قومٍ كانوا كافرين، حتَّىٰ بثَّكُم في حُجورِ أهلِ التَّوحيدِ، وبثَّ مَنْ سواكُم في حُجور أهل الشِّرْكِ، فبأيِّ سوابِق أعمالكم طهَّركُمْ إلاَّ بمنِّه وفَضْله الذي يؤتيه من يَشاء؟ ﴿والله ذو الفضلِ العظيم﴾[3].

---

(1) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي ويقال له: زيد الشهيد، عده الجاحظ من خطباء بني هاشم، وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال، وأشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه خمسة أشهر، وعاد إلى العراق ثم إلى المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين ورجعوا به إلى الكوفة سنة 120 هـ وكان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة أن يقاتل زيداً، ففعل، ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد في الكوفة. انظر عنه: مقاتل الطالبيين/127، فوات الوفيات 1/164 تاريخ الطبري 8/260 و271، تهذيب ابن عساكر 6/15، الأعلام 3/98 ـ 99.

161

زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه يوصي آبنه[1]:

يا بُنَيَّ، إنَّ اللهَ لمْ يرْضَكَ لي فأوصاكَ بي[2] ورَضِيَني لك فَحَذّرينكَ وآعلَمْ انَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناء مَنْ لم تَدْعُهُ المودّةُ إلى التَّفريط، وخيْرَ الأباءِ مَنْ لم يَدْعُهُ التَّقْصيرُ إلى العُقوقِ[3].

(1) العقد الفريد 2/438، وفي 3/154 منه نسبها إلى علي بن الحسين عليهما السلام، وعيون الأخبار 3/92.
(2) ذهب إلى قوله تعالى: ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدَيه حُسناً﴾ الآية/8 سورة العنكبوت.
(3) وردت الرواية في عيون الأخبار هكذا:
إنّ الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فلم يوصني بك.

162

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[1] يوصي آبنه[2]:

يا بُنَيّ، إذا طَلَبْتَ الغِنى فاطلُبْهُ بالقناعة، فإنّها مالٌ لا يَنْفَدُ، وإياك والطَّمَعَ، فإنّما هو فَقْرٌ حاضر[3]، وعَلَيْكَ باليأسِ، فإنّك لم تيأسْ[4] من شيءٍ قطّ إلاّ أغناك اللهُ عنه.

---

(1) سعد بن أب وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحق، الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنّة، يقال له فارس الإسلام، أسلم وهو ابن سبعة عشرة سنة، وشهد بدراً، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة، فجعلها خططاً لقبائل العرب، وابتنى بها داراً، فكثرت الدور فيها، وظل والياً عليها حتى عزله عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعاد إلى المدينة، فأقام قليلاً، وفقد بصره، ومات بقصره بالعقيق، على عشرة أميال من المدينة، وحمل إليها سنة 55 هـ. انظر عنه: الرياض النضرة 2/292 ـ 301، تاريخ الخميس 1/499، البدء والتاريخ 5/64، صفة الصفوة 1/138، تهذيب ابن عساكر 6/93، نكت الهميان/155، التبين في أنساب القرشيين/253، الاعلام 3/137 ـ 138.

(2) شرح مقامات الحريري 3/13، العقد الفريد 3/205.

(3) في العقد الفريد: فإنه فقر حاضر.

163

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص[1] يوصي بنيه[2] فقال[3]:

يا بَنِيَّ، قد عَرَفْتُمْ خِبْرَةَ الوالدِ بوَلَدِهِ، وإنّ أخاكم عَمْراً لذو هِمَّةٍ واعدة[4]، يسمو جدُّهُ، ويَبْعُدُ صِيتُه[5]، وتَشْتَدُّ شَكيمتُهُ، وإني آمُرُكُمْ إنْ نَزَلَ بي من الموت ما لا مَحيصَ عنه، أنْ تُظاهِروهُ وتُوازِروهُ وتُعَزِّروه، فإنّكم إنْ فَعَلْتُمْ ذلك يتألّفْ بكم الكِرامَ، ويخسأ عنكُمْ اللئامَ، ويُلْبِسْكُمْ عِزّاً لا تنهجُه الأيام[6].

---

(1) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي بن أمية، الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، رُبي في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام بها إلى أن كانت الثورة على عثمان رضي الله عنه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قُتِل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات، وهو فاتح طبرستان، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واعتزل فتنة الجمل وصفين، وكان قوياً، فيه تجبر وشدة، سخياً فصيحاً، وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل توفي سنة 53 هـ. انظر عنه: الاصابة ترجمة/3261، طبقات ابن سعد 19/5، تهذيب ابن عساكر 131/6 ـ 145، تاريخ الإسلام 266/2، التبيين في أنساب القرشيين/165، الاعلام 149/3.

(2) ورد في مقدمة الوصية أنه لما ولد لسعيد بن العاص أبنه عمرو وترعرع، تفرس فيه النجابة، وكان يفضله على ولده، فجمع بنيه، وكانوا يومئذٍ أكثر من خمسة عشر رجلاً، ولم يدعُ عمراً معهم، وقال... الوصية.

(3) أنباء نجباء الأبناء/100، جمهرة خطب العرب 227/2.

(4) من قولهم شجرة واعدة إذا ظهر لرائيها أن قد حان إثمارها.

(5) الصيت: الشهرة والذكر الحسن. والشكيمة: القوة والأنفة.

(6) لا تنهجه: لا تبليه بتقادمها.

فقالوا جميعاً: إنّك تؤثِرُهُ علينا، وتحابيه دوننا. فقال: ساريكُمْ ما سَتَرَهُ البغيُ عنكُمْ، وصَرَفهم، ثمّ أمْهَلَهُمْ حتى ظنَّ أنْ قد ذَهِلوا عما كانَ، وراهَقَ عمرو البُلوغَ، واستَدْعاهُم دونَ عمرو، فلما حضروا قال:

يا بَنيَّ، ألَمْ تَرَوا إلى أخيكُمْ عمرو؟ فإنّه لا يزالُ يُلْجِفُ في مَسألتي مالي فاحُشُّ عيْلَهُ لصغره(7)، وأحْبُبُهُ بالشّيء دون الشّيء من مالي، إلى أنِ استَثْبَتُّ أنَّ أمَّهُ باغِيَتَهُ على ذلك، فزَجَرْتُها فَلَمْ تَكفُفْ، وهذا مَخْرَجُه الآنَ من عِنْدي، جاء يسألني الصَّمْصامة(8)، كأنْ لا وَلَدَ لي غَيْرُهُ، وقد عَزَمْتُ على أن أقسِمَ مالي فيكُمْ دونَهُ، لتعلَمَ أمُّه مَنْ يكيدُ.

فقالوا كُلُّهم: يا أبانا، هذا عَمَلُكَ بإيثارِك له عَلينا، وآختِصاصُكَ إياه دوننا. فقال: يا بَنيَّ، واللهِ ما آثرتُهُ دونَكمْ بشيءٍ قطُّ، ولا كانَ ما قلتُه لكُمْ إلاّ اختلاقاً تَساهلتُ فيه، لما أمَلْتُه من صلاحِ أمرِكم، ثم قال لهم: آدخُلوا المِخْدَعَ، فدخلوا المِخْدَعَ، ثمّ أرْسَلَ إلى عمرو فأحْضَرَهُ، فلما حضرَ قال:

يا بُنَيَّ، إني عليك حَدِبٌ مُشْفِقٌ لِصِغَرِ سنِّكَ، ونَفاسة(9) إخوتك على مكانِكَ منّي، وإني لا آمَنُ بغْتَةَ الأجَلِ، ولي كَنْزٌ آدَّخَرْتُه لك دونَ إخوَتِكَ، وها أنا مُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، فاكتُم أمْرَهُ. فقال:

يا أبَتِ، طالَ عُمْرُكَ، وعلا أمْرُكَ، إنّي لأرجو أنْ يُحْسِنَ اللهُ عَنْكَ

---

(7) أحش عليه: أدفعه وانهه واقطعه.

(8) الصمصامة: سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي، أعطاه عمرو بن معدي كرب لخالد بن الوليد إثابة له على ردّ أخته المأسورة وصار إلى سعيد بن العاص وإلى أصحاب بيته فاشتراه منهم الخليفة المهدي العباسي بخمسين ألف درهم. انظر عن خبر هذا السيف: سرح العيون/312، والأغاني 14/26، وأنباء نجباء الأبناء/103، ومروج الذهب 2/262.

(9) النفاسة: الحسد. من نَفِس عليه إذا حسده.

الدِّفاعَ، ويُطيلَ بكَ الإمتاعَ، فأمّا ما ذَكَرْتَهُ من شأنِ الكَنْزِ، فما يُعْجِبُني أنّ أَقْطَعَ دونَ إخوتي أمراً، وازرَعَ في صُدورِهِمْ غِمراً[10].

فقال: آنصَرِفْ يا بُنَيَّ، فِداكَ أبوك، فوَاللهِ ما في من كَنْزٍ، ولكنّي أرَدْتُ أنْ أبلُوَ رأيكَ في إخوتِكَ وبني أبيكَ[11].

---

(10) الغمر: بكسر الغين، الحقد والضغينة.

(11) فانطلق عمرو، وخرج إخوته من المخدع، فاعتذروا إلى أبيهم، وأعطوه موثقَهم على أتباع مشورته.

164

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي يوصي بنيه لما حضرته الوفاة[1]:

يا بَنيَّ، قد حَضَرَ ما تَرَوْنَ من الموتِ، وَهُوَ ما لا بُدَّ مِنْهُ، وحَوْضُهُ مَوْرودٌ، ولَمْ يَكُنْ لأحدٍ[2] السَّلامة منه، وقد ماتَ الأنبياءُ قَبْلنا، ولَسْنا نَقْدِرُ على دَفْعِهِ بحيلةٍ، ولا عُدَّةٍ، ولا عُذْرٍ، ثمَّ تَمثَّلَ:

إنَّ المَنِيَّةَ للفِتيانِ داهِيَةٌ ... وإنْ لَقوها بأسيافٍ وأذْراعِ
بَيْنا الفَتَى يَبْتَغي من عَيْشِه سَدَداً ... إذْ حانَ يَوْماً فنادى باسمه الناعي
لا تَجْعَلِ الهمَّ غِلاًّ لا انفِراجَ لَهُ ... لا تُلفِيَنَّ كَئيباً ضَيِّقَ الباعِ

ثمَّ قال: ليتَ شِعري كَيْفَ أنتم بعدي فيمَنْ أُخَلِّفُ من أقاربي وأُسْرَتي؟ فبكى بنوهُ ولَمْ يَرُدَّ أحَدٌ منهُمْ جواباً غَيْرَ أنْ قالوا: أماتَنا اللهُ قَبْلَكَ، حتى انتهى القولُ إلى عَنْبَة بن سعيد فقال له: يا أبتِ، إنْ تهلك فإنِّي اخْلِفُكَ في ثَلاثٍ: قال: وما هُنَّ يا بُنيَّ؟ قال: أجعَلُ صديقي دونَ صديقِكَ في الوُدِّ، واقضي دَيْنَك قبل دَيني، وأُزَوِّجُ بناتِكَ. فقال سعيد: لَئِن فَعَلْتَ ما قُلْت، لَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ أبٍ، وكُنْتَ لي خَيْرَ ولدٍ.

---

(1) الفاضل في صفة الأدب الكامل/189 ـ 191.
(2) صححها محقق الكتاب بـ ولم يمكن احداً. وعلق على ذلك مهمشاً بأن ذلك من اللحن. ولا أعرف وجه اللحن فيه ولذلك اعدته إلى اصله.

يا بُنيَّ، قد كُنْتَ لي في حياتي، فَكُنْ لي بَعْدَ وفاتي، ثمَّ تَمَثَّل:

فَلَئِنْ هَلَكْتُ وكُنْتَ أنتَ دعامَةً ... بَعْدي لِمِثْلِكَ ما تُرَكْتُ كَفاني
قد كُنْتَ أرمي مَنْ رَماكَ حَمِيَّةً ... وأذودُ عَنْكَ بِسَطْوَتي ولساني[3]
وتَكَسَّرَتْ جَنوبي وهانَت جوارحي ... عند الكَريهَةِ كُلَّ يومِ طعانِ[4]
أعْنَ بأمرِكَ لا يَضُرُّكَ حابِدٌ ... يَثْوِي هَلاكَكَ في وَغىً الفرسان[5]
يَحْنَى عَلَيْكَ عِنْدَ ذلِكَ سطوتي ... ومُقامُ لا. وَكِلٌ ولا بِجَبانِ

ثم لَبِثَ ساعَةً وهلك.

---

(3) لفظة بسطوتي من وضع محقق كتاب الفاضل، وقد علق مهمشاً أن الذي بالأصل بدموني وهو تصحيف.

(4) شطر هذا البيت مضطرب العروض، وقد علق عليه محقق كتاب الفاضل في طرته الأولى على هامش الصفحة/191 بما نصه: بالأصل: وتكسرت جنوبي وجوارحي، وهو لا يستقيم لا معنى ولا وزناً.ا.هـ. قلت، إن المحقق الفاضل لم يتنبه إلى ما اجتهده، فقد وضع في حشو شطر البيت كلمة (وهانت) وأحسبه اجتهدها. وبذلك بدا عروض شطر البيت مضطرباً. كما أننا لا ينبغي أن نجتهد ألفاظاً ونضعها في متون الكتب، بما قد لا يرضي واضع النص الأصلي. حيث أن لنا في الهوامش مندوحة فلنضع في الهوامش ما نريد، لأن الهوامش للمحقق، وليست للمؤلف. والذي يبدو أن كثيراً من الاجتهادات قد ثبتت في متن هذا الكتاب، وأعني به كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل.

(5) فاتحة البيت في الأصل: أعنَ بالألف المقصورة، وفعل الأمر تحذف ألفه المقصورة لعلته. وقد ذكر المحقق في طرته الثانية على هامش الصفحة/191 ما نصه: في الأصل: أعي، وهو تصحيف ا.هـ. قلت: ولا أجد فيه شيئاً من التصحيف لأن نهاية الكلمة نون وليست ألف مقصورة. ولعل اللفظة غمت على المحقق الفاضل فاجتهدها هي الأخرى. ولكنه كان أميناً حين ذكر هذه المسائل في هوامشه.

165

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص يوصي آبنه عمرو[1]:

يا عمرو، أنظُرْ بناتي فآجْعَلِ البُيوتَ لَهُنَّ قُبوراً حتّىٰ يأتِيَهُنَّ الموتُ، او يأتيكَ الأكفاءُ، وآنظُرْ غِلماني، فلا تَحْبِسْ منهُمْ مَنْ رآكَ مِنْهُمْ صَغيراً، فإنَّهُ لا يُبِرُّ لكَ هَيْبَةٌ، وآنظُرْ إلىٰ مالي، فإنْ كَرِهْتَ منهُ شيئاً؛ ورأيْتَ الإستِبْدال به خَيْراً من حَبْسِهِ فلا تَحْبِسْهُ، فإنَّه لَيْسَتْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ قرابةٌ، وآنظُرْ أهْلَكَ فإنَّهُم لنْ يصْلُحوا وأنْتَ فاسِدٌ.

ولْيَكُنْ لكَ في مَنْزِلِكَ طعامٌ وإن قلَّ، يأتِكَ منْ في مَنْزِلِهِ أطيبَ منه وأكثَرَ، انْظُرْ بني زيادٍ اخوالُكَ، فكُنْ لَهُمْ آبنَ أُخْتٍ ما كانوا لَكَ اخْوالاً، فإنْ ارادوكَ علىٰ غَيْرِها فأوسِعْهُم آلجَفاءَ، وإنْ حَمَلوكَ علىٰ الذي حَمَلوني عليها، فآركَبْ غَيْرَ هائبٍ لهُمْ، فإنَّ الذي قدَّمتُه لكَ مُعينٌ لكَ عليْهِمْ، ولَنْ يَدَعُوكَ حتّىٰ يُخْبِروكَ، فلا تَدَعْهُمْ حتىٰ يَعْرِفوكَ.

---

(1) الأخبار الموفقيات/141. وقد وردت الوصية ضمن وصية العتبي لابنه أبي عبد الرحمن. وستمر في موضعها من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

166

شَبَث بن رِبْعِيّ[1] يوصي[2]:

هذا ما أوصى به شَبَثُ بن رِبْعِيّ، أوصى أنّه يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُه، وأنّ الجوادَ في الجنّةِ، وأنّ البخيلَ في النّارِ.

انظروا ابنتي، فلا تزوّجوها إلاّ كريماً، ولا تَدْفِنوني عِنْد مقابِرِ بني طهيّة.

(1) شَبَث بن رِبْعِيّ التميمي اليربوعي، أو عبد القدوس، شيخ مضر وأهل الكوفة في أيامه، أدرك عصر النبوة، ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، وثاو على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ممّن قاتل الحسين عليه السلام، ثم ولي شرطة الكوفة، وخرج مع المختار الثقفي، ثم انقلب عليه، وأبلى في قتاله بلاءً حَسناً، وتوفي بالكوفة. انظر عنه: الاصابة ترجمة/3950، تهذيب التهذيب 4/303، ميزان الاعتدال 1/440، تاج العروس 1/627، الاعلام 3/226.

(2) المعمرون/140.

167

شريح القاضي[1] يوصي صديقاً له سمعه يشتكي[2]:

يا آبن اخي، إياكَ والشكوىٰ إلىٰ غير الله، فإنّه لا يخلو من تشكو، إليه ان يكونَ صديقاً أو عَدُوًّا، فأمّا الصّديق فتحزنه ولا يَنْفَعُك، وأمّا العدوّ فيَشْمَتُ بك.

أنظُر إلىٰ عيني هذه ـ وأشارَ إلىٰ إحدىٰ عينيه ـ فوالله ما أَبصَرْتُ بها شخصاً ولا طريقاً منذُ خَمْسَ عَشْرَةَ سنة، وما أخْبَرْتُ بها أحداً إلىٰ هذه الغاية، أما سَمِعْتَ قول العبدِ الصالحِ: ﴿إنّما أشكو بَثّي وحُزْني إلى اللهِ﴾[3]، فآجعَلْهُ مَشْكاكَ ومَفْزَعَكَ عند كُلِّ نائبةٍ تنوبُك، فإنّه أكرَمُ مسؤولٍ، وأقرَبُ مَدْعوٍّ إليك.

---

(1) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أميّة، من اشهر القُضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة 77 هـ، وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر، وعمّر طويلاً، ومات بالكوفة سنة 78 هـ. انظر عنه: طبقات ابن سعد 6/96 ـ 100، وفيات الأعيان 1/224، حلية الأولياء 4/132.

(2) العقد الفريد 3/204.

168

شريح بن هاني الحارثي[1] يوصي أبا موسى الأشعري[2] عند مسيره للتحكيم[3]:

يا أبا موسى، إنَّكَ قد نُصِبْتَ لأمْرٍ عظيمٍ لا يُجْبَرُ صَدْعُه، ولا تُسْتَقالُ فَلْتَتُه، ومَهما تَقُلْ من شيءٍ لكَ أو عَلَيْكَ، يَثْبُتْ حَقُّه، ويُرى صِحَّتُهُ، وإن كانَ باطلاً، وإنَّه لا بقاءَ لأهلِ العِراقِ إنْ مَلَكَهُمْ معاويةُ، ولا بأسَ على أهْلِ الشامِ إنْ ملكَهُمْ عليٌّ، وقد كانَتْ مِنْكَ تَثْبِيطَةٌ[4] أيامَ الكوفة

(1) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي، راجز، شجاع، من مُقَدَّمي أصحاب علي رضي الله عنه، كان من أمراء جيشه يوم الجمل، ولما كان يوم التحكيم بعث عليّ أبا موسى ومعه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ، قتل غازيا بسجستان. انظر عنه: الإصابة ترجمة/3967، الاعلام 3/237.

(2) أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان، صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، وقد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثمّ استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه البصرة سنة 17 هـ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقرّه عليها، ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقرّه عليّ، ثم كانت وقعة الجمل فأرسل عليّ رضي الله عنه يدعو أهل الكوفة لينصروه فأمرهم أبو موسى بالقعود في الفتنة، فعزله عليّ، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فارتدّ أبو موسى إلى الكوفة، فتوفي فيها، وكان أحسنَ الصَّحابة صوتاً في التلاوة خفيف الجسم قصيراً. انظر عنه: طبقات ابن سعد 4/79، الاصابة ترجمة/4889، غاية النهاية 1/442، صفة الصفوة 1/225، حلية الأولياء 1/256، الأعلام 4/254 ـ 255.

(3) شرح نهج البلاغة 1/195، الإمامة والسياسة 1/115، جمهرة خطب العرب 1/387.

(4) التثبيط: التأخير والتعويق.

والجَمَلِ، فإنْ تَشْفَعْها بمثلها يكُنِ الظَّنُّ بِكَ يقيناً، والرجاءُ مِنْكَ يأساً، ثم قال:

أبـا مـوسىٰ رُميتَ بشَـرِّ خَصْمٍ ... فـلا تُضِعِ العِـراقَ فَـدَتْـكَ نَفْـسي
واعطِ الـحـقَّ شـامَـهُـمُ وخُـذْهُ ... فـإنَّ الـيـومَ في مَـهَـلٍ كـأمسِ
وإنَّ غـداً يـجـيء بـمـا عَـلَيْـه ... كـذاك الـدَّهْـرُ من سَعْـدٍ ونَحْسِ
ولا يَـخْـدَعْـكَ عَـمْـروَ إنَّ عَـمْـراً ... عـدوُّ اللهِ مَـطْلَعَ كُـلِّ شَـمْسِ
لـهُ خُـدَعٌ يَـحـارُ العَـقْـلُ منهـا ... مُـمَـوَّهَـةٌ مُـزَخْـرَفَـةٌ بِـلَبْسِ
فـلا تَـجْـعَـلْ مُـعـاوِيـةَ بن حَـرْبٍ ... كَشَيْـخٍ في الحوادثِ غَيْـرِ نِكْسِ[5]
هَـداهُ اللهُ لـلإسـلامِ فَـرْداً ... سِـوىٰ عِـرْسِ النَّبيِّ وأيِّ عِـرْسِ[6]

---

(5) الشيخ: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والنكس: الضعيف الخائر العزم.

(6) قوله سوىٰ عرس النبي وأي عرس: يريد بها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وقد كانت أسلمت قبل علي رضي الله عنه.
وقد ورد في نهاية الأبيات: فقال أبو موسى: ما ينبغي لقومٍ اتهموني أن يُرسلوني لأدفع عنهم باطلاً، أو أجُرَّ إليهم حقًّا.
وقد أسقط صاحب الإمامة والسياسة الشعر من الوصية، ووردت عنده هكذا:
يا أبا موسىٰ، إنك قد نصبت لأمرٍ عظيم لا يجبر صدعه، ولا تستقال فلقته، ومهما نقل من شيء لك أو عليك، يثبت حقه، ويزيل باطله، إنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية، ولا بأس بأهل الشام إن ملكها عليّ، فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الأمر حقًّا.

169

شريح القاضي يوصي معلم ابنه، وقد رأى ابنه يلعب بالكلاب[1]:

تَـرْكَ الـصَّـلاةَ لأكـلُبٍ يـسْـعَـى بـهـا
طـلَبَ الـهـراشَ مَـعَ الـغُـواةِ الـرُّجَّسِ[2]
فَـلَيـاتـيـنَّـكَ غُـدوَةً بـصَـحـيـفـةٍ
كُـتِـبَـت لـهُ كـصـحـيـفـةِ الـمُـتَـلَمِّسِ[3]
فـإذا خَـلَوتَ فـعَـضَّـه بـمَـلامَـةٍ
وعِـظْـنَـه وغْـظَكَ لـلأريـبِ الـكَـيِّسِ[4]
وإذا هَـمَـمْـتَ بـضَـربـهِ فـبِـدِرَّةٍ
وإذا بَـلَغْـتَ بـهـا ثـلاثـاً فـاحـبِسِ
واعـلَمْ بـأنَّـك مـا فَـعَـلْتَ فَـنَـفْـسُـه
مَـعَ مـا يُـجَـرِّعُـنـي أعَـزُّ الأنـفُسِ

---

(1) عيون الأخبار 167/2، المحاسن والمساوئ 621/3، العمدة/17، العقد الفريد 435/2 ـ 436، شرح مقامات الحريري 215/5.

(2) (يبغي) في موضع (طلب) رواية العقد الفريد. و(الرواح) بدل (الصلاة) في المحاسن.

(3) البيت زيادة عن رواية العقد الفريد، وقد أخلت به المصادر الأخرى، وصحيفة المتلمس هي الصحيفة التي كتبها عمرو بن هند الملك التغلبي للمتلمس وأوهمه أنه كتب له فيها إلى أحد عماله ليكرمه، وكانت سبب قتله، والرواية مشهورة، وهي لشهرتها قد جرت مجرى المثل.

(4) في العقد الفريد (أتاك) في موضع (خلوت) وكذلك عند الشريشي، وقافيته في شرح المقامات: الأكيس.

170

صِرْمَة بن أبي أنس بن صرمة[1] يوصي قومه[2]:

لا تَنكِلوا عَنِ العَدوِّ، ولا تَبْخَلوا عن الصَّديق، وجازوا ذا النِّعْمَةِ، وتمسّكوا بحُرْمَةِ الجارِ، وتَباذَلوا، وقَدِّموا أَهْلَ البيتِ، وأوفُوا بالعَهْدِ، وإياكُم والبَغْيَ، فإنَّه أقوىٰ سِلاحِ عَدُوِّكُم، وأنشَدَ:

يقولُ أبو قيسٍ وأصبحَ غادِياً ... الا ما اسْتَطَعتُم من وَصاتيَ فافعَلوا

أُوصِيكُمُ باللهِ والبِرِّ والتُّقىٰ ... واعراضِكُمْ، والبِرُّ باللهِ أوّلُ[3]

وإنْ قومُكُمْ سادُوا فلا تَحسدوهُمُ ... وإنْ كُنتُمُ أَهْلَ السِّيادَةِ فاعدِلوا

وإن نَزَلَتْ إحدىٰ الدَّواهي بِقَوْمِكُمْ ... فأنفُسكُمْ دونَ العَشيرةِ فابذلوا

وإنْ طلَبوا عُرْفاً فلا تَحرِموهُمُ ... وإنْ كان فَضْلُ العُرْفِ فيهِمْ فأفضِلوا

وإن أنتُمُ أُعْوِزتُمُ فتعفَّفُوا ... وما حمّلوكُمْ في النَّوائبِ فاحمِلوا

---

(1) صرمة بن قيس بن مالك البخاري الأوسي، أبو قيس شاعر جاهلي، عمر طويلاً وترهب، وفارق الأوثان في الجاهلية، وكان معظماً في قومه، أدرك الإسلام في شيخوخته، وأسلم عام الهجرة، توفي نحو سنة 5 للهجرة. انظر في ترجمته: الاصابة ترجمة/4056، المعارف/28، تاج العروس 8/366، الروض الأنف 2/21، الاعلام 3/291.

(2) المعمرون/133 ـ 134، والأبيات عدا الأول في العقد الفريد 1/228 ـ 229، و2/432.

(3) رواية النص في العقد الفريد:

أوصيكم بالله أول وهلةٍ ... واحسابكم والبر بالله أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم ... وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا

وإن أنتم أعوزتُم فتعففُوا ... وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

وإن نزلت إحدىٰ الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن طلبوا عُرْفاً فلا تحرِموهُمُ ... وما حملوكم في الملماتِ فاحملوا

171

العباس بن عبد المطلب[1] يوصي آبنه عبدالله[2]:

يا بُنَيّ، إنّي أرىٰ أميرَ المؤمنين[3] يستخليكَ ويستشيرك[4] ويُقَدِّمُكَ على الأكابرِ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وإنّي أوصيكَ بخلالٍ أرْبَعٍ: لا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً، ولا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِباً، ولا تَغْتابَنَّ عِنْدَهُ أحَداً، ولا تَطْوِ عَنْهُ نَصيحةً.

---

(1) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين، قال رسول الله ﷺ في وصفه: «أجود قريش كفّاً وأوصَلُها، هذا بقية آبائي»، وهو عمّه، وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً باعتاق العبيد، كارهاً للرق، اشترىٰ 70 عبداً وأعتقهم، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهي أن لا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد ولا يقول فيه هجراً. أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب إلىٰ رسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلىٰ المدينة، شهد وقعة حنين، فكان ممّن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره، وكان إذا مرّ بعمر بن الخطاب في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له، وكذلك عثمان. وأحصي ولده في سنة 200 هـ فبلغوا 33 000، وكانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوىٰ الإناث. انظر في ترجمته: أسد الغابة، نكت الهميان/175، صفة الصفوة 1/203، تهذيب ابن عساكر 7/226، تاريخ الخميس 1/165، المحبّر/63، التبيين في أنساب القرشيين/124 الاصابة ترجمة/4498، الاعلام 4/35.

(2) عيون الأخبار 1/19، نهاية الأرب 1/9 ـ 10 و40 و6/16 منه، كامل المبرد 1/265، العقد الفريد 1/9 ـ 10.

(3) في نهاية الأرب: إني أرىٰ هذا الرجل ـ يعني عمر بن الخطاب ـ.

(4) في نهاية الأرب: يستفهمك ويقدمك. وفي الكامل: قد آختصك.

172

عبد الحميد بن يحيىٰ الكاتب[1] يوصي الكُتّاب[2]:

أمّا بَعْدُ، حفظكُمْ الله يا أهلَ صناعةِ الكِتابة، وحاطَكُمْ ووفّقكم وأرشَدَكُمْ، فإنّ الله عَزّ وجلّ جعل النّاسَ بعد الأنبياء والمُرْسَلينَ، صلواتُ اللهِ عليْهِمْ أجمعينَ، ومن بعد الملوك المكرّمينَ أصْنافاً، وإن كانوا في الحقيقةِ سواءً، وصرّفَهُمْ في صُنوفِ الصّناعات، وضُروب المحاولات، إلىٰ أسبابِ معايِشِهِمْ، وأبواب أرزاقِهِم، فجعَلَكُمْ مَعْشَرَ الكُتّاب في أشرَفِ الجِهاتِ، أهْلَ الأدَبِ والمروءةِ والعِلْمِ والرِّوايةِ، بِكُمْ تنتظِمُ للخِلافةِ محاسِنُها، وتَستقيمُ أمورُها، وبِنصائِحِكُم يُصلِحِ اللهُ للخَلْقِ سُلْطانَهُمْ، وتعمُرُ بلادُهُم، لا يستغني الملكُ عنكم، ولا يوجَدُ كافٍ إلاّ منكم،

---

(1) عبد الحميد بن يحيىٰ بن سعد العامري بالولاء، المعروف بالكاتب، عالم بالأدب من أئمّة الكتّاب، كان جدّه مولىٰ للعلاء بن وَهْب العامري، فنُسِبَ إلى بني عامر، يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون، أصله من قيسارية، سكن الشام، واختُص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في الشرق، ويقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يدَيه، وعليه تخرّج، له رسائل تقع في نحو ألف ورقة طبع بعضها، وهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الكتب، ولما قوي أمر العباسيين وشعر مروان بزوال مُلكه قال لعبد الحميد: قد احتجت أن تصيرَ إلىٰ عَدُوّي، وتُظهِرَ الغدرَ بي، وأنّ إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلىٰ حسن الظنّ بك، فأبىٰ عبد الحميد مفارقته، وبقي معه إلىٰ أن قُتِلا معاً في بوصير بمصر. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان 1/307، الوزراء والكتاب/72 ـ 83، ثمار القلوب/155، شرح مقامات الحريري 2/253، الاعلام 4/60 ـ 61.

(2) صبح الأعشىٰ 1/85، جمهرة خطب العرب 2/508 ـ 512.

فموقِعُكُمْ منَ الملوكِ مَوْقِعُ اسماعِهِمْ التي بها يَسْمَعون، وأبصارِهم التي بها يُبْصِرون، وألسِنَتِهم التي بها يَنْطِقونَ، وأيديهم التي بها يبطِشونَ، فأمتعَكُمُ اللهُ بما خَصَّكُمْ من فَضْلِ صناعَتِكُمْ، ولا نَزَعَ ما أضفاهُ من النِّعمة عليكُمْ.

ولَيْسَ أحَدٌ أحوجَ إلى اجتماع خلالِ الخيرِ المحمودةِ، وخِصالِ الفَضْلِ المذكورَةِ المعدودةِ منكُمْ أيُّها الكُتّابُ، إذا كُنْتُمْ على ما يأتي في هذا الكتاب من صِفَتِكُمْ، فإنَّ الكاتِبَ يحتاجُ من نَفْسه، ويحتاجُ منه صاحِبُه الذي يثِقُ به مُهِمّات أموره، أن يكونَ حليماً في مَوْضِعِ الحِلْمِ، فهيماً في مَوْضِعِ الحُكْمِ، مِقداماً في موْضِع الاقدامِ، ومحْجاماً في مَوْضع الاحجامِ، مؤثِراً للعَفافِ، والعَدْلِ والإنصافِ، كتوماً للأسرارِ، وفِيًّا عند الشّدائد، عالماً بما يأتي منَ النّوازِل، يضَعُ الأمورَ مواضِعَها، والطّوارِقَ أماكنَها، قد نظر في كُلِّ فَنٍّ من فُنون العِلْمِ فأحْكَمَهُ، فإنْ لم يُحْكِمْهُ أخَذَ منه بمقدارٍ يكتفي به، يعرِفُ بغريزةِ عَقْله، وحُسْنِ أدبه، وفضلِ تجرِبَته ما يردُ ليه قبلَ وروده، وعاقِبَةَ ما يصدُرُ عنه قبل صُدوره، فيُعِدُّ لكُلِّ أمْرٍ عُدَّتَهُ، وعَتادَهُ، ويُهَيِّء لِكُلِّ وَجْهٍ هَيْئَتَه وعادَته، فتنافسوا يا معشر الكُتّابِ في صنوف الآدابِ، وتَفَقَّهوا في الدِّينِ، وابْدأوا بعِلْمِ كِتابِ الله عزَّ وجلَّ والفَرائِضَ، ثُمَّ العَرَبِيَّة فإنَّها ثِقافُ ألْسِنَتِكُمْ، ثمّ اجيدوا الخَطَّ، فإنَّه حِلْيَةُ كُتبِكُمْ، وارْوُوا الأشعارَ، واعْرِفوا غريبَها ومعانِيَها، وأيّام العَرَبِ والعَجَمِ، وأحاديثَها وسِيَرَها، فإنَّ ذلِكَ مُعينٌ لكُمْ على ما تسمو إليه هِمَمُكُمْ، ولا تُضيِّعوا النَّظَرَ في الحِسابِ، فإنَّهُ قِوامُ كُتّابِ الخَراجِ، وارغَبوا بأنفُسِكم عن المطامِعِ سَنِيِّها ودَنيِّها[3]، وسَفْسافِ الأمور ومحاقِرِها، فإنَّها مَذَلَّةٌ للرِّقابِ، مَفْسَدَةٌ للكُتّابِ، ونزِّهوا صناعَتَكُم عن الدَّناءآت، وارباوا بأنفُسِكُمْ عنِ السعايةِ

(3) السَّنيّ: بفتح السين، المرتفع من الشاء وهو العلو والرفعة، وعكسه الدَّنيّ.

والنَّميمة، وما فيه أهل الجهالاتِ، وإياكُمْ والكِبْرَ والصَّلَفَ والعَظَمةَ، فإنَّها عداوةٌ مُجْتَلَبَةٌ من غيرِ إحنةٍ، وتحابّوا في اللهِ عزَّ وجلَّ في صناعَتِكُمْ، وتواصَوا عليها بالذي هُوَ أَلْيَقُ بأهلِ الفَضْلِ والعَدْلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكُمْ.

وإن نبا الزَّمانُ برَجُلٍ منكم فأعطِفوا عليه وواسوه، حتَّىٰ يرجِع إليه حالُه، ويثوبُ إليه أَمْرُهُ، وإنْ أَقْعَدَ أحدَكُم الكِبَرُ عنْ مَكْسَبِهِ ولقاءِ إخوانه، فزوروه وعظِّموهُ وشاوِروه، واستظهِروا بفَضْلِ تجرِبته، وقِدَم مَعْرِفَتِهِ، وليكُنِ الرَّجُلُ منكُمْ علىٰ مَنِ اصطنَعَهُ واستَظْهَرَ به ليَوْمِ حاجَته إليه، أَحْفَظ منه علىٰ ولده وأخيه، فإنْ عَرَضتْ في الشُّغلِ مَحْمَدَةٌ، فلا يُضَيِّقُها إلاّ إلىٰ صاحبه، وإن عَرَضَتْ مَذَمَّة فلْيَحْمِلْها هو من دونه، ولْيَحْذَرِ السَّقْطَةَ والزَّلةَ والملَلَ عند تغيير الحالِ، فإنَّ العيبَ إليكم مَعْشَرَ الكُتّابِ، أَسْرَعُ منه إلىٰ القُرّاءِ، وهُوَ لكُمْ أفسَدُ منه لها.

فقد علِمْتُمْ أنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إذا صَحِبَهُ الرَّجُلُ، يبذلُ لهُ من نَفْسِهِ ما يجبُ لهُ عليه من حَقِّه، فواجِبٌ عليه أنْ يَعْتَقِدَ لهُ من وفائه وشُكرِهِ وٱحتِماله وصَبْرِهِ ونصيحَته وكُتمانِ سرِّه وتدبير أمرِهِ، ما هُوَ جَزاءٌ لحَقِّه، ويُصَدِّقُ ذلك بفعاله عند الحاجةِ إليه، والاضطرار إلىٰ ما لديه.

فٱستشعِروا ذلكم ـ وفّقكم اللهُ من أنفُسِكُمْ ـ في حالة الرَّخاء والشِّدَّةِ والجِرمان والمواساة والإحسانِ، والسَّرّاء والضَّرّاء، فنِعْمَتِ الشِّيمةُ هذه لِمَنْ وُسِمَ بها من أَهْلِ هذه الصِّناعَةِ الشَّريفةِ، فإذا وُلِّيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ، أو صُيِّرَ إليه من أمرِ خَلْقِ اللهِ وعياله أمرٌ، فلْيُراقبِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وليؤثِرْ طاعَتَهُ، وليكن علىٰ الضعيف رفيقاً، وللمَظلومِ مُنصِفاً، فإنَّ الخلقَ عيالُ اللهِ، وأَحَبُّهم إليه أرْفَقُهم بعياله، ثمّ ليكن بالعدلِ حاكماً، وللأشراف مُكْرِماً، وللْفَيءِ موفِّراً، وللبلادِ عامراً، وللرَّعِيَّةِ مُتَألفاً، وعن إيذائهِمْ مُتَخَلِّفاً.

ولْيكُنْ في مَجْلِسِه متواضِعاً حليماً، وفي سجلاّتِ خراجِهِ، واستِقْصاءِ حُقوقه رفيقاً، وإذا صَحِبَ أحدُكم رجلاً فلْيخْتَبِرْ خلائِقَهُ، فإذا عرف حَسَنها وقَبِيحها، أعانَهُ على ما يوافِقُه منَ الحَسَنِ، واحتالَ لصَرْفِهِ عمّا يَهْواه من القَبيحِ بألْطَفِ حيلةٍ، وأجملِ وسيلةٍ، وقد عَلِمْتُمْ أنَّ سائِسَ البَهيمةِ إذا كانَ بَصيراً بسياسَتها التَمَسَ مَعْرِفَة أخْلاقِها، فإنْ كانَت رَموحاً[4] لم يَهِجْها إذا رَكِبَها، وإنْ كانَتْ شَبُوباً[5] آنَفاها من قِبَل يَدَيْها، وإنْ خافَ منها شُروداً تَوَقّاها من ناحية رأسها، وإن كانَتْ حَروناً قَمَعَ بِرِفْقٍ هواها في طريقها، فإن استمرّت عَطَفَها يسيراً، فَيَسْلَسُ له قِيادُها، وفي هذا الوَصْفِ منَ السِّياسة دلائل لِمَنْ ساس الناسَ، وعامَلَهُمْ، وخَدَمَهُمْ وداخَلَهُمْ.

والكاتِبُ بفَضْلِ أدَبه، وشَريف صَنْعَته، ولطيفِ حيلَته، ومعاملته لِمَن يُجاوِرُهُ منَ النّاسِ ويناظِرهُ، ويَفْهَمُ عنه أو يخافُ سطوَتَهُ، أولى بالرِّفْقِ بصاحِبِهِ ومُداراتِه، وتَقويمِ أوَدِه، من سائسِ البَهيمَةِ التي لا تحيرُ جواباً، ولا تَعرِفُ صَواباً، ولا تَفْهَمُ خِطاباً إلاّ بِقَدْرِ ما يُصَيِّرُها إليه صاحِبُها الراكِبُ عَلَيْها.

ألا فأمْعِنوا رَحِمَكُم اللهُ في النَّظَرِ، وأعْمِلوا فيه ما أمكَنَكُمْ من الرَّوِيَّةِ والفكرِ، تأمَنوا بإذنِ اللهِ مِمَّنْ صحِبْتُموهُ النَّبْوَةَ والإستِثْقالَ والجفوة، ويصيرُ منكُمْ[6] إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشَّفَقَةِ إن شاء الله تعالى.

---

(4) الرموح من الخيل: التي ترفس برجليها.

(5) والشبوب من الخيل: الذي يديم رفع قوائمه عند امتطائه.

(6) تلحظ أن الكاتب جزم كلمة تأمنوا باعتبارها جواب طلب، غير أنه لم يجزم كلمة يصير المعطوفة على تأمنوا، وهذا مجوز عند النحويين، إذ يجوز عندهم النصب والرفع والجزم في المعطوف.

ولا يُجاوِزَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ في هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ، ومَلْبَسِهِ، ومَرْكَبِهِ، ومَطْعَمِه، ومَشْرَبِه، وبنائه، وخَدَمه، وغيرِ ذلك من فنونِ أمرِهِ قَدْرَ حَقِّه فإنَّكُم ـ مع ما فضّلكُم اللهُ به من شَرَفِ صَنْعَتِكُمْ ـ خَدَمةٌ لا تُحمَلونَ في خِدْمَتِكُمْ على التَّقصير، وحَفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أفعالُ التَّضييعِ والتَّبذيرِ، وٱستَعينوا على عَفافِكم بالقَصدِ في كُلِّ ما ذَكَرْتُه لكُمْ، وقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ، وٱحذَروا مَتالِفَ السَّرَفِ، وسُوءَ عاقِبَةِ التَّرَفِ، فإنَّهما يُعْقِبان الفَقْرَ ويُذِلاّنِ الرِّقابَ، ويَفْضَحانِ أهْلَهما، ولا سِيَّما الكُتّابِ، وأربابُ الآدابِ، وللأُمورِ أشباهٌ، وبَعْضُها دليلٌ على بَعْضٍ، فٱستَدِلّوا على مُؤْتَنَفِ[7]، أعمالكُمْ بما سبقت إليه تجربتُكُمْ، ثُمَّ ٱسلُكوا من مَسالِكِ التَّدبيرِ أوضَحَها مَحَجَّةً، وأصدَقَها حُجَّةً، وأحمَدها عاقِبَةً.

وٱعلَموا أنَّ للتَّدبيرِ آفةً مُتْلِفَةً، وهي الوَصْفُ الشاغلُ لصاحِبه عَنْ إنفاذ عَمَله ورُؤيَته، فلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ منكُمْ في مَجْلسه قَصْدَ الكافي من مَنْطقه، وليوجِزْ في آبتدائه وجَوابِهِ، ولياْخُذِ بمجامِعِ حُجَجِهِ، فإنَّ ذلك مَصْلَحَةٌ لِفِعْله، ومَدْفَعَةٌ للتَّشاغُلِ عن إكثارِهِ، وَلْيَضْرَع إلى اللهِ في صِلَةِ توفيقِهِ، وإمدادِهِ بتَسْديده مخافَةَ وُقوعه في الغَلَطِ المُضِرِّ بِبَدنه وَعَقله وأدَبه، فإنَّه إن ظَنَّ مِنْكم ظانٌّ، أو قالَ قائِلٌ: إنَّ الذي بَرَزَ من جَميل صَنْعته، وقُوَّةِ حَرَكَته، إنَّما هُوَ بفَضْل حِيلَته، وحُسْنِ تدبيرِهِ، فَقَدْ تَعَرَّض بظَنِّه أو مَقالَته إلى أنْ يَكِلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى نَفْسِه، فَيصيرَ منها إلى غَيْرِ كافٍ، وذلك على من تأمَّله غيرُ خافٍ.

ولا يَقُلْ أحَدٌ مِنْكُم: إنَّه أبصَرُ بالأُمور، وأحمَلُ لِعِبْءِ التدبيرِ من مُرافِقِهِ في صِناعَته، ومُصاحِبِهِ في خِدمَتِهِ، فإنَّ أعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذوي

(7) المؤتنف: ابتداء الشيء.

الألبابِ منْ رَمَىٰ بالعُجْبِ وراءَ ظَهْرِهِ، ورأىٰ أنَّ صاحِبَهُ أَعْقَلُ منه، وأَحْمَدُ في طريقتِه، وعلىٰ كُلِّ واحدٍ منَ الفريقينِ أنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ، من غَيْرِ اغترارٍ برأيِهِ، ولا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسه، ولا تكاثُرٍ علىٰ أخيه أو نظيره، وصاحِبه وعشيره، وحَمْدُ اللهِ واجِبٌ علىٰ الجميع، وذلك بالتَّواضُع لعَظَمَته، والتَّذَلُّل لِعِزَّته، والتَّحَدُّث بِنِعْمَته.

وأنا أقولُ في كتابي هذا ما سبق به المثل، مَن يَلْزَمِ النَّصيحةَ يَلْزَمْه العمل(*) وهُوَ جَوْهَرُ هذا الكتابِ، وغُرَّةُ كلامِهِ، بَعْدَ الذي فيه من ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فلِذلِكَ جَعَلْتُه آخِرَهُ، وتَمَّمْتُهُ به، تَوَلاَّنا اللهُ وإياكُمْ يا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ والكَتَبَةِ بما يَتَوَلَّىٰ به مَنْ سَبَقَ عِلمُه بإسعادِهِ وإرشادِهِ، فإنَّ ذلك إليه وبيَدِه، والسلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله وبركاتُه.

(*) مثل نسب للأحنف بن قيس، قال الجاحظ عنه في البيان والتبيين: إن هذا القول من كلام الأحنف السائر في أيدي الناس. انظر 2/46.

173

عبدالله بن الأهتم[1] يوصي آبنه لما حضرته الوفاة[2]:

إيهاً عَنْكَ أيُّها الوارثُ، لا تُخدَعْ كما خُدِعَ صُرَيْحِبُكَ أمامَكَ، فقد أتاكَ هذا المالُ حَلالاً، فإياكَ أنْ يكونَ عَلَيكَ وَبالاً، أتاكَ مِمَّنْ كانَ لهُ جموعاً مَنوعاً، يَذْأبُ فيه الليلَ والنَّهارَ، ويقطَعُ فيه لُجَجَ البحارِ، والمفاوزَ والقِفار، ومن باطلٍ جَمَعَهُ، ومن حَقٍّ مَنَعَهُ، جَمَعَهُ فأوعاه، وشَدَّهُ فأوكاهُ[3]، لم يؤدِّ منه زكاةً، ولَمْ يَصِلْ منه رَحِماً.

إنَّ أعْظَمَ الحَسَراتِ يوم القِيامَةِ، أنْ يَرَىٰ الرَّجُلُ مالَهُ في ميزانِ غَيْرِه، فيا لها حَسْرَةً لا تقالُ، وتَوْبةً لا تُنالُ، إنّا للهِ وإنّا إليه راجعونَ[4].

---

(1) عبدالله بن الأهتم المنقري، كان خطيباً، وذا مقامات ووفادات، كان معاصراً للحسن بن أبي الحسن البصري، والذي يبدو أنه كان فيه شيء من البخل، إذ لم يؤد حقّ الله في زكاة أمواله حتى أدركه الموت. انظر: البيان والتبيين 355/1.

(2) الأخبار الموفقيات/105 ـ 106، العقد الفريد 212/3، شرح نهج البلاغة 480/5 وفيه أن الحسن البصري عاد عبدالله بن الأهتم في مرضه الذي مات فيه، فأقبل عبدالله ببصره الى صندوق في جانب البيت ثم قال للحسن: يا أبا سعد فيه مئة ألف لم يؤد منها زكاة ولم توصل بها رحم.

(3) أوكاه: شده بالوكاء وهو رباط القربة أو الدابة، وأوكاه: أحكم رباطه.

(4) الآية/156 سورة البقرة.

174

عبدالله بن جعفر[1] يوصي آبته[2]:

يا بُنَيَّةَ، إياكِ والغَيْرَةَ، فإنَّها مِفْتاحُ الطَّلاقِ، وإياكِ والمعاتَبَةَ، فإنَّها تورثُ البُغْضَةَ[3]، وعَلَيْكِ بالزِّينَةِ والطِّيبِ، واعلَمي أنَّ أزينَ الزِّينةِ الكُحْلُ، وأطيبَ الطيبِ الماءُ.

---

(1) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، وأتى البصرة والكوفة والشام، وكان كريماً يسمى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، وكان أحد الأمراء في جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين. مات بالمدينة نحو سنة 80 هـ. انظر عنه: الاصابة ترجمة/4582، فوات الوفيات 1/209، المحبّر/148، تهذيب ابن عساكر 7/325، التبيين في أنساب القرشيين/94.

(2) البيان والتبيين 2/88.

(3) البغضة: هكذا وردت اللفظة في نشرة عبد السلام هارون لكتاب البيان والتبيين، وهي في نشرة السندوبي: الضغينة.

175

عبدالله بن الحسن بن الحسن[1] يوصي آبنه[2]:

يا بُنَيَّ، إنّي مُؤدٍّ حَقَّ اللهِ عليَّ في تأديبِكَ، فأدِّ إليَّ حَقَّهُ في حُسْنِ الاستماعِ والقُبولِ.

يا بُنَيَّ، أكفُفِ الأذىٰ، وأفِضِ النَّدىٰ، وآستَعِنْ علىٰ السَّلامة بطولِ الصَّمْتِ في المواطن التي تَدْعوكَ نَفْسُكَ إلىٰ الكلام فيها، فإنَّ للقولِ ساعاتٍ يَضُرُّ فيها خَطَأُهُ، ولا يَنْفَعُ صوابُه.

يا بُنَيَّ[3]، إحْذَرْ مشورَةَ الجاهِلِ وإنْ كانَ ناصِحاً، كما تَحْذَرُ العاقِلَ

---

(1) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد، تابعي، من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة، ثم حبسه بها المنصور عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم، ونقله إلى الكوفة، فمات سجيناً فيها، كما حققه الخطيب البغدادي. انظر عنه: الاصابة ترجمة/6587، مقاتل الطالبيين/128، تهذيب ابن عساكر 7/354، تاريخ بغداد 9/431، التبيين في أنساب القرشيين/107.

(2) أمالي اليزيدي/152 ـ 153، البيان والتبيين 1/318 و2/177.

(3) من هنا تبدأ الوصية في لباب الآداب/15، وقد سمّى الموصي عبدالله بن الحسن بن الحسين. يوصي ابنه محمد. قلت: واحسبه واهماً: إذ لا أعرف في أولاد الحسين بن علي رضي الله عنهم من اسمه الحسن. وجزء منها في عيون الأخبار 2/178. وقد وردت روايته هكذا:
استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول، فإنَّ للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب.
وثمة اختلاف طفيف في رواية بيان الجاحظ لا يخل بالإطار العام للوصية.

إذا كانَ عَدُوًّا، فإنَّه يوشِكُ انْ يُورِّطَكَ في بَعْضِ اغتِرارِهِ، فيَسْبِقَ إليكَ مَكْرُ العاقِلِ، وإياكَ ومعاداةَ الرجالِ، فإنَّها لنْ تَعدِمَكَ مَكْرَ حَكيمٍ، أو مُفاجأةَ جاهلٍ لئيمٍ.

176

عبدالله بن شدّاد[1] يوصي آبنه محمداً لما حضرته الوفاة[2]:

يا بُنَيَّ، أرىٰ داعِيَ الموتِ لا يقلِعُ، ومَنْ مَضىٰ مِنّا لا يَرْجِعُ، ومَنْ بقِيَ فإليه يَنْزِعُ، وليْسَ أحَدٌ عليْهِ بممتَنِعٍ، وإني أوصيكَ يا بُنَيَّ بوَصِيَّةٍ فآحفَظْها:

عَليْكَ بتقوىٰ اللهِ العَظيمِ، وليَكُنْ أولىٰ الأمور بكَ الشُّكْرُ للهِ، وحُسْنُ النِّيَّةِ في السِّرِّ والعَلانِيَة، وآعلَمْ بأنَّ الشاكِرَ مُزادٌ[3]، والتُّقوىٰ خَيْرُ زادٍ، وكُنْ يا بُنَيَّ كما قال الحطيئةُ[4]:

ولَسْتُ أرىٰ السَّعادَةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعيدُ
وتقوىٰ اللهِ خَيرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وعِنْدَ اللهِ للأتقىٰ مَزيدُ
وما لا بُدَّ أنْ يأتي قَريبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بَعيدُ[5]

يا بُنَيَّ، لا تَزْهَدَنَّ في مَعروفٍ، فإنَّ الدَّهْرَ ذو صُروفٍ، والأيامُ ذاتُ

---

(1) عبدالله بن شداد بن الهادي الليثي، أبو محمد، كان في صحبة الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان وافد الحجاج بن يوسف هو وأبو كلدة اليشكري إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما خطب الحجاج ابنه. الأغاني 101/10 في ترجمة أبي كلدة اليشكري.

(2) لباب الآداب/22ـ 28، أمالي القالي 202/2 ـ 204، البيان والتبين 57/2 و138، جمهرة خطب العرب 503/2 ـ 506.

(3) فإن الشاكر يزداد. رواية الأمالي.

(4) ديوان الحطيئة/393.

(5) ألى هذا الموضع تنتهي رواية ديوان الحطيئة.

نَوائِبَ، على الشّاهدِ والغائِبِ، فكَمْ من راغبٍ كانَ مَرْغوباً إليه، وطالبٍ قد أصبحَ مَطلوباً ما لديه، واعلَمْ أنَّ الزّمانَ ذو ألوانٍ، ومَنْ يَصْحَبِ الزمانَ يرَ[6] الهَوانَ، وكن أي بُنَيَّ كما قالَ ابو الأسود الدؤلي[7]:

وعَـدِّدْ مِنَ الـرَّحْمنِ فضْـلاً ونِعْمَـةً ... عَلَيْكَ إذا ما جاء للخَيْرِ طـالبُ[8]
وإنَّ امـرأً لا يُـرْتَجى الخيـرُ عِنْـدَهُ ... يكُنْ هَيِّناً ثِقلاً على مَنْ يُصاحِبُ[9]
فـلا تَمْنَعَنْ ذا حاجَـةٍ جاء طـالِباً ... فـإنَّـكَ لا تَـدْرِي مَتى أنـتَ راغبُ
رأيـتُ تصـاريفَ الـزَّمـانِ بأهْـلِهِ ... وبينَهُمُ فيـه تكـونُ النَّـوائِبُ[10]

يا بُنَيَّ، كُنْ جواداً بالمالِ في مَواضِعِ الحقِّ، بخيلاً بالأسرارِ عن جميعِ الخَلْقِ، فإنَّ أحْمَدَ جودِ الحُرِّ الإنفاقُ في وُجوهِ البِرِّ، وإنَّ أحمَدَ بُخلِ الحُرِّ الضَّنُّ بمكتومِ السِّرِّ، وكُنْ يا بُنَيَّ كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري[11]:

أجـودُ بِمَضْنونِ الثَّـلادِ وإنَّـني ... بسِـرِّكَ عَمَّـن سـالَني لَضَنِينُ
إذا جـاوَزَ الإثْنَـيْـنِ سِـرٌّ فـإنَّـه ... بِنَثٍّ وتكثيـرِ الحـديثِ قَمينُ
وإنْ ضَيَّـعَ الإخـوانُ سِـرًّا فـإنَّني ... كَتـومٌ لأسـرارِ العَشيـرِ أمينُ[12]
وعِنـدي لهُ يـوْماً إذا مـا ائْتَمَنْتَـهُ ... مكـانٌ بسـوداءِ الفُـؤادِ مَكينُ[13]

---

(6) في الأمالي: يرى، واحسبها جواب شرطٍ مجزوم، إلا إذا كانت مَن موصولة.
(7) في لباب الآداب: أخو بني الدئل، بدل أبو الأسود الدؤلي، والشعر في ديوانه/229.
(8) رواية فاتحة البيت في الأمالي: (وعدّ). وفي عجزه (للعرف) بدل (للخير).
(9) لا أدري الوجه الذي جزمت فيه بكن في عجز البيت، غير أن البكري في تنبيهه على أوهام القالي قال: إن صواب إنشاده: (وأيّ امرئ). يريد بدل (وإنّ امرأ) في فاتحة البيت.
(10) رواية شطر البيت في الأمالي: ورأيت البؤا هذا الزمان بأهله.
(12) البيت ليس ضمن نص الأمالي هنا وهو في 177/2 منه.
(13) (ائتمنتني) في موضع (ائتمنته) رواية الأمالي.

يا بُنَيَّ، وإنْ غُلِبْتَ يوماً عَنِ المالِ، فلا تَدَعِ الجيلةَ على كُلِّ حالٍ، فإنَّ الكريمَ محتالٌ، واللئيمَ مغتالٌ[14]، وكُنْ أَحْسَنَ ما تكونُ في الظَّاهر حالاً أقلَّ ما تكونُ في الباطلِ مالاً، واعلَمْ أنَّ الكريمَ مَنْ كَرُمَتْ عند الحاجة طبيعَتُه، وظهرتْ عند الإنفاد نِعْمَتُه، وكن كما قال ابنُ خذّاق العبدي:

وجَدْتُ أبي قد آوْرَثَهُ ابوهُ ... خلالاً قد تُعَدُّ من المعالي
فأكرَمُ ما تكونُ عليَّ نَفْسي ... إذا ما قلَّ في الأزماتِ مالي
فَتَحْسُنُ سيرَتي وأصونُ عِرْضي ... ويَجْمُلُ عِنْدَ أهلِ الرأي حالي
فإنْ نِلتُ الغِنى لَمْ أَغْلُ فيه ... ولَمْ أَخْصُص بجفوَتي المُوالي

يا بُنَيَّ، وإن سمعْتَ كَلِمةً من حاسدٍ، فكُنْ كأنَّكَ لَسْتَ بالشَّاهدِ، فإنَّك إنْ أَمْضَيتَها حيالَها وقع[15] العيبُ على من قالَها، وقد كانَ يقال: إنَّ الأريبَ العاقِلَ هو الفَطِنُ المتغافِلُ، وكُنْ كما قال حاتم الطائي:

وما مِنْ شيمتي شَتْمُ آبنِ عَمِّي ... وما أنا مُخْلِفٌ مَنْ يَرْتَجيني
وكِلْمَةَ حاسِدٍ من غَيْرِ جُرْمٍ ... سَمِعْتُ فَقُلْتُ مُرِّي فأنفُلِيني
فعاتبُوها عليه ولَمْ تُعِبْني ... ولَمْ يَفْرَقْ لها يَوْماً جَبيني
وذو اللونينِ يَلْقاني طليقاً ... ولَيْسَ إذا تَغَيَّبَ يأتليني
بَصُرْتُ بعَيْبِه فكَفَفْتُ عَنْه ... مُحافَظَةً على حَسَبي ودِيني[16]

يا بُنَيَّ، لا تُؤاخِ أخاً حتى تُعاشِرَه وتعرِفَ أَمْرَهُ، وتَتَفَقَّدَ موارِدَه

(14) في الأمالي: فإن الكريم يحتال والدنيء عيّال.
(15) في الأمالي: (رجع العيب) بدل (وقع العيب).
(16) فاتحة البيت في الأمالي (سمعت بغيبه).

ومصادِرَه، فإذا آستَطَبْتَ العِشْرَةَ، ورَضِيتَ الخِبرَةَ فآخه[17] على إقالةِ العَثْرَةِ، والمُواساةِ في العِشرَةِ، وكُنْ يا بُنَيَّ كما قال المقنَّعُ الكِنديّ:

أَبْـلُ الـرجـالَ إذا أردتَ إخـاءَهُـمْ ... وتَـوَسَّـمَنَّ بِـعـالَهُـمْ وتَـفَـقَّـدِ
فـإذا ظَفِرْتَ بـذي الأمـانـةِ والتُّقى ... فبِـه اليـدينِ قـريـرَ عَيْنٍ فـآشـدُدِ
وإذا رأيـتَ ـ ولا مـحـالـةَ ـ زَلَّـةً ... فعلى اخيكَ بفَضْـلِ حِلْمِـكَ فآزدَدِ

يا بُنَيَّ، وإذا أَحْبَبْتَ حبيباً فلا تُفْرِطْ، وإذا ابْغَضْتَ بَغيضاً فلا تُشْطِطْ، فإنّه قد قال أميرُ المؤمنينَ رضوان اللهِ عليه[18]: أَحِبَّ حبيبَكَ هَوْناً ما، عسى أن يكونَ بغيضَكَ يوماً ما، وابغض بغيضَكَ هَوْناً ما عسى أنْ يكونَ حَبيبَكَ يوماً ما[19]. وكن كما قال الشاعِرُ هدبة بن الخشرم العذري[20]:

وكُنْ مَعْقِلاً للخَيْرِ وآصفَحْ عَنِ الخَنى ... فـإنَّـكَ راءٍ ـ مـا خَيِيتَ ـ وسـامِـعُ
وأَحْبِبْ ـ إذا احببتَ ـ حُبًّـا مُقـاربـاً ... فـإنَّـكَ لا تـدري متى أنـتَ نـازِعُ
وأبغِضْ ـ إذا أبغَضْتَ ـ بُغْضـاً مُقـارِبـاً ... فـإنَّكَ لا تـدري متى الـودُّ راجـعُ[21]

وعَلَيْكَ يا بُنَيَّ بصُحْبَةِ الأخيارِ، وصِـدْقِ الحديثِ، وإيّـاكَ وصُحْبَةَ الأشرارِ، فإنّه عارٌ، وكُنْ كما قال الدارِميّ[22]:

---

(17) رواية الأمالي: فُواخِهِ.
(18) رواية الأمالي: فإنه قد كان يقال: بدل قال أمير المؤمنين.
(19) هذا القول يعني: أحبب حبيبك.. الخ ورد أيضاً حديثاً مرفوعاً عن النبي ﷺ، رواه أبو داؤد والترمذي، وابن ماجة، من حديث أبي هريرة مرفوعاً، والطبراني من حديث ابن عمرو وابن عمر مرفوعاً، ورواه الدارقطني والبيهقي والبخاري في الأدب المفرد عن علي رضي الله عنه موقوفاً كما هنا.
(20) هذا الشعر نسب إلى أبي الأسود الدؤلي وهو في ديوانه/138. وقد جعل أول الأبيات ثالثاً، وكذلك هي نسبة الأبيات في الأغاني 11/111، وقد قالها أبو الأسود لابنه أبي حرب.
(21) رواية ديوان أبي الأسود والأمالي في قافية البيت (متى أنت راجع).
(22) هو مسكين الدارمي، وقد أورد صاحب الأغاني 18/73، بعض أبيات فيها البيت الأخير

إصحَبِ الأخيارَ وارغَبْ فيهِمُ ... ربَّ مَنْ صاحبتَهُ مثلُ الجَرَبْ
ودَعِ الناسَ فلا تَشْتُمْهُمُ ... وإذا شاتمْتَ فاشتُم ذا حَسَبْ
إنَّ مَنْ شاتَمَ وَغْداً كالذي ... يَشْتري الصُّفْرَ بأعيانِ الذَّهَبْ
وأصدُقِ الناسَ إذا حَدَّثتَهُمْ ... ودَعِ الكِذْبَ فَمَنْ شاءَ كَذَبْ[23]
رُبَّ مَهْزولٍ سَمينٌ عِرْضُه ... وسمينِ الجسمِ مهزولُ الحَسَبْ

يا بُنَيَّ، وإذا آخيتَ فآخِ مَن يُعَدُّ لنوائبِ الزَّمانِ، وعَلَيْكَ بذوي الألبابِ الذينَ ثقَّفَتْهُم الآدابُ، ووثَّقَتهُم الأحسابُ، فإنَّهم أطيبُ مُخْتَبَرٍ، وأكرمُ مُحْتَضَر، وآحذَرْ إخاءَ كلِّ جَهولٍ، وصُحْبَةَ كُلِّ عَجولٍ، فإنَّه لا يَغْفِرُ الزلَّةَ، وإن عَرفَ العِلَّةَ، سريعُ غَضَبُهُ، عالٍ لَهَبُه، إن سألَ ألْحَفَ، وإن وَعَدَ أخْلَفَ، يَرى ما يعطيكَ غُرماً، وما يأخُذُ مِنْكَ غُنْماً، فهو يُرْضيكَ ما طَمِعَ فيكَ، فإذا يَئِسَ من خَيْرِكَ؛ مالَ إلى غَيْرِكَ، وفي مثله يقولُ الشاعِرُ[24]:

لا تُواخِ الدَّهرَ جِبساً راضِعاً ... مُلْهَبَ الشَّرِّ قليلَ المَنفَعَه
ما يَنَلْ مِنْكَ فأحلى مَغْنَمٍ ... ويَرى ظَرْفاً به أنْ يَمْنَعَه
يسألُ الناسَ ولا يُعطيهِمُ ... ثَكِلَتْهُ أمُّه ما أطْمَعَه

يا بُنَيَّ، مَنْ عَتَبَ على الزَّمانِ، وتَتَبَّعَ عَثَراتِ الإخوانِ، قَطَعَهُ صديقُه، ومَلَّه رفيقُه، وآحتَماهُ الأهلونَ، وظَفِرَ به الشَّامِتونَ، ومَنْ سارَ في البلاد؛ ثَمُرَ

= من هذا الشعر، ضمن خبر مفاده أن مسكين الدارمي خطب فتاة من قومه فلم يعجبها لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت رجلاً آخر فرآهما مسكين يوماً فقال:
أنا مسكينٌ لمن يعرفني ... لوني السُّمرة ألوان العرب
في مجموعة أبيات ليس فيها هذا الشعر المثبت ضمن الوصية عدا البيت الأخير منها.

(23) إلى هذا الموضع تنتهي رواية الوصية في أمالي القالي، وبيان الجاحظ.

(24) هو أبو الأسود الدؤلي، والشعر في ديوانه/122، والأبيات أيضاً في حماسة البحتري/58.

المرادَ، وطالبُ الكَفافِ بالقناعَةِ وآلعَفافِ، يعيشُ حميداً، ويموتُ فقيداً، وقد قال النّابغةُ[25]:

إذا المرءُ لَمْ يَطْلُبْ معاشاً لِنَفْسه ... شكا الفَقْرَ أو لامَ الصَّديقَ فأكثرا
وصار على الأدنينَ كلاًّ وأوشَكَتْ ... صِلاتُ ذَوي القُربى لهُ أنْ تنكّرا
فَسِرْ في بلادِ اللهِ والتَمِس الغِنى ... تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعذَرا
وما طالِبُ الحاجاتِ في كُلِّ وِجْهَةٍ ... من النّاسِ إلاّ مَنْ أجَدَّ وشَمَّرا[26]
ولا تَرْضَ من عَيْشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيفَ ينامُ الليلَ من باتَ مُعْسِرا

ولْيكُنْ إخوانُك وأهلُ بطانَتِكَ أولي الدِّينِ وآلعَفافِ والمروءاتِ، والأخلاقِ الجميلةِ، فإني رأيتُ إخوانَ المرءِ يَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ولسانَه الذي يصولُ به، وجَناحَهُ الذي ينهضُ به، فآصحَبْ هؤلاءِ تَجِدْهُم إخواناً، وعلى الخيرِ أعواناً، وآجتَنِبِ الصِّغارَ الأخطارِ، اللئامَ الأقدارِ، الذينَ لا يُحامونَ على حَسَبٍ، ولا يَرْجِعونَ إلى نَسَبٍ، ولا يصبِرونَ على نائِبَةٍ، ولا يَنْظرونَ في عاقِبَةٍ، فإنّهم إنْ رأوكَ في رخاءٍ سألوكَ، وإنْ رأوكَ في شِدَّةٍ أسلَموكَ، ولَعَلَّهُمْ أنْ يكونوا عَلَيْكَ مَعَ بَعْضِ الأعداءِ.

وآعلَمْ بأنَّ الرَّجُلَ بلا خَدينٍ، كذي الشِّمالِ بلا يمينٍ، وآخلِط نَفْسَكَ مع الأبرارِ، وطَهِّرْها من الفجّارِ، فالمرء يعرَفُ بقرينه، وقد قال الشاعِرُ[27]:

---

(25) الأبيات الثلاثة الأولى من النص في الأغاني 16/83، معزوة إلى أبي عطاء السندي، وهي بتمامها في عيون الأخبار 1/243 من غير عزو، والرابع فقط من هذه القطعة في حماسة البحتري/125، وقد نسبها لأبي عطاء السندي أيضاً، وقد أخل بهذا الشعر ديوان النابغة الذبياني بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(26) رواية البيت في حماسة البحتري:

وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى ... من القومِ إلاّ مَن أغَدَّ وشمَّرا

(27) هو صالح بن عبد القدوس، والنص في أحد عشر بيتاً في ديوانه/118، والأبيات في تسلسل النص هي الثاني والخامس والسابع.

وقارِنْ إذا قارَنْتَ حُرًّا فإنَّما يَزِينُ ويَزري بالفَتى قُرَناؤُهْ
ولَنْ يهْلَكَ الإنسانُ إلاّ إذا أتى مِنَ الأمرِ ما لَمْ يرْضَهُ نُصحاؤُهْ
إذا قلَّ ماءُ الوَجْهِ قلَّ حَياؤُهْ ولا خَيْرَ في وَجْهٍ إذا قلَّ ماؤُهْ

يا بُنَيَّ، قد جَمَعْتُ لكَ مصالِحَ نَفْسِكَ، فاستَفْتِحِ اللهَ بمسامِعِ عَقْلِكَ، وتَفَهَّمْ ما وَصَفْتُ لكَ بالتَّجارِبِ، تحُزْ صَلاحَ العواقِب.

واعلَمْ[28] أنَّ مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ تَوَرَّعَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْها خَسِرَ، ومَنْ نَظَرَ في العواقِبِ نَجا، ومَنِ اعتَبَرَ أبصَرَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ، وفي التَّواني تكونُ الهَلكةُ، وفي التأنّي السَّلامةُ، وزارِعُ البرِّ يَحْصِدُ المُرورَ، والقَليلُ مع القَناعَةِ في القَصْدِ خَيْرٌ من الكثير مع السَّرَفِ في المذَلَّةِ، والتَّقْوى نجاةٌ، والطاعَةُ مُلْكٌ، وحَليفُ الصِّدْقِ مُوَفَّقٌ، وصاحِبُ الكذِبِ مَخذولٌ، وصَديقُ الجاهِلِ تَعِبٌ، ونَديمُ العاقِلِ مُغْتَبِطٌ، فإذا جَهِلْتَ فَسَلْ، وإذا نَدِمْتَ فأقْلِعْ، وإذا غَضِبْتَ فأمسِكْ، ومَنْ لاقاكَ بالبِشْرِ فقد أدّى إليكَ الصَّنيعَةَ، ومَنْ أقرَضَكَ الثَّناءَ فأقضِهِ الفَضْلَ.

وضَعْ - يا بُنَيَّ - الصَّنائِعَ عِنْدَ الكرامِ ذوي الأحسابِ، ولا تَضَعَنَّ معروفَكَ عِنْدَ اللئامِ فتُضَيِّعَهُ، فإنَّ الكريمَ يَشْكُرُكَ، ويَرْصُدُكَ بالمكافأةِ، وإنَّ اللئيمَ يحسِبُ ذلكَ حَتْماً، ويؤولُ أمرُكَ معه إلى المذلَّةِ، وقد قال الشاعِرُ:

إذا أولَيْتَ مَعروفاً لَئيماً فَعُدْكَ قَدْ قَتَلْتَ لهُ قَتيلاْ
فَعُدْ من ذاكَ مُعْتَذِراً إليه وقُلْ إني آتيتُكَ مُسْتَقيلا
فإنْ تَغْفِرْ فَمُجْتَرِمٌ عظيمٌ وإنْ عاقَبْتَ لَمْ تَظْلِمْ فتيلا
وإن أولَيتَ ذلكَ ذا وفاءٍ فقد أودَعْتَهُ شُكراً طويلا

(28) من هذا الموضع وإلى نهاية الوصية عزاها ابن عربي في وصاياه/201 إلى بعض العلماء في وصية أوصى بها، وقد ورد اختلاف طفيف في بعض ألفاظها.

177

عبدالله بن عباس رضي الله عنه يوصي الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقد كتب إليه بذلك[1]:

إنَّ المُسلمينَ وَلّوك أمْرَهُم بعْدَ عليٍّ، فشمِّرْ للحَرْبِ، وجاهِدْ عَدُوَّكَ، ودارِ أصحابَكَ، واشْتَرِ مِنَ الضِّنين[2] دينَهُ بما لا يَثْلُمُ دينَكَ، ووَلِّ أهْلَ البُيوتاتِ والشَّرَفِ تَسْتَصْلِحْ بهم عشائِرَهُم حتىٰ تكونَ الجماعَةُ، فإنَّ بعضَ ما يكرَهُ النّاسُ ما لَمْ يَتعدَّ الحقَّ، وكانَتْ عواقِبُه تُؤدي إلىٰ ظهورِ العَدْلِ، وعَزِّ الدينِ، خيرٌ مِن كثيرٍ ممّا يُحِبونَ إذا كانت عَواقِبُهُ تدعو إلىٰ ظهور الجورِ ووَهَنِ الدينِ.

---

(1) عيون الأخبار 1/14.

178

عبدالله بن مسعود[1] يوصي رجلاً، وقد طلب منه ذلك[2]:

اعبُدِاللهَ ولا تُشرِكْ به شيئاً، وزُلْ معَ القُرآنِ حَيْثُ زالَ، ومَنْ جاءَكَ بالحَقِّ فاقبَلْ منهُ وإن كانَ بعيداً بَغيضاً، ومَنْ جاءَكَ بالباطلِ فاردُدْ عليه وإن كانَ حبيباً قَريباً.

---

(1) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت، ويمشي معه، نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء ملىء علماً، وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً، وكان قصيراً جداً، يكاد الجلوس يوارونه، وكان يحب الإكثار من التطيب، فإذا خرج من بيته عرف جيرانه أنه مرّ، من طيب رائحته. انظر في ترجمته: الاصابة ترجمة/4955، غاية النهاية 1/458، البدء والتاريخ 5/97، صفة الصفوة 1/154، حلية الأولياء 1/124، الأعلام 4/280.

(2) حلية الأولياء 1/134.

179

عُتْبة بن أبي سفيان[1] يوصي عبد الصَّمَد، مؤدب ولده[2]:

ليَكُنْ اوّلَ ما تبدأ سن إصلاحِ بَنيَّ إصلاحُ نَفْسِك، فإنَّ اعيُنَهُمْ معقودَةٌ بعَيْنَيْكَ[3]، فالحَسَنُ عندهُمْ ما آستَحْسَنْتَ[4]، والقَبيحُ عندهُم ما استقبحْتَ[5]، وعَلِّمْهُمْ كِتابَ اللهِ، ولا تُكرِهْهُم عليه فيَملّوهُ[6]، ولا تَتْرُكْهُمْ منه فيهجِروهُ، ثمّ روِّهِم من الشِّعْرِ أعَفَّهُ، ومنَ الحديثِ اشرَفَهُ، ولا تُخْرِهْهُمْ من عِلْمٍ إلى غَيْرِهِ حتى يُحكِموه، فإنَّ ازدِحامَ الكلامِ في السَّمْعِ

---

(1) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، امير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة 43 هـ، ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطاً، فابتنى داراً في حصنها القديم، وتوفي بها، كان عاقلاً فصيحاً مهيباً، من فحول بني أمية، شهد مع عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة، وفقئت عينه، وحج بالناس سنة 41 وسنة 42 هـ. قال الأصمعي: الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان. تجد ترجمته في: السيرة الحلبية 2/138، نسب قريش/125 و153، النجوم الزاهرة 1/122 ـ 124، رغبة الآمل 4/33، و8/159 و271، الأعلام 4/360.

(2) البيان والتبيين 2/68 ـ 69 شرح مقامات الحريري 5/214، النجوم الزاهرة 1/123، محاضرات الأدباء 1/29 ـ 30، وقسم منها في عيون الأخبار 2/166، والعقد الفريد 2/436، ولعل صاحب العقد قد نقلها عن عيون الأخبار، غير أنه نسبها إلى عمرو بن عتبة لمعلم ولده.

(3) في شرح المقامات: فإنَّ عيوبهم معقودة بعيبك، وكذلك النجوم الزاهرة.

(4) في شرح المقامات والعقد الفريد: (ما صنعت) بدل (ما آستحسنت) والنجوم الزاهرة (ما فعلت).

(5) والقبيح عندهم ما تركت ورواية الشريشي والنجوم الزاهرة.

(6) في شرح المقامات: ولا تمهلهم فيه فيتركوه. والنجوم الزاهرة (لا تملهم) في موضع (لا تكرههم).

مَضِلَّةٌ للفَهْمِ[7]، وتَهَدَّدْهُمْ بي، وأدِّبْهُمْ دوني، وكُنْ لهُمْ كالطَّبيب الذي لا يعجَلُ بالـدَّواءِ قبلَ مَعْـرِفَةِ الـداءِ، وجَنِّبْهُمْ محادَثَـةَ النِّساءِ، ورَوِّهِمْ سِيَـرَ الحُكَماء، واستَزِدني بزيادَتِكَ[8] إيّاهُمْ أزِدْكَ، وإياكَ أنْ تتّكِلَ على عُذْرٍ مِنّي لكَ، فقَدِ اتّكَلْتُ على كِفايَةٍ مِنْكَ[9]، وزِدْ في تأديبهم أزِدْكَ في بِرّي، إن شاءَ اللهُ تعالى[10].

(7) من قوله: ولا تخرجهم من علم... إلى قوله مضلة للفهم مجتزأ من الوصية في عيون الأخبار 2/167.

(8) في العقد الفريد: واستزدني بآدابهم أزدك.

(9) الى هنا تنتهي رواية النجوم الزاهرة.

(10) ورد في بعض روايات الوصية في مصادرها اختلاف يسير لا يخل بالمعنى العام للوصية، غير أنها وردت في محاضرات الأدباء هكذا:
ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك، فإنَّ عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح ما استقبحته، علمهم كتاب الله، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تكرههم على علم فيملوه، ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم، وعلمهم سير الحكماء، وهددهم وأدبهم دوني، ولا تتكل على كفاية منك، واستزدني بتأثيرك أزدك. إن شاء الله تعالى.

180

عتبة بن أبي سفيان يوصي بنيه وقد أراد سفراً[1]:

يا بَنِيَّ، تآلَفوا النِّعَمَ بحُسْنِ مُجاوَرَتِها، والتَمِسوا المزيدَ فيها بالشُّكرِ عليْها، وآعلموا أنَّ النُّفوسَ أَقْبَلُ شيءٍ لما أُعْطِيَتْ، وأَعطى شيءٍ لما سُئِلَتْ، فآحملوها على مَطِيَّةٍ لا تُبطِئُ إذا رُكِبَتْ، ولا تُسْبَق وإنْ تُقُدِّمَتْ، عليها نجا مَنْ هَرَبَ مِنَ النّارِ، وأَدْرَكَ مَنْ سابَقَ إلى الجنة[2].

(1) عيون الأخبار 2/351.

(2) ورد في نهايتها ما نصه: فقال الأصاغر: يا أبانا ما هذه المطيَّة؟ قال: التوبة.

181

عُتْبة بن أبي سفيان[1] يوصي ابنه الوليد[2] قال[3]:

يا بُنَيَّ[4]، إنَّهُ مَنْ كَتَمَ سرَّهُ؛ كانَ الخِيارُ لهُ، ومَنْ أفشاهُ؛ كانَ الخِيارُ عَلَيْهِ، فلا تكونَنَّ مملوكاً، بعْدَ أنْ كُنْتَ مالِكاً[5].

قال ـ يعني الوليد ـ قُلْتُ: وإنَّ هذا لَيَجْري بينَ الرَّجُلِ وأبيهِ؟ قال: لا، ولكنّي أكرَهُ أنْ تُذَلِّلَ لسانَكَ بأحاديثِ السِّرِّ[6].

---

(1) عتبة بن أبي سفيان، سبقت ترجمته على هامش الوصية المرقمة/

(2) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، أمير من رجالات بني أمية فصاحة وجلماً وذكاءً وكرماً، ولي المدينة سنة 57 هـ في أيام معاوية، وعزله عنها يزيد سنة 60 هـ، وظل الوليد في المدينة، وحجّ بالناس سنة 62 هـ، وتوفي بالطاعون سنة 64 هـ. انظر عنه: نسب قريش/133، مرآة الجنان 1/140، كامل ابن الأثير 3/202، 204، الأخبار الطوال/240 ـ 241.

(3) عيون الأخبار 1/40، الفاضل/101، نهاية الأرب 6/82.

(4) ورد في مقدمة الوصية ما نصّه:
قال الوليد بن عتبة لأبيه: إنْ أمير المؤمنين أميرٌ إليَّ حديثاً، ولا أراه يطوي عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال: يعني عتبة ـ يا بنيّ...

(5) إلى هنا تنتهي رواية الوصية في نهاية الأرب. وقد عزى الخبر في فاضل المبرد إلى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان. وقد أنشد في آخرها أبياتاً من الشعر وهي:

دسَّت إليَّ رسولاً لا تكن عَجِلاً ... واحذَرْ مُديبَّ وأمرُ الحازم الحذرُ
إني رأيتُ رجالاً من ذوي رحمٍ ... هم العدوّ بظهر الغَيْبِ قد نَبذوا
إنْ يقتلوكَ كفاكَ القتلَ قادِرُهُ ... والله جارك مما يُزعِجُ النُّفَرُ
فالسِّرُّ يكتمه الخِلّانِ بينهما ... وكلُّ سرٍّ هذا الخِلّين مُنْتَشِرُ

(6) قال الوليد: فحدثت به معاوية فقال: يا وليد: أعتقك أخي من رقّ الخطأ.

182

عثمان بن أبي العاص الثقفي[1] يوصي بنيه[2]:

يا بَنِيَّ، إنِّي قد أمْجَدْتُكُمْ في امهالِكُمْ، وأحْسَنْتُ في مِهْنَةِ أموالِكُمْ، واني ما جَلَسْتُ في ظلِّ رجُلٍ من ثَقيفٍ أشَتُمُ عِرْضَهُ، فلْيَنْظُرْ آمروءٌ مِنْكُمْ حيثُ يَضَعُ غَرْسَهُ، والعِرْقُ السُّوءُ قَلَّما يُنْجِبُ ولَوْ بَعْدَ حينٍ.

---

(1) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، صحابي، من أهل الطائف، أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر رضي الله عنه، ثم ولاه عمر عمان والبحرين سنة 15 هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحبَّ، فاستخلف أخاه الحكم، واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي، له فتوح وغزوات بالهند وفارس، وفي البصرة موضع يقال له شط عثمان منسوب إليه، وهو الذي منع ثقيفاً عن الردّة، خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أولهم ارتداداً. ترجمته في: الاصابة ترجمة/5443، ابن سعد 372/5، جمهرة أنساب العرب/254، الاعلام 368/4.

(2) البيان والتبيين 62/2، الأغاني 45/12، وقد نسبها لغيلان بن سلمة. وقد ثبتها في موضعها من هذا الكتاب لما فيها من اختلاف. انظر الوصية المرقمة/186.

183

عُرْوة بن الزبير بن العوام[1] يوصي بنيه[2]:

تَعَلَّموا العِلْمَ، فإنَّكُمْ إنْ تكونوا صِغارَ قومٍ؛ فعسى أنْ تكونوا كِبارَ قومٍ آخرينَ. ثمَّ قال:

النامُ بأزمانِهِمْ أشبَهُ مِنْهُمْ بآبائِهِمْ، وإذا رأيتُم من رَجُلٍ خَلَّةً فاحذَروهُ، واعلموا أنَّ عِنْدَهُ لها أخوات.

---

(1) عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي القرشي، أبو عبدالله، أحد الفقهاء السّبعة بالمدينة، كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، ثم يدخل في شيء من الفتن، وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج، وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها، وهو أخو عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه. وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه. انظر عنه: وفيات الأعيان 316/1، صفة الصفوة 47/2، حلية الأولياء 176/2، التبيين في أنساب القرشيين/231، الأعلام 17/5.

(2) البيان والتبيين 207/2.

184

عليّ بن الحسين[1] يوصي آبنه[2]:

يا بُنَيّ، إصبِرْ على النّوائبِ، ولا تَعَرَّضْ للحُتوفِ، ولا تُجِبْ أخاكَ منَ الأمرِ إلى ما مَضرَّتُه عَلَيْكَ أكثر من مَنْفَعَتِه لك[3].

(1) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب «زين العابدين» رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، واحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، يقال له: عليّ الأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر، مولده ووفاته بالمدينة، أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً، فكانوا نحو مئة بيت، قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ إلا بعد موت زين العابدين، وقال محمد بن إسحق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومأكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم. وليس للحسين السبط عقب إلا منه.
وقد حملت صاحب الوصية على علي بن الحسين زين العابدين الذي يقال له علي الأصغر، لأن علي بن الحسين المعروف بعلي الأكبر، الذي قتل في كربلاء في وقعة الطف، ذكر المؤرخون أنه ليس له عقب.
انظر في ترجمته: وفيات الأعيان 320/1، طبقات ابن سعد 156/5، تاريخ اليعقوبي 45/3، صفة الصفوة 52/2، حلية الأولياء 133/3، نزهة الجليس 15/2، الأعلام 86/5.
وانظر عن علي الأكبر: مقاتل الطالبيين/80 و114، نسب قريش/57، البداية والنهاية 185/8، الاعلام 86/5.

(2) العقد الفريد 153/3، البيان والتبيين 71/2.

(3) رواية بيان الجاحظ:
يا بني إصبر على النائبة، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شيء ضرره عليك أعظم من منفعته له.

185

عمر بن هبيرة[1] يوصي مسلم بن سعيد، لما وجّهَهُ إلى خراسان[2]:

أوصيك بثلاثةٍ، حاجِبِكَ، فإنّهُ وَجْهُكَ الذي به تَلْقَى النّاسَ، إنْ أحْسَنَ؛ فأنْتَ المُحْسِنُ، وإنْ أساءَ فأنْتَ المُسيءُ، وصاحِبِ شُرْطَتِكَ، فإنّهُ سَوْطُكَ وسَيْفُكَ، حَيْثُ وَضَعْتَها فَقَدِّرْ ضِعَتَها [و] عمالِ القَدْرِ[3]، قال: وما عُمّالُ القَدْرِ؟ قال: أنْ تَختارَ من كُلِّ كورَةٍ رجالاً لعَمَلِكَ، فإنْ أصابوا فَهُوَ الذي أرَدْتَ، وإن أخطأوا فهُمُ المُخْطِئونَ، وأنْتَ المصيبُ.

---

(1) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفَزاري، أبو المثنى، أمير من الدهاة الشجعان، كان رجل أهل الشام، وهو بدوي أميّ، صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم، فأظهر بسالة، ولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة، وغزا الروم من ناحية أرمينية، فهزمهم، وأسر منهم خلقاً كثيراً، واستمر على الجزيرة إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراق وخراسان، فكانت إقامته في الكوفة، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة 105 هـ، وولّى خالد بن عبدالله القسري، فحبسه خالد في سجن واسط، ثم فرّ منه إلى مسلمة بن عبد الملك، فاسترضى له هشاماً فرضي عنه وأمّنه. توفي سنة 110 هـ. ترجمته في: كامل ابن الأثير 5/37 ـ 38 و46، مروج الذهب 5/458، الاعلام 5/230.

(2) العقد الفريد 1/19.

(3) عمال القدر: أهل الرفعة والحسب والشرف.

186

عمر بن هُبَيْرَة يؤدِّبُ بعْضَ بنيه[1]:

لا تكونَنَّ أوَّلَ مُشيرٍ، وإياكَ والرأي الفطيرَ، وتَجَنَّبِ ارتجالَ الكلامِ، ولا تُشِرْ على مُسْتَبِدٍّ، ولا على وَغْدٍ، ولا على مُتَلَوِّنٍ، ولا على لجوجٍ، وخَفِ اللهَ في مُوافَقَةِ هَوَى المُسْتشيرِ، فإنَّ التِماسَ مُوافَقَته لؤمٌ، وسُوءُ الاستماعِ منه خيانةٌ[2].

(1) البيان والتبيين 2/193، نهاية الأرب 6/77.

(2) ورد نص الوصية في نهاية الأرب هكذا:
لا تكن أول مشير، وإياك والرأي في الفطير، ولا تشيرَنَّ على مُسْتَبِدٍّ، فإنَّ التماس موافقته لؤمٌ، والاستماع منه خيانة.

187

عُمير بن حبيب[1] يوصي بنيه[2]:

يا بَنِيَّ، إياكُمْ ومُخالَطَةَ السُّفهاء، فإنَّ مُجالَسَتَهُمْ داءٌ، وإنَّهُ مَنْ يَحْلُمْ عنِ السَّفيهِ يُسَرَّ بحِلْمه، ومَنْ يُجِبْهُ يَنْدَمْ، ومَنْ لا يَقَرُّ بقليل ما يأتي به السَّفيهُ يقَرّ بالكثير، وإذا أرادَ أحَدُكُمْ أن يأمُرَ بالمعروفِ أو ينهىٰ عَنِ المنكَرِ، فلْيُوَطِّنْ قبْلَ ذلك علىٰ الأذىٰ، ولْيُوقِنْ بالثَّوابِ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ، إنَّه مَنْ يوقِنْ بالثَّوابِ منَ اللهِ عَزَّ وجلَّ، لا يَجِدْ مَسَّ الأذىٰ.

---

(1) عمير بن حبيب: لم أجد لهذا الاسم ترجمة في المظان. غير أن الذي فيها، عمير بن الحباب بن جعدة السلمي، رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيدالله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر، ثم أتىٰ قرقيسيا خارجاً علىٰ عبد الملك بن مروان، وتغلب علىٰ نصيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها، ونشبت بينه وبين اليمانية وبني كلب وتغلب وقائع، منها يوم ماكسين، ويوم الثرثار الأول، ويوم الثرثار الثاني، والعذيب، والكير، والمعارك، والشرعية، والبليخ، ويوم الحشاك. وهو الذي قتل فيه صاحب الترجمة، وكان بطل هذه الوقائع كلها، قتله بنو تغلب. كامل ابن الأثير حوادث سنة 70 هـ، معجم الشعراء/245، الاعلام 5/264. وقد ثبت هذه الترجمة احتساباً أن يكون هو الموصي. والله أعلم.

(2) أمالي القالي 2/57.

188

غيلان بن سلمة[1] يوصي بنيه[2] لما حضرته الوفاة[3]:

يا بَنِيَّ، قد أَحْسَنْتُ خدمة أموالِكُمْ، وأمجَدْتُ أُمّهاتِكُمْ، فلَنْ تَزالوا بخيرٍ ما غَذَوْتُم من كَريمٍ، وغذا منكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِبُيوتاتِ العَرَبِ؛ فإنّها مَعارِجُ الكَرَمِ، وعَلَيْكُمْ بكُلِّ رمكاءَ ركينة[4]، أو بيضاء رَزينة، في خدرِ بَيْتٍ يُتْبَعُ، أو جَدٍّ يُرْتَجى، وإياكم والقَصيرَةَ الرَّطْلَة[5]، فإنَّ أبغض الرجال إليَّ أن يقاتِلَ عن إبلي، أو يُناضِلَ عن حَسَبي القَصيرُ الرَّطْلُ، ثمّ انشأ يقول:

وحُـرَّةٍ قَـوْمٍ قـد تَنَـوَّقَ فِعْـلُها ... وزَيَّـنـهـا أقـوامُـهـا فَتَـزَيَّـنَـتْ
رَحَـلْتُ إلـيـهـا لا تُـرَدُّ وَسـيـلتي ... وحَـمَّلْتُـهـا من قَـوْمِـهـا فَتَـحَمَّلَتْ

---

(1) غيلان بن سَلَمة الثقفي، حكيم شاعر جاهلي، أدرك الإسلام، وأسلم يوم الطائف، وعنده عشر نسوة، فأمره النبي ﷺ فاختار أربعاً، فصارت سنّة، وكان أحد وجوه ثقيف، انفرد في الجاهلية بأن قسم أعماله على الأيام، فكان له يوم يحكم فيه بين الناس، ويوم ينشد فيه شعره، ويوم ينظر فيه إلى جماله، وهو ممن وفد على كسرى وأعجب كسرى به وبكلامه. ترجمته في: مجمع الأمثال 26/1، الاصابة ترجمة/6926، الاستيعاب على هامش الاصابة 186/3، تاريخ اليعقوبي 214/1، طبقات ابن سلاّم/69، المحبّر/357، الاعلام 319/5، الأغاني 47/12.

(2) قدم أبو الفرج الأصفهاني لهذه الوصية بقوله: لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية قال: يا بني... الوصية.

(3) الأغاني 49/12.

(4) الرمكاء: أصلها الفرس تتخذ للنسل، وقد استعارها الموصي للمرأة الولود: والركينة: الممتلئة.

(5) الرطلة: الضعيفة، أو الذاهبة في اللين. ومن الرجال: الضعيف الواهن.

189

الفرافِصَةُ بن عَمْرٍو الكَلْبي[1] يوصي ابنته[2] حين جَهَّزها إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه[3]:

يا بُنَيَّة، إنَّكِ تَقْدمينَ على نساءِ قُرَيْشٍ، وهُنَّ أَقدَرُ على الطِّيبِ منْكِ، فلا تُغْلَبي على خَصلتينِ: الكُحْلِ والماءِ، تَطَهَّري حتى يكونَ ريحُكِ ريحَ شَنٍّ[4] أصابَه المَطَرُ.

---

(1) الفرافصة بن عمرو، وقيل: ابن الأحوص بن عمرو (عفر) بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن علي بن جناب، أصله من بادية السماوة، وكان نصرانياً، خطب إليه سعيد بن العاص، لما ولي الكوفة زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ابنته هنداً، فزوجها له، والذي يبدو أنه بقي على نصرانيته رغم إسلام ابنه ضب وبناته.
الأغاني 15/70 في أخبار ابنته نائلة.

(2) هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية، كانت خطيبة شاعرة من ذوات الرأي والشجاعة، حملت إلى عثمان رضي الله عنه من بادية السماوة، وحين أحست الغربة حزنت لفراق أهلها، وقد ذكرت ذلك في أبيات تخاطب بها أخاها ضبّاً الذي تولّى أمر زواجها وهي:

ألستَ ترى يا ضبُّ بالله أنني ... مُصاحِبةٌ نحو المدينةِ أَرْكُبا
إذا قطعوا حَزْناً تحت ركابهم ... كما زعزعت ريحٌ براعاً مُثَقَّبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضمٍ ... لك الويل ما يغني الجبانُ المُطنَّبا

وهي التي ألقت نفسها على عثمان رضي الله عنه يوم الدار فقطعت أصابعُها، ترجمتها مطولة في الأغاني 15/70، نسب قريش/105، 180، المحبّر/294، وفيه أنّ معاوية خطبها بعد عثمان وألحّ عليها، فقلعت ثنيتيها وبعثت بهما إليه، فأمسك حينئذٍ عنها، وبلاغات النساء/70.

(3) عيون الأخبار 4/76، الأغاني 15/70، وقد وردت الجملة الأخيرة فيه هكذا:
فاحفظي عني خصلتين، فتكحلي وتطيّبي بالماء، حتى يكون ريحك ريح شنٍّ أصابه المطر.

(4) الشن: القربة القديمة الصغيرة ولا أحبه يريده. وأقدر أنه يريد الطين الذي إذا بلله ماء المطر فاح منه ريح طيبة.

190

قيس بن عاصِم المِنْقَري[1] يوصي بنيه[2]:

أوصيكُمْ بتَقوىٰ اللهِ عَزَّ وجلَّ، وسوِّدُوا أكبَرَكُمْ، فإنَّ القَوْمَ إذا سَوَّدُوا أكبَرَهُم لم يَفْقِدوا أباهُمْ، وضعوا كَرائِمكم في أعقابكُمْ، وتَزَوَّجوا في مِثْل ذلك، فإنّكم إذا فَعَلْتُم مثلَ ذلك خَلَفْتُم اباكُم، وعَلَيْكُمْ بطَلَبِ المالِ وٱصطِناعِه، فإنَّ المالَ مَنْبَهَةٌ للكَريمِ، ويُسْتَغْنَىٰ به عن اللئيم، وإيّاكُمْ ومسألَةَ الرِّجالِ، فإنّها آخِرُ[3] كَسْبِ المرءِ[4]، ولا يَعْلَمَنَّ بمَذْقَتي بكر بن

---

(1) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو عليّ، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، كان شاعراً، اشتهر وساد في الجاهلية، وهو ممن حرّم على نفسه الخمرة فيها، ووفد على النبي ﷺ في وفد تميم سنة 9 هـ فأسلم، وقال النبي ﷺ لما رآه: «هذا سيد أهل الوبر»، واستعمله على صدقات قومه، ثم نزل البصرة في أواخر أيامه، وتوفي فيها نحو سنة 20 هـ. الاصابة ترجمة/7194، امتاع الأسماع 1/434، المحبر/238 و248، رغبة الآمل 3/10 و4/99، معجم الشعراء/324، خزانة البغدادي 3/328، سمط اللآلئ/487، مجالس ثعلب/36، الأغاني 12/151، الأعلام 6/57.

(2) المعمرون/135، وبعضها في البيان والتبيين 2/75، وأمالي الزجاجي/20 ـ 21، رغبة الآمل 3/10، وعيون الأخبار 3/190، وقد رويت الوصية بأوجه متعددة، وروايا مختلفة، ولذلك رأيت أن أثبت وجهاً آخر للوصية بعد هذه، لأنها أطول بعض الشيء.

(3) علق المبرد في الكامل على قول الموصي: آخر كسب المرء بقوله:
آخر بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمدّ فقد أخطأ ومعنى آخر: أدنى وأرذل.

(4) إلى هذا الموضع تنتهي الوصية في بيان الجاحظ، وأمالي الزجاجي ورغبة الآمل، والرواية فيها وردت هكذا:
يا بني، احفظوا عنّي، فلا أحد أنصح لكم منّي، إذا متّ فسوِّدوا كباركُمْ، ولا تسوّدوا صغاركم، فيسفّه الناسُ كبارَكم وتهونوا عليهم، وعليكُمْ باستصلاح المال، فإنّه منبهة

وائـل[5]، فـإني كُنتُ أغـاورهُمْ[6] في الجـاهليـة، وكـانت بيْني وبينهم خماشات[7]، فأخافُ أنْ يفتِنوكُمْ في دينِكُمْ، أو يُدخِلوا عليكُمْ غَضاضَةً، ولا تَنوحوا عليَّ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُنَحْ عليه.

= للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. وإياكم ومسألة الناس، فإنها شرّ كسب المرء ا.هـ. وفي رواية: آخر كسب المرء.

(5) بكر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان، جد جاهلي، من نسله، بنو يشكر، وحنيفة، والدؤل، ومرة، وبنو عجل، وتيم الله، وذهل بن شيبان، وكان صنم البكريين في الجاهلية يدعى «المحرّق» شاركتهم في ربيعة كلها، أقاموه في سلمان وراء الكوفة، وجعلوا في كل حيّ من ربيعة ولداً له، وكان سدنته آل الأسود من بني عجل، ومن أصنامهم أوال بضم الهمزة، وكان من أصنام تغلب قبلهم، وذو الكعبين، وكان قبل زمن صنماً لأياد. انظر: سبائك الذهب/52، جمهرة خطب العرب/290 و460، دائرة المعارف الإسلامية 4/41 ـ 47، معجم قبائل العرب 1/93 ـ 99.

(6) أغاورهم: أغير عليهم بين فترة وأخرى.

(7) الخماشات: ما دون الدية، كقطع اليد وغيرها.

191

قَيْس بن عاصم ٱلمنقري يوصي بنيه[1]:

يا بنيّ، خُذوا عَنّي، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكُمْ منّي، إذا دَفَنْتُموني فانْصَرِفوا إلىٰ رحالِكُم، فسوِّدوا أكبَرَكُمْ، فإنَّ القَومَ إذا سَوَّدُوا أكبَرَهُمْ خَلَفوا اباهُمْ، وإذا سوَّدوا اصْغَرَهُمُ ٱزدَرىٰ ذلِكَ بهم في أكفائِهِمْ.

وإياكم ومَعْصِيَةَ اللهِ، وقَطيعَةَ الرَّحِمِ، وتَمَسَّكوا بطاعَةِ أمرائِكُمْ، فإنَّهُمْ مَنْ رَفعوا ٱرتَفَعَ، ومَنْ وَضَعُوا أتَّضَعَ.

---

(1) بلوغ الأرب 3/173 ـ 174، الأغاني 12/156، باختلاف يسير وحذف من أجزاء الوصية، وإضافة عليها، وجاء نصها هكذا:
يا بنيّ، إذا متّ فَسَوِّدوا كبارَكُم، ولا تُسَوِّدوا صغارَكُم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكُم، وعليكم بإصلاح المال، فإنّها منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإذا متّ فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد، وأن امرؤ لم يسأل إلاّ ترك مكسَبَه، وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل، فقد كانت بيتا خماشات في الجاهلية، ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر ثم قال: أكسروها، فلم يستطيعوا، ثم قال: فرِّقوا، فَفَرَّقوا، فقال: أكسروها سهماً سهماً فكسروها، فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة، ثم قال:

إنّما المجدُ ما بنى والد الصِّـ ... ـدْق وأحيا بسالَةُ المولودُ
وتمام الفضل الشجاعة والجلْـ ... ـمُ إذا زانَه عفافٌ وجودُ
وثلاثون يا بنيَّ إذا ما ... جمعتهُم في النائباتِ المُهودُ
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما ... شُدَّها للزّمانِ قِدح شديدُ
لم تُكسَّرْ وإن تفرَّقتِ الأسـ ... ـهُمُ أودىٰ بجمعها التبديدُ
ودواء الحلم الأكابرُ أولىٰ ... أن يرى منكم لهم تسويدُ
وعليكُمْ حِفْظُ الأصاغِرِ حتىٰ ... يبلغَ الحنثَ الأصغرُ المجهودُ

وعَلَيْكُمْ بهذا المالِ فأَصْلِحوهُ، فإنَّهُ مَنْبَهَةٌ للكريمِ، وجُنَّةٌ لِعِرْضِ اللَّئيمِ، وإياكُمْ والمسألَةَ؛ فإنَّها آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ، وأنَّ أحَداً لم يَسأَلْ إلاَّ تَرَكَ الكَسْبَ.

وإياكُمْ والنِّياحَةَ، فإني سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ينهى عنها، وآدفِنوني في ثيابي التي كُنْتُ أُصَلِّي فيها وأصومُ، ولا يَعْلَمْ بكرُ بن وائل بمَدْفَني، فقد كانتْ بيني وبينَهُمْ مُشاحَناتٌ في الجاهِليَّة والإسلامِ، وأخافُ أنْ يُدخِلوا عَليكُم بي عاراً، وخُذوا عنِّي ثلاثَ خِصالٍ:

إياكمْ وكُلَّ عِرْقٍ لئيمٍ انْ تُلابِسوهُ، فإنَّه إنْ يَسُرُّكُمْ اليومَ يَسُؤْكُمْ غداً، وآكظُموا الغَيْظَ، وآحذَروا بَني أعْداءِ آبائِكُم، فإنَّهُمْ على مِنْهاجِ آبائِكُمْ ثم قال[2]:

أحْيا الضَّغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا فَلَنْ تَبيدَ ولِلآباءِ أبْناءُ

(2) انظر هوامش الوصية التي قبل هذه، فقد فسرنا الغريب هناك.

192

قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده[1]:

لا تَغْشَ السُّلطانَ حتّى يَمَلُّكَ، ولا تَقْطَعْهُ[2] حتى يَنْساكَ، ولا تَجْلِسْ لهُ على فِراشٍ ولا وِسادٍ، واجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ أو رَجُلَيْنِ[3]، فإنّه عسى انْ يأتيَ مَنْ هُوَ أولى بذلك المجلسِ منك؛ فَتُقامُ له، فيكون قيامكَ زيادَةً لهُ، ونَقْصاً عَلَيْكَ[4].

---

(1) لقد تدافع هذه الوصية أكثر من مرض، فهي للقمان الحكيم، وقد أثبتناها في موضعها من الجزء الأول من هذا الكتاب، وعلقنا عليها هناك، وهي في البيان والتبيين لقيس بن عاصم المنقري 1/71، وكذلك العقد الفريد 2/429، ونسبها صاحب كتاب لباب الآداب/233 إلى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام. وفي/16 منه عزيت إلى لقمان الحكيم. وقد آثرت أن أثبتها هنا مظنة أن يكون قيس بن عاصم المنقري صاحبها. مع أنني ثبتها كما قلت في الجزء الأول وأن بين الروايتين اختلاف طفيف.

(2) في لباب الآداب: (ولا تنقطع عنه).

(3) إلى هنا تنتهي رواية العقد الفريد، وقد أورد في مقدمتها أن الأحنف بن قيس دخل على معاوية فأشار إليه إلى وسادة، فلم يجلس عليها، فقال له: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال... الوصية.

(4) وردت روايتها في لباب الآداب هكذا:
دخل كعب الأحبار يوماً على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأمره بالجلوس إلى جانبه، فتنحّى كعب قليلاً، فقال له عمر: ما منعك من الجلوس إلى جانبي؟ قال: يا أمير المؤمنين، وجدت في حكمة لقمان مما أوصى به ابنه أن قال له:
يا بنيّ، إذا قعدت إلى ذي سلطان، فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله أن يأتيه من هو أثرُ عنده منك، فيريد أن تتنحّى له عن مجلسك، فيكون ذلك نقصاً عليك وشيناً.

193

محمد بن علي زين العابدين بن الحسين (محمد الباقر)[1] يوصي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وقد طَلَب منه ذلك[2]:

أوصيكَ أن تتَّخِذَ صغيرَ المُسْلِمينَ وَلَداً، واوسَطَهُمْ اخاً، وكبيرَهُمْ اباً، فآرْحَمْ وَلَدَكَ، وَصِلْ اخاكَ، وبِرّ أباكَ، وإذا صَنَعْتَ مَعْروفاً فَرَبِّهِ[3].

---

(1) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن الكريم آراء وأقوال، ولد بالمدينة، وتوفي بالحميحة، ودفن بالمدينة سنة 114 هـ. انظر عنه: تذكرة الحفاظ 1/117، وفيات الأعيان 1/450، تاريخ اليعقوبي 3/60، صفة الصفوة 2/60، حلية الأولياء 3/180، الاعلام 7/153.

(2) أمالي القالي 2/308، جمهرة خطب العرب 2/157.

(3) سبق ما يشبه بعض ألفاظ هذه الوصية منسوبة لعمر بن عبد العزيز. انظر الوصية المرقمة/118.

194

محمد بن علي[1] يوصي ابنه[2]:

يا بُنَيَّ، إذا أنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةَ فَقُلْ: الحمدُ للهِ، وإذا حَزَبَكَ[3] أمرٌ فقُل: لا حول ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، وإذا أبطأ عَنْكَ الرِّزْقُ فَقُلْ: أستَغْفِرُ الله[4].

---

(1) محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، الهاشمي القرشي، أو ما قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، ولي إمامة الهاشميين سرّاً في أواخر أيام الدولة الأموية بعد سنة 120 هـ، وكان مقامه بأرض الشراة، بين الشام والمدينة، ومولده بها في قرية تعرف بالحميمة، وبدأ دعوته سنة 100 هـ وعمله نشر الدعوة وتسيير الرجال إلى الجهات للتنفير من بني أمية، والدعوة إلى بني العباس، وجباية خمس الأموال من الشيعة يدفعونها إلى النقباء، وهؤلاء يحملونها إلى الإمام، وهو يتصرف في إنفاقها على بث الدعاة، وما يرى المصلحة فيه، فهو في عمله أشبه برئيس جمعية سرية تهيئ أسباب الثورة، وكان عاقلاً حليماً، وسيماً مات بالشراة. انظر عنه: البداية والنهاية 5/10، تاريخ الطبري حوادث سنة 100 هـ و120 هـ، تاريخ اليعقوبي 72/3، تاريخ ابن خلدون 172/3، وفيات الأعيان 454/1، كامل ابن الأثير 17/5، 20، 43، 51، تاريخ الإسلام 133/5، الاعلام 153/7.

(2) البيان والتبيين 238/3، الأخبار الموفقيات/399.

(3) في الموفقيات: وإذا أحزنك.

(4) في الموفقيات: وإذا أبطأ عليك رزق فاستغفر الله.

195

محمد بن كعب القرظي[1] يوصي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[2]:

لا تَتَّخِذَنَّ وَزيراً إلاَّ عالِماً، ولا أميناً إلاَّ بالجميل مَعروفاً، وبالمَعْروف مَوْصوفاً، فإنَّهُمْ شُرَكاؤُكَ في أمانَتِكَ، وأعوانُكَ على أُمورِكَ، فإن صَلَحوا أَصْلَحوا، وإنْ فَسدوا أَفْسَدوا.

---

(1) حلية الأولياء 2/72.

(2) عمر بن عبد العزيز: سبقت ترجمته.

196

محمد بن كعب القرظي يعظ عمر بن عبد العزيز[1]:

إنَّ فيكَ عَقْلاً، وإنَّ فيك جَهْلاً، فداوِ بعْضَ ما فيكَ ببعْضٍ، وآخِ من الإخوانِ مَنْ كان ذا مَعْلاةٍ[2] في الدينِ، ونيَّةٍ في الحقِّ، ولا تُؤاخِ منهُم مَنْ تكونُ مَنْزِلَتُكَ عندَهُ على قَدْرِ حاجَتِهِ إليْكَ، فإذا قضى حاجَتَهُ مِنْكَ ذهَبَ ما بينَكَ وبينَهُ، وإذا غَرَسْتَ غِراساً من المعروف، فلا تَبْغِيَنَّ انْ تُحْسِنَ تربيتَهُ.

(1) عيون الأخبار 3/4.
(2) المعلاة: العلو والرفعة.

197

معاذ بن جبل رضي الله عنه[1] يوصي رجلاً طلب منه ذلك[2]:

كُنْ منَ الصامتين[3] بالنّهارِ، ومن المُصَلّينَ في جَوْفِ الليلِ، والمستَغْفِرينَ بالأسحارِ، والذّاكرينَ اللهَ علىٰ كُلِّ حالٍ.

ولا تَشْرَبِ الخَمْرَ، ولا تَعُقَّنَّ والِدَيْكَ، ولا تأكُلْ مالَ اليتيمِ، ولا تَفِرَّ

---

(1) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، أسلم وهو فتىً، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك، قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وأرسل معه كتاباً إليهم يقول فيه: «إني بعثت لكم خير أهلي»، فبقي في اليمن إلى أن توفي النبي ﷺ، وولي أبو بكر، فعاد إلى المدينة، ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام، ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس، استخلف معاذاً، وأقرّه عمر، فمات في ذلك العام، وكان من أحسن الناس وجهاً ومن أسمحهم كفّاً. له 157 حديثاً، توفي عقيماً بناحية الأردن، ودفن بالقصير المعيني بالغور. ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا معاذ لهلك عمر، ينوه بعلمه.
انظر: ابن سعد 3/120، الاصابة ترجمة/8039، أسد الغابة 4/376، حلية الأولياء 1/328، مجمع الزوائد 9/310، غاية النهاية 2/310، مسالك الأبصار 1/217، الاعلام 8/166.

(2) ورد في مقدمة الوصية أنّ آتٍ أتىٰ معاذ بن جبل عند موته فقال:
أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني ولا أراك ولا تراني، ثم لعلي أحتاج إلى سؤالٍ بعدك، فلا أجد فيهم مثلك، فقال معاذ: بل صلحاء الناس كثير بحمد الله، ولن يضيّع الله أهل هذا الدين، خذ عني ما آمرك به وأوصيك به.

(3) المعمرون والوصايا/163، فتوح الشام/244، جمهرة خطب العرب 1/260.

من الزَّحْفِ، ولا تأكُلِ الرِّبا، ولا تَدَعِ الصَّلاةَ المكتوبةَ، ولا تُضَيِّعِ الزَّكاةَ المفروضَةَ.

وصِلْ رَحِمَكَ، ولا تَظْلِمْ مُسْلماً، وحجَّ، واعتَمِرْ، وجاهِدْ، وانصَحْ لجماعَةِ المسلمينَ، وكُنْ بالمؤمنينَ رؤوفاً رحيماً، وأنا لك بالجنَّةِ زعيمٌ.

198

معاذ بن جَبَل رضي الله عنه يوصي[1]:

إنَّه لا بُدَّ لكَ من نصيبِكَ من الدُّنيا، وأنْتَ إلى نَصيبِكَ منَ الآخِرَةِ أحْوَجُ، فآبدأ بنصيبِكَ من الآخِرَةِ فَخُذْهُ، فإنَّهُ سيَمُرُّ على نصيبِكَ من الدُّنيا، فيَنْتَظِمُهُ آنتِظاماً، ويزولُ مَعَكَ حَيْثُ ما زِلْتَ.

---

(1) لباب الآداب/16.

199

معاذ بن جبل رضي الله عنه يوصي[1]:

يا بنيَّ[2]، أظهِروا اليأسَ مِمّا عِنْد النّاسِ فإنّه غِنًى وإياكُمْ وطَلَبَ الحاجاتِ، فإنّه فَقْرٌ حاضِرٌ، وإياكُمْ وما يُعْتَذَرُ منه من القَوْلِ والفِعْلِ.

وإذا صلّيْت يا بُنَيَّ، فأَسْبِغِ الوُضوءَ، وصَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ يرىٰ أنّه لنْ يثوبَ إلىٰ أهْلِهِ. فإنِ آستطَعْتَ أنْ تكونَ اليوْمَ خيراً مِنْكَ أمْسِ، وغَداً خيراً منكَ اليوْمَ فافْعَلْ.

---

(1) المعمرون/162.

(2) في مقدمة الوصية انّ رجلاً من أهل الشام أوصىٰ أبنه عند موته، وذكر أنّه بلغه ان معاذ بن جبل قال... الوصية، ولفظة: يا بنيّ هي للرجل وليس لمعاذ بن جبل، حيث أن معاذ ليس له عقب.

200

معاذ بن جبل رضي الله عنه يوصي وقد أصابه الطاعون[1] فقال لأصحابه[2]:

إعمَلوا وأنتُم في مُهْلةٍ وحياةٍ، وفي بَقِيَّةٍ من آجالِكُمْ؛ من قَبْلِ أنْ تَمَنَّوا العَمَلَ فلا تَجِدوا إليه سبيلاً، وانفقوا ممّا عِنْدكم لما بَعْدَكم قبل أنْ تهلِكوا وتَدَعوا ذلك كُلَّه ميراثاً لمن بَعْدَكم، واعلموا أنّه ليس لكم من أموالِكُمْ إلاّ ما أكَلْتُمْ وشَرِبْتُمْ ولَبِسْتُمْ وانفَقْتُم واعطَيْتُم فامضيتُم، وما سوىٰ ذلك فلِلوارثينَ.

---

(1) ورد في مقدمة الوصية أن معاذ بن جبل رضي الله عنه صلّى ورجع إلى منزله، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن، فلم يلبث إلا قليلاً حتىٰ مات يرحمه الله، وصلى عليه معاذ ثم دفنه، فلما رجع معاذ إلى منزله طعن، فاشتد به وجعه، وجعل أصحابه يختلفون إليه، فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم... الوصية.

(2) فتوح الشام/243.

201

معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان يوصي ابنه عمرو[1]:

يا عمرو، إنَّكَ خَلَفٌ، فلا تَخْلِفْ، إنه قد أتىٰ ما لا أُحِبُّ أن أكونَ قد أُخِّرْتُ عَنْهُ، وأُخِّرْتَ أنتَ لِما أراكَ سَتَتَمنَّىٰ الموتَ مَعَهُ، وتخافُ الهَلاكَ منه، وقد وَقَعْتَ في بَحْرٍ عَميقٍ شديد الوُصول إلىٰ السَّاحِلِ، والسَّاحِلُ وَعْرٌ مَهولٌ، ومَنْ وَقَعَ بين البَحْرِ والوَعْرِ كانَتْ راحَتُه أنْ يموتَ، وهذه أيامُ حاجَتِكَ إلىٰ نَفْسِكَ، وحاجَةُ حُرَمِكَ إليْكَ، فآفْدِ حُرَمَكَ بنَفْسِكَ، وآفْدِ نَفْسَكَ بمالِكَ، وعِشْ حُرًّا عَنْ مُلْكِكَ الطَّمَعِ؛ وإنْ رَدَدْتَ الجوعَ بالماءِ[2].

---

(1) البيان والتبيين 2/342، الأغاني 4/95، الأخبار الموفقيات/470.

(2) ورد في مقدمة الوصية أن عمرو بن معاوية بن عمرو قال:
دخلت على أبي معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان وهو يجود بنفسه، وذلك أول ما ظهرت المسوّدة، فقال لي: يا عمرو، أقُتِلَ مروان؟ قلت: نعم. قال: يا عمرو... الوصية.
والمسوّدة هم مؤيدو الدعوة العباسية الذين رفعوا الرايات السود.
ومروان هو بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر ملوك بني أمية في الشام.

202

مُنْذِر بن الجارود[1] يوصي آبنه[2]:

أَعْمِلِ النَّظَرَ في الأَدَبِ لَيْلاً، فإنَّ القَلْبَ بالنَّهارِ طائِرٌ، وهُوَ باللَيلِ ساكِنٌ، فكُلَّما أَوْعَيْتَ فيه شيئاً عَقَلَهُ.

---

(1) منذر بن الجارود: واسمه بشر بن عمرو بن خنيس العبدي، أمير من السادة الأجواد، ولد في عهد النبي ﷺ، وشهد الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وولاه عليّ إمرة إصطخر، ثم بلغه عنه ما ساءه فعزله، ثم ولاه عبيدالله بن زياد ثغر الهند سنة 61 هـ فمات فيها. انظر في ترجمته: الإصابة ترجمة/8336، جمهرة الأنساب/279، رغبة الأمل 7/144، الأغاني 11/117، الأعلام 8/226.

(2) لباب الآداب/229.

203

المهلَّبُ بن ابي صُفْرَة[1] يوصي ولـده وأهله لما حضـرته الـوفاة[2] قال[3]:

أوصيكُمْ بتقوىٰ الله، وصِلَةِ الرَّحِمِ، فإنَّ تقوىٰ اللهِ تُعقِبُ الجَنَّةَ، وإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تُنسيء الأَجَلَ، وتُثري المالَ، وتَجْمَعُ الشَّمْلَ، وتُكَثِّرُ العَدَدَ، وتُعَمِّرُ الدِّيارَ، وتُعِزُّ الجانِبَ.

وأنهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تعـالىٰ، فإنَّ مَعْصِيَـةَ اللهِ تُعْقِبُ النَّارَ، وإنَّ

---

(1) المهلب بن أبي صفرة، ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد، أمير بطاش جواد، ولد في دُبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وفقئت عينه في سمرقند، وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قـد غلبوا على البـلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسع عشرة سنة، لقي فيها منهم الأهوال، وأخيراً تم له الظفر بهم، فقتل كثيرين منهم، وشرّد بقيتهم في البلاد، ثم ولاّه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة 79 هـ، ومات فيها، كان شعاره في الحرب: حَم لا ينصرون. أخباره كثيرة. انظر عنه: الاصابة ترجمة/8635، وفيات الأعيان 145/2، رغبة الآمل 201/2، 204، و60/3، 116، سرح العيون/103، تاريخ الطبري 19/8.

(2) لباب الآداب/29، المعمرون/141، وبين الروايتين اختلاف يسير وبعض حذف وقد مازجت بين الروايتين، واستخلصت منهما هذه الوصية. وبعضها أيضاً في تاريخ الطبري 19/8، ونهاية الأرب 249/7، والبيان والتبيين 98/2، باختلاف طفيف.

(3) ورد في مقدمة الوصية في الطبري ما نصه:
لما كان المهلب بن أبي صفرة بزاغول من مرو الروذ من خراسان، أصابته الشوصة، وقوم يقولون: الشوكة، فدعا حبيباً ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة. والشوصة: بفتح الشين وضمها: وجع في البطن، والشوكة: حمرة تعلو الجسد.

قَطيعَةَ الرَّحِمِ تُورِثُ الذِّلَّةَ والقِلَّةَ، وتُقِلُّ العَدَدَ، وتُفَرِّقُ الجَمْعَ، وتَذَرُ الديارَ بلاقِعَ، وتُذْهِبُ المالَ، وتُطمِعُ العَدُوَّ، وتُبْدي العورَةَ.

يا بَنيَّ، قومَكُمْ قومَكُمْ، إنَّهُ ليس لكُمْ فَضْلٌ عليهم، بل هُمْ أَفْضَلُ منكُم إذْ فضَّلوكم وسوَّدوكم، أوطأوا أعقابَكُمْ، وبلَّغوا حاجتكم فيما أردتم وأعانوكم، فلَهُمْ بذلك حَقٌّ عليكُمْ، وبَلاءٌ عِندكم، لا تؤدونَ شُكرَهُ، ولا تقومونَ بحَقِّه، فإنْ طَلَبُوا فاطلِبوهُمْ، وإنْ سألوا فأعطوهُمْ، وإنْ لَمْ يسألوا فابتَدئوهُمْ، وإنْ شتَموا فاحتمِلوهُمْ، وإن غَشُوا أبوابَكُمْ فلتُفْتَحْ لهُمْ، ولا تُغْلَقْ دونَهُمْ.

يا بَنيَّ، إني أحِبُّ للرَّجُلِ مِنْكُم أنْ يكونَ لِفِعله الفَضْلُ على لسانه، وأكرَهُ للرَّجُلِ منكم أن يكونَ للسانه الفَضْلُ على فعله.

يا بَنيَّ، اتَّقوا الجوابَ، وزلَّةَ اللسانِ، فإني وَجَدْتُ الرَّجُلَ تعثُرُ قَدَمُه فيقومُ من زَلَّته ويَنْتَعِشُ منها سَوِيًّا، ويَزِلُّ لِسانُه فيوبِقُهُ ويكونُ فيه هَلَكَتُهُ.

يا بَنيَّ، إذا غدا عليكُمْ رَجُلٌ وراحَ، فكفى بذلك مسألةً وتَذكِرَةً بنَفْسه.

يا بنيَّ، ثيابُكُمْ على غيرِكم أَجْمَلُ منها عليكم، ودوابُكم تحتَ غيرِكُمْ أجمَلُ منها تحتكم.

يا بَنيَّ، أَحِبّوا المعروفَ؛ وآفعلوه، وأنكِروا المنكرَ؛ واجتنبوهُ، وآثِروا الجودَ على البُخْلِ، وأصطنِعوا العَرَبَ وأكرِموهم، فإنَّ العَرَبيَّ تَعِدُّهُ العِلَّةَ فَيموتُ دونَكَ، ويشكُرُ لكَ، فكَيْفَ بالصَّنِيعَةِ إذا وَصَلَتْ إليه في احتمالِه لها وشُكْرِهِ، والوفاء منه لصاحِبها؟

يا بَنيَّ، سَوِّدوا اكابِرَكُمْ، وأعرِفوا فَضلَ ذوي أسنانِكُمْ، تَعْظُموا

بذلك، وآرحموا صغيركم وقَرِّبوهُ وألطِفوهُ، وآجبُروا يتيمَكُمْ، وعُودوا عليه بما قَدِرْتُم، ثمَّ خُذوا على أيدي سُفهائكم، وتعاهَدوا فُقَراءكُمْ وجِيرانكم بما قَدِرتم عليه، وآصبِروا للحُقوق ونوائِبِ الدُّهورِ، واحذروا عار غَدٍ[4].

وعَلَيْكُمْ في الحَرْبِ بالأناةِ، والتُّؤدةِ في اللقاءِ، وعَلَيْكُم بالتماسِ الخَديعة في الحَرْبِ لعَدُوِّكم، وإياكُمْ والنَّزَقَ والعَجَلَةَ، فإنَّ المكيدة والأناةَ والخَديعَةَ أنفَعُ منَ الشَّجاعَة والشِّدَّةِ.

وآعلَموا أنَّ القِتالَ والمكيدَةَ مع الصَّبْرِ، فإذا كان اللقاءُ، نَزَلَ القضاءُ المُبْرَمُ، فإنْ ظَفِرَ المرءُ وقد أَخَذَ بالحَزْمِ قال القائِل[5]: قد أتى الأمرَ من وَجْهِهِ، وإن لم يَظْفَرْ قال: ما ضَيَّعَ ولا فَرَّطَ، ولكنَّ القضاءَ غالِبٌ.

يا بَنِيَّ، إلزَموا الحَزْمَ على أيِّ الحالين وقع الأمرُ، وألزَموا الطاعَةَ والجماعَةَ، وإياكُمْ والخِلافَ وفِراقَ الجماعَةِ، تواطأوا وتوازروا وتواصلوا وتعاطفوا، فإنَّ ذلك يُثَبِّتُ المودَّةَ، وتحابّوا، وخُذوا بما أوصيكُمْ به بالجدِّ والقُوَّةِ، والقيام به، والتَّعَهُّدِ لهُ، وتَرْكِ الغَفْلَةِ عَنْهُ، تَظْفَروا بدُنياكُمْ ما كُنْتُمْ فيها، وآخِرتِكُمْ إذا صِرْتُم إليها، ولا قُوَّةَ إلاّ بالله.

يا بَنِيَّ، ولْيَكُنْ أوَّلَ ما تبدأونَ أنفُسَكُمْ إذا أصْبَحْتُمْ تَعَلُّمُ القُرآنِ والسُّنَنِ، وأداءِ الفَرائِضِ، وتأدَّبُوا بأدَبِ الصَّالحينَ من قَبْلِكُمْ من سَلَفِكُمْ، ولا تُقاعدوا أهْلَ الدعارَةِ والرِّيبةِ، ولا تُخالِطوهُمْ، ولا يُطمَعَنَّ في ذلك منكُمْ.

وإياكُمْ والخِفَّةَ في مجالِسِكُم، وكَثْرَةَ الكَلامِ، فإنَّهُ لا يَسْلَمُ منه

---

(4) وفي رواية: واحذروا عار عدوكم. وما أثبتناه ورواية أجود.
(5) وفي رواية: قال العاقل.

صاحِبُه، وأدّوا حقّ اللهِ تعالى عليكُمْ، فإنّي قد أبلَغْتُ إليكُمْ في وَصِيَّتي، واتّخَذْتُ اللهَ حُجّةً عليكُمْ[6].

---

(6) وقد وردت رواية الطبري ونهاية الأرب هكذا:
أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، فإنّ صلة الرحم تنسيء في الأجل، وتثري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإنّ القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، تباذلوا وتواصلوا تحابّوا، واجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتبازروا تجتمع أموركم، إنّ بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات؟ وعليكم بالطاعة والجماعة، ولتكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني لحبّ للرّجُلِ أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتّقوا الجواب وزلّة اللسان، فإنّ الرجل تزلّ قدمه فينتعش من زلته، ويزلّ لسانه فيهلك.
اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدوّ الرجل ورواحه إليكم تذكرةً له، وآثروا الجود على البخل، وأحبّوا العرب، واصطنعوا العربَ، فإنّ الرجل من العرب تعده العدّة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده؟
وعليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عَدُوّه، قيل: أتى الأمرَ من وجهه، ثم ظَفِرَ فحُمِدَ، وإن ثم يظفر بعد الأناة قيل: ما فَرّط ولا ضيّع، ولكن القضاء غالبٌ.
وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخِفّة وكثرة الكلام في مجالسكم. وقد آستخلفت عليكم يزيد وجعلت حبياً على الجند، حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد. فقال له المفضّل: لو لم تقدّمه لقدّمناه.
أما رواية البيان والتبيين فقد وردت هكذا:
يا بني، تباذلوا تحابّوا، فإنّ بني الأم يختلفون، فكيف بنو العلات؟، إنّ البرّ ينسأ في الأجل، ويزيد في العدد، وإنّ القطيعة تورث القِلّة، وتعقبُ النار بعد الذِّلّة، واتقوا زلة اللسان، فإنّ الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك.
وعليكم في الحرب بالمكيدة، فإنّها أبلغُ من النجدة، فإنّ القتالَ إذا وقع، ووقع القضاءُ، فإن ظَفِرَ فقد سَعُدَ، وإن ظفِرَ به ثم يقولوا فرّط.
وقوله: بنو العلات في الوصية: هم بنو أمهات شتّى.
وينسأ الأجل: يؤخره.

204

المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ يوصي ابنه[1]:

يا بُنَيَّ، إياكَ والسُّرعَةَ عِنْدَ المسألةِ بـ(نَعَمْ)، فمُدخَلُها سَهْلٌ، ومُخْرَجُها وعْرٌ، واعلَمْ أنَّ (لا) وإن قَبُحَتْ فرُبَّما أَرْوَحَتْ، فإذا سألت[2] ما قَدِرتَ عَلَيْهِ فأطمِعْ ولا توجِبْ، وإذا عَلِمْتَ مَعْذِرَةً فاعْتَذِرْ، فالإتيانُ بالعُذرِ خَيْرٌ منَ المَطْلِ الطَّويلِ.

---

(1) محاضرات الأدباء 1/346.

(2) سألت: هكذا ورد اللفظ. وأحسبه سؤلت بالبناء للمجهول.

205

هَرِم بن حَيّان[1] يوصي لما حضرته الوفاة، وقد قيلَ له: أوص[2]:

لا أدري ما أوصي، ولكن بِيعُوا دِرْعي، فآقضُوا دَيني، فإنْ لم يَفِ، فبِيعوا فَرَسي، فإنْ لمْ يَتِمَّ فَبيعوا غُلامي.

وأوصيكُمْ بخَواتيمِ سورَةِ النَّحْلِ: ﴿أُدْعُ إلىٰ سبيلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ... إلىٰ لَهُوَ خَيْرٌ للصّابِرينَ﴾[3].

---

(1) هرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس قائد فاتح، من كبار النُّسّاك من التابعين، كان أمير بني عبد القيس في الفتوح، وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما بأرض فارس، وحاصر بوشهر سنة 18 هـ ودخلها، وكان من سكان البصرة، عدّه ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين، وسماه الجاحظ في النساك الزهاد من أهل البيان، ولاه عمر رضي الله عنه على الخيل، فغضب يوماً على رجل فأمر به، فوجئت عنقه، وندم، فأقبل على أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيراً، ما نصحتموني حين قلت، ولا كففتموني عن غضبي، والله لا ألي لكم عملاً، ثم كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرَّعِيَّة، فابعث إلى عملك. وبعثه عثمان بن أبي العاص أمير البحرين إلى قلعة بجرة، ويقال لها: قلعة الشيوخ، فافتتحها عنوة سنة 26 هـ، ومات في إحدى غزواته بعد 26 هـ.
انظر عنه: طبقات ابن سعد 95/7، أسد الغابة 57/5، تاريخ الإسلام 211/3، الاصابة ترجمة/8948، صفة الصفوة 137/3، البيان والتبيين 363/1، الاعلام 76/9.

(2) المعمرون/159.

(3) قال قتادة: أوصىٰ والله بجماع الأمر، ومن أوصىٰ بما أوصىٰ الله به فقد أبلغ.

206

هند بنت عُتْبَةَ[1] وزَوْجُها أبو سفيان بن حرب بن أُمَيَّة[2] يوصيان آبنَهُما معاوية، وقد آستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشام[3]:

يا بُنيَّ، إنَّهُ قلَّما ولَدَتْ حُرَّةٌ مِثْلَكَ، وقَدِ آستَعْمَلَكَ هذا الرَّجُلُ، فآعمَلْ بما وافَقَهُ، أَحْبَبْتَ ذلك أم كَرِهْتَهُ.

لم دخل على أبيه أبي سفيان فقال له:

---

(1) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أم معاوية بن أبي سفيان، تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بعد مفارقتها لزوجها الأول الفاكه بن المغيرة المخزومي، وهي من شواعر العرب، وشعرها في قتلى بدر من المشركين، وهي التي مثلت بشهداء المسلمين يوم أحد وبخاصة حمزة بن عبد المطلب، أسلمت في فتح مكة.
انظر: طبقات ابن سعد 170/8، خزانة البغدادي 556/1، الاصابة نساء ترجمة/1103، الاعلام 105/9.

(2) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابي من سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره، قاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ، وأسلم يوم فتح مكة سنة 8 هـ، وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن، وشهد حنيناً والطائف، ففقئت عينه يوم الطائف، ثم فقئت الأخرى يوم اليرموك فعمي، وكان من الشجعان الأبطال. قال المسيب: فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله آقترب. قال: فنظرت، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد، لما توفي رسول الله ﷺ كان أبو سفيان عامله على نجران. ثم أتى الشام، وتوفي بالمدينة. وقيل بالشام. انظر عنه: الأغاني 89/6، الأصابة ترجمة/4041، تهذيب ابن عساكر 388/6، الجمع بين رجال الصحيحين/224، فتوح البلدان، نكت الهميان/172، المحبّر/246، البدء والتاريخ 107/5، وفيه: أسلم قبل فتح مكة، الاعلام 288/3.

(3) العقد الفريد 12/1.

يـا بُنَيَّ، إنَّ هؤلاء الرَّهْطَ من المُهـاجِرين سَبَقُـونا وتـاخُّرْنـا عَنْهُم، فَرَفَعَهُم سَبْقُهُمْ، وقَصَّرَ بنا تاخُّرنا، فصِرنا أتباعاً، وصاروا قادةً، وقد قلَّدوكَ جَسيماً من أمرِهم، فلا تُخالِفَنَّ أمرَهُمْ، فإنَّك تَجري إلى أمَدٍ لَمْ تَبْلُغْهُ، ولَوْ بَلَغْتَهُ لَنوفِستَ فيه.

207

يزيد بن المهلب[1] يوصي آبنه مُخَلَّداً[2] حين استخلفه على جرجان[3]:

يا بُنَيَّ، إنّي قَد آستَخْلَفْتُكَ على هذه البلادِ، فآنظُرْ هذا الحيَّ من اليَمَنِ فَكُنْ لهُمْ كما قال الشاعِرُ[4]:

---

(1) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، أمير من القادة الشجعان الأجواد، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة 83 هـ، فمكث نحواً من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج، وكان الحجاج يخشى بأسه، فلما تم عزله حبسه، فهرب يزيد إلى الشام، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها وأفتتح جرجان وطبرستان، ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن آستخلف عمر بن عبد العزيز فعزله، وطلبه، فجيء به إلى الشام فحبسه بحلب، ولما توفي عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن، وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة 101 هـ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراق مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتل يزيد في مكان يسمى العقر بين واسط وبغداد سنة 102 هـ. أخباره كثيرة. انظر عنه: وفيات الأعيان 2/264، خزانة البغدادي 1/105، التنبيه والاشراف/277، معجم ما استعجم/950، تاريخ اليعقوبي 3/52، الاعلام 9/246.

(2) مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير، من بيت رئاسة وبطولة، كان مع أبيه في أكثر وقائعه وولاياته، ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، ونقم عمر على أمير خراسان يزيد بن المهلب، كتب إليه أن يستخلف على عمله ويحضر إليه، فاستخلف يزيد ابنه مخلّداً، فقام بشؤون خراسان، ثم رجل مخلد إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز، يلتمس الافراج عن أبيه، وكان في سجن عمر، فناظره عمر ورأى من عقله ما أعجبه حتى قال: هذا فتى العرب! ولم يعش بعد ذلك غير أيام ومات في الشام. انظر عنه: كامل ابن الأثير 5/18 ـ 19، انباه نجباء الأبناء/126 ـ 128، الاعلام 8/74 ـ 75.

(3) بلوغ الأرب 3/173، شرح نهج البلاغة 4/155، جمهرة خطب العرب/318 ـ 319.

(4) هو أبو داود الأبادي كما في بلوغ الأرب 3/114.

إذا كُنْتَ مُـرْتـادَ الـرِّجـالِ لِنَفْعِهِـمْ فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الذينَ بِهِمْ تَرْمي

وَانـظُرْ هذا الحيَّ من رَبيعَـةَ، فـإنَّهُمْ شيعَتُـكَ وانصـارُكَ، فـآنْضِ حُقوقَهُمْ، وآنظُرْ هذا الحيَّ من تَميم، فامطِرْهُمْ ولا تُزْهَ لَهُمْ، ولا تُذْنِهِمْ فيَطْمَعُوا، ولا تُقصِهِمْ فَيُقْطَعوا، وآنظُرْ هذا الحيَّ من قيس، فـإنَّهم اكفاءُ قَوْمِكَ في الجاهِليَّة، ومُناصِفوهُمُ المنابِرَ في الإسـلامِ، ورضاهُمْ مِنْـكَ بالبِشْرِ.

يا بُنيَّ، إنَّ لأبيكَ صنائِعَ فلا تُفْسِدْها، فإنَّه كَفَى بالمرءِ نَقْصاً أن يهدِمَ ما بَنى أبوهُ.

وإياكَ والدِّماءَ، فإنَّها لا بُقْيَةَ معها، وإيَّاكَ وشَتْمَ الأعراضِ، فإنَّ الحُرَّ لا يُرْضيه عَنْ عِرْضِهِ عِوَضٌ، وإياكَ وَضَرْبَ الأبشارِ[5] فإنَّه عارٌ باقٍ، ووِتْرٌ مَطلوبٌ.

وآستَعْمِلْ على النَّجْدَةِ والفَضْلِ دونَ الهوى، ولا تَعْزِلْ إلاَّ عَنْ عَجْزٍ أو خيانَةٍ، ولا يَمْنَعْكَ منَ آصْطِناعِ الرَّجُلِ أنْ يكونَ غَيْرُكَ قد سَبَقَكَ إليه، فإنَّكَ إنَّما تَصْطَنِعُ الرجالَ لفَضلِها، وليكنْ صَنيعُكَ عِنْد مَنْ يكافِئُكَ عَنْـهُ العشائِرُ.

احمِلِ الناسَ على أَحْسَنِ أَدَبِكَ، يكفوكَ أَنْفُسَهُمْ، وإذا كَتَبْتَ كتـاباً فأكثِرِ النَّظَرَ فيه، وليَكُنْ رسولُكَ فيما بيني وبينَكَ مَنْ يفقَهُ عنِّي وعَنْكَ، فإنَّ كتابَ الرَّجُلِ مَوْضِعُ عَقْلِهِ، ورسولَهُ مَوْضِعُ سرِّهِ، واستَوْدِعُكَ اللهَ، فلا بُدَّ للمودِّعِ أنْ يسْكُتَ، وللْمُشَيِّعِ أن يَرْجِعَ، وما عَفَّ منَ آلمنطِقِ وقَـلَّ منَ الخطيئَةِ أَحَبُّ إلى أبيكَ، وكذلك سَلَكَ هذا المَسْلَكَ المحمودَ[6].

(5) الأبشار: من البشر وهو الإنسان ذكراً أو انثى واحداً او جمعاً.
(6) قوله: وكذلك سلك هذا المسلك المحمود. هو في نص شرح نهج البلاغة فقط.

كشاف المصادر والمراجع للجزء الثاني

ـ أ ـ

* إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي.
* الأخبار الطوال: لأبي حنيفة الدينوري، مصر/1330 هـ.
* الأخبار الموفقيات: للزبير بن بكار، تحقيق د. سامي مكي العاني، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، مطبعة العاني 1972.
* الأدب المفرد: للإمام البخاري.
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، طبع على هامش الإصابة، مصر/1358 هـ/1939 م.
* أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، مصر،/1280 هـ.
* أسرار البلاغة: لبهاء الدين العاملي، على هامش كتاب المخلاة، لنفس المؤلف. انظر: المخلاة في حرف الميم.
* أشهر مشاهير الإسلام: لرفيق العظم، مصر/1340 ـ 1341 هـ.
* الاصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، مصر/1358 هـ 1939 م.
* الاعلام: لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.
* الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب.
* الأمالي: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي، بتحقيق عبد الجواد الأصمعي، بيروت، المكتب التجاري.
* الأمالي: لعبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، شرح الشنقيطي، مصر/1324 هـ.

* الأمـــالي: لعلي بن الحسين المـــرتضى العـلوي، مصـــر/1325 هـ، 1907 م.
* الأماني: لمحمد بن العباس اليزيدي، حيدر آبـاد، الهند/1367 هـ، 1948 م.
* الامالة والـــياسة: لابن قتيبة الدينوري، تحقيق د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
* إمتاع الأسماع: للمقريزي مصر، القاهرة/1941 م.
* أنباه نجباء الأبناء: لاين ظفر، مصر.
* إنبـاه الرواة على انبـاه النحاة: لعلي بن يـوسف القفطي، دار الكتب المصرية/1369 هـ ـ 1374 هـ.

- ب -

* البخلاء: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مصر/1948 م.
* البدء والتاريخ: المنسوب لأحمـد بن سهل البلخي، وهـو لمطهـر بن طاهر المقدسي، شالون/1916 م.
* بدائع الزهور في وقائع الدهور: لابن إياس، مصر/1311 هـ.
* البداية والنهاية: لابن كثير، مصر/1351 ـ 1358 هـ.
* بلاغات النســاء: لأحمد بن طيفور، مصر/1326، 1924 م.
* بلغة الظرفاء لي ذكر تواريخ الخلفاء: لعلي بن محمد بن أبي السرور الروحي، مصر/1327 هـ.
* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: لمحمود شكري الألوسي، الطبعة الثانية مصر/1342 هـ ـ 1924 م.
* البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو ين بحر الجاحظ: اعتمدت نشرتي السندوبي وعبد السلام هارون.

- ت -

* تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مصر/1306 ـ 1307 هـ.

* تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: للذهبي، مصر، المطبوع منه فقط.
* تاريخ الأمم والملوك: لمحمد بن جرير الطبري، مصر/1326 هـ.
* تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، مصر/1349 هـ.
* تاريخ حكماء الإسلام: للبيهقي، دمشق/1365 هـ ـ 1946 م.
* تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد حامد السقاف، مصر/1353 هـ.
* تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن إسحق بن واضح اليعقوبي، النجف/1358 هـ.
* التبيين في أنساب القرشيين: لابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد نايف الدليمي، منشورات المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى.
* تجريد الأغاني: لابن واصل الحموي. تحقيق د. طه حسين وابراهيم الابياري، القاهرة/1957.
* تذكرة الحفاظ: للذهبي، حيدر آباد الهند/1333 ـ 1334 هـ.
* تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا النووي، مصر.
* تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران، دمشق/1329 هـ.
* تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن/1325 ـ 1327 هـ.

ـ ث ـ

* ثمار القلوب لي المضاف والمنسوب: لعبد الملك بن محمد الثعالبي، مصر/1326 هـ.

ـ ج ـ

* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): مصر/1354 ـ 1369 هـ.
* الجمع بين رجال الصحيحين: وهو الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم، لابن القيسراني، حيدر آباد/1323 هـ.

* جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، مصر/1948.
* جمهرة خطب العرب: لأحمد زكي صفوت.
* الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشي، حيدر آباد الدكن الهند/1332 هـ.

- ح -

* حسن الصحابة لي شرح أشعار الصحابة: لعلي فهمي الموستاري، الآستانة/1324 هـ رومية.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني، مصر/1351 هـ.
* حياة الحيوان: لكمال الدين الدميري. مجهول سنة الطبع.
* الحماسة: لأبي عبادة البحتري.

- خ -

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي، مصر 1299 هـ.

- د -

* دائرة المعارف الإسلامية: نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتاوي وآخرون مصر/1376 هـ، 1957 م.
* دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): لمحمد فريد وجدي، مصر/1356 هـ- 1937 م.
* الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: لزينب فواز. مصر/1312 هـ.
* ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق عبد الكريم الدجيلي.
* ديوان الأعشى: ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين، مصر، المطبعة النموذجية.
* ديوان الحطيئة: جرول بن أوس.
* ديوان الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق د. عبد

المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق. دار الرشيد/1980 م.
* ديوان زهير بن أبي سلمى.
* ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

- ذ -

* ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، مصر/1356 هـ.
* الذريعة إلى تصانيف الشيعة: لآغابزرك الطهراني، النجف/1355 هـ- 1936 م.
* الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك: للمقريزي، مصر/1955.
* رغبة الآمل من كتاب الكامل، هو شرح لكامل المبرد: لسيد بن علي المرصفي، مصر/1346 - 1348هـ.
* الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري، مصر/1327 هـ.

- ز -

* زهر الآداب وثمر الألباب: للحصري القيرواني، تحقيق زكي مبارك، مصر/1372 هـ، 1953 م.

- س -

* سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: لمحمد أمين البغدادي السويدي، بغداد/1280 هـ.
* سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: لابن نباتة، القاهرة/1278 هـ.
* سمط اللآلئ: طرر عبد العزيز الميمني على لآلئ أبي عبيد البكري، مصر/1354 هـ، 1936 م.
* سيرة عمر بن الخطاب: لابن الجوزي.

* سيرة عمر بن عبد العزيز: لابن الجوزي.
* سيرة عمر بن عبد العزيز: لعبدالله بن عبد الحكم، مصر/1346 هـ- 1927 م.
* السيرة النبوية: لابن هشام رواها عن ابن إسحق- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

- ش -

* شذور العقود.
* شرح لشواهد الكبرى: للعيني، على هامش خزانة البغدادي.
* شرح شواهد المغني: للسيوطي، مصر/1322 هـ.
* شرح القصائد العشر: للخطيب التبريزي، مصر/1343 هـ.
* شرح مقامات الحريري: للشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.
* شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، بيروت/1374 هـ.
* الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر/1364 هـ.
* شعر العجير السلولي: تحقيق محمد نايف الدليمي. مجلة المورد، العدد الأول/1979.

- ص -

* صبح الأعشى في صناعة الانشا: للقلقشندي، دار الكتب المصرية.
* الصحاح في اللغة: لإسماعيل بن حماد الجوهري.
* صفة الصفوة: لأبي الفرج ابن الجوزي، حيدر آباد الهند/1355 هـ.

- ط -

* طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، ليدن/1913 م.
* الطبقات الكبير: لابن سعد، ليدن/1321 هـ.

- ع -

* العبر وديوان المبتدأ والخبر: في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لابن خلدون.
* العقد الفريد: لابن عبد ربه، مصر، لجنة التأليف/1359 ـ 1372 هـ.
* عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب.
* عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة، مصر/1299 ـ 1300 هـ.

- غ -

* غاية النهاية في طبقات القراءة: لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، مصر/1351 هـ.

- ف -

* الفاضل: للمبرد، مصر/1375 هـ ـ 1956 م.
* فتوح البلدان: للبلاذري، مصر/1319 هـ.
* فتوح الشام.
* الفخري في الآداب السلطانية: لابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي.
* فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي، مصر/1299 هـ.

- ق -

* القاموس المحيط: للفيروزآبادي، مصر/1330 هـ.

- ك -

* الكامل: لابن الأثير، مصر/1303.
* الكامل في اللغة والأدب: للمبرد، مصر/1323 هـ.
* الكشاف عن حقائق التنزيل: للزمخشري، مصر/1319.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة، استنبول/1360 هـ ـ 1941 م.

- ل -

* لباب الآداب: لأسامة بن منقذ، مصر/1354 هـ - 1935 م. ودار الكتب العلمية، بيروت.
* اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير، مصر/1356 هـ.
* لسان العرب: لابن منظور، بولاق/1300 - 1308 هـ.
* لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد/1331 هـ.

- م -

* مجالس ثعلب: لأحمد بن يحيى المعروف بثعلب، مصر/1368 هـ - 1948 م.
* مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.
* مجمع الزوائد.
* محاضرات الأدباء: للراغب الأصفهاني، مصر/1326 هـ.
* المحبّر: لمحمد بن حبيب، حيدر آباد/1361 هـ - 1942 م.
* مختار الأغاني في الأفراح والتهاني: لابن منظور، تحقيق عبد العزيز أحمد، الدار المصرية/1966 م.
* المخلاة: لبهاء الدين العاملي، بيروت، دار المعرفة، وعلى هامشه، أسرار البلاغة للمؤلف نفسه، وسكردان السلطان: لابن أبي حجلة التلمساني.
* مرآة الجنان: لليافعي، حيدر آباد/1337 هـ - 1339 هـ.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي، مصر/1283 هـ.
* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله العمري، مصر/1342 هـ - 1924 م.
* المستدرك.
* المستطرف في كل فن مستظرف: للأبشيهي، بيروت، دار احياء التراث العربي.

* مسند الإمام أحمد.
* معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: لعبد الرحمن بن محمد الدباغ، تونس/1320 هـ.
* المعاني الكبير: لابن قتيبة الدينوري، حيدر آباد/1368 هـ ـ 1949 م.
* معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: لعبد الرحيم بن أحمد العباس، مصر/1367 هـ.
* معجم البلدان: لياقوت الحموي، مصر/1323 ـ 1325 هـ.
* معجم قبائل العرب: لعمر رضا كحالة، دمشق/1368 هـ ـ 1949 م.
* معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع: لأبي عبيد البكري، مصر/1364 ـ 1371 هـ.
* المعمرون والوصايا: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، مصر/1961 م.
* المعرب في حلى المعرب: لابن سعيد الأندلسي، مصر/1953، 1955 م
* مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني، مصر/1368 هـ ـ 1949 م.
* منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين.
* المؤتلف والمختلف: للحسن بن بشر الآمدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة/1381 هـ ـ 1961 م.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي، مصر/1325 هـ.

ـ ن ـ

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردي الاتابكي، دار الكتب المصرية، 1348 هـ ـ 1375 هـ.
* نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار: لعبد الرحمن بن درهم. المكتب الإسلامي، دمشق.
* نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: للعباس بن علي الموسوي، مصر/1293 هـ.

- نسب قريش: للمصعب الزبيري، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، مصر/1953 م.
- النقائض بين جرير والفرزدق: لمعمر بن المثنى، ليدن/1905 ـ 1912 م.
- نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، مصر/1329 هـ ـ 1911 م.
- نهاية الارب في معرفة أنساب العرب: للقلقشندي، بغداد.
- نهج البلاغة: للشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: للمؤمن الشبلنجي، مصر/1353 هـ ـ 1934 م.

- و -

- الوافي بالوفيات: للصفدي، استانبول/1931 م.
- الوزراء والكتاب: للجهشياري، مصر/1938 م.
- الوصايا: لابن العربي (الشيخ محي الدين بن عبدالله) بيروت، مؤسسة الأعلمي.
- وفيات الأعيان: لابن خلكان، مصر/1310 هـ.
- الولاة والقضاة: لمحمد بن يوسف الكندي، بيروت/1908 م.

الفهارس الفنية

فهرس الموضوعات

- أ -

- ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) 18 - 19 - 20 - 24 - 33 - 34 - 35 - 37 - 38 - 41 - 42 - 72 - 148 - 150 - 152 - 156 - 159 - 161 - 162 - 164 - 165 - 166 - 167 - 168 - 169
- ابو هريرة 16 - 122 - 134 - 135 - 136
- ابو الاسود الدؤلي 88 - 315 - 317
- ام الاوقص المخزومي 331
- ابن الاهتم 352
- ابو جهم عامر 318
- ابو الدرداء 319 - 320
- ابو الطحان القيني 321
- ابو سفيان بن حرب 432

- ب -

- بن ابي طالب علي 16 - 24 - 48 - 54 - 57 - 68 - 113 - 198 - 202 - 214 - 216 - 218 - 220 - 221 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 231 - 233 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 242 - 250 - 260 - 262.
- بن ابي سفيان معاوية 58 - 272 - 424
- بن ابي سفيان زياد 61 - 355 - 356 - 357 - 358 - 359 - 360 - 361
- بن ابي العاص الثقفي 75
- بن ابي صفرة المهلب 76 - 426 - 430
- بن ابي سفيان عقبة 80 - 398 - 400 - 401
- بن ابي الحسن البصري الحسن 92 - 93 - 341
- بن اسلم زيد 362
- بن ابي انس بن صرمة صرمة 377
- بن الاهتم عبدالله 385
- بن ابي العاص الثقفي عثمان 402
- (آل) باقر محمد 415
- بن اوس الحطيئة جرول 344
- بن بدر الزبرقان 89
- بن الجارود منذر 78
- بن جبل معاذ 105 - 419 - 421 - 422 - 423
- بن جعفر عبدالله 88 - 386 - 425
- بن الحكم مروان 59 - 273

- بنت الحارث امامة 88
- بن الحسن بن الحسن عبدالله 387
- بن الحسين علي 404
- بن حبيب عمير 407
- بن حيّاف هرم 431
- بن الخطاب عمر 20 - 23 - 24 - 42 - 48 - 54 - 55 - 66 - 67 - 148 - 167 - 170 - 174 - 175 - 176 - 178 - 179 - 181 - 185 - 186 - 187 - 189 - 190 - 194 - 325 - 432
- بن خارجة الفزاري اسماء 229
- بن ربعي شبث 372
- بن الزبير بن العوام عروة 79 - 403
- بن سعيد العاص خالد 348
- بن سلمة غيلان 468
- بن شداد عبدالله 74 - 389
- بن صيفي اكثم 68
- بن صفوان خالد 350 - 351
- بن الظرب العدواني عامر 87
- بن عاصم المنقري قيس 64 - 66
- بن عبد المطلب العباس 73 - 378
- بن عبد الملك هشام 84 - 85 - 308
- بن عبدالله محمد 99
- بن عبد الملك سليمان 291
- بن علي الحسن 337 - 338 - 340
- بن علي زيد 363 - 364
- بن العاص سعيد 466 - 369 - 371
- بن عمرو الكلبي الفرافصة 409
- بن عاصم المنقري قيس 410 - 412 - 413 - 414
- بن علي زيد العابدين محمد 415 - 416
- بن عفان عثمان 24 - 50 - 168 - 409
- بن عبد العزيز عمر 29 - 31 - 52 - 60 - 83 - 92 - 278 - 291 - 294 - 297 - 300 - 304 - 305 - 306 - 307 - 417

- ع -

- عبد الصمد 80 - 398
- عبد العزيز (ابن مروان) 273 - 289

- ف -

- الفزاري هند 331

- ك -

- الكلبي سليمان 84 - 308

فهرس الاعلام

- أ -

- ابو عبيد بن مسعود الثقفي 42 - 43 - 177
- ابو موسى الاشعري 56 - 181 - 183 - 323 - 374
- الأعشى 71
- ابا ذر 113
- ابو عبيدة عامر بن الجراح 35 - 37 - 38 - 53 - 154 - 155 - 322
- ابن ملجم 222 - 224

- ب -

- بن ابي سفيان يزيد 34 - 35 - 37 - 38 - 157 - 159
- بن ابي وقاص سعد 35 - 42 - 44 - 45 - 170 - 174 - 175 - 365
- بن امية يعلى 42
- بن اكثم الحسن 69
- بن أبي سلمى زهير 71
- بن ابي سفيان الوليد 401
- بن جبل معاذ 53
- بن حسنة شرحبيل 35 - 37 - 164
- بن حارثة الشيباني المثنى 35
- بن حارث الاشتر مالك 57 - 243
- بن الحنفية محمد 237
- بن رباح بلال 333
- بن الزبير عبد الملك 28 - 267
- بن زيثم الكناني سارية 43
- بن زيد اسامة 150
- بن زياد كميل 260
- بن زياد سلم 272
- بن سعيد العاص خالد 166
- بن سعد مسلم 62
- بن سعد قيس 75 - 259
- بن صدقة سهل 303
- بن علي الحسين 28 - 267
- بن عمر عبد الله 28 - 267
- بن عبد الملك يزيد 31 - 291 - 293
- بن العاص عمرو 35 - 37 - 41 - 58 - 162 - 163 - 268 - 269
- بن عبدالله العنبري حرملة 104
- بن عامر عقبة 117
- بن عتبة هاشم 165
- بن عقبة المريّ مسلم 266
- بن عمر بن عبد العزيز عبد الملك 300
- بن عبدالله الحكمي الجراح 306
- بن عبد المطلب عبدالله 378

- بن علي الحسن 214 - 216 - 218 - 220 - 221 - 396
- بن غزوان عتبة 42 - 54 - 179
- بن غالب منصور 294
- بن قيس الرياحي معقل 49 - 234
- بن قيس الفهري الضحاك 266
- بن مكشوح قيس 37 - 38 - 155 - 156
- بن مالك انس 166
- بن مروان الوليد 280 - 281
- بن مروان عبد العزيز 39
- بن الوليد خالد 35 - 151 - 152
- بن يزيد بن المهلب مخلد 434

- ر -

- رضي الله 202

- ش -

- الشعبي 288
- بن عباس عبدالله 228 - 229 - 396
- بنت عتبة هند 432
- بن قيس الكندي الاشعث 72 - 73 - 833
- بن قيس بن شماس ثابت 333
- بن قيس الاحنف 188 - 323 - 325 - 326 - 327 - 328
- بن كعب القرظي محمد 417 - 418
- بن مالك انس 16
- بن معاوية يزيد 58 - 272
- بن المهلب يزيد 62 - 434
- بن مسعود عبدالله 397
- بن مروان عبد الملك 28 - 52 - 60 - 71 - 79 - 81 - 275 - 278 - 280 - 281 - 282 - 283 - 284 - 285 - 286 - 287 - 288 - 290
- بن هانئ سرّيح 230 - 374
- بن يوسف الثقفي الحجاج 30 - 82 - 91 - 332 - 334 - 336

- ت -

- تباذوق المتطبب 91 - 332

- خ -

- الخنساء 353

- ع -

- عبد الحميد الكاتب 89 - 91

فهرس الاماكن والبقاع

- ب -

- بني امية 28
- بني تميم 327
- البصرة (الإبلة) 54

- ج -

- جرجان 434 - 62

- ح -

- الحجاز 28 - 265 - 266
- حضرموت 72

- خ -

- خراسان 58

- ز -

- زبيد 56

- ش -

- الشام (أبنى) 28 - 33 - 38 - 49 - 267

- ض -

- ضبة 182

- ع -

- العراق 28 - 175 - 267
- عدن 56

- ف -

- فارس 43

- ق -

- قريش 19 - 28 - 318
- القادسية 353

- م -

- مصر 25 - 57 - 259

- ن -

- نجران 43

- ي -

- اليمن 53 - 99

تمّ بعَون الله وتوفيقه ومَنّهِ الجزء الثاني من كتاب جمهرة وصايا العرب، وهو جزء خاص بعصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين، والدولة الأموية.

وقد وقع الفراغ منه ليلة عيد الأضحىٰ المبارك من سنيّ 1402 من هجرة أشرف الرسل عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، علىٰ يد العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن نايف بن محمد الموصلي المولد، الدليمي الأصل، سائلاً المولىٰ العليّ القدير أن يتقبله منه خالصاً لوجهه الكريم، ويجعله من العلم الذي ينتفع به ويذكره بعده، والحمد لله الذي لا تضيع عنده الودائع. وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين. آمين.

فهرس المواضيع

مقدمة 7

● الوصية في عصر صدر الاسلام
والدولة الاموية: 11

اولاً: وصايا الخلفاء الى من يلي
الامر بعدهم 17

ثانياً: وصايا الخلفاء الى امراء
الجيوش (وصايا الحرب) 31

ثالثاً: وصايا الخلفاء الى ولاة
الامصار: 53

رابعاً: وصايا الآباء للابناء: 63

خامساً: وصايا الآباء الى مؤدبي
ولدهم (الوصايا التربوية) 77

سادساً: وصايا عامة اخرى: ... 87

ـ الخصائص الفنية للوصايا: .. 94

● وصايا الخلفاء 97

● وصايا العامة 313

● مصادر الجزء الثاني 436

● الفهارس الفنية 447

فهرس الموصين 449

فهرس الاعلام 451

فهرس الاماكن والبقاع 453